

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الروم

مقصودها إثبات الأمر كله لله . فتأتى الوحدانية والقدرة على كل شيء ، فيأتى البعث ونصر أوليائه ، وخذلان أعدائه ، وهذا هو المقصود بالذات ، و اسم السورة واضح الدلالة عليه بما كان من السبب في نصر الروم من الوعد الصادق والسر المكتوم ( بسم الله ) الذى يملك ه الأمر كله ( الرحمن ) الذى رحم الخلق كله بنصب الأدلة ( الرحيم ) الذى لطف بأوليائه فأنتجهم من كل ضار ، وجبهم كل نافع سار .

لما ختم سبحانه التى قبلها بأنه مع المحسنين قال : ( أَلَمْ يَكُنْ ) مشيراً بألف القيام والعلو ولا م<sup>٢</sup> الوصلة وميم التمام إلى أن الملك الأعلى القيوم أرسل جبرئيل عليه الصلاة والسلام - الذى هو وصلة بينه ١٠ وبين أنبيائه عليهم الصلاة والسلام - إلى أشرف خلقه محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث لإتمام مكارم الاخلاق ، يوحى إليه وحياً معلوماً بالشاهد والغائب ، فيأتى الأمر على ما أخبر به دليلاً على صحة رسالته ،

(١) الثلاثون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ستون وعند بعض تسع وخمسون - كما فى روح المعاني ٦ / ٤٢٦ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ولا (٣) فى ظ : يلام .

و كمال علم مرسله ، و شمول قدرته ، و وجوب<sup>١</sup> وحدانيته .

و لما أشير في آخر تلك بأمر الحرم إلى أنه سبحانه يعز من يشاء<sup>٢</sup> و يذل من يشاء<sup>٣</sup> ، و ختم<sup>٤</sup> بمدح المجاهدين فيه ، و أنه سبحانه لا يزال مع المحسنين ، و كانت قد افتتحت بأمر المفتونين ، فكان كأنه قيل : لفتنكم<sup>٥</sup> و لنعمين المفتين و لنهدين المجاهدين ، و كان أهل فارس قد انتصروا على الروم ، ففرح المشركون و قالوا للسلين : قد انتصر إخواننا الأميون على إخوانكم أهل الكتاب ، فلننصرن عليكم ، فأخبر الله تعالى بأن الأمر يكون على خلاف<sup>٦</sup> ما زعموا ، فصدق مصدق و كذب مكذب ، فكان في كل من ذلك من نصر أهل فارس و إخبار الله تعالى بإدالة الروم فتنة<sup>٧</sup> يعرف بها الثابت من المزلزل ، و كان من له كتاب أحسن حالا في الجملة بمن لا كتاب له ، افتتحت هذه بتفصيل ذلك تصريحاً بعد أن أشار إليه بالأحرف المقطعة تلويحاً غيباً<sup>٨</sup> و شهادة ، دلالة على وحدانيته و إبطال الشرك ، فأثبت سبحانه أن له جميع الأمر<sup>٩</sup> و أنه يسر المؤمنين بنصرة من له دين صحيح الأصل ، و خذلان أهل العرقة في الباطل و الجهل ، و جعل ذلك على وجه يفيد نصر المؤمنين على المشركين ، فقال مبتدئاً بما أتهمه كونه مع المحسنين من أنه ليس / مع المسيئين : ( غلبت الروم لا ) أي لتبديلهم دينهم [ غلبهم - <sup>١٠</sup> ] الفرس في زمن أنوشروان أو بعده

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : علم ( ٢ - ٢ ) سقط ما بين الرقنين من ظ .

(٢ - ٣) في ظ و مد : ثم ختمت ( ٤ ) في ظ و مد : غير ( ٥ ) غير واضح في ظ .

(٦) في ظ : الامور ( ٧ ) زيد من ظ و مد .

( فى ادى الارض ) أى اقرب أرضهم إلى أرضكم أيها العرب ، وهى  
 فى أطراف الشام ، وفى تعيين مكان القلب [ على هذا الوجه - ' ]  
 بشاره للعرب بأنهم يغلبونهم إذا وافقوهم ، فان موافقتهم لهم تكون فى  
 مثل ذلك المكان ، وقد كان كذلك بما كشف عنه الزمان ، فكأنه  
 تعالى يقول لمن فرح من العرب بنصر أهل فارس على الروم لنكايه المسلمين : ه  
 أركوا هذا السرور الذى لا يصب نحوه من له همة الرجال ، وأجمعوا  
 أمركم وأجمعوا شملكم ، لتوافقوهم فى مثل هذا الموضع فتصزروا عليهم ،  
 ثم لا يقاومونكم بعدها أبدا ، فتغلبوا على بلادهم ومدنهم وحصونهم  
 وأموالهم ونسائهم وأبنائهم .

[ و - ' ] قال الإمام ابو جعفر بن الزبير : لما أعتب سبحانه أهل مكة ،  
 ونق عليهم قبح صيغهم فى التغافل عن الاعتبار بحالهم ، وكونهم - مع قلة  
 عددهم - قد منع الله بلادهم عن قاصد نهية ، وكف أيدي العتاة والمتزدين  
 عنهم مع تعاور أيدي المنتهين على من حولهم ، وتكرر ذلك وأطراده  
 ضونا منه تعالى لحرمته وبيته ، فقال تعالى " أو لم يروا أنا جعلنا حرما  
 انما ويخطف الناس من حولهم " أى ' أو لم يكفهم هذا فى الاعتبار ،  
 و تينوا أن ذلك ليس عن قوة منهم ولا حسن دفاع ، وإنما هو بصون الله

- (١) سقط من مد (٢) زيد من ظ ومد (٣-٢) ي ظ ومد : السرور يمثل هذا .  
 (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : أعقب (ه) من ظ ومد ، وفى الأصل :  
 الشاغل ، وأراه : التشاغل (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : بلادهم .  
 (٧) سقط من ظ .

إيام بمجاررة بيته و ملازمة أمته مع أنهم أقل العرب، أفلا يرون  
 هذه النعمة و يقابلونها بالشكر و الاستجابة قبل أن يحل بهم قبه، و يسلبهم  
 نعمه، فلما قدم تذكراهم بهذا، أعقب بذكر طائفة<sup>١</sup> هم أكثر منهم و أشد  
 قوة و أوسع بلادا، و قد أيد عليهم غيرهم، و لم يغن عنهم انتشارهم  
 ٥ و كثرتهم، فقال " ألم غلبت الروم في أدنى الارض " - الآيات، فذكر  
 تعالى غلبة غيرهم لهم، و أنهم ستكون لهم كرة<sup>٢</sup>، ثم يظنون، و ما ذلك<sup>٣</sup>  
 إلا بنصر الله من شاء من عبيده " ينصر من يشاء " فلو كشف عن أبحار  
 من كان بمكة من الكفار لرأوا أن اعتصام بلادهم و سلامة ذرياتهم  
 و أولادهم مما سلب على من حولهم من الانتهاب و القتل و سبي الغداری  
 ١٠ و الحرم إنما هو بمنسح الله و كرم صونه لمن جاور حرمه و بيته،  
 و إلا فالروم أكثر عددا و أطول مددا، و مع ذلك تتكرر<sup>٤</sup> عليهم الفتكات  
 و الغارات، و تتوالى<sup>٥</sup> عليهم الغلبات، أفلا يشكر أهل مكة من أطعمهم  
 من جوع و آمنهم من خوف؟ و أيضا فانه سبحانه لما قال " و ما هذه  
 [ الحيوۃ - ٦ ] الدنيا الا لهو و لعب و ان الدار الآخرة لهى الحيوۃ " -  
 ١٥ أتبع ذلك سبحانه بذكر تقلب حالها، و تبين اضمحلالها، و أنها لا تصفو  
 و لا تم، و إنما حالها أبدا التقلب و عدم الثبات، فأخبر بأمر<sup>٦</sup> هذه  
 الطائفة التى هى [ من - ٧ ] أكثر أهل الارض و أمكنهم و هم الروم،

---

(١) فى ظ : يحلهم (٢) فى ظ : طاعته (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : ذكره .  
 (٤) فى ظ و مد : ذاك (٥) فى ظ : تكرر (٦) فى ظ : توالى (٧) زيد من ظ و مد  
 و القرآن الكريم آية ٦٤ من سورة العنكبوت (٨) فى ظ : بامن (٩) زيد من  
 ظ و مد. (١) و أنهم



وأنهم لا يزالون مرة عليهم وأخرى لهم، فأشبهت حالهم هذه حال اللهو  
واللعب، فوجب<sup>١</sup> اعتبار العاقل بذلك وطلبه الحصول على تنعم دار  
لا يتقلب حالها، ولا يتوقع انقلابها وزوالها، "وان الدار الآخرة لحي  
الحيوان" وما يقوى هذا المأخذ<sup>٢</sup> قوله تعالى "يطوبون / ظاهرا من الحياة  
الدنيا" أى لو علوا باطنها لتحققوا أنها<sup>٣</sup> لهم ولعب ولعرفوا<sup>٤</sup> أمره  
الآخرة من عرف نفسه عرف ربه، وما يشهد لكل من المقصدين<sup>٥</sup>  
ويعضد كلا الأمرين قوله سبحانه "اولم يسيرا فى الارض" - الآيات؛  
أى لو فعلوا هذا وتأملوا لشاهدوا من تقلب أحوال الأمم وتغير الأزمته  
والقرون ما بين<sup>٦</sup> لهم عدم إبقائها<sup>٧</sup> على أحد<sup>٨</sup> فتحققوا لهوها<sup>٩</sup> ولعبها  
و [علوا -<sup>١٠</sup>] أن حالهم سيؤول إلى حال من ارتكب مرتكبهم فى العناد<sup>١١</sup>  
والتكذيب وسوء الياد<sup>١٢</sup> والمهلك - انتهى .

ولما ابتداء سبحانه بما أوجه للروم<sup>١٣</sup> من القهر بتبديلهم، معبرا  
[عنهم -<sup>١٤</sup>] بأداة التأنيث مناسبة لسفولهم، أتبعه ما صنعه معهم لتفريح  
المحسنين من عباده الذين ختم بهم الأمم<sup>١٥</sup> ونسخ بملتهم المثلل، وأداهم  
على جميع الدول، فقال معبرا بما يقتضى الاستعلاء من ضمير الذكور<sup>١٦</sup>

(١) زيد فى ظ : الآخرة (٢) فى ظ : المأخذ (٣) فى ظ : إنما هو (٤) من ظ  
ومد، وفى الأصل : يعرفوا (٥) فى ظ ومد : المقصدين (٦) فى ظ ومد :  
بين (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : القائما (٨-٨) من ظ ومد، وفى الأصل :  
فيتحققوا هوها (٩) زيد من ظ ومد (١٠) فى ظ ومد : التبار (١١) من ظ  
ومد، وفى الأصل : الروم (١٢) فى ظ : الامر .

المقلاء: (وم) أى الروم، ودل على التبعض وقرب الزمان بآثبات الجار فقال، 'معبرا بالجار إشارة إلى أن استعلاءهم إنما يكون في بعض زمان البعد ولا يدوم': (من بعد غلبهم) الذى تم عليهم من غلبة فارس أيام<sup>٢</sup>، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول (سيفلون لا) فارساً، فأكد وعده بالسين - وهو غنى عن التأكيد - جرياً على مناهج القوم لما وقع في ذلك من إنكارهم (في بضع سنين) وذلك من أدنى العدد لأنه في المرتبة<sup>٣</sup> الأولى، وهى مرتبة الآحاد، وعبر بالبضع ولم يعين إبقاء للعباد في رتبة نوع من الجهل، تمجيذا لهم، وتحدياً لمن عاند بنى ما أخبر به أو يعلم ما ستر منه، وتشريعاً للتعمية

١٠ إذا قادت إليها مصلحة، وشرح ذلك أنه كان بين فارس والروم حروب متواصلة. وزحوف متكررة، في دهور متطاولة، إلى أن التقوا في السنة الثامنة من نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم في زمن أبرويز بن هرمز ابن أنوشروان، فظفرت فارس على الروم، أخرج سنيد<sup>٤</sup> بن داود في تفسيره والواحدى في أسباب النزول والترمذى في تفسير سورة الروم

١٥ من جامعه وغيرهم، وقد جمعت ما ذكره<sup>٥</sup>، وربما أدخلت حديث بعضهم<sup>٦</sup> في بعض، قال سنيد<sup>٤</sup> عن عكرمة<sup>٧</sup>: كانت في فارس [امراة -] لا تلد

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ و مد (٢) في ظ: بهم - كذا (٣) في ظ: الرتبة (٤) من مد، وفي الأصل و ظ: رتبة (٥) في الأصل و ظ: سعيد، والتصحيح من مد وتهذيب التهذيب ٤ / ٢٤٤ وذكر أن اسمه الحسين وسنيد لقب (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: ذكره (٧-٧) في ظ و مد: بعض حديثهم (٨) في ظ: سعيد (٩) زيد في ظ: قال، والرواية عن عكرمة وردت في تفسير الطبري أيضا (١٠) زيد من ظ و مد والطبرى.

- إلا الأبطال، فدعاها<sup>١</sup> كسرى فقال: إني أريد أن أبعث [إلى الروم -<sup>٢</sup>]  
جيشا، وأستعمل عليهم رجلا من بنيك، فأشيري<sup>٣</sup> على أيهم<sup>٤</sup> أستعمل،  
فأشارت عليه بولد يدعى شهربراز، فاستعمله على جيش أهل فارس.  
وقال الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه<sup>٥</sup> في كتابه تجارب  
الأمم وعواقب المهمم<sup>٦</sup>: فقالت تصف بنينا: هذا فرحان أنفذ من  
[سان -<sup>٧</sup>]، هذا شهربراز أحكم<sup>٨</sup> من كذا، هذا فلان أروغ [من -<sup>٩</sup>]  
كذا، فاستعمل أيهم شئت. فاستعمل شهربراز - انتهى. - وبعث<sup>١٠</sup> قيصر  
رجلا يدعى قطمير<sup>١١</sup> بجيش من الروم، فالتقى مع شهربراز بأذرعات  
وبصرى، وهى أذن الشام إلى أرض العرب<sup>١٢</sup> فقلت [فارس -<sup>١٣</sup>]  
الروم وظهروا عليهم قتلوم وخرّبوا مدائنهم وقطعوا زيتونهم، وبلغ<sup>١٤</sup>  
ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم وهم بمكة فشق  
ذلك عليهم، وكان<sup>١٥</sup> صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الاميون  
من المجوس على أهل الكتاب من الروم، / لان فارس لم يكن لهم  
كتاب، وكانوا يمحذون البعث، ويعبدون النار والاصنام، وفرح كفار  
مكة وشمتموا<sup>١٦</sup>. قال الترمذى<sup>١٧</sup> عن ابن عباس رضى الله عنهما: وكان<sup>١٨</sup>

(١) من ظ ومد والطبرى، وفي الأصل: فدعا (٢) زيد من ظ ومد والطبرى.  
(٣) من ظ ومد والطبرى، وفي الأصل: فأشيري (٤) من ظ ومد والطبرى،  
وفي الأصل: بأيهم (٥) راجع لمصادر ترجمته الأعلام ١/ ٢٠٠، واسم كتابه  
فيه وفي الكشف: تجارب الأمم وتعاقب المهمم (٦) راجع تفسير الطبرى وتاريخه  
أيضا (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: لحكم، وفي الطبرى: احلم (٨) من ظ  
ومد والطبرى، وفي الأصل: بعثت (٩) في تفسير الطبرى: قطمة (١٠) من  
ظ ومد، وفي الأصل: الروم (١١) في تفسير الطبرى: شتموا، وفي تاريخ  
الطبرى ١٤٢/٢ مثل ما عندنا (١٢) راجع جامعه ٢/ ٣٩١.

المشركون يحبون أن يظهر<sup>١</sup> أهل فارس على الروم<sup>٢</sup>، [ وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس -<sup>٣</sup> ] لأنهم أهل كتاب - انتهى .  
 فلقى المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون وأهل<sup>٤</sup> فارس أميون ، وقد  
 • ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل<sup>٥</sup> الروم ، فإن قاتلتمونا لنظهرن عليكم . فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما إنهم سيغلبون في بضع سنين . قال الترمذي<sup>٦</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما : فذكره أبو بكر رضي الله عنه لهم فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلا ، فإن ظهرته كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ، فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا<sup>٧</sup> .  
 فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : ألا جعلته إلى دون ٥ يعني دون العشرة ، فإن<sup>٨</sup> البضع ما بين ثلاث إلى تسع ، ثم ظهرت الروم بعد ذلك ، وروى الترمذي<sup>٩</sup> أيضا عن نيار بن مكرم الأسدي رضي الله تعالى عنه وقال<sup>١٠</sup> : حديث حسن صحيح غريب ، قال : لما نزلت " ألم تغلب الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين " وكانت<sup>١١</sup> فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم<sup>١٢</sup> وكان

(١) في ظ ومد : تظهر (٢) زيد في جامع الترمذي : لأنهم وإياهم أهل الأوثان .  
 (٣) زيد من ظ ومد وجامع الترمذي (٤) سقط من ظ ومد (٥) راجع جامع ٢ / ٣٥٠ (٦) في ظ : ان (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : ذلك (٨-٨) في جامع الترمذي : فكانت (٩) من ظ و الجامع ، وفي الأصل ومد : الروم .  
 المسلمون (٢) ٨

المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل الكتاب<sup>١</sup>، وفي ذلك قول الله تعالى "و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم" وكانت قريش تحت ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان بيعت، فلما نزلت<sup>٢</sup> هذه الآية خرج أبو بكر رضى الله عنه يصيح في نواحي مكة "آلّم غلبت الروم [ في ادنى ه الأرض - ]<sup>٣</sup> وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين"<sup>٤</sup> قال ناس من قريش لأبي بكر رضى الله عنه: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارساً في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرهان؛ [فارتعن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان-]<sup>٥</sup> وقالوا لأبي بكر رضى الله عنه: كم تجعل البضع<sup>٦</sup> من ثلاث سنين ١٠ إلى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطا تنتهى<sup>٧</sup> إليه، فسموا بينهم ست سنين، فمضت الست السنون<sup>٨</sup> قبل أن يظهروا، فأخذ<sup>٩</sup> المشركون رهن أبي بكر رضى الله عنه، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر رضى الله عنه تسمية ست سنين<sup>١٠</sup>، لأن الله

---

(١) من الجامع، وفي الأصول: كتاب (٢) في الجامع: أنزل الله.  
 (٣) زيد من ظ و مد و الجامع و القرآن الكريم (٤) من الجامع، وفي الأصول: فارس (٥) زيد من ظ و مد و الجامع (٦) زيد في الأصل: قال، و زيد في ظ و مد: يعنى البضع (٧) من مد و الجامع، وفي الأصل و ظ: ينتهى (٨) في ظ: سنون، وفي الجامع: سنين (٩) من الجامع، وفي الأصول: واخذ (١٠) زيد في الجامع: قال.

تعالى قال " في بضع سنين " . قال ابن الجوزي في زاد المسير<sup>١</sup> : وقالوا :  
هلا أقررتها على ما أقرها الله ، لو شاء أن يقول : ستا ، لقال . قال  
الترمذي<sup>٢</sup> [ في روايته : وأسلم عند ذلك ناس كثير ، وروى الترمذي<sup>٣</sup>  
أيضا -<sup>٤</sup> ] والواحد في أسباب النزول عن أبي سعيد رضي الله عنه  
أن ظهور الروم عليهم كان يوم بدر . وقال الزمخشري فيما ذكره من  
عند سفيد أنه كان يوم الحديدية فانه قال بعد أن ساق نحو ما مضى :  
فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه - يعني للمشركين : لا يقرن<sup>٥</sup> الله أعينكم !

فوالله<sup>٦</sup> لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين ، فقال له أبي بن  
خلف : كذبت يا أبا فضيل ! / اجعل بيننا وبينك أجلا أناجلك عليه ،  
١٠ - والمناجبة : المراهنة - فتأخبر<sup>٧</sup> على عشر قلائص<sup>٨</sup> - من كل واحد<sup>٩</sup> منهما ،

/ ١٠٢

وجعل الأجل ثلاث سنين ، فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال : البضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فزايدة<sup>١٠</sup>  
في الخطر "و مادة" في الأجل ، فجعلها مائة قلوصل إلى تسع سنين" ،

(١) هو زاد المسير في علم التفسير - كما في كشف الظنون (٢) في جامعه ٣٩٢/٢ .

(٣) راجع ٣٩١/٢ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من تفسير الطبري ،

وفي ظ و مد : لا يقرر ، وفي الأصل : لا يقدر (٦) من ظ و مد وتفسير

الطبري ، وفي الأصل : والله (٧-٧) من مد وتفسير الطبري . وفي الأصل :

عشرة فلا تقص - كذا ، وفي ظ : عشرة قلائص (٨) من ظ و مد ، وفي

الأصل : واحدة (٩) من مد وتفسير الطبري ، وفي الأصل و ظ : فزاده .

(١٠ - ١٠) من مد وتفسير الطبري ، وفي الأصل و ظ : زيادة (١١) وإلى

هنا انتهت رواية الطبري .

و مات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم [يعنى - ١] الذى جرحه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحد، فظهرت<sup>٢</sup> الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين، وقيل: كان<sup>٣</sup> النصر يوم بدر للفریقین، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه الخطر من ذرية أبى، وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تصدق به - انتهى . ٥

وربما أيد القول بأنه [سنة - ٢] الحديبية سنة ست ما فى الصحيحين عن<sup>٤</sup> ابن عباس رضى الله عنهما عن<sup>٥</sup> أبى سفيان رضى الله عنهم<sup>٦</sup> فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وسؤال هرقل لأبى سفيان رضى الله عنه<sup>٧</sup>، وفيه أن ذلك لما كشف الله عن قيصر جنود فارس ومشى من حصص إلى إيلياء شكرا لما أبلاه الله، ومن المعلوم أن كتاب النبى صلى الله ١٠ عليه وسلم إليه وإلى غيره من الملوك كان بعد الرجوع من الحديبية، وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة<sup>٨</sup> الصادقة على صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله نزل بالحق المبين، لأنها إنباء عن علم الغيب<sup>٩</sup> الذى لا يعلمه إلا الله تعالى فطابقه الواقع؛ وقال ابن الجوزى: وفى الذى تولى

- (١) زيد من ظ ومد والجامع (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: وظهرت.  
 (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: كانت (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ ومد:  
 من حديث (٦-٧) سقط ما بين الرقین من ظ (٧) راجع من صحيح البخارى  
 باب دعاه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام من كتاب الجهاد، ومن صحيح مسلم باب «كتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الشام يدعوه إلى الإسلام» من كتاب الجهاد والسير (٨) من ظ وم، وفى الأصل: المشاهدة.  
 (٩) سقط من ظ .

وضع الرهان من المشركين قولان : أحدهما أبي بن خلف - قاله قتادة ،  
و الثاني [ أبو - ١ ] سفيان بن حرب - قاله السدي - انتهى . و ذكر  
القصة أبو حيان في تفسيره البحر<sup>٢</sup> و زاد عن مجاهد أن التقاهم لما ظهرت  
فارس كان في الجزيرة ، و عن السدي أنه كان بأرض الأردن و فلسطين ،  
و أن أبا بكر رضى الله عنه لما أراد الهجرة طلب منه أبي بن خلف كفيلا  
بالخطر الذى كان بينهما في ذلك ، فكفل به ابنه عبد الرحمن رضى الله  
عنه ، فلما أراد أبي الخروج [ إلى أحد - ٢ ] طلبه عبد الرحمن بالكفيل ،  
فأعطاه كفيلا و ملك [ أبي - ٣ ] من جرح<sup>٤</sup> جرحه<sup>٥</sup> النبي صلى الله عليه  
و سلم . و قال ابن الفرات في تاريخه : كان بين كسرى أنوشروان و بين  
١٠ ملك الروم هدنة ، فوقع بين رجلين من أصحابهما فبغى الرومى على الفارسى ،  
فأرسل كسرى إلى ملك الروم بسية ، فلم يحفل برسالته ، فغزاه كسرى  
في بضع و سبعين ألف مقاتل فأخذ مدينة دارا و الرها و منبج و قسرين  
و حلب و أنطاكية - وكانت<sup>٦</sup> أفضل مدينة بالشام - و قامية<sup>٧</sup> و حص  
و مدنا كثيرة ، و احتوى على ما كان فيها . و سبى أهل أنطاكية و نقلهم  
١٥ إلى أرض السواد ، و كان ملك الروم يؤدى إليه الخراج ، و لم يزل مظفرا  
منصورا ، تهابه الأمم ، و يحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك<sup>٨</sup>

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : قال (٣) راجع  
١٦١ (٤) زيد من ظ و مد و البحر المحيط (٥) سقط من ظ و مد .  
(٦) من ظ و مد و البحر ، و في الأصل : جرح به (٧) في ظ : كان (٨) و يقال  
لها أيضا : أقامية - معجم البلدان (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : التراكي .  
و الصين (٣) ١٢



و الصين و الخزر<sup>١</sup> و نظائرهم ، و قال أيضا فى ملك أبرويز بن هرمز بن  
 أنوشروان : و كان شديد القطة ، قوى الذكاء ، بعث "الأصبهيد - يعنى"  
 شهربراز - مرة إلى الروم فأخذ<sup>٢</sup> خزان الروم ، و بعث بها إلى كسرى ؛  
 تخاف كسرى أن يتغير عليه الأصبهيد ، لما قد نال من الظفر ، / فبعث بقتله ،  
 ١٠٣ / فجاء الرجل إليه فرأى من عقله و تدبيره ما منعه من قتله و قال : مثل ه  
 هذا لا يقتل ، 'و أخبره' ما جاء لأجله ، فبعث إلى قيصر ملك الروم : إني  
 أريد أن ألقاك ، فالتقيا فقال [ له - ] : إن الخبيث قد هم بقتلى ، و إني  
 أريد إهلاكه ، فاجعل لى من نفسك ما أطمئن إليه ، و أعطيك من بيوت  
 أمواله مثل ما أصبت منك . فأعطاه الموائيق ، و سار قيصر فى أربعين  
 ألف مقاتل ، فنزل بكسرى<sup>٣</sup> ، فلم كسرى كيف جرى الحال ، فدعا قسا  
 نصرانيا ، يعنى و كتب معه كتابا . و قال ابن مسكويه : و كان<sup>٤</sup> أبرويز  
 'وجه رجلا' من جلة أصحابه فى جيش جرار إلى بلاد الروم ، فأنكى فيهم  
 و بلغ منهم ، و فتح الشامات و بلغ الدروب<sup>٥</sup> فى آثارهم ، فعظم أمره  
 و خافه أبرويز فكتبه بكتابين يأمره فى أحدهما أن يستخلف على جيشه  
 من يثق به و يقبل إليه ، و يأمره فى الآخر أن يقيم بموضعه<sup>٦</sup> ، فانه لما ١٥

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخزرم (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
 الأصبهيد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : واخذ (٤-٤) فى ظ : فآخبره .  
 (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه (٧) من ظ  
 و مد ، و فى الأصل : كسرى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال .  
 (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : رجل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
 الدروب (١١) من مد ، و فى الأصل : عوضه ، و فى ظ : موضعه .

تدبر أمره و أجال الراى لم يجد من يهد مسده، ولم يأمن الخلل إن  
 غاب<sup>١</sup> عن موضعه، و أرسل بالكتابين رسولا من ثقاته و قال له : أوصل  
 الكتاب الاول [ بالامر -<sup>٢</sup> ] بالقدوم فان خف لذلك<sup>٣</sup> فهو ما أردت،  
 و إن كره و تناقل عن الطاعة فاسكت عليه أياما ثم أعلمه أن الكتاب  
 ٥ الثانى ورد عليك و أوصله إليه ليقم بموضعه، فخرج رسول كسرى حتى  
 ورد على صاحب الجيش ببلاد الشام، فأوصل الكتاب الاول؛ إليه،  
 فلما قرأه قال: إما أن يكون كسرى قد تغير لى و كره موضعى، أو يكون  
 قد اختلط عقله بصرف مثلى و أنا فى نحر العدو، فدعا أصحابه و قرأ  
 عليهم الكتاب [ فأنكروه، فلما كان بعد ثلاثة أيام أوصل إليه  
 ١٠ الكتاب -<sup>٤</sup> ] الثانى بالمقام، و أوهمه أن رسولا ورد به، فلما قرأه قال:  
 هذا تخليط و لم يقع منه موقعا، و دس إلى<sup>٥</sup> ملك الروم من ناظره فى  
 إيقاع صلح بينهما على أن يخلى الطريق لملك الروم حتى يدخل بلاد  
 العراق على غرة من كسرى، و على أن لملك الروم ما يغلب عليه من  
 دون العراق، و للفارسي [ ما -<sup>٦</sup> ] وراء ذلك إلى بلاد فارس، فأجابه  
 ١٥ ملك الروم إلى ذلك و تنحى الفارسي عنه فى ناحية من الجزيرة،  
 و أخذ أفواه الطرق، فلم يعلم كسرى حتى ورد خبر ملك الروم عليه  
 من ناحية قرقيسيا و كسرى غير معد و جنده متفرق<sup>٧</sup> فى أعماله، فوثب

---

(١) فى ظ : غابته - كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى  
 الأصل : كذلك (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : نحو (٦) زيد من مد،  
 (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : على (٨) فى ظ و مد : متفرقون .

من سريره مع قراءة [الخبر - ١] وقال : هذا وقت حيلة ، لا وقت شدة ،  
وجعل 'ينكت في الارض ملياً' ، ثم دعا برق وكتب فيه كتاباً صغيراً  
بخط دقيق إلى صاحبه بالجزيرة يقول فيه : قد علمت ما كنت أمرتك  
به من مواصلة صاحب الروم وإطاعه في نفسك وتخليه الطريق له حتى  
إذا تولى في بلادنا أخذه من أمامه<sup>١</sup> ، وأخذته أنت ومن نديناه لذلك ه  
من خلفه ، فيكون ذلك بواره ، وقد تم في هذا الوقت ما دبرناه ،  
وميعادك في الإيقاع به يوم كذا<sup>٢</sup> وكذا<sup>٣</sup> ، ثم دعا راهباً كان في  
'دير بجانب' مدينته وقال : أى جار كنت لك ؟ قال : أفضل جار ، قال :  
[ فقد - ١ ] بدت لنا إليك حاجة ، فقال الراهب : الملك أجل من أن  
يكون له حاجة إلى مثلى ، ولكن عندى بذل نفسى في الذى يأمر به ١٠  
الملك ، قال كسرى : تحمل [ لى - ١ ] كتاباً إلى فلان صاحبى - وقال  
ابن الفرات : إلى الأصهبذ - ولا تظلم<sup>٤</sup> على / ذلك أحداً . وأعطاه ١٠٤ /  
ألف دينار ، قال : نعم ! قال [ كسرى - ١ ] : فانك تمتاز باخوانك<sup>٥</sup> النصارى  
فأخفه<sup>٦</sup> ، قال : نعم ، فلما ولى عنه الراهب قال له كسرى : أعلمت ما في  
الكتاب ؟ قال : لا ، قال : فلا تحمله حتى تعلم ما فيه ، فلما قرأه أدخله ١٥  
في جيبه ثم مضى ، فلما صار في عسكر الروم نظر إلى الصلبان والقسيسين

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ينكب على الارض  
بالباء (٣) فى ظ : اتامه - خطأ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ و مد .  
(٥-٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : جانب (٦) فى ظ : لا نظامن (٧) فى ظ  
و مد : باصحابك (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : فأخفيه .

و ضجيجهم بالتقديس و الصلوات فاحترق قلبه لهم<sup>١</sup> و أشفق مما<sup>٢</sup> خاف  
 أن يقع<sup>٣</sup> بهم و قال في نفسه :<sup>٤</sup> أنا شر الناس<sup>٥</sup> إن حملت يدي حنف  
 النصرانية و هلاك هؤلاء القوم<sup>٦</sup>، فصاح : أنا<sup>٧</sup> لم يحملني كسرى رسالة  
 و لا معي له كتاب، فأخذوه فوجدوا الكتاب معه، و قد كان كسرى  
 ٥ وجبه رسولا قبل ذلك اختصر الطريق حتى مر بـسـكـر الروم كأنه  
 رسول إلى كسرى من صاحبه الذي طابق ملك الروم و معه كتاب فيه  
 أن الملك قد كان أمرني بمقاربة ملك<sup>٨</sup> الروم و أن أخدعه<sup>٩</sup> و أخلي  
 له الطريق فيأخذه<sup>١٠</sup> الملك من أمامه و آخذه أنا من خلفه، و قد فعلت  
 ذلك، فرأى الملك في إعلامي وقت خروجه إليه، فأخذ ملك الروم  
 ١٠ الرسول و قرأ الكتاب و قال : عجب أن يكون هذا الفارسي ادهن على  
 كسرى، و وافاه<sup>١١</sup> أبرويز فيمن أمكنه من جنده، فوجد ملك الروم قد  
 ولى هاربا، فاتبعه يقتل و يأسر من أدرك، و بلسخ الأصهبذ مزينة  
 الروم فأحب أن يخلي نفسه و يستر ذنبه<sup>١٢</sup> لما فاته ما دبر، فخرج خلفه  
 الروم الهاربين فلم يسلم منهم إلا قليل<sup>١٣</sup> . و قال ابن الفرات : و خرج  
 ١٥ القس بالكتاب و أوصله إلى قيصر فقال<sup>١٤</sup> : ما أراد إلا هلاكنا، و انتهزم

(١) - سقط من ظ (٢) في ظ : بما (٣) زيد في ظ : فيه (٤ - ٥) - سقط ما بين  
 ارقين من ظ (٥ - ٥) في ظ و مد : هذا الخلق (٦) من مد، وفي الأصل و ظ :  
 ان (٧ - ٧) من ظ و مد، وفي الأصل : يقاربه لك - كذا (٨) في ظ : اخدعه .  
 (٩) من ظ و مد، وفي الأصل : فيأخذ (١٠) من مد، وفي الأصل و ظ : و فاه .  
 (١١) في ظ : ديته (١٢) في ظ و مد : القليل (١٣) من ظ و مد، وفي  
 الأصل : و قال .

فاتبعه كسرى فنجأ في شردمة يسيرة، واقتح كسرى أبرويز عدة من بلاد أعدائه، وبلغت خيله القسطنطينية وإفريقية، وقد ذكر ابن مسكويه أيضا ما يمكن أن يكون المراد بالآية، وشرح أسباب ذلك فذكر أن هرمز بن أنوشروان لما بعث بهرام بن بهرام الملقب بجويين<sup>١</sup> إلى ملك الترك وظفر به ثم بابته، أساء السيرة<sup>٢</sup> فيه ولم يأذن له في الرجوع،<sup>٣</sup> بل أمره بالتقدم فيما لم يره<sup>٤</sup> بهرام صوابا وخاف مخالفته، وقد كان هرمز حسن السيرة جدا أديبا أريبا، داهيا<sup>٥</sup> إلا عرقا<sup>٦</sup> قد نزعه أخواله من الترك، فكان لذلك مقصبا للاشراف و[أهل -<sup>٧</sup>] البيوتات والعلماء، ولم يكن له رأى إلا في تألف<sup>٨</sup> السفلة واستصلاحهم<sup>٩</sup> قصدت عليه نيات الكبراء من جنده<sup>١٠</sup>، فلما خاف بهرام جمع وجوه عسكره، وخرج عليهم في ١٠ زى النساء وبيده مغزول وقطن ثم<sup>١١</sup> جلس في موضعه ووضع بين يديه كل واحد منهم مغزولا وقطنا، فامتعضوا لذلك، فقال: إن كتاب الملك ورد على<sup>١٢</sup> بذلك، فلا بد من امتثال أمره إن كنتم طائعين، فأبوا وخلعوا<sup>١٣</sup> هرمز، وأظهروا أن ابنه أبرويز أصلح للملك منه، فلما سمع أبرويز بذلك خاف أباه على نفسه، فهرب إلى آذربيجان، ولما بلغ ١٥

(١) في كتب التاريخ: شوبين (٢) من مد، وفي الأصل وظ: البسيرة (٣) في ظ: أمره (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: ذاهيام (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: عر - كذا (٦) زيد من ظ ومد (٧-٨) من ظ ومد، وفي الأصل: السفلة واستصلا - كذا (٨) في ظ: عتده (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: في (١٠) من مد، وفي الأصل وظ: خلفوا.

الجد الذين بحضرة هرمز خلعه أعجبهم ، فضعف أمره ، ثم أجمعوا على  
 خلعه ثخلوه و سملوه ، فكتب أبرويز بذلك فبادر بهراما فسبقه و جلس  
 على سرير الملك ، فأطاعه الناس / و دخل على أبيه ، وأعلمه أنه نائبه .  
 واعتذر إليه بأن ما حصل له لم يكن عن رايه ولا برضاه ولا كان  
 حاضره حتى يذب عنه ، فعذره ، وقصده بهرام فجرت بينهما أمور طويلة ،  
 وحروب هائلة ، ضعف فيها أبرويز ، وأحسن من أصحابه فتورا ، و تبين  
 فيهم فشلا ، فسار إلى أبيه و شاوره فرأى له المصير إلى ملك الروم ،  
 فنهض إلى ذلك في عدة يسيرة فيهم بندويه<sup>١</sup> و بسطام<sup>٢</sup> خالاه ، و كردي  
 أخو بهرام ، وكان ماقنا لآخيه بهرام و مناصحا لأبرويز ، فقطعوا الفرات  
 و صاروا إلى دير في أطراف العبادة ، فلحقهم خيل بهرام فقال بندويه  
 لأبرويز : أعطى بزتك و زينتك لاحتال<sup>٣</sup> لك و أبذل نفسي دونك ،  
 ففعل فأمره بالتجاة بمن معه ، و أقام هو في الدير ، فلما أحيط به اطلع  
 بندويه من فوق الدير فأومهم أنه أبرويز بما عليه من البزة و الزيتة ،  
 فظنوه و سألهم الإمهال إلى غد ليسلمهم نفسه فأمسكوا ، و حفظ<sup>٤</sup> الدير  
 بالحرس ، فلما أصبحوا اطلع عليهم و قال : إن عليّ و على أصحابي بقية  
 شغل من استعداد لصلوات<sup>٥</sup> و عبادات فأهلونا ، و لم يزل يدافع<sup>٦</sup> حتى

(١) من مد و هو الصحيح ، وفي الأصل و ظ : بندويه ، وفي تاريخ اليعقوبي  
 ١٦٨/١ : بندى (٢) زيدت الواو في ظ (٣) في ظ و مد : احتال (٤) في ظ :  
 حفظوا (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : و صلوات (٦) من ظ و مد ،  
 وفي الأصل : يرافع .

مضى عامة' النهار و علم أن أبرويز قد فاتهم ، ففتح حينئذ وأعلم قائدهم  
 بأمرهم<sup>٢</sup> ، فانصرف به إلى بهرام جوين خبسه . ولما وصل أبرويز إلى  
 انطاكية كاتب ملك الروم وسأله نصرته ، فأجابه و توادا إلى أن زوجه  
 ابنته مريم وحملها إليه ، و بعث إليه ستين ألف مقاتل فيهم أخوه تياذرس<sup>٣</sup>  
 و سأله ترك الاتاة التي كان آباؤه يسألونها ملوك الروم إذ<sup>٤</sup> هو ملك ، ه  
 فاعبط به<sup>٥</sup> أبرويز و سار بهم ، فلما وصل إلى أداني أرضهم انضم إليه  
 كثير من أهل فارس فاستظهر على بهرام ، فقصد بهرام بلاد الترك فأكرمه  
 ملكها ، و لم يزل أبرويز يلاطف ملك الروم الذى نصره حتى وثبت  
 الروم عليه فى شيء أنكروه منه فقتلوه و ملكوا غيره<sup>٦</sup> ، و لجأ ابنه إلى  
 أبرويز فلكه على الروم و أرسل معه جنودا كثيفة<sup>٧</sup> عليهم شهربراز ، ١٠  
 فدوخ عليهم البلاد ، و ملك صاحب كسرى بيت المقدس و قصد قسطنطينية ،  
 فأناخوا على ضفة الخليج القريب منها ، و لم يخضع لابن الملك الذى  
 توجه كسرى أحد من الروم ، و كانوا قد قتلوا الذى ملكوه بعد آيه  
 لما ظهر من فجوره و سوء تديره ، و ملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل ،  
 و قال ابن الفرات : إن أبرويز بعث مع ابن الملك الذى كان نصره ١٥  
 [ثلاثة - ٨] من قواده فى جنود كثيرة<sup>٩</sup> كثيفة ، أما أحدهم<sup>١٠</sup> فإنه كان<sup>١١</sup>

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : غاية (٢) فى ظ : بإمره (٣) من ظ و مد ،  
 و فى الأصل : يقارس (٤) فى ظ و مد : اذا (٥) فى ظ : بهم (٦) من ظ و مد ،  
 و فى الأصل : غيرهم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثيرة (٨) زيد من  
 ظ و مد (٩) سقط من ظ و مد (١٠-١١) فى ظ و مد : فكان .

يقال له زميرزان<sup>١</sup> وجهه إلى بلاد الشام فدوخها حتى انتهى إلى بلاد<sup>٢</sup>  
 فلسطين، وورد<sup>٣</sup> مدينة بيت المقدس، وأخذ أسقفها ومن كان فيها  
 من القسيسين و سائر النصارى بخشب الصليب، وكانت قد دفنت في  
 بستان في تابوت من ذهب<sup>٤</sup> وزرع<sup>٥</sup> فوقها مبقلة<sup>٥</sup> فدلوه عليها فحفر  
 ٥ واستخرجها وبعث بها إلى كسرى في سنة أربع وعشرين من ملكه، وأما  
 القائد الثاني- وكان يقال له: شاهير<sup>٦</sup>- فسار حتى احتوى على مصر والإسكندرية  
 و بلاد النوبة وبعث<sup>٧</sup> إلى / كسرى [ بمفاتيح -<sup>٨</sup> ] مدينة الإسكندرية  
 [ في سنة -<sup>٩</sup> ] ثمان وعشرين من ملكه، وأما القائد الثالث - [ وكان -<sup>٩</sup> ]  
 يقال له : فرهان -<sup>٩</sup> فانه قصد<sup>٩</sup> قسطنطينية حتى أناخ قريبا<sup>١٠</sup> من ماء<sup>١٠</sup> [ و -<sup>٩</sup> ]  
 ١٠ خيم هنالك<sup>١١</sup> فأمره كسرى فخر ب بلاد الروم غضبا لما انتهكوا من موريق -  
 يعنى الملك الذى كان نصره، وفعل هذا لأجل ابنه، و انتقاما له منهم،  
 ولم ينقد لابن الملك الذى فعل هذا لأجله أحد من الروم، لأنهم لما<sup>١٢</sup>  
 قتلوا الملك قوفا ملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل، ثم اتفق ابن الفرات

/ ١٠٦

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: اميزران (٢) في ظ و مد: أرض (٣) زيد  
 في الأصل: به، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤-٤) من ظ و مد،  
 وفي الأصل: بدرع (٥-٥) في ظ: فيها شبكة (٦) من ظ و مد، وفي الأصل:  
 شاهين (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: حب (٨) زيد من ظ و مد -  
 (٩-٩) من ظ و مد، وفي الأصل: طافه فصد به (١٠-١٠) في ظ و مد: منها -  
 (١١) من ظ و مد، وفي الأصل: هناك (١٢) في ظ و مد: كما .

وابن

(٥)

٢٠



و ابن فتحون<sup>١</sup> فقالا: فلما<sup>٢</sup> رأى هرقل عظيم ما فيه<sup>٣</sup> بلاد الروم من  
تخريب جنود فارس إياها و قتلهم مقاتلتهم، و سيهم ذرارهم،  
و استباحتهم أموالهم، تضرع إلى الله تعالى، و أكثر الدعاء و الابتهال  
فيقال: إنه رأى في منامه رجلاً ضخماً الجثة رفيع المجلس [عليه -<sup>٤</sup>]، فدخل<sup>٥</sup>  
عليهما داخل<sup>٥</sup>، فألقى ذلك الرجل عن مجلسه و قال لهرقل: إني قد ه  
سلته [فى -<sup>٦</sup>] يدك، فلم يقصص رؤياه تلك فى يقظته حتى توالى  
عليه أمثاله، فرأى فى بعض لياليه كأن رجلاً دخل عليها و يده سلسلة  
طويلة [فألقاها -<sup>٧</sup>] فى عنق صاحب المجلس الرفيع عليه ثم دفعه إليه  
و قال [له -<sup>٨</sup>] : ها قد دفعت إليك كسرى برمته، [و -<sup>٩</sup>] قال ابن  
الفرات: فآغزه فانك مدال عليه، و نائل أمينك فى غزاتك، فلما تابعت ١٠  
عليه<sup>١٠</sup> هذه الأحلام<sup>١١</sup> قصها على عظماء الروم و ذوى العلم منهم، فأشاروا  
عليه أن يغزوه، فاستعد هرقل و استخلف ابنه على مدينة قسطنطينية،  
و أخذ غير الطريق الذى فيه شهر براز صاحب كسرى، و سار حتى دخل  
فى بلاد أرمينية و نزل بنصيبين<sup>١٢</sup> بعد ستة، و قد كان صاحب ذلك الثغر<sup>١٣</sup>  
من قبل كسرى استدعى لموجدة كانت من كسرى عليه، و أما شهر براز ١٥

- (١) فى ظ و مد: ابن فتحويه، و ابن فتحون هو محمد بن خلف بن سليمان بن  
فتحون الأندلسى أبوبكر فاضل نقاد عارف بالتاريخ - راجع الأعلام ٦/٣٤٨.  
(٢) من ظ و مد، وفى الأصل: قال - كذا (٣) زيد فى ظ و مد: من (٤) زيد من  
ظ و مد (٥ - ٥) من ظ و مد، وفى الأصل: عليه داخلا (٦) زيد من مد.  
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: الأحكام (٩) فى ظ و مد: نصيبين (١٠) من ظ  
و مد، وفى الأصل: الثغر.

فكانت كتب كسرى ترد عليه في الجثوم على الموضع الذي هو هـ ،  
وترك البراح ، ثم بلغ كسرى تساقط<sup>١</sup> هرقل في جنوده إلى نصيبين  
فوجه لمحاربة هرقل رجلا من قواده يقال له : راهزاد<sup>٢</sup> في اثني عشر  
ألفا<sup>٣</sup> من الانبياد ، وأمره أن يقيم بنيوي<sup>٤</sup> وهي التي تدعى الآن  
الموصل - على شاطئ دجلة ، ويمنع الروم أن يجزوها ، وكان كسرى  
بلغه خبر هرقل وأنه مغذ<sup>٥</sup> وهو يومئذ مقيم بدسكرة الملك ، فتعذر  
راهزاد لأمر كسرى وعسكر حيث أمره<sup>٦</sup> فقطع هرقل<sup>٧</sup> دجلة من  
موضع آخر إلى الناحية التي كان فيها جند فارس ، فأذكي<sup>٨</sup> راهزاد العيون  
عليه فأنصرفوا إليه فأخبروه أنه في سبعين ألف مقاتل ، فأيقن راهزاد  
١٠ أنه ومن معه من الجند عاجزون<sup>٩</sup> عن مناهضته<sup>١٠</sup> ، فكتب إلى كسرى  
غير مرة دهم هرقل إياه بمن<sup>١١</sup> لا طاقة له ولمن معه بهم ، لكثرتهم  
وحسن عدتهم ، قال ابن الفرات : فكتب كسرى : إنكم [ إن - ]  
عجزتم عن الروم لم تعجزوا عن بذل دمانكم في<sup>١٢</sup> طاعتي ، فلما تابعت  
على راهزاد جوابات كسرى بذلك عبي<sup>١٣</sup> جنده ، وناهض الروم بهم ،

---

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : على (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : بساقط .  
(٣) في ظ ومد هنا فقط : زاهرزاد (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : الف .  
(٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : بنيوي (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : مغزو .  
(٧-٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : قطع (٨) في ظ ومد : فأولى .  
(٩-٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : لمناهضته (١٠) من ظ ومد ، وفي  
الأصل : بما (١١) زيد من مد (١٢) من ومد ، وفي الأصل و ظ : عن .  
(١٣) في ظ : عين .

١٠٧ /

قتل / الروم واهزاد و ستة آلاف رجل ، و انهزمت بقيتهم ، و هربوا  
على وجوههم ، و بلغ كسرى قتل الروم واهزاد [و ستة آلاف -<sup>١</sup>] و ما  
نال هرقل من الظفر فهذه ذلك و انحاز<sup>٢</sup> من دسكرة الملك إلى المدائن ،  
و تحصن بها لعجزه كان عن<sup>٣</sup> محاربة هرقل ، و سار هرقل حتى كان  
قريبا من المدائن ، قال ابن الفرات : فاستعد كسرى لقتاله ثم خالف كسرى ه  
ملك الروم فرجع إلى بلاده لحمل خزائنه في البحر ، فعصفت الرياح  
فألقته بالإسكندرية ، فظفر بها أصحابه من الروم ، و ذكر<sup>٤</sup> المسعودى  
هذا بخالف<sup>٥</sup> بعض المخالفة : فقال : و وثب بطريق من بطارقة الروم يقال  
له<sup>٦</sup> قوقاس<sup>٧</sup> فيمن اتبعه على تموريقس<sup>٨</sup> ملك الروم هو أبرويز و منجده ،  
فقتلوه و ملكوا قوقاس<sup>٩</sup> ، و نعى ذلك إلى أبرويز فغضب لمحوه و ستر<sup>١٠</sup>  
إلى الروم الجيوش<sup>١١</sup> و كانت<sup>١٢</sup> له في ذلك أخبار يطول ذكرها ، و ستر  
شهر يار مرزبان المغرب إلى حرب الروم فنزل أنطاكية و كانت له  
مع ملك<sup>١٣</sup> الروم و أبرويز أخبار و مكاتبات و حيل<sup>١٤</sup> إلى أن خرج  
ملك الروم إلى حرب شهر يار ، و قدم<sup>١٥</sup> خزائنه في البحر في ألف مركب ،

(١) زيد من ظ (٢) من مد ، و في الأصل : في ، و الكلمة ساقطة من ظ (٣) في  
ظ : من (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : يخالف ، و راجع  
مروج الذهب ١ / ١٧٣ (٦) من ظ و مد و المروج ، و في الأصل : لها (٧) في  
المروج : فانوس (٨) في المروج : موريقس (٩) في المروج : موداس .  
(١٠-١١) من ظ و مد و المروج ، و في الأصل : فكانت (١١) من ظ و مد ،  
و في الأصل : ملوك ، و ليس في المروج (١٢) من ظ و مد و المروج ، و في  
الأصل : سيل (١٣) من ظ و مد و المروج ، و في الأصل : قد .

فألقته الرياح إلى ساحل أنطاكية فغنمها<sup>١</sup>، شهریار حملها إلى أبرویز  
فسمیت خزائن الريح، ثم فسدت الحال بين أبرویز و شهریار، و مايل  
شهریار ملك الروم فسيره شهریار نحو العراق إلى أن انتهى إلى النهر و ان  
فاحتال<sup>٢</sup> أبرویز في كتب كتبها مع بعض أساقفة النصرانية ممن كان في  
ه ذمته حتى رده إلى<sup>٣</sup> القسطنطينية، و أفسد الحال بينه و بين شهریار . و قال  
أبو حيان<sup>٤</sup> : و سبب ظهور الروم أن كسرى بعث إلى شهربراز<sup>٥</sup> و هو الذي  
ولاه<sup>٦</sup> على محاربة الروم أن اقتل أخاك فرخان - انتهى . و هذا هو  
تتمة ما تقدم في خبر المرأة التي [ كانت - ' ] لا تلد إلا الأبطال ،  
و أن كسرى بعث ابنها شهربراز إلى حرب الروم فظهر عليهم . قال  
١٠ ابن مسكويه<sup>٧</sup> : فلما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب فقال  
لأصحابه : لقد رأيت كأنى جالس على سرير كسرى ، فبلغت مقالته كسرى  
فكتب إلى شهربراز : إذا أتاك كتابي هذا فابعث إلى برأس فرخان ،  
فكتب إليه : أيها الملك 'إني لن تجد' مثل فرخان ، فان له نكابة في  
العدو و صوتا فلا تفعل<sup>٨</sup> ، فكتب إليه : إن في رجال فارس خلقا منه  
(١) من ظ و مد و الروج ، و في الأصل : و نعمها (٢) من مد و الروج ،  
و في الأصل : و احتال ، و في ظ : فاختر (٣) زيد في الأصل : بلاد ، و لم  
تكن الزيادة في ظ و مد و الروج لحذفها (٤) في البحر المحيط ٧ / ١٦١ .  
(٥) في البحر : شهريزان (٦) من ظ و مد و البحر ، و في الأصل : ولي .  
(٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع أيضا معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ١٦٧ .  
(٩-٩) من ظ و مد و العالم ، و في الأصل : ان تجد (١٠) من مد و العالم ،  
و في الأصل و ظ : فلا يفعل .

فجعل إلى برأسه، فراجعهم فغضب كسرى وبعث بريدا إلى أهل فارس:  
 إني قد نزعتم عنكم شهربراز واستعملت فرخان، ثم دفع<sup>١</sup> إلى البريد  
 صحيفة صغيرة وقال: إذا ولي الفرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه،  
 فلما قرأ شهربراز الكتاب قال: سمعا وطاعة، ونزل عن سريره، وجلس  
 فرخان و<sup>٢</sup> دفع البريد الصحيفة إليه<sup>٣</sup> فقال: اتتوني بشهربراز، قدمه ه  
 ليضرب عنقه فقال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي، قال<sup>٤</sup>: افعل، فدعا  
 بسفط وأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى  
 و [ أنت -<sup>٥</sup> ] أردت أن تقتلني بكتاب واحد، فرد الملك على<sup>٦</sup> أخيه،  
 فكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم: إن لى إليك حاجة لا تحملها  
 البرد و [ لا -<sup>٧</sup> ] تبلغها الصحف فالقنى، / و لا تلقى إلا فى خمسين روميا، ١٠ / ١٠٨  
 فأتى أيضا ألقاك فى خمسين فارسيا، فأقبل<sup>٨</sup> قيصر فى<sup>٩</sup> خمساته رومى،  
 وجعل يضع العيون بين يديه فى الطريق، وخاف أن يكون قد<sup>١٠</sup> مكر به<sup>١١</sup>  
 حتى أتاه عيونه أنه ليس معه إلا خمسون رجلا، ثم بسط لها والتقىا فى  
 قبة ديباج ضربت لها، واجتمعا ومع كل [ واحد -<sup>١٢</sup> ] منهما سكين،  
 ودعوا ترجمانا بينهما، فقال شهربراز: إن الذين<sup>١٣</sup> خروا مدائك،<sup>١٤</sup> و بلغوا ١٥  
 منك [ و -<sup>١٥</sup> ] من جندك ما بلغوا أنا وأخى بشجاعتنا وكيدنا، وأن

(١) فى المعالم: رفع (٢-٢) فى المعالم: رفع إليه الصحيفة (٣) من ظ ومد والمعالم،  
 وفى الأصل: فقال (٤) زيد من ظ ومد والمعالم (٥) فى المعالم: إلى (٦-٦) فى  
 ظ: فيهم (٧-٧) من ظ ومد والمعالم، وفى الأصل: يكذبه (٨) من ظ ومد  
 والمعالم، وفى الأصل: الذى (٩) العبارة من هنا إلى « ما بلغوا » ساقطة من  
 المعالم (١٠) زيد من ظ ومد.

كسرى حسدنا فأراد أن أقتل أخى فأيتت، ثم أمر أخى أن يقتلنى  
 'فقد خلعناه' جميعا ففتح قتاله معك، فقال: قد أصبنا ووقفنا، ثم  
 أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر إنما يكون بين اثنين، فإذا جاوز اثنين  
 فشا، قال صاحبه: أجل، فقاما جميعا إلى الترجمان بسكينهما فقتلاه،  
 ٥ واتفقا على قتال كسرى، فتعاون شهربراز وهرقل على كسرى، فغلبت  
 الروم فارس، وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد  
 فى أوائل فتوح مصر نحو هذا الحديث من حديث ابن عباس رضى الله  
 عنهما أنه سمع ابن عمر رضى الله عنه يسأل الهرمزان عن سبب ظهور  
 الروم على كسرى فأخبره [به - ٢]، وكان بما تمكن الخلاف عليه أيضا  
 ١٠ أنه كان طلب الذين هربوا بعد قتل قائدهم راهزاد، وأمر بأن يعاقبوا  
 على انهمامهم، فأحوجهم بهذا إلى الخلاف عليه وطلب الحيل لنجاة أنفسهم  
 منه، فان كانت الواقعة ٢ التى غلبت الروم فيها بأذرع أو الأردن فهى  
 أدنى أرض الروم - أى أقربها - إلى مكة المشرقة، وإن كانت بالجزيرة  
 فهى أدنى بالنظر إلى كسرى - هذا ما تحقت فيه الآية فى ظاهر  
 ١٥ العبارة و صريحها [مع - ٢] ما انضم إلى ذلك من إدالة العرب على  
 الفرس أيضا فى هذا الوقت فى وقعة ذى قار - كما بينته فى شرحى لنظمى  
 للسيرة النبوية المسمى 'نظم الجواهر من سيرة سيد الأوائل والأواخر،  
 (١-١) من نظم ومدو العالم، وفى الأصل: نخلصنا (٢) زيد من نظم ومد (٣) من  
 نظم ومد، وفى الأصل: الواقعة (٤) سقط من نظم (٥) فى نظم: الجزيرة (٦-٦) من  
 نظم ومد، وفى الأصل: خصت به .

وسأتى ملخصه<sup>١</sup> قريبا - حتى يقال : إن نصرة الروم والعرب ونصرة المسلمين في بدر كانت في آن واحد، ومن<sup>٢</sup> أعاجيب ما دخل تحت مفهوم الآية من لطائف المعجزات في باطن الإشارة وتلويحها أن زماننا هذا<sup>٣</sup> كان قد غلب فيه على ملك مصر جندها الغرباء من الترك وغيرهم ثم اختص به الشراكسة منهم<sup>٤</sup> من نحو مائه سنة، وهم بمن ليس له كتاب<sup>٥</sup> في الأصل وإن كان إسلامهم قد جب ما كانوا عليه من قبل وكانوا إذا مات<sup>٦</sup> أحدهم وله ابن ولوا ابنه لأجل ممالكه واتباع أيه<sup>٧</sup> إلى أن يعملوا<sup>٨</sup> الحيلة في خلعه، وكان أكثر أولادهم يكون صغيرا أو في حكمه<sup>٩</sup> حتى كانت سنة<sup>١٠</sup> خمس وستين وثمانمائة، فصادف أن التولى بها من أولادهم المؤيد أحمد بن الأشرف إينال العلاني، وكان قد ناهز<sup>١١</sup> الأربعين، وكان عنده حزم ودهاء، وزادت مدة ولايته بعد أيه على أربعة أشهر / فقتل عليهم جدا<sup>١٢</sup>، وكان الأمير الكبير خشقدم<sup>١٣</sup> أحد ممالك المؤيد شيخ وهو روى، وكانت عادتهم [أنهم --<sup>١٤</sup>] إذا خلعوا أحدا من أبناء الملوك ولوا الملك من كان في الإمرة الكبرى، فاختر<sup>١٥</sup>

١٠٩/

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل : ينخصه (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : من اعجاب (٣) زيد في الأصل : قد، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها . (٤) من ظ و مد، وفي الأصل : فيهم (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : ما (٦) من ظ و مد وفي الأصل : آباءه (٧) من ظ و مد، وفي الأصل : يولوا (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : حكمهم (٩) من ظ و مد، وفي الأصل : نحو (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل : جفا (١١) من ظ و مد، وفي الأصل : خشقد (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) من مد، وفي الأصل و ظ : فاحتال .

الشراكسة ولايته و إن كان من غيرهم على ولاية من ولد في الإسلام  
 في بلاد العرب . فأعملوا الحيلة في أمره إلى أن أجمع<sup>١</sup> 'أمرهم و' رأيهم  
 كلهم على خلعه حتى ممالكه و ممالك أبيه ، فقاموا<sup>٢</sup> في ذلك قومة رجل  
 واحد في أواخر شهر رمضان من السنة المذكورة ، فلما لم يجد له ناصرا  
 ٥ أسلم نفسه في اليوم الثاني من وثوبهم عليه ، فعرضوا الولاية على شخص  
 منهم فلم ير التقدم على أكبر منه في المرتبة<sup>٣</sup> ، فأشار إلى الأمير الكبير  
 فولوه ، ثم اجتهد بعضهم في نزعهم فلم يقدرهم الله على ذلك ولم يجمع  
 كلمتهم على أحد ، و قام هو في الأمر بجد عظيم و حزم ، و لين في شدة  
 و عزم ، حتى استحکم أمره ، و عظم قدره ، و حسب عدد 'بضع' بالجل  
 ١٠ فاذا هو اثنان و سبعون<sup>٤</sup> و ثمانمائة ، و هو مقدار ما مضى من السنين  
 من حين نزول الآية إلى حين ولايته ، و ذلك أن نصر أهل فارس  
 على الروم كما مضى كان في<sup>٥</sup> السنة الثامنة من النبوة ، و حينئذ نزلت  
 الآية ، فاذا قلنا : إن نزولها كان في<sup>٦</sup> شهر رمضان من تلك السنة ،  
 كان قبل الهجرة بست سنين إذا جعلنا كسر الثامنة سنة ، و قد كانت  
 ١٥ وقعة بدر في سابع عشر شهر<sup>٧</sup> رمضان من السنة الثانية من الهجرة في  
 الشهر السابع<sup>٨</sup> ، فيكون نصر الروم إذا صححناه<sup>٩</sup> كما هو الذي ينبغي أن

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : جمع (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ و مد .

(٢) من ظ و مد ، و في الأصل : فقالوا (٤) في ظ : الرتبة (٥) زيد في ظ : سنة .

(٦) سقط من ظ (٧) زيد في ظ و مد : عشر (٨) في ظ : صححت .

لا يعتقد (٧)



لا يعتقد غيره لدلالة "قرآن العظيم عليه كما تأتى الإشارة إليه أنه  
 فى سنة غزوة بدر فى آخر السنة السابعة من حين نزول الآفة، و يكون  
 ولاية السلطان خشفدم لكونها فى أواخر شهر رمضان فى ابتداء سنة  
 ست و ستين من الهجرة، فاذا ضممت إليها الست التى كانت قبل الهجرة  
 كانت الجملة ثمانمائة و اثنين و سبعين على عدد 'بضع' المنظوم فى ه  
 الآفة [سواء - ٢]. و إن صححنا كما أبده ما فى الصحيح عن أبى سفيان  
 أن نصر الروم كان وقت الحديبية و ذلك فى ذى القعدة سنة ست من  
 الهجرة، و كما قلنا: كان نزول الآفة قبل الهجرة بشهرين ونحوهما،  
 صح أن نصر الروم كان عند دخول السنة السابعة من نزول الآفة كما فى  
 رواية الترمذى عن [نبار - ٢] رضى الله عنه، و كأن الموافق لعدد البضع ١٠  
 سنة اثنين و سبعين و ثمانمائة من الهجرة، و فيها غلب شخص من الروم،  
 و ذلك أن الظاهر خشفدم مات فى ربيع الأول سنة اثنين و سبعين  
 و ثمانمائة من الهجرة<sup>٦</sup>، فولى بعده الأمير الكبير يلية و هو من الشراكسة،  
 فلم ينظم له الأمر، فخلع فى جمادى الأولى منها، و ولى الأمير الكبير  
 تمربقا و لقب الظاهر و هو رومى، فكان ذلك من الآيات الباهرات إن ١٥  
 وافق هذا الأمر العدد<sup>٨</sup> المذكور على كلتى الروايتين: رواية من قال:

- (١) فى ظ: الابتداء (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (٣) زيد من ظ  
 و مد (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى الأصل يياض، ملأناه من ظ و مد.  
 (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: اثنين - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين  
 من مد (٨) من ظ و مد. و فى الأصل: المدد.

إن النصر كان يوم بدر، ورواية من قال: كان يوم الحديبية، ولولا ولاية يامية ما صبح إلا أحدهما، إن في ذلك لعلبة، هذا إن عددنا<sup>١</sup> أحاد السنين، وإن عددناها / مئات فهو في بضع منها، فانه في المائة التاسعة كما أشار إليه الأستاذ أبو الحكم عبد السلام بن برجان<sup>٢</sup> في تفسيره ه فقال: حكمة الله جل ذكره في دوائر<sup>٣</sup> التقدير أن يرجع فيها أواخر الكلم<sup>٤</sup> على أوائلها، ومن الدوائر مقدره، ومنها موسعة على مقدار مشيئة الله فيها وبها، ولما أخبر تعالى عن الروم أنهم غلبوا في أدنى الأرض وهي<sup>٥</sup> بلد الشام، كان إخباراً منه عما يكون - والله أعلم - وبشارة بشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين<sup>٦</sup> أن ذلك سيكون، يعني<sup>٧</sup> ١٠ أن معنى 'غلبت' مبنيًا للفعول إن كان<sup>٨</sup> بالنسبة إلى فارس كان المعنى: وقع غلبها، وإن كان بالنسبة إلى المسلمين كان المعنى: قرب<sup>٩</sup> زمان غلبها على أيدي المسلمين، ثم قال: فكان<sup>١٠</sup> ذلك في زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، غلبهم في بلاد الشام<sup>١١</sup>، واستخرج بيت المقدس عن أيديهم، والبضع من الثلاث إلى التسع، وكان نزول هذه السورة بمكة ١٥ فكان<sup>١٢</sup> ذلك في داخل<sup>١٣</sup> بضع أسابيع سنين على رأس عشرين إلى ثمان

(١) زيد في ظ: ان (٢) راجع لترجمته الأعلام ١٢٩/٤ (٣) في ظ ومد: رواية .  
(٤) في ظ ومد: الحكم (٥) في ظ ومد: هو (٦) من مد، وفي الأصل  
و ظ: المؤمنون (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: كانوا .  
(٩) من ظ ومد، وفي الأصل: معنى (١٠) زيد في ظ: من (١١) في ظ:  
وكان (١٢) من ظ ومد، وفي الأصل: الشال (١٣) زيد في ظ: نزول .  
و عشرين ٣٠

و عشرين سنة ، ثم لم يزل الفتح بعد ذلك يتصل و يتسع إلى نهاية سبقت  
في التقدير ، ثم ذكر عود التقدير باستيلاء الروم على بعض أطراف الشام  
ثم<sup>١</sup> باستنقاذ المسلمين ذلك منهم ، و نظر إلى ذلك تارة بحسب الأسابيع  
و تارة بحسب آحاد المئات ، و تارة بغير ذلك ، و صحح وقوعه في البضع<sup>٢</sup>  
بالغالية و المغلوية مرة بعد أخرى ، و هو من بدائع الأنظار ، و دقائق هـ  
الأسرار الكبار .

و لما كان تغليب ملك على ملك من الأمور الهائلة ، و كان الإخبار  
به قبل كونه أهول ، ذكر علة ذلك فقال : ﴿لله﴾ أى وحده ﴿الامر﴾  
و لما أفهم<sup>٣</sup> السياق العناية بالروم ، فكان<sup>٤</sup> ربما توهم أن غلب فارس لهم  
في تلك الواقعة و تأخير نصرهم إلى البضع [ ربما كان لمانع -<sup>٥</sup> ] لم يقدر ١٠  
على إزالته ، نفي ذلك باثبات الجار المفيد لأن أمره تعالى مبتدئ من  
الزمن<sup>٦</sup> الذى كان قبل غلبهم حتى لم تغلبهم فارس إلا به ، و هو مبتدئ  
من الزمن الذى بعده ، فالتأخير به لا بغيره ، لحكمة دبرها سبحانه فقال :  
﴿من قبل﴾ [ أى -<sup>٧</sup> ] قبل دولة أهل فارس على الروم ثم دولة الروم  
على فارس ، لا إلى غاية تكون مبدأ لاختصاصه بالأمور فيه سبحانه ١٥  
[ غلبهم -<sup>٨</sup> ] ﴿و من بعد﴾ أى بعد دولة الروم عليهم و دولتهم على  
الروم [ لا إلى غاية -<sup>٩</sup> ] فيه أيضا<sup>١٠</sup> غلبهم الروم ، فحذف المضاف إليه

(١) سقط من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : فهم (٤) في ظ : و كان .

(٥) زيد من ظ و مد (٦-٧) في ظ و مد : أيضا فيه .

هو<sup>١</sup> الذى أفهم أن زمن غلبة فارس لهم و ما بعده من البضع مذكور دخوله فى أمره مرتين .

ولما أخبر بهذه المعجزة ، تلاها بمعجزة أخرى ، وهو أن [أهل -<sup>٢</sup>

الإسلام لا يكون لهم ما يهمهم فيسرون بنصره<sup>٣</sup> فقال : ﴿ ويومئذ ﴾ أى  
٥ إذ تغلب الروم على فارس ﴿ يفرح المؤمنون ﴾ أى العريقون فى هذا

الوصف من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ بنصر الله ﴾ أى الذى لا راد لأمره ، لأهل الكتاب عامة ، نصرهم على المشركين فى غزوة بدر

وهو المقصود بالذات ، ونصر الروم على فارس لتصديق موعود الله

ونصر من سيصير من أهل الكتاب الخاتم من مشركى العرب على

١٠ / ١١١ الفرس فى وقعة ذى قار ، فقد<sup>٤</sup> / وقع الفرج بالنصر الذى ينبغى إضافته

إلى الله تعالى وهو نصر أهل الدين الصحيح أصلاً وحالاً ومآلاً ،

وسوق الكلام على هذا الوجه الذى يحتمل الثلاثة من بدائع الإعجاز ،

وسبب وقعة ذى قار أنه كان أبرويز هذا - الذى غلب الروم ثم

غلبته<sup>٥</sup> الروم - قد غضب على النعمان بن المنذر ملك العرب ، فأتى النعمان

١٥ هذا هاتئ بن مسعود بن عامر الشيباني ، فاستودعه ماله وأهله

[ وولده -<sup>٦</sup> ] وألف شكة ، أو أربعة آلاف<sup>٧</sup> شكة - والشكة

(١) زبدت الواو فى ظ (ز) زيد من ظ و مد (ز) فى ظ و مد : بنصرهم .

(٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : فقد (هـ) زبدت الواو فى الأصل ، ولم تكن

فى ظ و مد لحذفها (جـ) من مد ، وفى الأصل : غلبت (جـ - جـ) من ظ و مد ،

وفى الأصل : أربع ألف .

بكسر المعجمة و تشديد الكاف : السلاح كله' - و وضع وضائع عند أحياه  
العرب ثم هرب فأتى طيطا لصهره' فيهم ، وكانت عنده فرعة' بنت سعيد  
ابن حارثة بن لام وزينب [بنت -] أوس بن حارثة بن لام ، فأبوا أن  
يدخلوه' جلهم وأمه بنو رواحة بن ربيعة' بن عيس فقالوا له : أيت  
اللعن ! أقم' عندنا 'فانا مانعوك عما نمنع' منه أنفسنا ، فقال : ما أحب ه  
أن تهلكوا بسببى فجزيتم خيرا ، ثم خرج حتى وضع يده فى يد كسرى  
فحبسه' بسابط ، وقال ابن مسكويه : بخانقين' ، فلم يزل فى السجن حتى  
وقع الطاعون فمات فيه ، قال : و الناس يظنون أنه مات بسابط ، والصحيح  
ما حكيناه . فلما مات النعمان جعلت بكر بن وائل تغير فى السواد ،

فغضب من ذلك كسرى ، ثم بعث إلى هانى' بن مسعود يقول له : ١٠  
[ إن - ] النعمان إنما كان عاملى ، وقد استودعك ماله وأهله وحلقته'  
فابعث إلى بها و لا تكلفنى' أن أبعث إليك وإلى قومك بالجنود فقتل  
المقاتلة و تسمى الذرارى' ، فبعث إليه هانى' أن الذى بلغك باطل ، و ما  
عندى شيء ، و إن يكن الامر كما قيل فانما أنا أحد رجلين : إما

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : طيب الصهرة (٣) فى مد :  
فرعة ، و الصواب ما فى الأصل و ظ - راجع تاريخ الطبرى ١٥١ / ٢ (٤) فى  
الطبرى : سعد (٥) زيد من ظ ومد (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ :  
يدخلوهم (٧) فى الأغاني ١٢٥ / ٢ : قطيعة (٨) فى ظ : اقر (٩-٩) من ظ ومد ،  
وفى الأصل : فان نقول لا يمنع (١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : بخانقين -  
خطأ (١١) فى الطبرى ١٥٢ / ٢ : خلفته ، وفى الأصل : الخلفة ، وفى ظ ومد :  
الحلقة (١٢) زيد فى ظ ومد : الى (١٣) فى ظ ومد : الذرية .

رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردّها [ على -<sup>١</sup> ] من استودعها ولن<sup>٢</sup>  
يسلم الحر أمانته، أو رجل مكذوب عليه وليس [ ينبغي -<sup>٣</sup> ] للملك أن  
يأخذه بقول عدو أو حاسد . وكانت الاعاجم لهم قوة وحلم، وكانوا  
قد سمعوا ببعض حلم العرب، وأن الملك كائن<sup>٤</sup> فيهم، فلما ورد عليه  
٥ كتاب هاني<sup>٥</sup> بهذا حملته الشفقة أن يكون ذلك قد اقرب على أن  
خرج بنفسه، فأقبل حتى قطع الفرات فزل غمر بني مقاتل، وقد أحنقه  
ما صنعت بكر بن وائل في السواد ومنع<sup>٦</sup> هاني<sup>٧</sup> إياه ما منعه، ودعا  
كسرى إياس بن قبيصة الطائي وكان عامله على عين التمر وما والاها،  
فاستشاره في الغارة على بكر بن وائل فقال له<sup>٨</sup> إياس: إن الملك  
١٠ لا يصلح أن يعصيه أحد من رعيته، وإن تطغى لم يعلم أحد لاي شيء.  
عبرت<sup>٩</sup> وقطعت<sup>١٠</sup> الفرات، فيرون أن أمر العرب قد كربك، ولكن  
ترجع وتضرب [ عنهم -<sup>١١</sup> ] وتبعث<sup>١٢</sup> عليهم العيون حتى ترى منهم غرة  
ثم ترسل حيثئذ كتيبة من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم فيوقعون  
بهم وقعة الدهر، ويأتونك بطلبك<sup>١٣</sup>، فقال له كسرى: أنت رجل من العرب  
١٥ وبكر بن وائل أخوالك، فانت تتعصب لهم لا تألوهم نصحا، فقال  
إياس: الملك أفضل رأيا، فقام عمر بن عدى بن زيد [ العبادي -<sup>١٤</sup> ]

- (١) زيد من مد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: لم (٣) زيد من ظ ومد.  
(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: كان (٥) من ظ ومد، وفي الأصل:  
مانع (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ ومد، وفي الأصل: وقعت - كذا.  
(٨) في ظ: بعث (٩) في ظ ومد: بطلبك.

/ ١١٢

و كان كاتبه و ترجمانه بالعربية فى أمور العرب فقال : قم أيها الملك  
و ابعت / إليهم بالجنود يكفوك<sup>١</sup> و قام إليه<sup>٢</sup> النعمان بن زرعة من ولد  
السفاح الثعلبى فقال له : أيها الملك<sup>٣</sup> [ إن -<sup>٤</sup> ] هذا الحى من<sup>٥</sup> بكر بن  
وائل إذا قاطلوا<sup>٦</sup> تهاقتوا على ماء لهم يقال له : ذوقار ، تهاقت الفراش  
فى النار ، فعقد لنعمان بن زرعة على تغلب و النمر ، و عقد لخالد بن يزيد ه  
البهراني على قضاة و آباد و ، [ عقد -<sup>٧</sup> ] لإياس بن قبيصة على جميع  
العرب ، و معه كتيبته الشهباء [ و -<sup>٨</sup> ] الدوسر ، فكانت العرب ثلاثة  
آلاف ، و عقد للهامرز على ألف [ من الاساورة ، و عقد لحيارزين<sup>٩</sup>  
على ألف -<sup>١٠</sup> ] ، و بعث معهم باللطيمة و هى عير كانت تخرج من العراق  
فيها ابن<sup>١١</sup> و العطر و الاطاف ، توصل ذلك إلى باذان عامل كسرى على ١٠  
الين ، و قال : إذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها إلى الين ، و أمر عمرو  
ابن عسى أن يسير بها ، و كانت العرب تحقرهم حتى تبلغ اللطيمة الين ،  
و عهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل أن يبعثوا إليهم  
النعمان بن زرعة ، فان أتوكم بالحلقة<sup>١٢</sup> و مائة غلام منهم يكونون رهنا بما<sup>١٣</sup>  
أحدث سفهاؤهم<sup>١٤</sup> فاقبلوا منهم و إلا<sup>١٥</sup> فقاتلوهم ، فلما بلغ الخبر بكر بن ١٥

- (١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل :  
بن (٤) فى ظ و مد : ما طوا - كذا ، و ما فى الأصل مطابق للطبرى ١٥٢/٢ .  
(٥) فى الطبرى : الجلابزين (٦) فى ظ و مد : البز (٧) فى ظ : بالحلقة (٨) من  
ظ و مد ، وفى الاصل : ربما (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : سفادهم .  
(١٠) فى ظ و مد : لا .

وائل سار هاني\* بن مسعود حتى نزل بنى قار، وأقبل النعمان بن زرع  
حتى نزل على ابن أخته مرة بن عبد الله العجلي، فحمد الله وأثنى عليه  
ثم قال: إنكم أخوالى وأحد طرفى، وإن الرائد لا يكذب أهله، وقد  
أتاكم ما لا قبل لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب والكتبتان  
٥ [الشهباء - ١] والدوسر، [و - ١] إن فى الشر خيارا، 'ولأن' يفتدى بعضهم  
[بعضا ١] خير من أن تصطلموا، انظروا هذه الحلقة فادفعوها<sup>٢</sup> وادفعوا  
معها رهنا من أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم<sup>٣</sup>، فقال له القوم: ننظر فى  
أمورنا، وبعثوا [إلى - ١] من يليهم من بكر بن وائل وبرزوا يبطحاء  
فى قار بين\* الجهلتين - وجملة\* الوادى: مقدمه، مثل جملة\* الرأس  
١٠ إذا ذهب شعره - وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا إلى من حولهم  
من قبائل بكر لا ترفع لهم جماعة إلا قالوا: سيدنا فى هذه الجماعة، إلى  
أن رفعت لهم جماعة فيها حنظلة بن ثعلبة بن سنان<sup>٤</sup> العجلي<sup>٥</sup> فقالوا:  
يا أبا معدان لقد طال انتظارنا وقد كرهنا أن نقطع أمرادونك، وهذا  
ابن اختك النعمان بن زرع قد جاء والرائد لا يكذب أهله، قال: فما  
١٥ الذى اجمع رأيكم عليه؟ قالوا: قلنا: اللحن أهون من الوهمى، وإن فى  
الشر خيارا، ولأن نفدى بعضنا بعضا خير من أن نصطم جميعا، فقال حنظلة:  
(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، وفى الأصل: ان (٣) من ظ  
و مد، وفى الأصل: فادفعوها (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: سفاوكم.  
(٥ - ٥) من مد، وفى الأصل و ظ: الجهلتين والجملة (٦) من ظ و مد، وفى  
الأصل: جملة (٧) فى الطبرى ٢ / ١٥٤: سيار (٨) من ظ و مد والطبرى،  
وفى الأصل: البجل.



فح' الله هذا رأيا، لانجر' أحرار فارس غزوها يطحاه ذى قار و أنا أسمع صوتا، ثم أمر بقبته فضربت بوادى ذى قار 'و نزل' ونزل الناس فأطافوا به ثم قال لهانى بن مسعود: يا أبا أمانة! إن ذمتكم ذمتنا عامة، وإنه لن يوصل إليك حتى تقف أرواحنا، فأخرج هذه الحلقة فقرقها بين قومك، فان تظفر فسترد عليك، وإن تهلك فأهون مفقود'، فأمر بها فأخرجت ه فقرقها بينهم، ثم قال حنظلة للثمان: 'لولا أنك رسول لما أبت إلى أهلك سالما، فرجع الثمان إلى أصحابه، فأخبرهم فباتوا ليلتهم يستعدون للقتال، و بات بكر بن وائل يستعدون للحرب، فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم /، وأمر حنظلة بالظعن جميعا فوقفها خلف الناس ثم قال: يا معشر بنى بكر بن وائل! قاتلوا عن ظعنكم أو دعوا، وأقبلت ١٠ الأعاجم يسيرون إلى تبعة، و كان ربيعة بن غزالة السكونى ثم التجيبي يومئذ هو وقومه نزولا فى بنى شيان [فقال - ١]: [يا بنى شيان - ٧] أما إني لو كنت منكم لأشرت عليكم برأى مثل عروة العلم، قالوا: وأنت واه من أوسطنا، أشر علينا، قال: لا تستهدفوا هذه' الأعاجم فتهلككم بنشايها، ولكن تكردسوا لهم كراديس فيشد' عليهم كردوس، فاذا أقبلوا عليه شد ١٥ الآخر، قالوا: فأنك قد رأيت رأيا، ففعلوا، فلما التقى الزحفان وتقارب

(١) من إمد، وفي الأصل وظ: فتح (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: لا تخرج، (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: بنقود (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: للنعمة (٦) زيد من مد (٧) زيد من م و سنضيفها إلى مراجعتنا بعد صفحات (٨) في ظ و مد: لهذه (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: فشدد.

القوم قام حنظلة بن ثعلبة فقال : يا معشر بكر بن وائل ! إن النشاب  
الذى مع الاعاجم يعرفكم<sup>١</sup> ، فاذا أرسلوه لم يَخْطِطْكم ، فعاجلوهم اللقاء وابدأوهم ،  
ثم قام هاني بن مسعود فقال : يا قوم ! مهلك معذور خير من منجى  
مفرور ، إن الحذر لا يدفع القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، النية  
ولا الدنيا ، واستقبال الموت خير من استدباره ، يا قوم : جدوا ، فما  
من القوم بد فتح لو كان له رجال [ أجد -<sup>٢</sup> ] ، أسمع صوتا ولا أرى  
فوتا ، يا بكر ! شدوا واستعدوا ، فإن<sup>٣</sup> لا تشدوا تردوا ، ثم قام شريك  
ابن عمرو بن شراحيل فقال : يا قوم ! إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ  
أكثر منكم ، وكذلك أنتم في عيونهم فعليكم بالصبر ، فإن الآسنة تردى  
١٠. الأعنة ، يا بكر ! قدما قدما ، ثم قام عمرو بن جلة اليشكري فقال :  
يا قوم " لا تفرركم هذى<sup>٤</sup> الخرق ولا وميض<sup>٥</sup> البيض في شمس برق<sup>٦</sup> "  
من لم يقاتل منكم هذى<sup>٧</sup> العنق فجنبوه اللحم<sup>٨</sup> واسقوه المرق  
ثم قام حنظلة بن ثعلبة إلى رضيع امرأته فقطعه<sup>٩</sup> ثم تتبع الظعن  
يقطع<sup>١٠</sup> وضهن لثلا يفر عنهن الرجال ، والوضين : بطن الناقة فسمى  
(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : تصرفكم (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ  
ومد : وان (٤) من ظ و مد ومعجم الشعراء للرزاي ص ٢٢٥ ، وفي الأصل :  
اليسرى (٥ - ٥) من ظ و مد والمعجم ، وفي الأصل : لا يفرركم هذا (٦) من  
ظ و مد والأعلام للزركلي ٢٤١/٥ ، وفي الأصل : ويض ، وفي المعجم :  
ويص (٧) من المعجم ، وفي الأصول : ترق (٨) في المعجم : هذا (٩) في المعجم :  
الراح (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : فقطع (١١) في ظ و مد : يقطع .

يومئذ: مقطع الوضن، وقال ابن مسكويه: إنه لما قطع الوضن<sup>١</sup> وقع

النساء إلى الأرض وإن بنت القرين الشيبانية نادت:

“ويها بنى شيان” صفا بعد صف

إن تهزموا يصبغوا<sup>٢</sup> فبنا القلف.

فقطع سبعمائة من بنى شيان<sup>٣</sup> [أبدى - °] أقيتهم من قبل مناكبهم هـ

لتخف أيديهم بالضرب، وتقدمت عجل فأبليت يومئذ بلاء حسنا، واضطمت

عليهم<sup>٤</sup> جنود العجم<sup>٥</sup> فقال الناس: ملكت عجل، ثم حملت بكر فوجدت

عجلا ثابتة تقاتل وامرأة<sup>٦</sup> منهم تقول<sup>٧</sup>:

إن يظفروا يحزروا فبنا الغرل فدى لكم نفسى فدى بنى عجل<sup>٨</sup>

و تقول أيضا:

١٠

إن تقدموا<sup>٩</sup> نعانق ونقرش<sup>١٠</sup> النمارق

أو تهربوا تفارق فراق غير وامق<sup>١١</sup>

فكانت بنو عجل في الميمنة بازاء خيارزين و بنو شيان<sup>١٢</sup> في الميسرة

(١) بن م و الطبرى ٢ / ١٥٣. وفي الأصول: الوضين (٢-٢) من ظ و مد

والطبرى ٢ / ١٥٤، وفي الأصل: وبها بنو الشيان (٣) من الطبرى، وفي الأصول:

تضيعوا (٤) من ظ و مد و الطبرى، وفي الأصل: الشيان (٥) زيد من ظ و مد

والطبرى (٦-٦) في ظ: الجنود (٧) من ظ و مد و الطبرى ٢ / ١٥٣، وفي

الأصل: امرأة (٨) زيد في الأصل: وتمثل بها البيت. ولم تكن الزيادة في ظ

و مد و الطبرى لحذفها (٩) و وقع الصراع الأخير في الطبرى: إليها فداه لكم

بنى عجل (١٠) في الطبرى: تهزموا (١١) من ظ و مد و الطبرى، وفي الأصل:

نقرش (١٢) من ظ و مد و الطبرى، وفي الأصل: وابق (١٣) زيد في ظ و مد:

بما .

بازاء كتيبة الهامرز، و أفاء<sup>١</sup> بكر بن وائل في القلب فخرج أسوار من  
 الأعاجم مسور / مشنف في أذنيه درتان، من كتيبة الهامرز يتحدى  
 الناس للبراز، فنادى في بني شيان فلم يارزه أحد حتى "إذا دنا" من بني يشكر  
 برز له برد بن حارثة أخو بني ثعلبة فشد عليه بالرمح فطعنه فدق صلبه  
 ٥ و أخذ حليته و سلاحه، و قال ابن مسكويه<sup>٢</sup>: و نادى الهامرز لما رأى  
 جد القوم و ثباتهم للحرب و صبرهم للوت مرد و مرد، فقال برد بن حارثة  
 اليشكري: ما يقول؟ قيل: يدعو إلى البراز! يقول: رجل و رجل!  
 فقال: و أيكم لقد أنصف، و برز له فلم يلبث<sup>٣</sup> برد أن تمكن<sup>٤</sup> من  
 الهامرز فقتله، و قال ابن المكرم<sup>٥</sup> في اختصاره للآغا: ثم اقتلوا صدر  
 ١٠ نهارم أشد قتال رآه<sup>٦</sup> الناس إلى أن زالت الشمس، فشد الحوقران و اسمه  
 الحارث بن شريك [على -<sup>٧</sup>] الهامرز فقتله و قتلت بنو عجل<sup>٨</sup> خيارزين،  
 و ضرب الله وجوه الفرس فانهزموا، و تبعتهم<sup>٩</sup> بكر بن وائل يقتلونهم  
 بقية يومهم حتى أصبحوا من الغد و قد شارفوا السواد و دخلوه<sup>١٠</sup> فلم يفلت  
 منهم كبير<sup>١١</sup> أحد، و أقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم،

(١) من ظ و مد، و في الأصل: ابتاء (٢-٢) من ظ و مد، و في الأصل:  
 ادراى (٣) راجع الطبري ١٥٤/٢ (٤) من ظ و مد، و في الأصل: فلم يثبت.  
 (٥) من مد، و في الأصل و ظ: يمكن (٦) هو ابن منظور صاحب لسان العرب.  
 (٧) من ظ و مد، و في الأصل: راد (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد،  
 و في الأصل: بعجل (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: تبعهم (١١) في ظ  
 و مد: دخلوا (١٢) من مد، و في الأصل: كثير، و سقط من ظ.  
 ٤٠ (١٠) و قسموا

و قسموا تلك اللطائم بين نساءهم ، وكان أول من انصرف إلى كسرى  
 بالهزيمة إياس بن قبيصة ، وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كفيه ،  
 فلما أتاه إياس سأل عن الخبر فقال : هزمتنا بكر بن وائل ، وأتيناك  
 بنسائهم ، فأعجب ذلك كسرى ، وأمر له بكسوة ، ثم إن إياس استأذنه  
 عند ذلك فقال : إن أخى مريض بعين التمر ، فأردت أن آتيه ، وإنما  
 أراد أن ينتحى عنه ، فأذن له ، ثم أتى رجل من أهل الحيرة<sup>١</sup> فسأل :  
 هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا : نعم إياس ، فقال : ثكلت إياسا  
 أمه ! و ظن أنه قد حدثه بالخبر ، فدخل عليه فحدثه بهزيمة القوم و قتلهم ،  
 فأمر به فزعت [ كفتاه - ٢ ] ؛ وكانت وقعة ذى قار بعد وقعة بدر  
 بأشهر و رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فلما بلغه ذلك قال : هذا ١٠  
 أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم و بنى نصرورا . روى ذلك الطبرانى  
 فى المعجم الكبير ، وقيل : إن الوقعة مثلت لرسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وهو بالمدينة فرفع يده ، فدعا لبنى شيان أو لجماعة ربيعة بالنصر ،  
 ولم يزل يدعو لهم حتى أرى هزيمة الفرس ، و روى أنه صلى الله عليه  
 وسلم قال : إياها بنى ربيعة اللهم انصرهم ، فهم إلى الآن إذا حاربوا نادوا ١٥  
 بشعار<sup>٢</sup> النبي صلى الله عليه وسلم و دعوته ، وقال قائلهم : يا رسول الله !  
 دعوتك ، فإذا دعوا بذلك نصرورا . و روى الطبرانى فى الكبير - قال

---

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : الخيرة (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من  
 ظ و مد (٤) من ظ و مد و تاريخ يعقوبى ١ / ٢١٥ ، وفى الأصل : فى .  
 (٥) فى ظ : الجماعة (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : شعار .

الميثمي<sup>١</sup> : ورجاله رجال الصحيح غير<sup>٢</sup> خلاد بن عيسى وهو ثقة - عن<sup>٣</sup>  
 خالد بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قدمت  
 بكر بن وائل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضى الله  
 عنه : اتهم فاعرض عليهم ! فأتاهم فقال : من القوم ؟ [ ثم عاد إليهم  
 ٥ ثانية فقال : من القوم ؟ -<sup>٤</sup> ] فقالوا : بنو ذهل بن شيان ، فعرض عليهم  
 الإسلام ، قالوا : حتى يحى شيخنا فلان / - قال خلاد : أحسبه<sup>٥</sup> قال : المثنى  
 ابن حارثة<sup>٦</sup> - فلما جاء شيخهم عرض عليهم أبو بكر رضى الله عنه ، قال :  
 إن بيننا وبين الفرس حربا ، فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا<sup>٧</sup> فنظرتنا ،  
 ٨ فقال له أبو بكر : أرايت إن غلبتموهم أتبعنا على أمرنا ؟ قال : لا نشترط  
 ١٠ لك هذا علينا ولكن إذا فرغنا فيما<sup>٩</sup> بيننا وبينهم عدنا فنظرتنا فيما نقول ، فلما  
 التقوا يوم<sup>١٠</sup> ذى قارهم والفرس قال شيخهم : ما اسم الرجل الذى  
 دعاكم إلى الله ؟ قالوا : محمد ، قال<sup>١١</sup> : فهو شعاركم انصروا على القوم ، فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : بى<sup>١٢</sup> نصرنا - انتهى . ومن الأشعار  
 فى وقعة ذى قار قول أبى كلبه التميمي<sup>١٣</sup> :

(١) راجع بجمع الزوائد ٦/ ٢١١ (٢) من ظ و مد و المجمع ، و فى الأصل :  
 عن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٤) زيد من ظ و مد و المجمع .  
 (٥) من ظ و مد و المجمع ، و فى الأصل : احبه (٦) فى المجمع : خارجة (٧) فى ظ :  
 جئنا (٨) العبارة من هنا إلى « فيما نقول » ساقطة من ظ (٩) من مد و المجمع ،  
 و فى الأصل : بما (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم و - كذا (١١) فى الجمع :  
 قالوا (١٢) من مد و الجمع ، و فى الأصل و ظ « و » (١٣) زيد فى ظ : قال .

لولا فوارس لا ميل ولا عزل من اللهازم ما قظم<sup>١</sup> بنى قار  
 إن الفوارس من<sup>٢</sup> عجل<sup>٣</sup> هم<sup>٤</sup> أنقوا<sup>٥</sup> بأن يخلوا لكسرى عرصة الدار  
 قد<sup>٦</sup> أحسنت ذهل شيان وما عدلت في يوم ذى قار فرسان ابن سيار  
 هم الذين أتوم<sup>٧</sup> عن<sup>٨</sup> شمائلهم<sup>٩</sup> كما تلبس ورا<sup>١٠</sup>د بصددار  
 وقال الأعشى :

فدى لبنى ذهل بن شيان ناقتى وصاحبها<sup>١</sup> يوم اللقاء وفلت  
 هم ضربوا<sup>٢</sup> بالخنوخو قراقر<sup>٣</sup> مقدمة الهامرز حتى تولت  
 ولما أخبر بادالة الروم بعد الإدالة عليهم مع ما دخل تحت مفهوم  
 الآية، وكان [ربما - ٧] قيل : ما له لم يدم نصر أهل الكتاب ؟ علل  
 ذلك [كله - ٧] بقوله : ﴿ ينصر من يشاء<sup>١</sup> ﴾ من ضعيف وقوى ، لأنه ١٠  
 [لا - ٧] مانع له<sup>٢</sup> ولا يسأل عما يفعل ﴿ وهو العزيز ﴾ فلا يعز من  
 عادى ، ولا يذل من والى . ولما كان هذا السياق لبشارة<sup>٣</sup> المؤمنين قال :  
 ﴿ الرحيم<sup>٤</sup> ﴾ أى يخص حزبه بما ينيلهم قربه من الاخلاق الزكية ،  
 والاعمال المرضية .

ولما نزل هذا على قوم أكثرهم له منكر ، أكدده سبحانه بما<sup>١</sup> يقوى ١٥

- (١) في تاريخ الطبرى ٢/ ١٥٥ : ما قاطوا (٢-٢) من ظ ومد ، وفي الأصل :  
 عجلهم ، والبيت مع ما يليه ليس في الطبرى (٣) من مد ، وفي الأصل وظ : هل .  
 (٤) الصراع في الطبرى : نحن أتيناهم من عند شمائلهم (٥) في الطبرى : راكبها .  
 (٦-٦) من ظ ومد و الطبرى ، وفي الأصل : بالخنوخو فلم اقر - كذا .  
 (٧) زيد من ظ ومد (٨) سقط من ظ ومد (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل :  
 بشارة (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : بان .

قلوب أصفياه بتبيين المراد، ويرد السنة أعدائه عن كثير من العناد<sup>١</sup>،  
و يعرفهم أنه كما صدق في هذا الوعد لأجل تفريح أوليائه فهو يصدق  
في وعد الآخرة ليحكم بالعدل، و يأخذ لهم حقهم من عاداهم، و يفضل  
عليهم بعد ذلك بما يريد، فقال: ﴿وعد الله<sup>٢</sup>﴾ أى الذى له جميع صفات  
الكمال، وهو متعال عن كل شائبة نقص، فلذلك ﴿لا يخلف﴾ و أعاد

ذكر الجلالة تنبيها على عظم الأمر فقال: ﴿الله﴾ أى الذى له الأمر  
كله . ولما كان لا يخلف شيئا من الوعد، لا هذا الذى فى أمر الروم  
ولا غيره، أظهر فقال: ﴿وعده﴾ كما يعلم<sup>٣</sup> ذلك أولياؤه  
﴿ولكن أكثر الناس﴾ وهم أهل الاضطراب والنوس ﴿لا يعلمون﴾  
١. أى ليس لهم علم أصلا، و لذلك لا نظر لهم يؤدى إلى أنه وعد<sup>٤</sup> وأنه  
لا بد من وقوع ما وعد به فى الحال التى ذكرها لانه قادر [و-] حكيم .

ولما كان من المشاهد أن لهم عقولا راجحة و أفكارا صافية،  
و أنظارا صائبة، فكانوا بصد أن يقولوا: إن علمنا أكبر من علمكم،  
كان كأنه قيل يانا لانه يصح سلب ما ينفع<sup>٥</sup> من العلم بتأديته إلى السعادة  
١٥ الباقية، و تنبيها على أنه لافرق بين عدم العلم الذى / هو الجهل و بين

وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا: نعم ﴿يعلمون﴾ ولكن ﴿ظاهرا﴾  
أى واحدا<sup>٦</sup> ﴿من﴾ القلب فى ﴿الحياة الدنيا﴾ وهو ما أدتهم إليه

(١) فى ظ: الفساد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: يسلم (٣) زيد فى ظ: على .  
(٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: أكثر (٦) فى ظ  
ومد: ما لا ينفع (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: واحد .



حواسهم و تجاربهم إلى ما يكون سببا للتمتع بزخارفها<sup>١</sup> و التمتع بملاذها،  
قال الحسن: [ إن - ٢ ] أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه  
ولا يخطئ و هو لا يحسن<sup>٢</sup> يصل - انتهى . و أمثال هذا لهم كثير ،  
و هو و إن كان عند أهل الدنيا عظيما فهو عند الله حقير ، فلذلك حقره  
لأنهم ما زادوا فيه على<sup>٣</sup> أن ساووا البهائم في إدراكها ما ينفعها فتستجلبه<sup>٤</sup>  
بضروب من الحيل ، [ و - ٥ ] ما يضرها فتدفعه بأنواع من الخداع ،  
و أما علم باطنها<sup>٥</sup> و هو أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها بالطاعة ، فهو  
مدوح منه عليه بوصفها بما يفهم الأخرى .

و لما ذكر حالهم في الدنيا ، أتبعه [ ذكر - ٥ ] اعتقادهم في الآخرة ،  
مؤكدًا إشارة إلى أن الحال يقتضى إنكار أن يغفل أحد عنها ، لما لها ١٠  
من واضح الدلائل أقربه أن اسم ضدها يدل عليها ، لأنه لا تكون  
دنيا<sup>٦</sup> إلا في مقابلة قصيا ، و لا أولى إلا بالنسبة إلى أخرى ، فقال : ﴿ و هم ﴾  
أى هؤلاء الموصوفون خاصة ﴿ عن الآخرة ﴾ التى هى المقصود بالذات  
و ما خلقت الدنيا إلا للتوصل بها إليها ليظهر الحكم بالقسط و جميع صفات  
العز و الكبر و الجلال و الإكرام ﴿ هم غفلون ﴾ أى فى غاية الاستغراق ١٥  
و الإضراب عنها بحيث لا يخطر فى خواطرهم ، فصاروا لاستيلاء الغفلة  
عليهم إذا ذكرت لهم كذبوا بها ، و استهزؤا بالخبر ، و لم يجوزوها

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بزخارفها (٢) زيد من ظ و مد و معالم التنزيل  
بها مشى الباب ١١٨/٥ (٣) زيد فى العالم : أن (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
الى (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : باظهار (٧) - ققط

نوع تجويز مع أن دلائلها تفوت الحصر، وتزيد على العد، فصاروا كأنهم  
مخصوصون بالغفلة عنها من بين سائر الناس ومخصوصون لها بالغفلة من  
بين سائر الممكنات، فلذلك لا يصدقون الوعد بادالة الروم لما رسخ في  
نفوسهم من [ أن -<sup>٢</sup> ] الأمور تجري بين العباد على غير قانون الحكمة،  
لأنهم كثيرا<sup>٣</sup> ما يرون الظالم يموت ولم<sup>٤</sup> يقتص منه، وهم في غفلة عن  
[ أنه -<sup>٥</sup> ] آخر جزاؤه إلى يوم الدين، يوم يكشف الجبار<sup>٦</sup> حجاب الغفلة  
ويظهر عدله وفضله، وتوضع الموازين القسط، فتطيش بمثاقيل الذر،  
ويقتص للظالمين من الظالمين، ومن أريد القصاص منه عاجلا فعل،  
وقضية الروم هذه من ذلك، وهذا السياق يدل على أنه لا حجاب عن<sup>٧</sup>  
العلم أعظم من التكذيب بالآخرة، ولا شيء أعون عليه من التصديق  
بها والاهتمام بشأنها، لأن ذلك حامل<sup>٨</sup> على طلب الخلاص<sup>٩</sup> في ذلك  
اليوم، وهو لا يكون على<sup>١٠</sup> أتم الوجوه إلا لمن وصل إلى حالة المراقبة،  
وذلك لا يكون إلا لمن علم إما بالكشف أو الكسب كل علم فلم يتحرك  
حركة إلا بدليل يبيحها له ويحمله عليها، وبهذا التقرير يظهر أن هاتين  
الجلتين بكاملهما<sup>١١</sup> علة لنفي العلم عنهم، والمعنى أن العلم منفي عنهم لما

(١) في ظ ومد : فكانوا (٢) زيد من ظ ومد (٣) من مد، وفي الأصل وظ :  
كثير (٤) من مد، وفي الأصل وظ : لا (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي  
الأصل : الجبارة، وفي ظ : عن - اقي - كذا (٧) من ظ ومد، وفي الأصل :  
من (٨) من ظ ومد، وفي الأصل : حابل (٩) من ظ ومد، وفي الأصل :  
الاخلاص (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل : في (١١) من ظ ومد، وفي  
الأصل : كمالها .

شغل قلوبهم من هذا الظاهر فى حال غفلتهم عن الآخرة، فانسد عليهم باب العلم - والله الموفق .

- ١١٧ / ولما كان التقدير / : أظن يتدبروا القرآن و ما كشف لهم عنه من الحكم و الأمور التى وعد الله بها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فيه أو فى السنة، فكانت على حسب ما وعد، أو لم يتأملوا مصنوعات الله عموماً ه قدلم عقولهم منها على أنه لا يصلح للالهية إلا من كان حكيماً، ولا يكون حكيماً إلا من صدق فى وعده، وأنه لا تتم الحكمة إلا بإيجاد الآخرة، عطف عليه قوله منكراً عليهم موجهاً لهم : ( أولم يتفكروا ) أى يجتهدوا فى أعمال الفكر، ثم ذكر آلة الفكر زيادة فى تصوير حال المتفكرين و التذكير بهيئة المتبرين فقال : ( فى أنفسهم ) و يجوز أن تكون هى المتفكر فيه ١٠ فيكون المعنى : يتفكروا فى أحوالها خصوصاً فيعلوا أن من كان منهم قادراً كاملاً لا يخلف وعده و هو إنسان ناقص، فكيف بالإله الحق، و يعلوا [ أن - ٢ ] الذى ساءى بينهم فى الإيجاد من العدم و طورهم ٢ فى أطوار الصور، و فاوت بينهم فى القوى و القدر، و بين آجالهم فى الطول و القصر، و سلط بعضهم على بعض بأنواع الضرر، و أمات ١٥ أكثرهم مظلوماً قبل القصاص و الظفر، لابد فى حكمته البالغة من جمعهم للعدل بينهم فى جزاء من وفى أو غدر، أو شكر أو كفر، ثم ذكر نتيجة ذلك و علله بقوله فى أسلوب التأكيد لأجل إنكارهم، و على التقدير
- (١) فى ظ : تويحاً (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل : صورهم (٤) فى ظ و .

الاول يكون هذا هو المتفكر فيه ﴿ ما خلق الله ﴾ أى بعز جلاله<sup>١</sup>،  
وعلوه فى كماله ﴿ السموات والارض ﴾ على ما هما عليه من النظام  
الحكم، والقانون المتقن، وأفرد الارض لعدم دليل حسى أو عقلى يدلهم  
على تعددها بخلاف السماء ﴿ وما بينهما ﴾ من المعانى التى بها كمال منافعتها  
٥ ﴿ الا ﴾ خلقا متابسا ﴿ بالحق ﴾ [أى - ٢] الامر الثابت الذى  
يطابقه الواقع، فاذا ذكر البعث الذى هو مبداء الآخرة الى هذا أسلوبها  
وجد الواقع فى تصوير النطف ونفخ الروح وتميز الصالح<sup>٢</sup> منها  
للتصوير من الفاسد يطابق ذلك، وإذا تدبر<sup>٣</sup> النبات بعد أن كان هشيما  
قد نزل<sup>٤</sup> عليه الماء فزها واهتز وربما وجدته مطابقا لأمر البعث، وإذا  
١٠ ذكر القدرة فرأى اختلاف الليل والنهار، وسير الكواكب الصغار  
والكبار، وإمطار الأمطار، وإجراء الأنهار، ونحو ذلك من الأسرار،  
رآه<sup>٥</sup> مطابقا لكل ما يخطر فى باله من الأقدار، وإذا خطر له العلم،  
فتبصر فى جرى هذه الأمور وغيرها على منهاج مستقيم، ونظام واضح  
قويم، وسير متقن<sup>٦</sup> حكيم، علم أن ذلك فى غاية المطابقة للخبر بالعلم  
١٥ الشامل والقدرة التامة [على البعث وغيره - ٢]، أو إلا بالامر الثابت  
والقضاء النافذ الذى لا يتخلف عنه مراد، ولا يستعصى عليه حيوان  
ولا جماد، [و - ٢] خلقكم من هذا الخالق الكبير الذى قام بأمره من

- (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل:  
المصالح (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: تدبرت (هـ-ه) فى ظ و مد: نزل.  
(٦) فى ظ و مد: تراه (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: متفق.

بعض ترابه. ثم جعلكم من سلالة من ماء مهين، فأنقذوا الذين آمنوا من غير أن يبدلوا دينهم، وأولئك هم القوم الذين هموا صوابين. ثم جعلكم من سلالة من ماء مهين، فأنقذوا الذين آمنوا من غير أن يبدلوا دينهم، وأولئك هم القوم الذين هموا صوابين. ثم جعلكم من سلالة من ماء مهين، فأنقذوا الذين آمنوا من غير أن يبدلوا دينهم، وأولئك هم القوم الذين هموا صوابين.

ولا بد [من -<sup>٤</sup>] أن يقيمكم بعد أن يقيمكم. ويثبت كل حق / رأيتموه ع / ١١٨ /  
قد أبطل، ويبطل كل باطل رأيتموه قد أعمل، لأنه أحكم الحاكمين،  
فلو أقر على إمامة حق أو إحياء باطل لما كان كذلك .

و لما كان عندهم أن هذا الوجود حياة وموت لا إلى نقاد، قال :  
( واجل ) لا بد أن ينتهى إليه ( مسمى ) أى فى العلم من الأزل،  
وذلك الاجل هو وقت قيام الساعة . وذلك أنه كما جعل لهم آجالاً ١٠  
لأصلهم وفرعهم لم يشذ عنها أحد منهم فكذلك لا بد من أجل مسمى  
لما خلقوا منه، فإذا جاء ذلك الاجل انحل هذا النظام، واختل هذا  
الإحكام<sup>٦</sup>، وزالت هذه الأحكام، فساقت هذه الأجرام، وصارت  
إلى ما كانت عليه من الإعدام، وإلا كان الخلق عبثاً يتعالى عنه  
الملك العلام<sup>٧</sup> .

١٥

و لما كانوا ينكرون أنهم على كفر . أكد قوله :

- (١) من ظ ومد، وفى الأصل: الذى (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ابداكم.
- (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: اثبات (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ
- ومد، وفى الأصل: سكم - كذا (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: منها:
- (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: الاحتكام (٨-٨) سقط ما بين الرقین من ظ.

(و ان كثيرا من الناس) مع ذلك على وضوحه (بلقائى ربهم)  
 الذى ملائم إحسانا يرجوهم فى الآخرة إلى العرض عليه للثواب و العقاب  
 (للكفرون) أى لساترون ما فى عقولهم من دلائل وحدانيته و حجج  
 قدرته و حكمته سترًا عظيمًا، كأنه غريزة لهم، فهم لذلك يكذبون بما  
 ٥ وعدمكم سبحانه من إدالة الروم على فارس، فلا يهولكم ذلك لأنهم  
 قد كذبوا بما هو أكبر منه، وهو الآخرة على ما لها من الدلائل التى  
 تقوت الحصر، وإذا راجعت ما تقدم فى آية الأنعام [٢-] هو  
 الذى خلقكم من طين،<sup>١</sup> ازدادت فى هذا بصيرة .

ولما أقام عليهم الدليل، أتبعه التهديد و التهويل، فقال عاطفا على  
 ١٠ "أو لم يتفكروا": (أو لم يسيروا) و لما أحاطت آثار المكذبين بمكة المشرفة  
 شرقا و غربا، و جنوبا و شمالا، بديار ثمود و قوم فرعون و عاد و سبا  
 و قوم لوط، عرف و أطلق فقال: (فى الارض) [أى - ٢] سير  
 اعتبار و تأمل؛ و ادكار من أى جهة أرادوا، و فيه إشارة إلى أنهم  
 واقفون عند النظر فى ظاهر الملك بأبصارهم، قاصرون عن<sup>٢</sup> الاعتبار فى  
 ١٥ باطن الملكوت بأفكارهم، و فيه مز لهم إلى امتطاء هذه الدرجة العلية،  
 بهذه العبارة الجميلة (فينظروا) .

ولما كان ما حل بالماضين أمرا عظيما، نبه على عظمه بأنه أهل  
 لأن يسأل عنه فقال: (كيف كان) أى كونا لا قدرة على الانفكاك عنه،

(١) فى ظ: رجعت (٢) زيد من ظ و مد و آية ٢ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى  
 مد: تاويل (٥) فى ظ: على .

و تدكير الفعل يشير<sup>١</sup> إلى عظم الامر (عاقبة) أى آخر أمر  
(الذين) ولما كان حال من قرب من زمان الإنسان أوعظ له، أثبت  
الجار فقال: (من قبلهم<sup>٢</sup>) فى إهلاك العاصى وإنجاء الطائع. ولما  
كان<sup>٣</sup> علم العاقبة مشروطا بمعركة البادئة قال مستأنفا: (كانوا<sup>٤</sup>) أى كونا  
هو فى غاية المكنة.

٥

[ولما كان السياق للظهور والغلبة التى إنما مدارها [على] الشدة المقتضية  
للثبات، لا الكثرة العارية عنها، أعرض عنها و قال مسقطا ضمير الفصل  
لأن هذا السياق لا يظهر فيه ادعاء العرب لعلوم على فارس ولا الروم -]:  
(أشد منهم) أى من العرب (قوة) أى فى أبدانهم و عقولهم.  
ولما كان التقدير: فتقبوا الجبال، وعملوا من متقن الصنائع التى ترونها ١٠  
من الأعمال ما لم يدانيه أحد من هذه الأجيال، عطف عليه قوله:  
(و اتاروا) بالحرث<sup>٥</sup> وغيره (الأرض) / فأخرجوا ما فيها من المنافع  
من<sup>٦</sup> المياه والمعادن والزروع وغير ذلك من المعاين (وعمروها)  
أى أولئك السالفون (أكثر مما عمروها) أى هؤلاء الذين أرسلت  
إليهم، بل ليس لهم من إثارة الأرض وعمارتها كبير أمر، فان بلاد ١٥  
العرب إنما هى جبال سود و"فيا فى غير، فاف هو إلا تهكم بهم، وبيان  
لضعف حالهم<sup>٧</sup> فى دنياهم التى لا تخر لهم بغيرها.

١١٩/

(١) فى ظ و مد: مشير (٢) فى ظ و مد: من (٣) سقط من ظ (٤) زيد ما  
بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: بالحرب (٦) من  
ظ و مد، وفى الأصل: و (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: حالكم.

ولما كانوا قد وقفوا مثل هؤلاء مع السبب الأدنى، ولم يرتقوا  
 بعقولهم إلى المطلوب الأعلى، أخبر أنه أرسل إليهم الدعاة ينهونهم من  
 رقدتهم، وينقذونهم من غفلتهم، فكان التقدير: فضلوا عن المنهج الواضح،  
 وعموا عن السبيل الرحب، وزاغوا عن طريق الرب، فأرسلنا إليهم  
 ٥ الرسل، فحفظ عليه قوله<sup>١</sup> مشيراً بتأنيث الفعل إلى ضعف عقولهم بتكذيبهم  
 الرسل كما تقدم إيضاحه عند "تلك الرسل": (وجاءتهم رسالهم)  
 أى عنا (باليقينية) من المعجزات مثل ما أتاكم به رسولنا من وعودنا  
 الصادقة، وأمورنا الخارقة، كأمر<sup>٢</sup> الإسراء وما أظهر فيه<sup>٣</sup> من الغرائب  
 كالإخبار بأن العير تقدم في يوم كذا يقدمها جل صفته كذا وغرائره  
 ١٠ كذا، فظهر كذلك، وما آمنتم كما لم يؤمن من كان أشد منكم قوة  
 (فما) أى بسبب أنه ما (كان الله) على ما له من أوصاف الكمال  
 مریداً (ليظلمهم) بأن يفعل معهم فعل من تعدونه أنتم ظالماً بأن يهلكهم  
 في الدنيا ثم يقتص منهم في القيامة قبل إقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل  
 بالبينات (ولكن كانوا) بغاية جهلهم (أنفسهم) أى خاصة (يظلمون<sup>٤</sup>)  
 ١٥ أى يحددون الظلم لها بإيقاع الضرر موقع<sup>٥</sup> جلب النفع، لأنهم لا يعتبرون  
 بعقولهم التي ركبناها فيهم ليستضيئوا بها فيعملوا الحق من الباطل،  
 ولا يقبلون من الهداة إذا كشفوا لهم<sup>٦</sup> ما عليها من الغطاء، ولا يرجعون

(١) في ظ و مد: طرق (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، وفي الأصل:  
 كما مر (٤) في ظ: بأن (٥) في ظ و مد: موضع (٦) من ظ و مد، وفي  
 الأصل: كأنهم (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: بها.



عن النبی إذا اضطروهم بالآیات الباهرات، بل ينتقلون من الغفلة إلى العناد .

ولما كان اتكاسهم بعد هذه الأسباب السعدة بعيدا، أشار إليه بأداة التراخي، أو هي إشارة إلى تطاول دعاء الرسل لهم واحتمالهم لإيام فقال: (ثم كان) أى كونا تعذر الانفكاك عنه، وهو في غاية الهول كما أشار إليه تذكير الفعل (عاقبة) أى آخر أمر (الذين أساءوا) أظهر موضع الإضمار تعميما ودلالة على السبب (السوآى) أى الحالة التي هي أسوأ ما يكون، وهي خسارة الأنفس بالدمار في الدنيا والخلود في العذاب في الآخرة، جزاء لهم بجنس عملهم، فانهم كما أساءوا الرسل ساءهم الملك؛ ثم ذكر العلة بقوله: (أن كذبوا) أى لأجل تكذيبهم ١٠ الرسل، مستهينين (بأنيت الله) أى الدلالات المنسوبة إلى الملك الأعلى الذي له الكمال كله الدالة عليه على عظمها بعظمه (وكانوا) أى 'كونا كأنه' جبلة لهم (بها) مع كونها أبعد شيء عن الهزء (يستهمزون؛) / أى يستمرون على ذلك بتجديده في كل حين مع تعظيمه حتى كان استهزاؤهم بغيرها كأنه عدم<sup>٢</sup>، كما أنكم أنتم تكذبون بما وقع من ١٥ الوعد في أمر الروم وتستهزؤون<sup>٣</sup> به فاحذروا<sup>٤</sup> أن يحل بكم ما حل بالاولين، ثم تردون إليه سبحانه فيعذبكم العذاب الأكبر، ويجوز أن يكون هذا بدلا من "السواى" أو يائنا لها بمعنى أنهم لما أساءوا زادتهم

---

(١-١) من ظ و مد، وفي الأصل: كانوا كونا (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: عموم (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بها فاجدر (٤) من ظ و مد، وفي الأصل «و» .

إساءتهم عمارة حتى ارتكسوا في العمى فوصلوا إلى التكذيب و الاستهزاء  
الذي هو أقبح الحالات ، عكس ما يجازى به المؤمن من أنه يزداد  
بإيمانه هدى .

و لما كان حاصل ما مضى أنه سبحانه و تعالى قادر على الإعادة<sup>١</sup>  
هـ كما قدر على الابتداء، وكان للتصريح مع النفس حالة ليست لغيره ، قال  
ذاكرا نتيجة ما مضى و محصله تصريحاً بالمقصود و تلخيصاً للدليل : ﴿ الله ﴾  
[ أى المحيط علما و قدرة - ٢ ] ﴿ يبدؤا الخلق ﴾ أى بدأ منه ما رأيتم  
و هو يحدد فى كل حين ما يريد من ذلك كما تشاهدون ﴿ ثم يعيده ﴾  
بعد ما بيده ، و ترك توكيده<sup>٢</sup> إشارة إلى أنه غنى عنه لأنه من القضايا  
١٠ المسئلة أن من اخترع شيئا كان لا محالة قادرا على إعادته .

و لما كان الجزاء أمرا مهولا ، أشار إليه بأداة التراخي فقال :  
﴿ ثم إليه ﴾ [ أى - ٢ ] لا إلى غيره ﴿ ترجعون ﴾ معنى فى أموركم كلها  
فى الدنيا و إن كنتم لقصور النظر تنسبونها إلى الأسباب ، و حسا بعد  
قيام الساعة ، و قراءة الجماعة بالالتفات إلى الخطاب أبلغ لأنها أنص على  
١٥ المقصود ، و قرأ أبو عمرو و أبو بكر عن عاصم و روح<sup>٣</sup> عن يعقوب  
بإياه التحاتية على النسق الماضى .

و لما ذكر الرجوع ، أتبعه بعض أحواله فقال : ﴿ و يوم تقوم الساعة ﴾

- (١) زيد فى الأصل : قدر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد  
من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : توأيد (٤) فى ظ و مد : لان .  
(٥) من ظ و مد و نثر المرجان ٢٨٠ / ٥ ، وفى الأصل : رويس .

سميت بذلك إشارة إلى عظيم القدرة عليها مع كثرة الخلائق على ما  
 فيهم من العظماء والكبراء والرؤساء ( يلس ) أى يسكت و يسكن  
 يأسا وتحيرا<sup>١</sup> على غاية الذل - بما أشار إليه تذكير الفعل مع التجدد  
 [ والاستمرار - ٢ ] - بما أوما إليه المضارع ( المجرمون هـ ) الذين  
 وصلوا من الدنيا ما من حقه أن يقطع لعناته، و قطعوا من أسباب هـ  
 الآخرة [ ما - ٢ ] من حقه أن يوصل لبقائه، وكانوا فى غاية اللبس  
 فى الجدل ومعرفة كل ما يغيظ الخصم من القول والفعل والتمايل والتضاحك  
 عند سكوت الخصم تعجبا من جريانهم فى هذيانهم سرورا منهم باسكاته  
 ليظن بعض من رآه<sup>٢</sup> أنه انقطع وأن الحجة لهم .

ولما كان الساكت ربما أغناه عن الكلام غيره<sup>٣</sup>، نقي ذلك بقوله ١٠  
 محققا له بعمله ماضيا : ( ولم يكن ) ولما كان المقام لتحقيرهم بتحقير  
 شركائهم رتب نقي النفع الموجه<sup>٤</sup> لهم هذا الترتيب، ويجوز أن يراد بترتيبه  
 مع ذلك التخصيص فيقال : ( لهم ) أى خاصة فى ذلك الوقت ولا بعده،  
 ولا كان فى عداد ذلك من قبل لو كانوا يعقلون، وأما غيرهم<sup>٥</sup> ممن يصح  
 وصفه بالإجرام لكونه من أهل الشرك<sup>٦</sup> الحقى فقد يشفع فيه من رباه<sup>٧</sup> ١٥  
 من الشهداء والعلماء وعامة المؤمنين ( من شركائهم ) الذين زعموهم خاصة

لئتين لهم خلطهم وجهلهم المفرط فى<sup>٨</sup> قولهم "هؤلاء / شفعأونا عند الله"

١٢١ /

- (١) فى ظ : تجهيرا (٢) ريد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : يراه (٤) فى ظ :  
 الرجوع (٥) فى ظ : غيره (٦) فى ظ : الإشراف (٧) فى ظ و مد : راباه .  
 (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .

و أما غيرهم فيقع منهم ما يسمى شفاعة تارة تصريحاً وأخرى  
تلويحاً كالشفاعة العامة من نبينا صلى الله عليه وسلم في الخلق عامة لفصل  
القضاء، وقوله صلى الله عليه وسلم في ناس بأعيانهم: أصحابي إلىّ إلىّ،  
فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول: فسحقاً سحقاً [و-]°

٥ قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام "و من عصاني فانك غفور رحيم"

(شفّعوا) يشفعونهم بما هم فيه وما يستقبلونه وإتيانه بصيغة جمع الكثرة

يمكن أن يكون لا مفهوم له، لأن مودعه رد اعتقادهم في قولهم السالف،

ويمكن أن يفهم أنه قد يقع من بعض من عبده شفاعة، أو تلويح بها

كقول عيسى عليه السلام "و ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم".

١٠ ولما ذكر حال الشفعاء معهم، ذكر حالهم مع الشفعاء فقال:

(وكانوا) أي كونا هو في غاية الرسوخ (بشركائهم) أي خاصة

(كافرين) أي متبرئين [منهم-]° سائر لأن يكونوا اعتقدوا آلهة

وعبدوا جرياً على عاداتهم فيما لا يغنيهم من العناد والبهت.

ولما كانت النفس ربما تشوفت إلى أنه هل يكون بعد إبلاسهم

(١) في ظ و مد: من الشفاعة (٢) والحديث مشهور (٣) من ظ و مد.

وفي الأصل: بإيهم - كذا (٤) في ظ: سحقاً (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد في

الأصل: وبالأجرام الكونه من أهل الشرك الخفى فقد يشفع فيه من رباه من

الشهداء والعلماء وعامة المؤمنين، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها،

والعبارة قد مررت قبيل بضعة أسطر (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: متبرين.

(٨) من ظ و مد، وفي الأصل: اله (٩) من ظ و مد وفي الأصل: عن.

شئ آخر؛ قال مفيدا له مهولا باعادة ما مضى : ( و يوم تقوم الساعة )  
 أى و يا له من يوم ، ثم زاد فى تهويله يقوله : ( يومئذ يتفرقون ) أى  
 المؤمنون الذين يفرحون بنصر الله و الكافرون فرقة لا اجتماع بعدها ،  
 هؤلاء فى عليين ، و هؤلاء فى أسفل سافلين ، حكى لى بعض القضاة من  
 أصحاب<sup>١</sup> عفا الله عنه - و هو يبكى ' أنه رأى مناما مهولا ، و ذلك أنه رأى<sup>٥</sup> ه  
 القيامة قد قامت ، و الناس يحشرون<sup>٢</sup> - على ما وصف فى الأحاديث -  
 فى صعيد واحد عرايا خائفين حائرين ، يمجج بعضهم فى بعض ، فإذا<sup>٣</sup>  
 شخص بمن له أمر قد أشار بسوط معه و خط به [ فى -<sup>٤</sup> ] الأرض قسمهم  
 قسمين فقال : هؤلاء مطيعون ، و هؤلاء عصاة ، قال : فكنت<sup>٥</sup> فى العصاة ،  
 و فى الحال غاب [ عنا -<sup>٤</sup> ] الطائعون ، فلم نر منهم أحدا<sup>٦</sup> ثم خط بذلك ١٠  
 السوط مرة أخرى قسمنا قسمين فقال : هؤلاء عصاة الأقوال ، و هؤلاء  
 عصاة الأفعال ، قال : فكنت فى عصاة الأفعال ، ثم غاب فى الحال عنا  
 عصاة الأقوال ، فلم نر منهم أحدا<sup>٦</sup> و بقينا نحن منا الجالس و منا المضطجع ،  
 و نحن قليل بالنسبة إلى عصاة الأقوال ، فينا نحن كذلك إذ جاء آت  
 إلى شخص [ إلى -<sup>٤</sup> ] جانبى فأخذه<sup>٧</sup> من كعبه ثم نشطه فأخرج جلد<sup>٨</sup> ١٥  
 برة<sup>٩</sup> واحدة كأنه جراب نزع عن شئ فيه يابس ، فحصل لى من ذلك

( ١ - ١ ) فى ظ : مناما رآه مهولا أن ( ٢ ) فى ظ و مد : محشورون .  
 ( ٣ ) فى ظ : فإذا ( ٤ ) زيد من ظ و مد ( ٥ ) فى ظ : فكنت ( ٦ ) فى ظ : احد .  
 ( ٧ ) من ظ و مد ، و فى الأصل : فأخذه ( ٨ ) من ظ و مد ، و فى  
 الأصل : مرة .

ذعر شديد،<sup>١</sup> فيينا أنا كذلك إذ آتٍ جاني من ورائي، فأتني على  
جوخة لجعلها على أكتافي وأدارها على أغضائي فسترني بها<sup>٢</sup> لكن  
على غير هيئة لبس الخيط، قال: واستيقظت وأنا على ذلك فقصصته  
على بعض الصالحين فقال: احمد الله على كونك من عصاة الأفعال، وأخذ  
من سترني بالجوخة على تلك الهيئة أني أحج، فبشرني بذلك فخرجت<sup>٣</sup>  
في ذلك العام - والله تعالى المستول في التوبة، فانه / الفعال لما يريد  
(فاما الذين آمنوا) أي أقروا بالإيمان بالسنتهم (وعملوا) تصديقا  
لإقرارهم (بالصلحت) أي كلها.

/ ١٢٢

و لما تقدم هنا ذكر عمارة الأرض وإصلاحها للنبات و وعظ من  
١٠ جعلها أكبر منه بأنها لم تدم [له -<sup>٤</sup>] ولا أغنت عنه شيئا، ذكر أنه  
جزى من أعرض عنها بقلبه لا تباع أمره سبحانه أعظم ما يرى من زهرتها  
ونضرتها و بهجتها على سبيل الدوام فقال: (فهو) أي خاصة  
(في روضة) أي لا أقل منها [وهي -<sup>٥</sup>] أرض عظيمة جدا منبسطة  
واسعة ذات ماء غداق و نبات معجب بهج<sup>٦</sup> - هذا أصلها في اللغة [و-<sup>٧</sup>]  
١٥ قال الطبري: ولا تجد أحسن منظرا ولا أطيب نشرا من الرياض.  
(يجهرون) أي يسرون على سبيل التجدد كل وقت حذروا تشرق له  
الوجوه، و تبسم الأفواه، و تزهو العيون، و يظهر حسننها و بهجتها، فظهر

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: إلى (٢) سقطت الواو من ظ و مد (٣) من  
ظ و مد، وفي الأصل: مجبتها (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو في  
الأصل، ولم تكن في ظ و مد فحذفنا (٦) راجع تفسير هذه الآية في جامع البيان.  
(٧) من ظ و مد، وفي الأصل: يبهجها.

النعمة بظهور آثارها على أسهل الوجوه و أسرها ، قال الرازى<sup>١</sup> فى اللوامع :  
 و أصله - أى الحبرة - فى اللغة أثر فى حسن ، و قال غيرة<sup>٢</sup> : خبره -  
 إذا سره سرورا تهلل له وجهه ، و ظهر فيه أثره . ( و اما الذين كفروا )  
 أى غطوا ما كشفت أنوار العقول ، ( و كذبوا ) عنادا ( بآياتنا ) التى  
 لا أصدق منها و لا أضوا من أنوارها ، بما لها من عظمتنا ( و لقآء الآخرة ) ه  
 الذى لم يدع لفسا فى رباه ( فاولئك ) أى البغضاء البقضاء ( فى العذاب )  
 أى الكامل لا غيره<sup>٣</sup> ( محضرون )<sup>٤</sup> من أى محضر كان ، بالسوق الحثيث ،  
 و الزجر العنيف ، فإذا وصلوا إلى مقره و كل بهم من يندم كونهم كذلك -  
 لإفادة الجملة الاسمية الدوام ، فلا يغيرون عنه و لا يخفف عنهم .

و لما بين سبحانه المبدأ بخلق السماوات و الأرض ، و المعاد بالجنة ١٠  
 و النار ، و أنهم كذبوا به ، و كان تكذيبهم به مستلزما لاعتقاد نقائص  
 [ كثيرة -<sup>١</sup> ] منها العجز و إخلاف الوعد و ترك الحكمة ، كان ذلك<sup>٢</sup>  
 سببا لأن ينزه سبحانه نفسه المقدسة و يأمر بتزييها ، لأن ذلك يدفع عن  
 المنزه مضار الوعيد ، و يرفعه إلى مسار الوعد ، فقال ذاكرنا من  
 أفعاله العالية التى لا مطلق<sup>٣</sup> لغيره فى القدرة على شئ منها ما يدل على ١٥  
 خلاف ذلك الذى يلزم اعتقادهم . لافتا الكلام عن صيغة العظمة [ إلى  
 أعظم منها بذكر الاسم الأعظم : ( فسبحن الله ) أى سبحوا الذى له جميع  
 العظمة -<sup>٤</sup> ] بمجامع<sup>٥</sup> التسيح بأن تقولوا هذا القول الذى هو علمه ، فهو

(١) زيدت الواو فى ظ و مد (٢) فى ظ : لغيره (٣) زيد فى ظ و مد : أى (٤) زيد  
 من ظ و مد (٥) فى ظ : لحكته ، و فى مد : لحكمة (٦) سقط من ظ (٧) فى  
 ظ : مطلق (٨) من مد و فى الأصل و ظ : بمجامع .

منزه عن كل نقص : ثم ذكر أوقات التسييح إشارة إلى ما فيها من  
التغير الذي هو منزه عنه و<sup>١</sup> إلى ما يتجدد فيها من النعم ووجود الأحوال  
الدالة على القدرة على الإبداع الدال على البعث ، فقال دالا على الاستغراق  
بزع الخافض مقدما المحو لأنه أدل على البعث الذي النزاع فيه وهو  
هـ الأصل ، لافتا الكلام إلى الخطاب لأنه أشد تنبيها : ( حين تمسون )  
أى أول دخول الليل باذهاب النهار و تفرق النور ، فيعتركم الملل ،  
و يداخلكم الفتور و الكسل ، على سبيل التجدد و الاستمرار ، و أكد  
الندب إلى التسييح باعادة المضاف فقال : ( و حين تصبحون هـ ) بتحويل  
الامر فتقومون أحياء بعد أن كنتم أمواتا فتجدون نهارا قد أضاء بعد  
١٠ ليل كان دجا ، [ فتفعلون ما هو سبحانه منزه عنه من الحركة والسعي  
في جلب النفع و دفع الضرر ، و أرشد السياق إلى أن التقدير : و له الحمد  
في هذين الجنسين - ٢ ] .

و لما ذكر ما يدل على خصوص التنزيه ، أتبعه ما يعرف بعموم  
الكمال ، فقال ذا كرا لوقت كمال النهار و كمال / الظلام ، و<sup>٢</sup> تذكيرا بما  
١٥ يحدث عندهما للآدمي من النقص بالفتور و النوم اعتراضا بين الاوقات  
للاهتمام<sup>٣</sup> بضم التحميد إلى التسييح : ( و له ) أى وحده [ مع - ٢ ]  
النزاهة عن شوائب النقص ( الحمد ) أى الإحاطة بأوصاف الكمال .  
و لما قدم سبحانه أن تنزهه ملا<sup>٤</sup> الأزمان ، وكان ذلك مستلزما

/ ١٢٣

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقطت الواو من ظ  
و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : للاعتراض .



للا<sup>١</sup> الأكوان، وكان إثبات الكمال آيين شرفا من التنزيه<sup>٢</sup> عن النقص، صرح فيه بالقيلين فقال: ( في السنوات ) أى الأجرام العالية كلها التى<sup>٣</sup> تحريكها - مع أنها من الكبر فى حد لا يحيط به إلا هو سبحانه - سبب للإسماء والإصباح وغيرهما من المنافع ( و الأرض ) التى فيها من المنافع ما يجعل عن إحاطتكم به مع أنها بالنسبة إلى السماء كحلقة ملقاة فى فلاة، هـ ولولا ذلك لظهر لكم ذلك بروية ما وراهها كما [ هو - ٢ ] شأن كل مظل مع كل مقل كما تشاهدون السحاب ونحوه .

ولما خص الإسماء والإصباح، عم فقال معبرا بما يدل على الدوام، لأن وقت النوم الدال على النقص أولى بإثبات الكمال فيه: ( و عشيا ) أى من الزوال إلى الصباح ( و حين تظهرون هـ ) أى تدخلون فى شدة ١٠ الحر، [ و سبحان الله فى ذلك كله، فالآية من الاحتباك: ذكر التسييح أولا دليلا على إرادته ثانيا، والحد ثانيا دليلا على إرادته أولا - ٢ ]، ولعل المراد بالإظهار هنا ما هو أعم من وقت الظهور ليكون المراد به من حين يزول اسم الصباح من وقت ارتفاع الشمس إلى أن يحدث<sup>٤</sup> اسم المساء، وهو من الظهور إلى الغروب - قاله ابن طريف<sup>٥</sup> ١٥

(١) فى ظ و مد: للتنزه (٢) فى ظ و مد: إلى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: به (٥) فى ظ: حدث (٦) فى ظ: قال (٧) فى الأصل: ابن طريف، والتصحيح من كشف الظنون وهو عبد الله بن طريف القرطبي التوفى سنة ٤٠٠هـ، وقال فيه: ذكره البقاعى فى حاشية الألفية.

في كتابه الأفعال ونقله عنه الإمام عبدالحق في كتابه الواعي ، وذلك  
حين استبداد النهار فيكون كإله فيما دون ذلك من باب الأولى ، وهذا  
مع هذه الدقائق إشارة إلى الصلوات الخمس ، أي سبجوه بالخضوع له  
بالصلاة في وقت المساء بصلاة العصر والمغرب ، وفي وقت الصباح  
بالصبح ، وفي العشي بالعشاء ، وفي الإظهار بالظهر ، وفي هذا التخرج  
من الحسن بيان الاهتمام بالصلاة الوسطى ، فابتدأ سبحانه بالعصر التي  
قولها أصح الأقوال ، ودخول المغرب في حيزها بطريق التبعية والقصد  
الثاني ، وثني بالصبح وهي تليها في الأصحية وهما القريبتان ، لقوله صلى الله  
عليه وسلم : من صلى البردين دخل الجنة - رواه الشيخان<sup>٢</sup> عن أبي موسى  
رضي الله عنه ، ومن صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وجبت  
له الجنة - أسنده صاحب الفردوس<sup>٣</sup> عن عمارة بن<sup>٤</sup> روية رضي الله عنه  
ورواه مسلم<sup>٥</sup> وغيره عنه بلفظ : لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس  
وقبل غروبها - يعني الفجر والعصر وكنا عند النبي صلى الله عليه وسلم  
فنظر إلى القمر ليلة البدر<sup>٦</sup> ، فقال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ،  
لا تضامون في رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع  
الشمس وقبل غروبها فافعلوا لا تفوتنكم<sup>٧</sup> ، ثم قرأ ” فسبح بحمد ربك

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : اشتد (٢) في ظ : اصلح (٣) البخاري في  
أبواب مواقيت الصلاة ومسلم في أبواب المساجد (٤) راجع : ٣٠٢ / ب من  
مخطوطة تلخيص السند (٥) وقع في الأصل فقط : بنت - خطأ (٦) راجع ٢٢٨ / ١ :  
باب فضل صلاتي الصبح والعصر (٧) ليس في ظ و مد وصحيح البخاري ،  
ولكنه ثبت في نسخته (٨) من ظ و مد والصحيح ، وفي الأصل : لا تفوتنكم .

نظم الدرر ( الجزء الحادى والعشرون ) ج - ١٥

قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، رواه البخارى عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه، وحديث أنى هريرة رضى الله عنه فى الصحيح ' ويتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر، يدخل هنا .

ولما ذكر دلالة على البعث المستلزم للوحدانية مطلق التحويل الذى هـ

هو إحياء فى المعنى بعد إماتة، أتبعه الإحياء / والإماتة حقيقة، صادعا ١٢٤ / من ذكر البعث تصريحاً بما كان ألقاه تلوحاً فقال: (يخرج الحى) كالإنسان والطائر (من الميت) كالنطفة والبيضة (ويخرج الميت) كالبيضة والنطفة (من الحى) عكس ذلك (ويحى الارض) باخضرار النبات .

ولما كان من الاراضى ما لا ينبت إلا بعد مدة من إنزال المطر، ١٠ ومنها ما ينبت من حين إنزال المطر عقب تحطم ما كان بها من النبات سواء، أسقط الجار هنا تنبيها على الأمر الثانى لأنه أدل على القدرة، فهو أنسب لهذا السياق ولتقصود السورة، ولأنه جعل فيه قوة إحيائها على الدوام فقال: (بعد موتها) 'يبسه وتهشمه' . ولما كان التقدير: كذلك يفعل' على سبيل التكرار وأتم تنظرون، عطف عليه قوله: ١٥

(١) راجع باب فضل صلاة العصر من الواقيت (٢) من ظ ومد والصحيح ، وفى الأصل : يخفصون (٣) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : منها (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : حصل (٦-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : يسه وتمشية (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : ففعل .

﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل فعله هذا الفعل البديع من إخراجه لهذا الحى حسا ومعنى من الميت ﴿ تخرجون ٤ ﴾ بأيسر أمر من الأرض بعد تفرق أجسامكم فيها من التراب الذى كان حيا بحياتكم - هذا على قراءة الجماعة بالبناء للفعول . وبناء حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه .  
 ٥ للفاعل إشارة إلى أنهم لقوة تهمهم لقبول البعث صاروا كأنهم يخرجون بأنفسهم - روى عبد الله بن إمام أحمد فى زيادات المسند عن لقيط ابن عامر رضى الله عنه أنه خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المتفق رضى الله عنه، قال : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم لانسلاخ رجب، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام فى الغداة خطيبا إلى أن قال :  
 [ ألا - ٦ ] اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا ، [ قال - ٦ ] : لجلس الناس فقامت أنا وصاحبي [ حتى - ٦ ] إذا فرغ لنا قواده وبصره قلت : يا رسول الله ! ما عندك من علم الغيب، فضحك لعمر الله  
 ١٥ وهز رأسه فقال : ضن ربك بمفاتيح الخس من الغيب فذكره حتى ذكر البعث قال : فقلت : يا رسول الله ، كيف يجمعنا بعد ما تفرقنا الرياح  
 (١) فى ظ : الامر (٢) راجع نثر المرجان ٢٨٤/٢ من ظ ومد . وفى الأصل : تهمهم (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : بانعشهم (٥) زيد فى الأصل : عن ، ولم تكن الزيادة فى - ومد لحذفناها (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : فقلت (٨ - ٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : لعمر - كذا (٩) فى ظ ومد : تفرقنا .

والبلى والسباع؟ قال: أنبتك بمثل ذلك فى آلاء الله. الأرض أشرفت عليها  
'وهى مدرة بالية فقلت: لا تحيا أبدا، ثم أرسل ربك عز وجل عليها  
السما فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت' [عليها - ' ] وهى شرفة  
واحدة، وأمر إلهك لهو<sup>٢</sup> أقدر على أن يجمعكم [من الماء - ' ] كما أنه

يجمع نبات الأرض فتخرجون .

ولما كان التقدير: هذا من آيات الله [التي - ' ] تشاهدونها كل  
حين دلالة على بعثكم، عطف عليه التذكير بما هو أصعب منه فى مجارى  
العادات فقال: ﴿ ومن أينته ﴾ أى على قدرته على بعثكم . ولما كان  
المراد إثبات قدرته سبحانه على بعثهم بعد أن صاروا ترابا  
[ بإيجاده لأصلهم من تراب - ' ] يزيد على البعث<sup>٤</sup> فى الإعجاب<sup>١</sup> بأنه ١٠  
لم يكن له أصل فى الحياة، وكان فعله لذلك<sup>٢</sup> إنما كان مرة واحدة،  
قال معبرا بالماضى: ﴿ ان خلقكم ﴾ بخلق أيكم آدم ﴿ من تراب ﴾ لم يكن  
له أصل اتصاف ما بحياة .

ولما كان ابتداء الإنسان من التراب فى غاية العجب، أشار إلى  
ذلك بأداة البعد فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد إخراجكم / منه ﴿ إذا أنتم بشر ﴾ ١٥ / ١٢٥  
أى فاجئتم<sup>٥</sup> كونكم لكم بشرة هى فى غاية التماسك والاتصال مع اللين

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من مد (٣) فى ظ : فهو (٤) زيد  
من ظ ومد (٥) زيد فى الأصل : فى سره، ولم تكن التريادة فى ظ ومد  
لغذناها (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : الاصحاب (٧) من ظ ومد، وفى  
الأصل : كذلك (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : فاحتم .

عكس ما كان لكم من الوصف إذا كنتم ترابا، وأسند الانتشار إلى  
 المبتدأ المخاطب [لا - ٢] إلى الخبر لأن الخطاب أدل على المراد فقال:  
 ﴿تنتشرون﴾ أي تبلغون بالنشر كل مبلغ بالانتقال من مكان إلى مكان  
 مع العقل و النطق ، ولم يختم هذه الآية بما ختم به ما<sup>٤</sup> بعدها دلالة  
 ٥. على أنها جامعة لجميع الآيات ، ودلالة على جميع الكالات ، وختم ما  
 بعدها بذلك تنبيهها على أن<sup>٥</sup> الناس أهملوا<sup>٦</sup> النظر فيها على وضوحها ،  
 وكان من حقهم أن يجعلوها نصب أعينهم ، دلالة على كل ما نزلت  
 به الكتب ، وأخبرت به الرسل ، وكذلك<sup>٧</sup> أكد في الإخبار إعلاما  
 بأنهم صاروا لإهمالها في حيز الإنكار .

١٠. ولما كان أعجب من ذلك أن هذا الذي خلقه من التراب<sup>٨</sup> ذكرا  
 خلق منه أنثى ، وجعلها شبيهى السماء و الأرض ماء و نباتا و طهارة  
 و فضلا ، قال: ﴿ومن آيته﴾ أي على ذلك ؛ ولما كان إيجاد الأنثى  
 من الذكر خاصة لم يكن إلا مرة واحدة كالخلق من التراب ، عبر بالماضى  
 فقال: ﴿ان خلق لكم﴾ أي لأجلكم ليقى نوعكم بالتوالد ، و في تقديم  
 ١٥ الجار دلالة على حرمة الزوج<sup>٩</sup> من غير النوع ، والتعبير بالنفس<sup>١٠</sup> أظهر  
 في كونها من بدن الرجل في قوله: ﴿من انفسكم﴾ أي جنسكم بعد إيجادها من

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : او (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ،  
 وفي الأصل : الا (٤) سقط من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : أهملوا .  
 (٧) في ظ و مد : لذلك (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : تراب (٩) من  
 ظ و مد ، وفي الأصل : الزوج (١٠) في ظ : بالفتوين .

ذات أيكم آدم عليه السلام ﴿ازواجاً﴾ 'إناثاً من' شفع لكم ﴿لتسكنوا﴾  
 مائلين ﴿اليها﴾ بالشهوة و الالفة ، من قولهم : سكن إليه - إذا مال  
 و انقطع و اطمأن إليه ، و لم يجعلها من غير جنسكم لئلا تنفروا منها .  
 و لما كان المقصود بالسكن لا ينتظم إلا بدوام<sup>٢</sup> الالفة [ قال - ٢ ] :  
 ﴿ وجعل ﴾ أى صير<sup>٣</sup> بسبب الخلق على هذه الصفة ﴿ بينكم مودة ﴾ ٥  
 أى معنى من المعاني يوجب أن لا يحب واحد<sup>٤</sup> من الزوجين أن يصل  
 إلى صاحبه شئ يكرهه<sup>٥</sup> مع ما طبع عليه الإنسان من محبة الأذى ، وإنما<sup>٦</sup>  
 كان هذا معناه لأن مادة 'ودد' مستويا<sup>٧</sup> و مقلوبا تدور على الاتساع  
 و الخلو من 'الدو و الدوية' بتشديد الواو و هى القلاة ، و الود و الوداد  
 [ قال فى القاموس : الحب - ٣ ] ، و قال أبو عبد الله القزاز و نقله عنه الإمام ١٠  
 عبد الحق فى واعيه : الأمانة ، تقول<sup>٨</sup> : 'وددت أن ذاك كان ، و ذاك لا تساع  
 مذاهب الأمانى ، و تشعب أودية الحب ، [ و فى القاموس - ٣ ] : ودان :  
 قرية قرب الأبواء و جبل طويل قرب فيد ، و المودة : الكتاب - لا تساع  
 الكلام فيه . و قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى شرح الأسماء الحسنى :  
 الود خلو [ عن - ٣ ] إرادة المكروه ، فإذا حصل إرادة الخير و إشاره ١٥

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ائامنهن (٢) فى ظ : به دام (٣) زيد من  
 ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصير (٥) فى ظ : واحدا (٦) من  
 ظ و مد ، و فى الأصل : يكره (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٨) من  
 ظ و مد ، و فى الأصل : مستويا (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدود  
 و الدودية (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقوله .

كان حبا، من لم يرد سواه فقد 'ود، و' من أراد خيرا فقد أحب،  
و الود أول التخلص من دام أثر الدنيا بما يتولد لطلابها من 'الازدحام  
عليها من الغل والشحناء، و ذلك ظهور لما يتبها له من طيب الحب،  
فن ود لا يقاطع، و من أحب واصل و أثر، و الودود هو المبرأ من

٥ جميع جهات مداخل السوء ظاهره ٢ و باطنه ٣ .

و لما كان هذا المعنى الحسن لا يتم إلا بإرادة الخير قال: (و رحمة)

أى [معنى - ' ] يحمل كلا على أن يجتهد للآخر' في جلب الخير، و دفع  
/ الضير، لكن [لما - ' ] كانت إرادة الخير قد تكون بالمن يعرض ما  
يسكره جمع بين الوصفين، وهما من الله، و الفرق - و هو البغض -

١٠ من الشيطان .

و لما كان ذلك من العظمة بمكان يحمل' عن الوصف، أشد إليه

بقوله مؤكدا لمعاملتهم له بالإعراض عما يهدى إليه معاملة من يدعى  
أنه جعل' سدى من غير حكمة، مقدما الجار إشارة إلى أن دلالاته في  
العظم بحيث تتلاشى عندها كل آية، و كذا غيره مما كان هكذا على

١٥ نحو "وما نريهم من آية إلا وهى اكبر من اختها": (ان فى ذلك) أى

الذى تقدم من خلق الأزواج' على الحال المذكور و ما يتبعه من المنافع

(لأيت) أى دلالات واضحات على قدرة فاعله و حكمته .

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: وردان (٢) فى ظ و مد: فى (٣-٣) سقط

ما بين الرقين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد،

وفى الأصل: يحبل (٧) فى ظ: جمعه .

ولا (١٧)



ولما كان هذا المعنى [ مع كونه -<sup>١</sup> ] دقيقا [ يدرك بالتأمل -<sup>٢</sup> ]  
قال : ﴿لقوم﴾ أى<sup>٣</sup> رجال أو فى حكمهم ، لهم قوة وجد ونشاط فى  
القيام بما يجعل إليهم<sup>٤</sup> ﴿يتفكرون﴾ أى يستعملون أفكارهم على القوانين<sup>٥</sup>  
المحررة و يبتهدون فى ذلك .

ولما ذكر سبحانه الذكر والأنثى ، المخلوقين من الأرض ، وكانت هـ  
السما كالذكر للأرض التى<sup>٦</sup> خلق منها الإنسان ، [ وكان خلقهما مع  
كونها مخلوقين من غير شئ . أعجب من خلقه فهو أدل على القدرة ، وكان  
خلق الأرض التى هى كالأنثى متقدما على عكس ما كان فى الإنسان -<sup>٧</sup> ] ،  
أتبعه ذكرهما بادئا بما هو كالذكر فقال مشيرا - بعد ما ذكر من آيات  
الأنفس - إلى آيات الآفاق : ﴿ومن آيته﴾ أى الدالة على ذلك . ١٥  
ولما كان<sup>٨</sup> من العجب<sup>٩</sup> إيجاد الخافقين من العدم إيجادا مستمرا<sup>١٠</sup> على حالة  
واحدة ، عبر بالمصدر فقال : ﴿خلق السموات﴾ على علوها وإحكامها  
﴿والأرض﴾ على اتساعها وإتقانها .

ولما كان من الناس من ينسب الخلق إلى الطبيعة ، قال تعالى ذاكرا  
من صفات الأنفس ما يبطل تأثير الآفاق بأنفسها من غير خلقه وتقديره ، ١٥  
و تكوينه و تدبيره : ﴿واختلاف السانتكم﴾ أى لغاتكم ونغائكم وهياتها ،  
فلا تكاد تسمع منطقيين متفقين فى همس ولا جهازة ،<sup>١١</sup> لا حدة<sup>١٢</sup> ولا رخاوة ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ  
و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لهم (٤) من ظ و مد ، وفى  
الأصل : القوانين (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى (٦-٧) فى ظ و مد :  
العجب (٧) فى مد : استمر (٨-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد .

ولا لكنة ولا فصاحة، ولا إسهاب ولا 'وجازة'، وغير ذلك من صفات  
النطق وأحواله، ونعوتـه وأشكاله، وأتم من نفس واحدة، فلو  
كان الحكم للطبيعة لم يختلف لأنه 'لا اختيار' لها مع أن نسبة الكل  
إليها واحدة .

• ولما كان لون السماء واحداً، وألوان الأراضى يمكن حصرها،  
قال: ﴿والوانكم﴾ أى اختلافاً<sup>٣</sup> مع تفاوته و تقاربه لاضبط له مع  
وحدة النسبة، ولولا هذا الاختلاف ما وقع التعارف، ولضاعت المصالح،  
وفات المنافع، وطوى سبحانه ذكر الصور لاختلاف صور النجوم  
باختلاف أشكالها، والأراضى بمقادير الجبال والروابي وأحوالها، فلو  
١٠ كان الاختلاف لأجل الطبيعة فاما أن يكون بالنظر إلى السماء أو إلى  
الأرض، فإن كان للسماء فلونها واحد، وإن كان للأرض فلون؛ أهل كل  
قطر\* غير مناسب للون أرضهم. وأما الآلسته فأمرها أظهر .

ولما كان هذا مع كونه فى غاية الوضوح لا يختص بجنس من الخلق  
دون غيره قال: ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم العالى الرتبة فى  
١٥ بيانه وظهور برهانه ﴿لأيت﴾ أى دلالات عدة واضحة<sup>٦</sup> جدا على  
وحدانيته تعالى وفعله بالاختيار / وبطلان ما يقوله أصحاب الطبائع من  
تلك الاحتمالات التى هى مع خفائها واهية. ومع بعدها مضحكة متلاشية

/ ١٢٧

(١ - ١) من ظ و مد، وفى الأصل: وجاورة وكان - كذا (٢-٢) فى  
ظ و مد: الاختيار (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: اختلاف (٤) فى ظ:  
فالوان (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: نظر (٦) فى ظ: واضحات .

(للعلمين ٥) كلهم لا يختص به صنف منهم دون آخر من جن و لا إنس  
و لا غيرهم، و فى رواية حفص عن عاصم<sup>١</sup> بكسر اللام حث للخطابين  
على النظر ليكونوا من أهل العلم، و فى قراءة الباقيين بالفتح إيماء إلى أن  
ذلك من الوضوح بحيث لو نطق الجواد لاخبر بمعرفته، فقيه إشارة إلى أنهم  
عدم، فلا تبكيت أوجع<sup>٢</sup> منه .

و لما ذكر المقلة و المظلة و من فيهما، و بعض صفاتهم اللازمة،  
ذكر ما ينشأ عن كل من ذلك من الصفات المقارفة فقال: (و من آيته)  
أى [على -<sup>٣</sup>] ذلك و غيره من أنواع القدرة و العلم (منامكم) أى  
نومكم و مكانه و زمانه الذى يغلبكم بحيث لا تستطيعون له دفعا<sup>٤</sup>.

و لما كان الليل محل السكن و الراحة و النوم، ذكر ما جعل من ١٠  
نوم<sup>٥</sup> النهار أيضا لأن ذلك أدل على الفعل بالاختيار فقال: (بالليل و النهار)  
أى الناشئين عن السماوات و الارض باختلاف الحركات التى لا تنشأ  
إلا عن فاعل مختار و انقطاعكم بالنوم عن معاشكم [و كل ما يهمكم -<sup>٦</sup>]  
و قيامكم بعد منامكم أمرا قهريا لا تقدرُونَ على الانفكاك عن واحد<sup>٧</sup>  
منهما أصلا (و ابتغاؤكم) أى طلبكم<sup>٨</sup> بالجد و الاجتهاد (من فضله<sup>٩</sup>) ١٥  
بالمعاش فيهما، فالآية من الاحتباك: دل ذكر النوم على القيام منه، و دل<sup>١٠</sup>

(١) راجع ثر المرجان ٢٨٦/٥ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اوقع (٣) زيد  
من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: به رفعا (٥) سقط من ظ،  
و جاءت الكلمة فى مد مضروبا عليها (٦) فى ظ و مد: احد (٧) فى ظ:  
طلابكم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكر .

الابتغاء على الانقطاع عنه، حذف نهاية الأول وبداية الثاني  
(ان في ذلك) أى الأمر العظيم العالى<sup>١</sup> الرتبة من إيجاد النوم بعد  
النشاط، و النشاط بعد النوم الذى هو الموت الأصغر، وإيجاد كل من  
الملوّن بعد إعدامها، و الجد فى الابتغاء مع المفاوطة فى التحصيل  
هـ (لايت) أى عديدة على القدرة والحكمة لاسيما البعث.

ولما كانت<sup>٢</sup> هذه الآيات فى دلالتها على ما تشير إليه من البعث  
والفعل بالاختيار دقيقة لا يستقل العقل<sup>٣</sup> بها دون توقيف من الدعاة لأنه  
قد يستند<sup>٤</sup> النوم و الابتغاء إلى العباد ولا يتجاوز عن ذلك إلى الخالق  
إلا الأفراد من خلص العباد، وكان النائم يقوم صافى الذهن فارغ السر  
١٠ نشيط الدين، قال: (لقوم يسمعون هـ) أى<sup>٥</sup> من الدعاة النصحاء سماع  
من اتبه من نومه لجسمه مستريح نشيط وقلبه فارغ عن مكدر للنصح  
مانع من قبوله، أو المعنى: لقوم هم أهل للسمع بأن يكونوا قد تنبهوا<sup>٦</sup>  
من رقادهم، فرجعوا عن عنادهم، إشارة إلى أن من لم يتأمل فى هذه  
الآيات فهو نائم لامستيقظ، فهو غير متأمل لأن يسمع.

١٥ ولما ختم بالسمع آية جمعت آيات الانفس والآفاق لكونها  
[نشأت من أحوال البشر والخافقين، افتتح<sup>٧</sup> بالرؤية آية أخرى جامعة  
لها لكونها ناشئة عنها مع كونها -<sup>٨</sup>] أدل على المقصود جامعة بين<sup>٩</sup>

(١) فى ظ و مد: اعل (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل:  
يشته (٤) فى ظ و مد: انتبهوا (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفى  
الأصل: من.

الترغيب والترهيب<sup>١</sup> فقال: ﴿ ومن آيته ﴾ ولما كان لمعان البرق جديرا  
بالتماع البصر [عند -<sup>٢</sup>] أول رؤية، وكان يتجدد في حين دون حين،  
عبر بالمضارع حاذفا الدال على إرادة المصدر للدلالة على "التجدد المعجب"<sup>٣</sup>  
منه فقال: ﴿ يريكم البرق ﴾ أى على هيئات وكميات طالما شاهدتموها  
تارة تأتى بما يضر / وتارة بما يسر، ولذلك قال معبرا بقاية الإخافة<sup>٤</sup> ٥  
والإطماع لأن الغايات هى المقصودة بالذات: ﴿ خوفا ﴾ أى للإخافة  
من الصواعق المحرقة ﴿ وطمعا ﴾ أى وللإطماع فى المياه الغدقة، وعبر  
بالطمع لعدم الأسباب الموصلة إليه .

ولما كان البرق غالبا من المبشرات بالمطر، وكان ما ينشأ عن<sup>\*</sup>  
الماء أدل شيء على البعث، أتبعه شرح ما أشار إليه به من الطمع<sup>٦</sup> فقال: ١٥  
﴿ وينزل ﴾ ولما كان إمساك الماء فى جهة العلو فى غاية الغرابة، قال  
حققا للمراد بالإنزال من<sup>-</sup> الموضع الذى لا يمكن لاحد غيره دعواه  
﴿ من السماء ماء ﴾ .

ولما جعل سبحانه ذلك سببا لتعقب الحياة قال: ﴿ فيجى به ﴾  
أى الماء النازل من<sup>٧</sup> السماء خاصة لأن أكثر الأرض لاتسقى بغيره<sup>٨</sup> ١٥  
﴿ الأرض ﴾ أى بالنبات الذى هو لها كالروح لجسد الإنسان . ولما  
كانت الأرض ليس لها من ذاتها فى الإنبات إلا العدم، وكان إحيائها

( ١ - ١ ) فى ظ و مد : الترغيب والترهيب ( ٢ ) زيد من ظ و مد ( ٣ - ٣ ) فى  
ظ : التعجب ( ٤ ) من ظ و مد ، وفى الأصل : الاضافة ( ٥ ) من ظ و مد ،  
وفى الأصل : على ( ٦ ) من ظ و مد ، وفى الأصل : الطمع ( ٧ - ٧ ) سقط ما  
بين الرقيين من ظ و مد .

به متكررا، فكان كانه دائم، [وكان ذلك أنسب لمقصود السورة -<sup>١</sup>]  
 حذف الجار قائلا: ﴿بعد موتها<sup>٢</sup>﴾ أى يبسه و تهشمه ﴿ان فى ذلك﴾  
 [أى -<sup>٣</sup>] الأمر العظيم العالى القدر ﴿لأبنت﴾ لاسيما على القدرة  
 على البعث . ولما كان ذلك ظاهرا كونه من الله الفاعل بالاختيار  
 ٥ لوقوعه فى سحاب دون سحاب وفى وقت دون آخر وفى بلد دون  
 آخر، وعلى هيئات من القوة والضعف والبرد والحر وغير ذلك  
 من الأمور، وكان من الوضوح فى الدلالة على البعث بمكان لا يخفى على  
 عاقل قال: ﴿لقوم يعقلون<sup>٤</sup>﴾ .

ولما كان جميع ما مضى من الآيات المراثيات ناشئا عن هذين  
 ١٠ الخلقين العظيمين المحيطين بمن أنزلت عليهم هذه الآيات المسموعات بيانا  
 لمن أشكل عليه أمر الآيات المراثيات، ذكر<sup>٥</sup> أمرا جامعا<sup>٦</sup> لكل وهو  
 من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى أكثر من العقل المختوم به ما قبل فقال:  
 ﴿ومن آيته﴾ أى على تمام القدرة وكال الحكمة .

ولما كانت هذه الآية فى الثبات لا فى التجدد، أتى بالحرف الدال  
 ١٥ على المصدر ليسلخ الفعل عن<sup>٧</sup> الاستقبال، وعبر بالمضارع لأنه لا بد  
 من إخراجها عن هذا الوضع فقال: ﴿ان تقوم﴾ أى تبقى على ما  
 تشاهدون من الأمر العظيم بلا عمد ﴿السماء﴾ أفرد لأن السماء الأولى

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد: يتفكرون (٣-٢) من ظ و مد،  
 وفى الاصل: امر جامع (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: الفعل (٥) فى ظ  
 و مد: من (٦) فى ظ . على .

لا تقبل النزاع لانها مشاهدة مع صلاحية اللفظ للكل لانه جنس (والارض)  
 على ما لها من الجسامة و الثقل المقتضى للهبوط (بامرہ) لا بشيء سواه .  
 ولما لم يبق في كمال علمه و تمام قدرته شبهة<sup>١</sup>، قال معبرا بأداة  
 التراخي لتدل - مع دلالتها على ما هي له - على<sup>٢</sup> العظمة، فقال دالا على أن  
 قدرته على الأشياء كلها مع تباعدها على حد سواء، وأنه لا فرق عنده  
 في شمول أمره بين قيام الأحياء و قيام الأرض و السماء (ثم<sup>٣</sup> اذا دعاكم)  
 و أشار إلى هوان ذلك الأمر عنده بقوله: (دعوة<sup>٤</sup> من الأرض إلى)  
 على<sup>٥</sup> بعد ما بينها و بين السماء فضلا عن لعرش، و أكد ذلك بكونه  
 مثل لمح البصر أو هو أقرب فقال معبرا بأداة الفجاءة: (اذا آتاكم تخرجون)  
 أى يتجدد لكم هذا الوصف بعد اضمحلالكم بالموت / و البلى، و يتكرر ١٠ / ١٢٩  
 باعتبار آحادكم من غير تلبث و لا مهلة أصلا، إلا أن يترتب<sup>٦</sup> على  
 الأفضل فالأفضل لقوله صلى الله عليه و سلم: أنا أول من تنشق عنه  
 الأرض، كما دعاكم منها أولا<sup>٧</sup> إذ خلقكم<sup>٨</sup> من تراب ثم إذا آتكم بشر  
 تنتشرون، و أعرى<sup>٩</sup> هذه عما ختم به الآيات السالفة تنبيها على أنها مثل  
 الأولى قد انتهت في الظهور، و لاسيما بانضمامها إلى الأولى التى هى أعظم ١٥  
 دال عليها إلى حد هو أضوأ من النور، كما تأتى الإشارة إليه في آية  
 ”و هو اهو ن عليه“ .

(١) زيد في ظ و مد: عبر (٢) من ظ و مد، و في الأصل: من (٣) ساقط  
 في الأصل فقط (٤) من ظ و مد، و في الأصل: أى (٥) في مد: ترتب .  
 (٦-٧) من ظ و مد، و في الأصل: الخلقكم (٧) في ظ: أجرى (٨) في ظ: بما .

ولما ذكر تصرفه في الظرف و بعض المظروف من الإنس  
والجن، ذكر قهره لكل فقال: ﴿وله﴾ أى [وحده - ' ] بالملك  
الآتم ﴿من في السموات و الارض﴾ أى كلهم، وأشار إلى الملك  
بقوله: ﴿كل له﴾ أى وحده . ولما كان انقياد الجمع مستلزما  
لانقياد المفرد دون<sup>٢</sup> عكسه جمع في قوله: ﴿فتنونه﴾ أى مخلصون  
في الانقياد ليس لأنفسهم ولا لمن سواه في الحقيقة و الواقع تصرف  
بوجه ما إلا باذنه<sup>٣</sup>، و قال ابن عباس رضى الله عنهما: مطيعون طاعة  
الإرادة وإن عصوا أمره في العبادة - نقله عنه البغوى<sup>٤</sup> وغيره و روجه  
الطبرى و هو معنى ما قلت .

١٠ ولما كان هذا معنى يشاهده كل أحد في نفسه مع ما جلى سبحانه  
من عرائس الآيات الماضيات، فوصل الأمر في الوضوح إلى حد  
عظيم قال: ﴿وهو﴾ أى لا غيره ﴿الذى يبدؤا الخلق﴾ أى على سبيل  
التجديد كما تشهدون، وأشار إلى تعظيم الإعادة بأداة التراخي فقال:  
﴿ثم يعيده﴾ أى بعد أن يبيده .

١٥ ولما كان من المركز في فطر جميع البشر أن إعادة الشيء أسهل  
من ابتدائه قال<sup>٥</sup>: ﴿وهو﴾ أى و ذلك الذى ينكرونه من الإعادة  
﴿اهون عليه﴾ خطابا لهم بما ألفوه و عقلوه<sup>٦</sup> و لذلك آخر الصلة

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ و مد: الجميع (٣) في ظ و مد: بدون .  
(٤) في ظ و مد: بارادته (٥) راجع هامش الباب ١٧١ / ٥ (٦) في ظ:  
نقال (٧) من ظ و مد، و في الأصل: بما (٨) من ظ و مد، و في الأصل:  
غفولهم - كذا .



لأنه لا معنى هنا للاختصاص الذى يفيد تقديمها .  
ولما كان هذا إنما هو على طريق التمثيل لما يخفى عليهم بما هو  
جلى عندهم ، وكل من الأمرين بالنسبة إلى قدرته [على حد سواء لا شيء  
فى عله أجلى من آخر ، ولا فى قدرته -<sup>١</sup>] أولى من الآخر ، قال مشيراً  
إلى تنزيه نفسه المقدسة عما قد يتوهمه بعض الأغبياء من ذلك : (وله) هـ  
أى وحده (المثل الأعلى) أى الذى تنزه عن كل شائبة نقص ،  
واستولى على كل رتبة كمال ، وهو أمره الذى احاط بكل مقدور ،  
فلم به إحاطته هو سبحانه بكل معلوم ، كما تقدم فى البقرة فى شرح المثل  
"ألا له الخلق والأمر" .

ولما كان الخلق لقصورهم مقيدون بما لهم به نوع مشاهدة قال : ١٠  
(فى السنوات والأرض ع) اللتين خلقهما ولم تستعصيا عليه ، فكيف  
يستعصى عليه شيء فيها ، وقد قالوا : إن المراد بالمثل هنا الصفة ، وعندى  
أنه يمكن أن يكون على حقيقته تقريباً لعقولنا ، فإذا أردنا تعرفه سبحانه  
فى الملك مثلنا بأعلى ما نعلم من ملوكنا فنقول : الاستواء على العرش  
مثل للتدبير [والتفرد بالملك كما يقال فى ملوكنا : فلان جلس على سرير  
الملك ، بمعنى : استقل بالأمر وتفرد بالتدبير -<sup>١</sup>] وإن لم يكن هنا سرير  
ولا جلوس ، وإذا ذكر بطشه سبحانه وأخذه لأعدائه فى نحو قوله تعالى  
"يد الله فوق أيديهم" "إن بطش ربك لشديد" مثلناه بما لو قهر

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : الذين (٣) فى ظ : عنده .  
(٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : انلنا (٥) سقط من ظ ومد (٦) من ظ  
ومد ، وفى الأصل : مثلنا .

سلطان أعدائه بجزمه<sup>١</sup> و صحة تديره / وكثرة جنوده ققلنا " بحق سيفه  
 أعداءه " فأطلقنا سيفه على ما ذكر من قوته ، وإذا قيل : تجري بأعيننا ،  
 ونحو ذلك علنا أنه مثل ما نقول<sup>٢</sup> إذا رأينا ملكا حسن التدبير لا يغفل  
 عن شيء من أحوال رعيته ققلنا " هو في غاية اليقظة " فأطلقنا اليقظة  
 ه التي هي ضد النوم على حسن النظر و عظيم التدبير و شمول العلم ، و هذه  
 تفاصيل عما<sup>٣</sup> قدمت أنه مثله ، و هو أمره المحيط الذي انجلي لنا به [ غيب -<sup>٤</sup> ]  
 ذاته سبحانه ، وهكذا ما جاء من أمثاله نأخذ من العبارة<sup>٥</sup> روحها فنعلم  
 أنه المراد ، و أن ذلك الظاهر ما ذكر إلا تقريبا للفهام النقيصة<sup>٦</sup> على ما  
 نعرف<sup>٧</sup> من أعلى الأمثال<sup>٨</sup> ، و الأمر بعد ذلك أعلى مما نعلم ، و لذلك قال  
 ١٠ تعالى : ﴿ و هو ﴾ أي وحده ﴿ العزيز ﴾ أي الذي إذا أراد شيئا كان  
 له في غاية الانقياد كائنا ما كان<sup>٩</sup> ﴿ الحكيم ﴾ [ أي -<sup>١٠</sup> ] الذي إذا<sup>١١</sup>  
 أراد شيئا أنقذه فلم يقدر غيره على<sup>١٢</sup> " التوصل إلى نقص شيء منه ، و لا تتم  
 حكمة هذا الكون على هذه الصورة إلا بالبعث ، بل هو محط الحكمة  
 الأعظم ليصل كل ذي حق إلى حقه بأقصى التحرير على ما تتعارفه  
 ١٥ و إلا لكان الباطل أحق من الحق و أكثر ، فكان عدم هذا الموجود خيرا

- (١) من ظ و مد ، وفي الأصل : بجزمه (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : يقول .  
 (٣) في ظ : ما (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل :  
 العبادة (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : النقيصة (٧-٧) سقط ما بين الرقيين  
 من ظ (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : كانت (٩) زيد من مد (١٠) سقط  
 من ظ (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : الى .

من وجوده و أحكم .

و لما بان من هذا أنه المتفرد فى الملك بشمول العلم و تمام القدرة و كمال الحكمة ، اتصل بحسن أمثاله و لإحكام مقالته و فعاله قوله : ﴿ ضرب لكم ﴾ أى بحكمته فى أمر الأصنام [و-<sup>٢</sup>] يان إبطال من يشرك بها و فساد قوله بأجل ما يكون من التقرير : ﴿ مثلاً ﴾ مبتدأ ﴿ من انفسكم ﴾ التى هى <sup>٥</sup> أقرب الاشياء إليكم ، فأتى لما تذكرون به أجدر بأن تفهموه .

و لما كان حاصل المثل أنه لا يكون مملوك كمالك ، و كان التقرير أقرب إلى التذكير و أبعد عن التنفير ، قال منكراً موجهاً مقررًا : ﴿ هل لكم ﴾ أى يا من عبدوا مع الله بعض عبيده ﴿ من ما ﴾ أى من بعض ما ﴿ ملكت إيمانكم ﴾ أى من العبيد أو الإماماء الذين هم بشر مثلكم ، و عم فى النفي الذى هو <sup>١٠</sup> المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله : ﴿ من شركاء ﴾ [أى-<sup>٢</sup>] فى حالة من الحالات [ يسوغ لكم بذلك أن تجعلوا الله شركاء -<sup>١</sup> ] ، و نبه على ما فى إيجاد الرزق ثم قسمته <sup>١١</sup> بين الخلق و غير ذلك من شؤونه بقوله [ التفاتا -<sup>٢</sup> ] - بعد طول التعبير بالغنية التى قد يتوهم معها بعد - إلى التكلم بالتوب الدال مع القرب على العظمة ولذة <sup>١٢</sup> الإقبال بالمخاطبة : <sup>١٥</sup>

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : أحكم (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
- (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : التنفير .
- (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : مقرر (٧) فى ظ و د (٨) من ظ و مد
- و القرآن الكريم ، وفى الأصل : شركائكم (٩) زيد فى الأصل : غيره ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : قسمه .
- (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : كذا .

(فِيهَا رِزْقُكُمْ) أى بما لنا من العظمة من مال أو جاء مع ضعف ملككم فيه .

ولما كانت الشركة سببا لتساوى الشريكين في الأمر المشترك قال: (فَاتَمَّ) أى معاشر الأحرار والعبيد . ولما كان ربما توهم أن "من شركاء" صفة لأولاد من سراريهم، قدم الصلة دفعا لذلك فقال: (فِيهِ) أى الشيء الذى وقعت فيه الشركة من ذلك الرزق خاصة لا غيره من نسب أو حسب ونحوهما [أو خفة في بدن أو قلب أو طول في عمر ونحوهما، وأما أولادهم من السراى فربما ساوهم في ذلك وغيره من النسب ونحوه، والعبيد ربما ساوهم في قوة البدن وطول العمر أو زادوا - ٢] (سَوَاءً) ثم بين المساواة التى هى أن يكون حكم أحد القبيلتين في المشترك على السواء لحكم الآخر لا يستبد أحدهما عن الآخر بشيء بقوله: (تَخَافُونَهُمْ) أى معاشر السادة في التصرف في ذلك الشيء المشترك .

[ولما كانت أداة التشبيه أدل، أثبتنا فقال - ٢]: (كَيْفَتَكُمْ أَنْفُسَكُمْ)

١٥ / ١٣١ أى كما تخافون بعض / من تشاركونه بمن يساويكم في الحرية والعظمة

أن تصرفوا في الأمر المشترك بشيء لا يرضيه وبدون إذنه، فظهر أن

حالك في عبيدكم مثل [له - ٢] 'فَمَنْ أَشْرَكْتُمُوهُمْ' به موضح لبطلانه،

فاذا [لم - ٢] ترضوا هذا لأنفسكم وهو أن يستوى عبيدكم معكم في

(١) في ظ: للتساوى (٢) في ظ: الأولاد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ

ومد (٤) في ظ: القبيلتين (٥-٥) من ظ ومد، وفي الأصل: فيما اشركتموه .

(٦) في ظ: يسوى (٧) سقط من ظ ومد .

المملك فكيف رضونه بخالفكم فى هذه الشركاء التى زعمتموها فتسوونها به و هى من أضعف خلقه أفلا تستحيون ؟

و لما كان هذا المثال، فى الذروة من الكمال، كان السامع جديرا بأن يقول: جل الله! ما أعلى شأن هذا البيان! هل يبين كل شىء هكذا؟ فقال: (كذلك) أى مثل هذا البيان العالى (تفصل) أى نبين، ه لأن الفصل هو الميزو هو البيان، وذلك على وجه عظيم - بما أشار إليه التضعيف مع التجديد والاستمرار: (الأيئت) أى الدلالات الواضحات. و لما كان البيان لا ينفع المسلوب قال: (لقوم يعقلون) إشارة إلى أنهم إن لم يعملوا بمقتضى ذلك كانوا مجانين، لأن التمثيل يكشف المعانى بالتصوير والتشكيل، كشفا لا يدع لبسا، فن خفى عليه لم يكن له ١٠ تميز.

و لما كان جوابهم قطعا: ليس لنا شركاء بهذا الوصف، كان التقدير، فلم تتبعوا<sup>١</sup> فى الإشراك<sup>٢</sup> بالله دليلا، فنسق عليه: (بل) وكان الأصل: اتبعتم، ولكنه أعرض عنهم<sup>٣</sup>، إيدانا بقتاهاى الغضب للعناد بعد البيان، وأظهر الوصف الحامل لهم على ذلك [تعميما وتعليقا للحكم به - ٩] ١٥

- (١) فى ظ و مد: فلا - بحذف همزة الاستفهام (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: لا (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: التشكيك (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: تميز (٦-٧) من ظ و مد، وفى الأصل: بالإشراك. (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: اصل (٨) من م - و تستأف من هنا - و مد، وفى الأصل و ظ: عنه (٩) زيد من ظ و م و مد.

فقال<sup>١</sup>: ﴿اتَّبِعْ﴾ [أى بتكليف أنفسهم خلاف الفطرة الأولى -<sup>٢</sup>]  
 ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أى وضعوا الشيء فى غير موضعه فعل الماشى فى الظلام  
 ﴿اهْوَأَهُمْ﴾ وهو ما يميل إليه نفوسهم .

و لما كان اتباع الهوى قد يصادف الدليل ، وإذا لم يصادف وكان  
 هـ من عالم رده عنه علمه قال : ﴿بَغِيرِ عِلْمٍ﴾<sup>٣</sup> إشارة إلى بعدهم فى الضلال  
 لأن الجاهل بهم<sup>٤</sup> على وجهه<sup>٥</sup> بلا مرجح غير الميل<sup>٦</sup> كالبهيمة لا يردده شيء ،  
 و أما العالم فربما رده علمه .

و لما كان هذا ربما أوقع فى بعض الأوهام أن هذا بغير إرادته  
 سبحانه ، دل بقاء السبب على أن التقدير : وهذا ضلال منهم بإرادة الله<sup>٧</sup> ،  
 ١٠ [فلما أساءوا باعراقهم فيه كانت عاقبتهم سوء والخذلان ،  
 لأنهم أبعدوا أنفسهم عن أسباب الهدى -<sup>٨</sup>] : ﴿فَن يَهْدِي﴾ أى  
 بغير إرادة الله ، ولقت الكلام من مظهر العظمة إلى أعظم  
 [منه -<sup>٩</sup>] بذكر الاسم الأعظم لاقتضاء الحال له فقال :  
 ﴿مَنْ اضِلَّ اللَّهُ﴾ الذى له الأمر كله ، ودل بواو العطف على أن  
 ١٥ التقدير : ليس أحد يهديهم [لأنهم أبعدوا أنفسهم عن أسباب الهدى  
 فبعدوا عن أسباب النصر لأنهم صاروا على جرف هار فى كل أمورهم ، فلذا  
 حسن موضع تعقيبه بقوله -<sup>١٠</sup>] : ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ وأعرق فى النفي فقال :  
 ﴿مَنْ تُضْرِبِينَ هـ﴾ أى من الأصنام ولا غيرها<sup>١١</sup> يخلصونهم مما هم فيه من

(١) زيد فى ظ : بل (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى ظ : أى (٤) من ظ  
 و مد ، وفى الأصل وم : بعضهم (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يتم .  
 (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من م (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد فى  
 الأصل : بما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخذلانها .

الخذلان و أسر الشيطان، و بما يسيه من النيران، و نقي الجمع دون الواحد  
لأن العقل ناصر لهم بما هو مهياً<sup>١</sup> له من الفهم و اتباع دليل السمع لو  
استعملوه، أو لأنه وود<sup>٢</sup> جواباً لنحو " و اتخذوا من دون الله الهة ليكونوا  
لهم عزا لهم ينصرون " [ أو للإشارة إلى أن تتبع الهوى لا ينفع في  
تلافي أمره إلا أعوان كثيرون - ٢ ] و دل على نقي الواحد " لا تجزي ه  
نفس عن نفس " - الآية، و " إن الكافرين لا مولى لهم " [ و - ١ ] " فإله  
من قوة و لا ناصر " في أمثالها .

ولما تحورت الأدلة، و انتصبت الأعلام، و اتضحت الحقايا،  
و صرحت الإشارات، و أفصحت السن العبارات، أقبل على خلاصة  
الخلق، إيدانا / بأنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره، فقال<sup>٣</sup> مسيياً عن ذلك ١٠ / ١٣٢  
مثلاً لإقباله<sup>٤</sup> و استقامته و ثباته : ﴿ فاقم وجهك ﴾ أى قصدك كله  
﴿ للدين ﴾ أى نصبا بحيث تغيب عما سواه، فلا تلتفت عنه أصلاً  
فلا تنفك عن المراقبة، فإن من أهتم بشئ سدد إليه نظره، و قوم له وجهه .  
ثم عرض بجملة<sup>٥</sup> أهل الضلال و غشاوتهم، و كثافتهم و غباوتهم، و جودهم  
و قساوتهم، بقوله : ﴿ حنيفاً ﴾ أى حال كونك ميالاً مع الدليل هيناً<sup>٦</sup> ١٥  
لينا نافذ البصر نير<sup>٧</sup> البصرة سارى الفكر سريع الانتقال طائر الخاطر،

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : به مرتباً (٢) زيد فى الأصل : به، ه، لم  
تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م .  
(ه) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قال (٦) سقط من ظ (٧) من ظ  
وم و مد، و فى الأصل : بجملة (٨) فى م و مد : هشا (٩) من م و مد، و فى  
الأصل و ظ : بين .

ثم بين أن هذا الأمر في طبع كل أحد<sup>١</sup> وإن كانوا فيه متفاوتين كما  
 تراهم إذا كانوا صغارا أسهل شيء انقيادا، ولكنهم لما يكشف لهم الحال  
 في كثير من الأشياء عن [أن -<sup>٢</sup>] انقيادهم كان خطأ يصيرون<sup>٣</sup> يدرّبون  
 أنفسهم على المخالفة دائما حتى تصير لبعضهم طبعاً تجريباً فيصير أفسى<sup>٤</sup>  
 شيء وأجده<sup>٥</sup> بعد أن كان أسهل شيء وأطوعه، وأكثر ما يكون  
 هذا من قرناء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون، ولهذا نهى أن يوعد  
 الطفل بما لاحقيقة له : روى أحد<sup>٦</sup> وابن أبي الدنيا من<sup>٧</sup> طريق الزهري  
 عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال المنذرى<sup>٨</sup> : ولم يسمع منه - أن  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال لصبي : تعال<sup>٩</sup> هاك<sup>١٠</sup> ثم لم يعطه  
 ١٠ فهي كذبة، ولأبي داود<sup>١١</sup> والبيهقي وابن أبي الدنيا عن مولى عبد الله بن  
 عامر - قال ابن أبي الدنيا : زياد عن عبد الله بن عامر<sup>١٢</sup> - أن أمه  
 رضي الله عنها قالت له : تعال<sup>١٣</sup> أعطيك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم : ما أردت أن تعطيه؟ قالت : تمر، فقال : أما إنك لو لم تعطيه  
 شيئا كتبت عليك كذبة<sup>١٤</sup> . فقال تعالى مينا لهم صحة دينه بأمر هو في

(١) في ظ و مد : واحد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل  
 وم : يصرون (٤) في ظ و مد : أفسى (٥) في ظ و مد : اجهد (٦) راجع مسنده  
 ٤٠٢/٢ (٧) في ظ : عن (٨) أراه في الترغيب والترهيب (٩) من ظ و م و مد  
 و المسند، وفي الأصل : تعالى (١٠) من ظ و م و مد المسند، وفي الأصل  
 « و » (١١) راجع سننه ١٩٨ / ٢ (١٢ - ١٣) سقط ما بين الرقین من ظ  
 و مد (١٣) من ظ و م و مد و السنن، وفي الأصل : تعالى (١٤) وأخرجه  
 الإمام أحمد أيضا في مسنده ٤٤٧ / ٣ .



أنفسهم، كما بين بطلان دينهم بأمر هو في<sup>١</sup> أنفسهم : ( فطرت الله )  
 أى الزم فطرة الملك الذى لا راد لأمره ، وهى الحلقة [ الأولى -<sup>٢</sup> ]  
 التى خلق عليها البشر و الطبع الأول ، [ وقال الغزالي فى آخر كتاب  
 العلم من الإحياء<sup>٣</sup> فى بيان العقل فى هذه الآية : أى كل آدمى فطر على  
 الإيمان بالله تعالى بل على معرفة الأشياء على ما هى عليه ، أعنى أنها كالتضمنة ه  
 فيه<sup>٤</sup> لقرب استعداده<sup>٥</sup> للادراك - انتهى -<sup>٦</sup> ] ، ثم أكد ذلك بقوله :  
 ( التى فطر الناس ) أى كل من له أهلية التحرك<sup>٧</sup> ( عليها<sup>٨</sup> ) كلهم  
 الأشقياء والسعداء ، وهى سهولة الانقياد وكرم الخلق الذى هو فى  
 الصورة فطرة الإسلام ، وتحقيق ذلك أن المشاهد من جميع الأطفال  
 سلامة الطباع وسلاسة<sup>٩</sup> الانقياد [ لظاهر الدليل -<sup>١٠</sup> ] ، ليس منهم فى ١٠  
 ذلك عسر كما فى الكبار إن تفاوتوا فى ذلك ، فالمراد بالفطرة قبولهم  
 للحق و تمكنهم من إدراكه ، كما تجد الآخرس يدرك [ أمر -<sup>١١</sup> ]  
 المعاد إدراكا بنا ، وله فيه ملكة راسخة ، وهذا المعنى هو الذى أشار  
 إليه حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين و حديث ابن عباس  
 رضى الله عنهما عند أحمد بن منيع أن النبى صلى الله عليه وسلم<sup>١٢</sup> قال : ١٥

- (١) فى ظ ومد : من (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) ١/٦٤ (٤) فى الإحياء : فيها .  
 (٥) فى الإحياء : استعدادها (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد ، وفى  
 الأصل : النحر (٨) سقطت الواو من ظ (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ :  
 سلامة (١٠) و الحديث من الشهرة بحيث يغنيان عن التعليق عليه .

كل مولود يولد 'على الفطرة' - وفي رواية للبخارى<sup>١</sup> : ما من مولود إلا يولد على الفطرة - فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جماء<sup>٢</sup>، هل<sup>٣</sup> تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدونها. فذلك الجدع والوسم و شق الأذن ونحو ذلك مثال للاخلاق<sup>٤</sup> التي يتعلمها الطفل ممن يعامله بها من الغش والكذب وغير ذلك، وكذا حديث عياض بن حمار<sup>٥</sup> المجاشعي<sup>٦</sup> رضى الله عنه في مسلم في صفة النار<sup>٧</sup> والنسائي في فضائل القرآن وأبي داود الطيالسي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مال نخلته<sup>٨</sup> عبدا حلال<sup>٩</sup>، وإني خلقت عبادي "خفاء كلهم"<sup>١٠</sup> وأنهم أتهم الشياطين فاجتالهم<sup>١١</sup> عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانة . ولكن الشيطان لا يتمكن إلا باقدار الله له في الحال بما يخلق في باطن المخدول من الباعث وفي الماضي من الطبائع التي هيأ بها مثل ذلك كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم المتفق عليه في الصحيح عن علي رضى الله تعالى عنه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م ومد (٢) أوردها في تفسير هذه الآية من سورة الروم : ٢ / ٧٠٤ (٣) سقط من ظ (٤) من المراجع، وفي الأصل : حتى (٥) في ظ : الاخلاق (٦) من م ومد والتهديب، وفي الأصل : حماد، وفي ظ : عمار (٧) في ظ : المجاشعي (٨) باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٩) من م ومد وصحيح مسلم، وفي الأصل و ظ : يخلفه (١٠) في ظ : حللا (١١ - ١١) من م ومد وصحيح مسلم، وفي الأصل و ظ : كلهم خفاء - (١٢) من المراجع، وفي الأصل : فاجتالهم .

واعملوا فكل ميسر لما خلق له<sup>١</sup>، وآية<sup>٢</sup> سبحان<sup>٣</sup> كل يعمل على شاكلته“ وذلك أنه لما أخبرهم صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قد كتب أهل الجنة وأهل النار، فلا يزداد فيهم<sup>٤</sup> ولا ينقص، قالوا: أفلا تتكل على كتابنا وتدع العمل؟ فالكتاب حجة عليهم، لأن مناه على أن فلانا من أهل النار لكونه لم يعمل كذا وكذا، فأرادوا أن يجعلوه حجة لهم فأعلموا أن في ذلك أمرين لا يبطل أحدهما الآخر: باطن هو العلة الموجبة في حكم الربوبية وهو العلم، وظاهر هو السمة اللازمة<sup>٥</sup> في حق العبودية وهو العمل، وهو أمانة مخيلة غير مفيدة حقيقة العلم، عولوا<sup>٦</sup> بذلك ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم، ورجاؤهم بالظاهر البادى لهم، والخوف والرجاء مدرجتا العبودية<sup>١٠</sup> ليستكملوا بذلك صفة الإيمان، ونظير ذلك أمران: الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب، والأجل المحتوم مع المعالجة<sup>٧</sup> <sup>٨</sup> بالطب، فالمغيب<sup>٩</sup> فيهما علة موجبة والظاهر سبب مخيل، وقد اصطلاح خواصهم وعوامهم على أن الظاهر منهما لا يترك بالباطن - ذكر معناه الرازى في اللوامع عن الخطابي .

١٥

ولما كانت سلامة الفطرة الأولى أمراً مستمرا، قال: ﴿لا تبديل﴾

(١) والحديث من الشهرة بحيث يغنينا عن التعليق عليه (٢) رقم ٨٤ (٣) زيد في ظ «قل» (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فيه (٥-٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: السنة اللازم (٦) من ظ وم ومد. وفي الأصل: عملوا (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: المعالجة (٨-٨) في ظ: بالطيب والمغيب (٩) سقط من ظ.

و لعظم المقام كرر الاسم الاعظم فقال: ﴿لخلق الله﴾ أى الملك الاعلى  
الذى لا كفوء له ، لا يقدر أحد أن يجعل طفلا فى أول أمره خيث  
الفطرة لا ينقاد لما يقاد إليه ولا يستسلم لمن يريه ، وكلما كبر وطعن  
فى السن رجع لما طبع عليه من كفر أو إيمان ، أو طاعة أو عصيان ، أو نكر  
أو عرفان ، قليلا قليلا ، حتى يفساق إلى ذلك عند البلوغ أو بعده ، فان  
مات قبل ذلك جوزى بما كان الله يعلمه منه أنه يعمل طبعيا ويموت  
عليه كالغلام الذى قتله الحضير عليه السلام صح الخبر بأنه طبع على  
الكفر ، ولا يعذب بما يكون عارضا منه و يعلم أنه سيكون لو كان كأبوى  
الغلام لما وقع التصريح به من أنه لو عاش لأرهمقها طغيانا وكفرا ،  
١٠ قد علم منها الكفر حيث ظم يؤاخذها به لانه عارض لا طبعي ،  
فالعبرة بالموت ، ومن طبع على شيء لم يمت على غيره ، فحقق هذا تعلم  
أنه لا تنافى بين شيء من النصوص لا من الكتاب ولا من السنة -  
والله الهادى .

/ ١٣٤

أو لا كان الميل مع الدليل كيفما مال أمرا لا يكتنه قدره  
١٥ ولا ينال إلا بتوفيق من الله ، أشار إلى عظمته بقوله: ﴿ذلك﴾ أى  
الأمر العظيم وهو الاهتزاز للدليل و اتباع ما يشير إليه ويحث عليه  
(١) سقط من ظ (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : بنقاد (٣) من ظ وم  
ومد ، وفى الأصل : لما (٤-٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : نكرا أو عرفانا  
(٥) سقط من ظ ومد (٦) فى ظ : بانه (٧) ومن هنا سقطت صفحتان من مد -  
(٨) زيد فى ظ : ان (٩) فى ظ : الذى .

(الدين القيم<sup>١</sup>) الذى لا عوج فيه (والكن اكثر الناس) قد تدربوا  
 فى اتباع الاهوية لما تقدم من الشبه<sup>٢</sup> فصاروا بحيث (لا يعلمون<sup>٣</sup>) أى  
 لا علم لهم أصلا حتى يميزوا الحق من الباطل لما غلب عليهم من الجفاء.  
 ولما كان من الناس من من الله عليه بأن كان فى هذا الميدان،  
 وسمت<sup>٤</sup> همته إلى مسابقة الفرسان. فلما رأى<sup>٥</sup> أنه لم يلتفت إليه، ولم  
 يعول أصلا عليه، كادت نفسه تطير، وكانت عادة القوم أن يخاطبوا  
 القوم لمخاطبة رئيسهم تعظيما له وحثا لهم على التحلى بما خص به، فجبرت  
 قلوبهم وشرحت صدورهم فبينت لهم حال من ضمير "اقم" أو من العامل  
 فى "فطرت" إعلاما بانهم مرادون بالخطاب، مشار<sup>٦</sup> إليهم بالصواب،  
 فقال: (منيين) أى راجعين مرة بعد مرة بمجاذبة النفس و الفطرة ١٠  
 الأولى (إليه) تعالى بالزروع<sup>٧</sup> عما اكتسبتوه<sup>٨</sup> من ردىء الأخلاق إلى تلك  
 الفطرة السليمة المنقادة للدليل، الميالة إلى سواء السبيل .

ولما لم يكن بعد الرجوع إلى المحجة<sup>٩</sup> إلا الأمر<sup>١٠</sup> بلزومها خوفا من  
 الزيف عنها دأب المرة الأولى، قال عاطفا<sup>١١</sup> على "فاقم": (واتقوه)  
 أى خافوا أن تزيغوا عن سبيله يسلمكم فى أيدي أولئك المضلين، فاذا ١٥

(١) فى ظ : الشيعة، وفى م : الشبهة (٢) فى ظ : سمعت - خطأ (٣-٢) سقط  
 ما بين الرقين من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م  
 فحذفناها (هـ) من م، وفى الأصل : مشارا، وفى ظ : مشيرا (٦-٥) من م،  
 وفى الأصل : كما اكتسبوه، وفى ظ : عما اكتسبوه (٧) من م، وفى الأصل  
 وظ : المحجة (٨) من ظ و م، وفى الأصل : الامن (٩) فى ظ : عطفا .

خفتموه فلزمتوها كنتم ممن تحلى عن الرذائل ﴿واقموا الصلوة﴾ تصيروا<sup>١</sup> من تحلى بالفضائل - هكذا دأب الدين أبدا تخلية ثم تحلية: أول الدخول إلى الإسلام التنزيه، و أول الدخول في<sup>٢</sup> القرآن الاستعاذة، و هو أمر ظاهر معقول، مثاله من أراد أن يكتب في شيء إن مسح ما فيه من الكتابة انتفع بما كتب، و إلا أفسد الأول و لم يقرأ الثاني -

والله الموفق

و لما كان الشرك<sup>٣</sup> من الشر<sup>٤</sup> بمكان ليس هو لغيره، أكد النهي عنه بقوله: ﴿و لا تكونوا﴾ أى كونا ما ﴿من﴾ المشركين لا أى لا تكونوا ممن يدخل في عدادهم بمواددة أو معاشرة أو عمل تشابهونهم ١٠ فيه فانه "من تشبه بقوم فهو منهم" و هو عام في كل شرك سواء كان بعبادة صنم أو نار أو غيرهما، أو بالتدين بما يخالف النصوص من أقوال الأخبار و الرهبان و غير ذلك .

و لما كانوا يظنون أنهم على صواب، نصب لهم دليلا على بطلانه بما لا أوضح منه، و لا يمكن أحدا التوقف فيه، و ذلك أنه لا يمكن ١٠ أن يكون الشيء متصفا بنفى شيء و إثباته في حالة واحدة فقال مبدلا: ﴿من الذين فرقوا﴾ لما فارقوا ﴿دينهم﴾ الذى هو الفطرة الأولى، فعبد كل قوم منهم شيئا و دانوا ديناً غير دين من سواهم، و هو معنى ﴿وكانوا﴾ [أى -<sup>٦</sup>] بجهدهم و جدحم في [تلك-<sup>٧</sup>] المفارقة المفرقة ﴿شيعا﴾

(١) سقط من ظ (٢) في ظ و م: الى (٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .  
(٤) من ظ و م، وى الأصل: بمواددة (٥) في ظ: لأنه، و في م: بأنه (٦) زيد من م (٧) زيد من ظ و م .

أى فرقا متحالفين ، كل واحدة منهم تشايح من دان بدینها على من خالفهم  
حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا الدماء و الأموال ، فلم قطعا أنهم كلهم  
ليسوا على الحق .

ولما كان / هذا أمرا يتعجب من وقوعه ، زاده عجبا بقوله استثناء :  
١٣٥ / ( كل حزب ) أى منهم ( بما لديهم ) أى خاصة من خاص ما عندهم ه  
من الضلال الذى اتحلوه ( فرحون ه ) ظنا منهم أنهم صادفوا الحق  
و فازوا به دون غيرهم .

و لما حصل من هذا القطع من كل عاقل أن<sup>٢</sup> أكثر الخلق ضال ،  
فكان الحال جديرا بالسؤال ، عن وجه الخلاص من هذا الضلال ، أشير  
إليه أنه لزوم الاجتماع ، و بين ذلك فى جملة<sup>٣</sup> حالية من فاعل " فرحون " ١٠  
فقال تعالى : ( وإذا ) و كان الأصل : مسهم ، و لكنه قيل [ لانه  
أنسب بمقصود السورة من قصر ذلك على الإنسان كما هى العادة فى أكثر  
السور أو غير ذلك من أنواع العالم - ٦ ] : ( مس الناس ) تقوية للإرادة<sup>٤</sup>  
العموم [إشارة إلى كل من فيه أهلية النوس و هو التحرك ، من الحيوانات  
العجم و الجمادات لو نطقن ثم اضطربت لتوجهت إليه سبحانه و لم تعدل عنه كما ١٥  
أنها الآن كذلك بأسنة أحوالها ، فهذا هو الإجماع الذى لا يتصور معه نزاع - ٦ ]

(١) من ظ ، وفى الأصل و م : واحد (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ ،  
وفى الأصل و م : بان (٤) فى ظ و م : الى (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : علة .  
(٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لا تدفع

(ضر دعوا ربهم) أى 'الذى لم يشاركه' فى الإحسان إليهم أحد  
 [ فى جميع مدة مسهم بذلك الضر - بما أشار إليه الظرف - ٢ ]  
 حال كونهم (منيين) أى راجعين من جميع ضلالتهم التى فرقتهم  
 عنه (إليه) علما منهم بأنه لا فرج لهم عند شيء غيره، هذا ديدن  
 ٥ الكل لا يخرج عنه أحد منهم فى وقت من الأوقات، ولا فى 'أزمة من  
 الأزمات'، قال الرازى فى اللوامع فى أواخر العنكبوت: وهذا دليل  
 على أن معرفة الرب فى فطرة كل إنسان، وأنهم إن غفلوا فى السراء  
 فلا شك أنهم يلوذون إليه فى حال الضراء .

ولما كان كل واقع فى شدة مستبعدا كل استبعاد الخلاص منها  
 ١٠ قال: (ثم) بأداة البعد (إذا أذاقهم) [ مسندا الرحمة إليه تعظيما  
 للأدب وإن كان الكل منه - ٢ ] . ولما كان السياق كله للتوحيد،  
 فكانت العناية باستحضار المعبود باسمه وضميره أتم قال: (منه) مقدما  
 ضميره دالا بتقديم الجار على الاختصاص وأن ذلك لا يقدر عليه غيره،  
 وقال: (رحمة) أى خلاصا من ذلك الضر، إشارة إلى أنه لو أخذهم  
 ١٥ بذنوبهم أهلكهم، فلا سبب لإنعامه سوى كرمه، ودل على شدة إسراعهم  
 فى كفران الإحسان بقوله معبرا بأداة المفاجأة: (إذا فريق منهم) أى  
 [ طائفة من - ٢ ] أهل لمفارقة الحق (بربهم) أى المحسن إليهم دائما، المجدد لهم  
 (١) سقط من ظ (٢) فى ظ: لم يشرعه، وفى م: لم يشركه (٣) زيد من ظ.  
 (٤-٥) من ظ وم، وفى الأصل: زمن من الأزمان (٥) من ظ وم،  
 وفى الأصل: الضراء (٦) فى ظ: ولا (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ  
 وم، وفى الأصل: المفارقة .



هذا الإحسان من هذا الضر ( يشركون هـ ) بدل ' ما لزمهم من أنهم يشكرون ' فلم أن الحق الذى لا معدل عنه الإنابة<sup>٢</sup> فى كل حال إليه كما أجمعوا فى وقت الشدائد عليه ، وأن غيره مما فرقهم ضلال ، لا يعد له قبلا ولا ما يعدله<sup>٣</sup> قال .

ولما كان [ هذا - هـ ] الفعل بما لا يفعله إلا شديد الغباوة أو العناد ، هـ وكانوا يدعون أنهم أعقل الناس ، ربا بهم عن منزلة البله إلى ما الجنون خير منه تهكما بهم فقال : ( ليكفروا بما )<sup>١</sup> وافت الكلام إلى مظهر العظمة فقال : ( اتينهم )<sup>٢</sup> أى من الرحمة التى من عظمتها أنه لا يقدر عليها غيرنا أمنا من أن يقعوا فى شدة أخرى فتهلكهم بما أغضبونا ، أو توسلا بذلك إلى أن<sup>٣</sup> نخلصهم متى وقعوا فى أمثالها ، فما أضل عقولهم وأسفه<sup>٤</sup> آراءهم ١٠١ .  
ولما كان فعلهم هذا سببا لغاية الغضب ، دل عليه بتهديده ملتفتا إلى المخاطبة بقوله : ( فتمتعوا بقره )<sup>٥</sup> أى [ بما - هـ ] أردتم فيه بالشرك من اجتماعكم عند الاصنام وتواصلكم بها وتعاطفكم ، وسبب عن<sup>٦</sup> هذا التمتع قوله : ( فسوف تعلمون هـ ) أى يكون لكم بوعده لاخلف فيه علم / فتعرفون إذا حل بكم البلاء وأحاط بكم جميعا المكروه<sup>٧</sup> هل ينفعكم شيء ١٥ / ١٣٦

(١) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : يشركون (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الابه . (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يعدل له (٥) زيد من م (٦ - ٦) سقط ما بين الرقین من م (٧) فى ظ : انهم (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : اسعة - كذا (٩) زيد من ظ و م (١٠) فى ظ : من (١١) زيدت الواو فى ظ .

نظم الدرر (سورة الروم : ٣٠ : ٣٦ و ٣٥) ج - ١٥

من الاصنام أو من اتخذتم عنده يدا بعبادتها ووافقتموه في  
التقرب إليها .

ولما بكتهم بقوله "هل لكم بما ملكت إيمانكم" ووصل به ما  
تقدم أنه في غاية التوصل ، عاد له ملتفتا إيذانا بالتهاون بهم إلى مقام  
ه الغية إبعادا لهم عن جنبه حيث جلى لهم هذه الأدلة واستمروا في خطر  
إغضابه بقوله : ﴿ ام انزلنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ عليهم سلطنا ﴾ أى  
دليلا واضحا قاهرا ﴿ فهو ﴾ أى ذلك السلطان لظهور بيانه ﴿ بتكلم ﴾  
كلما مجازيا بدلالته وإفهامه ، ويشهد ﴿ بما ﴾ أى بصحة الذى  
﴿ كانوا ﴾ أى كونا راسخا ﴿ به ﴾ أى خاصة ﴿ يشركون ه ﴾ بحيث  
١٠ لم يجدوا بدا من متابعتهم لتزول عنهم الملامة ، وهذه العبارة تدل على  
أنهم لازموا الشرك ملازمة صيرته لهم خلقا لا ينفك .

ولما بان يهذين المتعادلين أنه لم يضطرهم إلى الإشراك عرف في  
أنفسهم مستمر دائم ، ولا دليل عقلى ظاهر ، ولا أمر من الله قاهر ،  
فبان أنهم لم يتبعوا عقلا ولا نقلا ، بل هم أسرى الهوى المنى على محض  
١٥ الجهل ، و [ كان - ' ] قد صرح بذلك عقب العديل\* الأزل ، لمح هنا ،  
وترك التصريح به لإغناء الأول عنه ، واستدل عليه بدليل خالفوا فيه  
العادة المستمرة ، والدلالة الشهودية المستقرة ، فقال عاطفا على "وإذا مس"  
دالا على خفة أحلامهم من وجه آخر غير الأول : ﴿ وإذا ﴾ معبرا

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : اعضائه (٢) فى ظ : ما (٣) من م ، وفى  
الأصل و ظ : اسر (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، وفى الأصل و ظ :  
الدليل (٦) فى ظ : اخلاقتهم .

بأداة التحقيق إشارة إلى أن الرحمة أكثر من النعمة، وأسند الفعل إليه في مقام العظمة إشارة إلى سعة جوده فقال: ﴿ اذقنا ﴾ [ وجرى الكلام على النمط الماضى فى العموم لمناسبة مقصود السورة فى أن الأمر كله له فى كل شىء فقال -١ ]: ﴿ الناس رحمة ﴾ أى نعمة من غنى ونحوه لاسبب لها إلا رحمتا ﴿ فرحوا بها ١ ﴾ أى فرح مطمئن بظر آمن [ من -٢ ] ٥ زوالها، ناسين شكر من أنعم بها، وقال: ﴿ وان ﴾ بأداة الشك دلالة على أن المصائب أقل وجودا، وقال: ﴿ تصبهم ﴾ غير مسند لها إليه تأديا لعباده ٢ وإعلاما بغزير كرمه ﴿ سيئة ﴾ أى شدة تسوهم من قحط ونحوه .

ولما كانت المصائب مسببة عن الذنوب . قال منها لهم على ذلك ١٠ متكررا قنوطهم وهم لا يرجعون عن المعاصى التى عوقبوا بسببها: ﴿ بما قدمت ايديهم ﴾ أى من المخالفات، مستندا له إلى اليد لأن أكثر العمل بها ﴿ اذا هم ﴾ أى بعد ما ساءهم وجودها مساءة نسوا ٣ بها [ ما -٤ ] خولوا فيه من النعم واملأوا به من ملابس الكرم ﴿ يقنطون ٥ ﴾ أى فاجأوا اليأس، يجددين له فى كل حين من أحيان نزولها ٦ وإن كانوا ١٥ يدعون ربهم فى كشفها ويستغيثونه ٧ لصرفها مع مشاهدتهم لضد ذلك فى كلا الشقين فى أنفسهم وغيرهم متكررا . ولذا أنكر عليهم عدم

(١) زيد من ظ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : للعباد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : نسوا (٥) زيد من ظ و م (٦) فى م : بروكها (٧) فى م : يستغيثونه .

الرؤية دالا بواو العطف أن التقدير: ألم يروا في أنفسهم تبدل الأحوال،  
قائلا: (أولم يروا) أى: بالمشاهدة والإخبار رؤية متكررة، [فيعلموا  
علما هو في ثباته كالمشاهد المحسوس، وعبر بالرؤية الصالحة للبصر والبصيرة  
لأن مقصود السورة إثبات الأمر كله لله، ولا يكفي فيه إلا بذل الجهد  
وإيمان النظر، والسياق لذم القنوط الذى يكنى في بقية المشاهدة لاختلاف  
الأحوال، بخلاف الزمر التى مقصودها الدلالة على صدق الوعد الكافى  
فيه مطلق العلم - ] .

ولما كان فى البسط والقبض جمع بين جلال وجمال، لفت  
الكلام بذكر الاسم الجامع فقال: (إن الله) بجلاله وعظمته  
١٠ (ييسر الرزق) أى يكثره (لمن يشاء) أى من عباده منهم ومن  
غيرهم (ويعسر) أى يضيق، وإن هذا شأنه دائما مع الشخص  
الواحد / فى أوقات متعاقبة متباعدة ومتقاربة، ومع الأشخاص ولو فى  
الوقت الواحد، فلو اعتبروا حال قبضه سبحانه لم يبطروا<sup>٦</sup>، ولو اعتبروا  
حال بسطه لم يقنطوا، بل كان حالهم الصبر فى البلاء، والشكر فى  
١٥ الرخاء، والإقلاع عن السيئة التى نزل بسببها القضاء، فقد عرف من  
حالهم<sup>٧</sup> أنهم متقيدون<sup>٨</sup> دائما بالحالة الراهنة<sup>٩</sup>. يغاطون فى الأمور المتكررة  
المشاهدة، فلا عجب فى تقيدهم فى إنكار البعث بهذه الحياة الدنيا .

/ ١٢٧

(١) فى ظ: قليلا (٢) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٣) زيد ما بين الحاجزين  
من ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى « الجامع فقال » ساقطة من ظ و مد .  
(٥) فى الأصل: يابض، ملأناه من م (٦) فى ظ و مد: لم ينظروا (٧-٧) فى  
ظ: يتقيدون (٨) فى ظ: الواهية .

ولما لم يغب عن<sup>١</sup> أحد منهم فى استجلاب الرزق [ قوته -<sup>٢</sup> ] و غزارة عقله ودقة مكره [ وكثرة -<sup>٣</sup> ] حيله ، ولا ضره ضعفه<sup>٤</sup> و قلة عقله<sup>٥</sup> وعجز حيلته ، وكان ذلك أمرا عظيما ومنزعا مع شدة ظهوره و جلالة خفيا دقيقا كما قال بعضهم :

- كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقا ٥  
أشار سبحانه إلى عظمته بقوله ، مؤكدا لأن عملهم فى شدة اهتمامهم<sup>٦</sup> بالسعى فى الدنيا عمل من يظن أن تحصيلها إنما هو على قدر الاجتهاد فى الأسباب :  
( ان فى ذلك ) أى الأمر العظيم من الإقنار فى وقت و الإغناء فى آخر و التوسيع<sup>٧</sup> على شخص و التقدير على آخر ، و الأمن من زوال الحاضر من النعم مع تكرر المشاهدة للزوال فى النفس و الغير ، و اليأس ١٠  
من حصولها عند المحنة مع كثرة وجدان الفرج<sup>٨</sup> و غير ذلك من أسرار<sup>٩</sup> الآية ( لايت ) أى دلالات واضحات على الوحدانية لله تعالى و تمام العلم و كمال القدرة ، و أنه لا فاعل فى الحقيقة إلا هو لكن ( لقوم ) أى ذوى همم و كفاية للقيام بما يحق لهم أن يقوموا فيه ( يؤمنون ه ) أى يوجدون هذا الوصف و يديمون<sup>١٠</sup> تجديده كل وقت لما يتواصل عندهم ١٥

- (١) فى ظ : عنهم (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و مد .  
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اهتمام (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اتوسع (٧) فى ظ : الفرج .  
(٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اسر (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يدعون .

من قيام الأدلة ، بادامة التأمل و الإمعان في التفكير ، والاعتماد في الرزق  
على من قال ” ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر “ أى من  
طالب علم فيعان عليه فلا يفرحون بالنعم إذا حصلت خوفا من زوالها  
إذا أراد القادر ، [ و - ' ] لا يفتنون بها إذا زالت رجاء في إقبالها فضلا  
ه من الرازق <sup>٢</sup> ، لأن أفضل العبادة انتظار الفرج ، بل هم بما عليهم <sup>٢</sup>  
من وظائف العبادة واجبها و مندوبها معرضون عما سوا ذلك ، قد  
وكلوا أمر الرزق إلى من تولى <sup>٣</sup> أمره و فرغ من قسمه و قام بضائه ،  
و هو القدير العليم .

ولما أفهم ذلك عدم الاكتراث \* بالدنيا لأن الاكتراث\* بها  
١٠ لا يزيدوها ، و التهاون بها لا ينقصها ، فصار ذلك لا يفيد إلا تعجيل النكد  
بالكد و النصب ، و كان مما تقدم أن السيئة من أسباب الحق ، سبب  
عنه الإقبال على إتفاقها في حقوقها إعراضا عنها و إيذانا باهاتها و إيقانا  
بأن ذلك هو استبقاؤها و استثمارها و استمناؤها ، فقال خاصا بالخطاب <sup>٢</sup>  
أعظم المتأملين لتنفيذ أوامره لأن ذلك أرفع في نفوس الاتباع ، و أجدر  
١٥ بحسن القبول منهم و السماع : ﴿ قَات ﴾ يا خير الخلق ! ﴿ ذا القربى حق ﴾  
بادئا به لأنه أحق الناس بالبر ، [ صلة - ' ] للرحم و جودا و كرما

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) في ظ : الرزاق (٣) من ظ و م و مد ، وفي  
الأصل : عليهم (٤) في ظ : ولي (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) في  
ظ : إتفاقها (٧) زيد في ظ : من (٨) من ظ و م و مد ، وفي  
الأصل : لتقيد .

١٣٨ /

(والمسكين) سواء / كان ذا قربى أو لا (و ابن السيل<sup>٤</sup>) وهو المسافر كذلك، والحق الذى ذكر لهما<sup>٥</sup> الظاهر أنه يراد به النقل لا الواجب، لعدم ذكر بقية الأصناف، ودخل الفقير<sup>٦</sup> من باب الأولى .

ولما أمر بالإتياء<sup>٧</sup>، رغب فيه فقال : (ذلك) أى الإتياء العالى الرتبة (خير) ولما كان سبحانه أغنى الأغنياء فهو لا يقبل إلا ما كان هـ خالصا لوجهه لا رياء فيه<sup>٨</sup>، قال معرفا أن ذلك ليس قاصرا على من خص بالخطاب بل<sup>٩</sup> كل من تأسى به نالته بركته (للذين يريدون) بصيغة الجمع، ولما كان الخروج عن المال فى غاية الصعوبة، رغب فيه بذكر الوجه الذى [هو -<sup>١٠</sup>] أشرف ما فى الشيء المعبر به هنا عن الذات و [بتكرير -<sup>١١</sup>] الاسم الأعظم المألوف لجميع الخلق [فقال -<sup>١٢</sup>] : (وجه الله ذ) أى عظمة الملك الأعلى، فيعرفون من حقه ما يتلاشى عندهم على [كل -<sup>١٣</sup>] ما سواه فيخلصون له (و أولئك) العالو الرتبة لغنائم عن كل فان (هم) خاصة (المفلحون هـ) [أى -<sup>١٤</sup>] الذين لا يشوب فلاحهم شيء من الخيبة، وأما غيرهم فخائب، أما إذا لم ينفق فواضح، وأما من أنفق على وجه الرياء بالسمعة والرياء فانه<sup>١٥</sup> خسر ماله، وأبقى عليه وبالاه، و أما من أنفق على وجه الرياء الحقيقى فقد صرح به تعريفاً بعظيم فحشه

---

(١) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ وم ومد فخذتها (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل : انفق (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ : بالايثار . (٤) سقط من ظ (هـ) فى ظ : من (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل : الضعف (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) يزيد من ظ (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل : بواته .

صارفا الخطاب<sup>١</sup> عن المقام الشريف الذي كان مقبلا عليه ، تعريفا بتزده<sup>٢</sup>  
 جنبه عنه ، و<sup>٣</sup> بعد تلك المهمة العلية و السجايا الطاهرة النقية منه ، إلى جهة  
 من يمكن ذلك منهم فقال : ﴿ وما أتيتكم ﴾ أي جئتم [ أي فعلتم -<sup>٤</sup> ]  
 - في قراءة ابن كثير بالقصر<sup>٥</sup> ليعم المعطى والآخذ والمتسبب ، أو<sup>٦</sup> أعطيتم  
 ه - في قراءة غيره بالمد ﴿ من ربا ﴾ أي مال على وجه الربا المحرم  
 أو<sup>٧</sup> المكروه ، وهو أن يعطى عطية ليأخذ في ثوابها أكثر منها ، وكان  
 هذا ما حرم على النبي صلى الله عليه وسلم تشريفا له ، وكره لعامة الناس ،  
 وعلى قراءة ابن كثير بالقصر المعنى : وما جئتم به من إعطاء بقصد الربا  
 ﴿ ليربوا ﴾ أي يزيد ويكثر ذلك الذي أعطيتموه أو فعلتموه ، أو ليزيدوا  
 ١٠ أنتم ذلك - على قراءة المدنيين<sup>٨</sup> ويعقوب بالفوقانية المضمومة ، من : أربي  
 ﴿ في أموال الناس ﴾ [ أي تحصل فيه زيادة تكون أموال الناس  
 ظرفا لها ، فهو كناية عن -<sup>٩</sup> ] أن الزيادة التي يأخذها الربى من أموالهم  
 لا يملكها أصلا ﴿ فلا يربوا ﴾ أي يزكو وينمو ﴿ عند الله ج ﴾ أي الملك  
 الأعلى الذي له الغنى المطلق وكل صفات الكمال ، وكل ما لا يربو عند الله  
 ١٥ فهو غير مبارك بل محقوق لا وجود له ، <sup>١٠</sup> فإنه إلى فناء وإن كثرت <sup>١١</sup> " بمحق  
 الله الربو " ويربى الصدقت .

(١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : لخطاب (٢) من ظ ومد ، وفي  
 الأصل وم : بتزده (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) راجع  
 نثر المرجان ٢٩٨/هـ (٦) في ظ وم ومد « و » (٧) في ظ ومد « و » .  
 (٨) راجع نثر المرجان ٢٩٩/هـ (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد .  
 ١٠٠ (٢٥) و لا



ولما ذكر ما زيادته نقص، أتبعه ما نقصه زيادة فقال: ﴿وما آتيتكم﴾  
 أى أعطيتكم للاجماع على مده<sup>١</sup> لثلاث يوم القصر الترغيب فى أخذ الزكاة  
 ﴿من زكاة﴾ أى صدقة، وعبر عنها بذلك ليفيد الطهارة والزيادة،  
 أى تطهرون بها أموالكم من الشبه، وأبدانكم من مواد<sup>٢</sup> الحبث،  
 وأخلاقكم من الغل والدنس. ولما كان الإخلاص عزيزاً، أشار<sup>٣</sup>  
 إلى عظمته بتكريره فقال: ﴿تريدون﴾ أى بها<sup>٤</sup> ﴿وجه الله﴾ خالصاً  
 مستحضرين لجلاله وعظمته وكاله، وعبر عن الذات بالوجه لأنه الذى  
 يحل / صاحبه ويستحى منه عند رؤيته وهو أشرف ما فى الذات.

١٣٩ /

ولما كان الأصل: فأنتم، عدل به إلى صيغة تدل على تعظيمه  
 بالالتفات إلى خطاب من بحضرته<sup>٥</sup> من أهل قربه وملائكته، لأن العامل<sup>١٠</sup>  
 يجب أن يكون له بعمله لسان [صدق-] فى الخلاق فكيف إذا كان  
 من الخالق، وبالإشارة إليه بأداة البعد إعلاما بعلو رتبته، وأن المخاطب  
 بالإتياء كثير، والعامل قليل وجليل، فقال: ﴿فاولئك﴾ ولعل أفراد  
 المخاطب هنا للترغيب فى الإتياء بأنه<sup>٦</sup> لا يفهم ما لأهله حق فهمه سوى  
 المنزل عليه هذا<sup>٧</sup> الوحي صلى الله عليه وسلم ﴿م﴾ أى خاصة<sup>١٥</sup>  
 ﴿المضعفون﴾ أى الذين ضاعفوا أموالهم فى الدنيا بسبب ذلك بالحفظ  
 والبركة، وفى الآخرة بكثرة الثواب عند الله من عشرة أمثال<sup>٨</sup> إلى ما

(١) راجع نثر الرجاء/ ٣٠٠ (٢) من ظ وم ومده، وفى الأصل: موارد (٣-٣) ورد  
 فى مد بعد «وجه الله» (٤) من م ومده، وفى الأصل و ظ: يحضر (٥) زيد  
 من ظ وم ومده (٦) من م ومده، وفى الأصل و ظ: لأنه (٧) فى ظ  
 ومده: هنا (٨) من ظ م، وفى الأصل ومده: أمثاله.

لا حصر له كما يقال : مقو و موسر و مسمن و معطش - لمن له قوة  
و يسار و سمن في إبله و عطش و نحو ذلك .

و لما وضع بهذا أنه لا زيادة إلا فيما يزيده الله، و لا خير إلا فيما  
يختاره الله، فكان ذلك مرهبا في زيادة الاعتناء بطلب الدنيا، بين  
هـ ذلك بطريق لا أوضح منه فقال : ﴿ الله ﴾ أى بعظيم جلاله لا غيره  
﴿ الذى خلقكم ﴾ أى أوجدكم على ما أنتم عليه من التقدير  
لا تملكون شيئا .

و لما كان<sup>٢</sup> الرزق موزعا بين الناس بل هو ضيق على كثرة عن  
كثير<sup>٣</sup> منهم، فكان رزق من تجدد - لاسيما إن كان<sup>٤</sup> ابنا لفقر - مستبعدا،  
١٠ أشار إليه بأداة البعد فقال : ﴿ ثم رزقكم ﴾ و لما كانت<sup>٥</sup> إمامة المتمكن  
من بدنه و عقله و قوته و أسباب نبه عجيبة، نه عليها بقوله : ﴿ ثم يميتكم ﴾  
و لما كان كل ذلك في الحقيقة عليه هينا<sup>٦</sup>، و كان الإحياء بعد الإمامة إن  
لم يكن أهون من الإحياء أول مرة كان مثله و إن استبعدوه قال :  
﴿ ثم يحييكم ﴾ .

١٥ و لما استغرق بما ذكر جميع ذواتهم و أحوالهم، و كان الشريك

(١) سقط من ظ (٢) في ظ و مد : الطلب (٣) زيد في الأصل : التقدير، ولم  
تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل :  
صيف (٥) زيد في ظ : كانت من إمامة المتمكن من بدنه و عقله و قوته (٦) زيد  
في الأصل : من، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٧) من ظ و م  
و مد، و في الأصل : كان (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل : هنا .

من قام بشئ من العمل أو المعمول فيه، و كان من المعلوم أنه ليس لشركائهم فى شئ من ذلك نوع صنع، قال منكرا عليهم: ﴿هل من﴾ ولما كان إشرائهم بما أشركوا لم تظهر له ثمرة إلا فى أنهم جعلوا لهم جزءا من أموالهم، عبر بقوله: ﴿شركائكم﴾ أى الذين تزعمونهم شركاء ﴿من يفعل من ذلكم﴾ مشيرا إلى علو رتبته بأداة البعد و خطاب الكل . ه  
و لما كان الاستفهام الإنكارى التويخى فى معنى النفي، قال مؤكدا له مستغرقا لكل ما يمكن منه ولو قل جدا: ﴿من شئ﴾ [أى - ٢]  
يستحق هذا الوصف الذى تطلقونه عليه .

و لما لزمهم قطعا أن يقولوا: لا<sup>٢</sup> وعزتكم<sup>١</sup> ما<sup>٣</sup> لهم ولا لأحد منهم فى شئ من ذلك من فعل، أشار إلى عظيم ما ارتكبه به بما أتجه هذا ١٠  
الدليل، فقال معرضا عنهم زيادة فى التعظيم والعظمة، منزها لنفسه الشريفة منها على التزيه بعبء رتبته الشاء من حالهم: ﴿سبحنه﴾ أى تنزه تنزهها لا يحيط به الوصف [من أن يكون محتاجا إلى شريك، فان ذلك نقص عظيم . ولما كان من أخبر بأنه فعل شيئا أو يفعله كالإماتة والإحياء بالبعث وغيره لا يحول بينه<sup>٥</sup> وبينه<sup>٤</sup> المقاوم من شريك ونحوه، قال - ١ : ١٥  
﴿وتعالى﴾ أى علوا لا تصل إليه العقول، كما دلت عليه صيغة التفاعل، و جرت قراءة حمزة والكسائى بالخطاب على الأسلوب الماضى<sup>٦</sup>، وأذنت

- (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الا (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لا (٥ - ٥) ليس فى ظ .  
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) سقط من م .

قراءة الباقي<sup>١</sup> بالغيب<sup>٢</sup> بالإعراض للغضب في<sup>٣</sup> قوله / معبرا بالمضارع  
إشارة إلى أن العاقل من شأنه أنه<sup>٤</sup> لا يقع منه شرك<sup>٥</sup> أصلا، فكيف  
إذا كان على سبيل التجدد والاستمرار: (عما يشركون هـ) في أن يفعلوا  
شيئا من ذلك أو<sup>٦</sup> يقدروا بنوع من أنواع القدرة على أن يحولوا بينه  
هـ و بين شيء مما يريد ليستحقوا بذلك أن يعظموا نوع تعظيم، فنزهوه  
وعظموه بالبراءة من كل معبود سواه .

ولما بين لهم سبحانه [ من - ١ ] حقارة شركائهم ما كان حقهم  
به أن يرجعوا، فلم يفعلوا، أتبعه ما أصابهم به على غير ما كان في  
أسلافهم عقوبة لهم على قبيح ما ارتكبوا، استعطافا للتوبة فقال:  
١٠ (ظهر الفساد) أى النقص في جميع ما ينفع الخلق (في البر)  
بالقطط<sup>١</sup> والخوف ونحوهما (والبحر) بالفرق وقلة الفوائد من الصيد  
ونحوه من كل ما كان يحصل منه قبل<sup>٢</sup>، وقال البغوى<sup>٣</sup>: البر البوادي  
والمفاوز، والبحر المدائن والقرى التى على المياه الجارية، قال عكرمة:  
العرب تسمى المصر بحرا . ثم بين سببه بقوله: (بما) ولما أغنى  
١٥ السياق بدلالته على السيئات عن الاعتغال قال: (كسبت) أى عملت

(١) راجع نثر المرجان هـ/ ٣٠١ و ٣٠٢ (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) من م  
ومد، وفي الأصل وظ: ان (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: شربي (٥) من  
ظ وم ومد وفي الأصل «و» (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من ظ  
وم ومد، وفي الأصل: بالحفظ (٨) سقط من ظ وم ومد (٩) في معالم  
التنزيل بهامش لباب التأويل هـ / ١٧٤ .

من الشر عملا هو من شدة تراميهم إليه وإن كان على أدنى الوجوه  
بما أشار إليه تهميد الفعل كأنه مسكوب<sup>١</sup> من علو، ومن شدة إلتقان  
شره كأنه مسبوك<sup>٢</sup>.

ولما كان أكثر الأفعال باليد، أسند إليها ما يراد به الجملة مصرا  
بعموم كل ما له أهلية التحرك فقال: ( ابدى الناس ) أى عقوبة لهم ٥  
على فعلهم . ولما ذكر علته البدائية، فنى بالجزائية فقال: ( لنذيقهم )  
أى بما لنا من العظمة<sup>٣</sup> فى رواية قبل<sup>٤</sup> عن ابن كثير بالنون لإظهار العظمة  
فى الإذاعة للبعض و العفو عن البعض، و قراءة الباقيين بالتحتانية على سنن  
الجلالة الماضى<sup>٥</sup>؛ و أشار إلى كرمه سبحانه بقوله: ( بعض الذى عملوا )  
أى وباله وحره و حرقة، و يفو عن كثير إما أصلا و رأسا، وإما ١٠  
عن<sup>٦</sup> المعالجة به و يؤخره إلى وقت ما فى الدنيا، أو إلى الآخرة، و المراد  
الجزاء بمثل أعمالهم جزاء لها<sup>٧</sup> تعبيرا عن المسبب بالسبب الذى أتوه إلى  
الناس فيعرفوا<sup>٨</sup> إذا سلبوا المال مقدار ما ذاق منهم ذلك الذى سلبوه،  
و إذا قل<sup>٩</sup> لهم حيم حرارة ما قاسى حيم من قتلوه، ونحو ذلك مما  
استهانوه لما أتوه إلى غيرهم من الأذى البالغ و هم يتضحكون و يعجبون ١٥

(١) ف: ظ: مسكوب (٢) من ظ و مد، وفي الأصل وم: مسكوب (٣) زيدت  
الواو في الأصل و ظ، ولم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٤) راجع شر  
المرجان ٥. ٣٠٠/ (٥) ف: ظ و مد: الماضية (٦) ف: ظ: من (٧) ف: ظ: لهم.  
(٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فينصرفوا (٩) من م و مد، وفي  
الأصل و ظ: قيل.

من جزعه و يستهزؤن غافلين عن شدة ما يعاني من أنواع الحرق هو  
و من يمو عليه أمره، و يهمله شأنه، و يده قد غلظا عن المساعدة العجز،  
و قصرها الضعف و القهر؛ ثم تلك بالعلة الغائية فقال: ﴿لعلهم يرجعون﴾  
[أى - ١] ليكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجى رجوعه عن  
ه فعل مثل ذلك خوفا من أن يعاد لهم بمثل ذلك من الجزاء.

و لما كان الإنسان - لنقصه في تقيده بالجزئيات - شديد الوقوف  
مع العقل التجريبي، و كان عليهم بأيام الماضين و وقائع الأولين كافيا لهم  
في العظة<sup>١</sup> للرجوع عن اعتقادهم، و التبرئ من عنادهم، و كانوا - لما لم يروا  
آثارهم / رؤية اعتبار، و تأمل و ادكار، عدوا عن ألم يرها، فبه<sup>٢</sup> سبحانه  
١٠ على ذلك بالاحتجاب عنهم بحجاب العزة، أمرا له صلى الله عليه و سلم  
بأن يأمرهم بالسير للنظر، فقال تأكيدا لمعنى الكلام السابق نصحا لهم  
ورفقا بهم: ﴿قل﴾ أى لهؤلاء الذين لا هم لهم إلا الدنيا، فلا<sup>٣</sup> يعبرون  
فيما ينظرون من ظاهر إلى باطن: ﴿سيروا﴾ و أشار إلى استغراق<sup>٤</sup>  
ديار المهلكين كل [حد - ٦] ما حولهم من الجهات كما يلف فقال:  
١٥ ﴿في الأرض﴾ فان سيركم الماضى لكونه لم يصحبه عزة<sup>٥</sup> عدم.

و لما كان المراد الانقياد<sup>٦</sup> إلى التوحيد، و كان قد ذكرهم بما أصابهم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : العظمة.  
(٣ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لم يرعاقبه (٤) قى ظ : فلم (ه) من  
ظ و مد، و فى الأصل و م : الاستغراق (٦) زيد من ظ و مد (٧) من م  
و مد، و فى الأصل : غيره (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بالانقياد.

على نحو ما أصاب به الماضين قال: ﴿ فانظروا ﴾ بفاء التعقيب، و لما  
 كان ما أحله بهم<sup>١</sup> فى غاية الشدة، عرفهم<sup>٢</sup> بذلك، فساق<sup>٣</sup> مساق الاستفهام  
 تخويفا لهم من إصابتهم بمثله فقال: ﴿ كيف ﴾ و لما كان عذابهم  
 مهولا. و أمرهم شديدا و ييلا، دل عليه بتذكير الفعل فقال: ﴿ كان عاقبة ﴾  
 أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ و لما كان المراد طوائف المذنبين، و كانوا بعض  
 من مضى، فلم يستغرقوا الزمان، بقض فقال: ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل  
 أيامكم أذاقهم الله وبال أمرهم، و أوقعهم فى حفار مكرهم.  
 و لما كان هذا التنبيه كافيا فى الاعتبار، فكان سامعه جديرا بأن  
 يقول: قد تأملت فرأيت آثارهم عظيمة، و صنائعهم مكينة، و مع ذلك  
 فدنهم خالية<sup>٤</sup> و بيوتهم<sup>٥</sup> خاوية<sup>٦</sup>، قد ضربوا بسوط العذاب، فعلمهم<sup>٧</sup> الخسار<sup>٨</sup>.  
 و التباب، فمالهم عذبوا، فأجيب بقوله: ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾  
 فلذلك أهلكناهم و لم تغن عنهم كثرتهم، و أنجينا المؤمنين و ما  
 ضررتهم قلتهم

و لما كانوا مع كثرة مرورهم على ديارهم، و نظيرهم<sup>٩</sup> لآثارهم، و سماعهم  
 لآخارهم، لم يتعظوا، أشير إلى أنهم عدم، بصرف الخطاب عنهم،<sup>١٠</sup>  
 و توجيهه<sup>١١</sup> إلى السامع المطيع، فقال مسيا عما مضى من إقامة الأدلة

- (١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لهم (٢-٣) من ظ، و فى الأصل و م و مد:  
 ذلك بسو (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خاوية (٥) فى ظ و مد: بيوتها.  
 (هـ) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خالية (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل:  
 فمنهم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تطيرهم (٨) من ظ و م و مد، و فى  
 الأصل: توجيههم.

نظم الدرر (سورة الروم ٣٠: ٤٣ و ٤٤) ج - ١٥

و الوعظ والتخويف : ﴿ فاقم ﴾ أى يا من لا يفهم عناحق الفهم سواء ،  
لانا فضلناه على جميع الخلق ﴿ وجهك ﴾ أى لا تلقه أصلا  
﴿ للدين القيم ﴾ الذى لا عوج فيه بوجه ، بل هو عدل كله ، من التبرئ  
من الأوثان إلى التلبس بمقام الإحسان ، فالزمه واجمله بنصب عينك  
ه لا تغفل عنه ولا طريقة عين ، لكونه سهلا فيما تسبب الإعانة عليه في  
الظاهر [ بالبيان الذى ليس معه خفاء ، وفي الباطن - ١ ] بالجليل عليه  
حتى أنه ليقبله الأعمى والأصم والأخرس ، ويصير فيه كالجليل رسوخا .  
ولما كان حفظ الاستقامة عزيزا ، أعاد التخويف لحفظ أهلها ، قال  
ميسرا الأمر<sup>١</sup> بعدم استغراق الزمان بآثبات الجار ، إشارة إلى الرضا  
١٠ باليسير من العمل ولو كان ساعة من نهار ، بشرط الاتصال بالموت :  
﴿ من قبل ﴾<sup>٢</sup> وفك<sup>٣</sup> المصدر للتصريح بالاستقبال فقال :  
﴿ ان يأتى يوم ﴾ أى عظيم ، وهو يوم القيامة ، أو الموت ، وأشار  
إلى تفرد سبحاته في الملك بقوله : ﴿ لا مرد له<sup>٤</sup> ﴾ ولقت الكلام في  
رواية قبل<sup>٥</sup> من مظهر العظمة إلى أعظم منه لاقتضاء المقام ذلك<sup>٦</sup>  
١٥ [ وأظهر في رواية الباقيين ثلاثا يتوهم عود الضمير إلى الدين فقال - ١ ] :  
﴿ من الله ﴾ وإذا لم يردده هو لوعده بالإتيان<sup>٧</sup> به ، وهو ذو الجلال

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) فظ ومد : للاس (٣-٢) من م ومد ، وفيه  
الأصل و ظ : ذلك (٤) وقع في ظ ومد قبل ه من الله مع تكراره ه  
الأصل هناك (٥) وقد مضى في لبيذيقهم (٦-٧) سقط ما بين الرقين من  
ظ ومد (٧) في ظ : بالآيات .



والإكرام، فمن الذى يرده .

ولما حقق إتيانه<sup>١</sup>، فصل أمره مرغبا مرهبا، فقال: (يومئذ )

أى إذ يأتى (يصدعون<sup>٢</sup>) أى تتفرق الخلائق [كلهم -<sup>٢</sup>] فرقة قد

تحق على بعضهم - بما أشار إليه الإدغام، فيقولون: ما لنا لا نرى

١٤٣ /

رجالا كنا نعدم من الأشرار .

٥

ولما كان [المعنى -<sup>٢</sup>] أنهم فريق فى الجنة وفريق فى السعير،

بين ذلك بيان عاقبة سبيه فى جواب من كأنه قال: إلى أين يتفرقون؟

قائلا: (من كفر<sup>٣</sup>) أى منهم [فعمل شيئا -<sup>٢</sup>] (فعلبه<sup>٤</sup>) أى لا على<sup>٥</sup>

غيره (كفره<sup>٥</sup>) [أى وباله -<sup>٢</sup>]، وعلى أنفسهم يعتدون [ولها يهدمون -<sup>٢</sup>]

فيصيرون فى ذلك اليوم إلى النار التى هم بها مكذبون<sup>٦</sup>، ومن كان ١٠

عليه كفره الذى أوبقه إلى الموت، فلا خلاص له فيما بعد القوت<sup>٧</sup>،

ووحده الضمير ردا له على لفظ [من -<sup>٢</sup>] نضا على أن كل واحد مجزى

بعمله لا المجموع من حيث هو مجموع، وإفهاما لأن الكفرة<sup>٨</sup> قليل

وإن كانوا أكثر من المؤمنين، لأنهم لأمولى لهم، ولتفرق كلمتهم

”تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى“ [الآية، و -<sup>٢</sup>] لأنه لا اجتماع بين أهل ١٥

النار ليتأسى بعضهم ببعض، بل كل منهم فى شغل شاغل عن معرفة ما

(١) فى ظ: اثباته (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) زيد من ظ ومد .

(٤) سقط من م (٥) سقط من ظ (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ:

يكذبون (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: الموت (٨) فى ظ: الكثرة .

(٩) آية ١٤ من سورة الحشر.

يتفق لغيره ﴿و من عمل صالحا﴾ [أى - ١] بالإيمان وما يترتب عليه، وأظهر<sup>٢</sup> ولم يضمن لثلاث يتوهم عود الضمير على "من كفر" وبشارة بأن أهل الجنة كثير وإن كانوا قليلا، لأن الله مولاهم فهو يزكيهم ويؤيدهم، وفي جمع<sup>٣</sup> الجزاء مع أفراد الشرط<sup>٤</sup> ترغيب في العمل من غير نظر إلى مساعد<sup>٥</sup> بأنه ينفع نفسه و غيره، لأن المؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضا، وأقل ما ينفع والديه وشيخه في [ذلك - ١] العمل، وعبر بالنفس<sup>٦</sup> ليدل - بعد الدلالة على إرادة العامل ومن شايه حتى كان بحكم اتحاد القصد<sup>٧</sup> إياه - على أن العمل الصالح يزكي النفوس ويطهرها<sup>٨</sup> من رذائل الأخلاق، فقال: ﴿فلا أنفسهم﴾ [أى - ١٠] خاصة أعمالهم [ولهم خاصة عملهم الصالح - ١١] ولا أنفسهم ﴿يمهدون لا﴾ أى يسوون و يوطئون منازل في القبور والجنة، بل<sup>٩</sup> وفي الدنيا فإن الله يعزهم بعز طاعته، والآية من الاحتباك: حذف أولا عدوانهم<sup>١٠</sup> على أنفسهم لما دل عليه من المهد، وثانيا كون العمل خاصا<sup>١١</sup> بهم لما دل عليه من كون الكفر على صاحبه خاصة، [وأحسن من هذا أن

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يظهر.  
(٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: جميع (٤: ٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: افراطه افراط (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: متاء (٦) في الأصل: بياض، ملائناه من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: المقصد (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يظهر (٩) سقط من ظ و مد.  
(١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من ظ (١٢) من ظ و مد، وفي الأصل و م: عداوتهم (١٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: خلقا.

يقال: ذكر الكفر الذى هو السبب دليلا على الإيمان ثانيا، والعمل

الصالح الذى هو الثمرة ثانيا دليلا على العمل السىء أولا - [١].

ولما فرغ من بيان تصدعهم، ذكر علته فقال: (ليجزى) أى

الله سبحانه الذى أنزل هذه السورة لبيان أنه ينصر أوليائه لإحسانهم لأنه

مع المحسنين، ولذلك اقتصر هنا على ذكرهم فقال: (الذين آمنوا) ٥

أى<sup>٢</sup> ولو على أدنى الوجوه (و عملوا) أى تصديقا لإيمانهم (الصلحت)

ولما كانت الأعمال نعمة منه، فكان الجزاء محض إحسان، قال:

(من فضله).

ولما كان تنعيمهم من أعظم عذاب الكافرين الذين كانوا يهزؤون

بهم و يضحكون منهم، علله بقوله على سبيل التأكيد دفعا لدعوى من ١٠

يظن أن إقبال الدنيا على العصاة لمحبة الله لهم: (انه لا يجب الكافرين ٥)

أى لا يفعل مع العريقين فى الكفر فعل المحب، فلا يسويهم بالمؤمنين،

وعلم من ذلك ما طوى من جزائهم، فالآية من وادى الاحتباك، وهو

أن يؤتى بكلامين يحذف من<sup>٣</sup> كل منهما شيء ويكون نظمهما بحيث يدل<sup>٤</sup>

ما أثبت فى كل على ما حذف من الآخر، فالتقدير هنا بعد ما ذكر ١٥

من جزاء الذين آمنوا أنه<sup>٥</sup> يجب المؤمنين / ويجزى الذين كفروا و عملوا ١٤٣ /

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من

ظ و م و مد، وفى الأصل: يميزون (٥) من ظ م و مد، وفى الأصل:

نظمها (٦) زيد فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

(٧) زيد فى ظ: لا.

السيئات بعدله لأنه<sup>١</sup> لا يحب الكافرين، فغير النظم لبدل مع دلالة كما ترى على ما حذف على أن إكرام المؤمنين هو المقصود بالذات، وهو بعينه إرغام الكافرين،<sup>٢</sup> وعبر<sup>٣</sup> في شق المؤمنين بالمتهم الذي هو المراد من حجة الله [لأنه - ٢] أسر. وفي جانب الكافرين بالمبدأ الذي هو مجاز لأنه أنكأ وأضر.

ولما ختم في أول السورة الآيات الدالة على الوحدانية المستلزمة للبعث لأن<sup>٤</sup> به تمام ظهور الحكمة، وانكشاف غطاء القلوب عن صفات العظمة، بأن قيام السماء والأرض بأمره [و- ٣]، أتبع ذلك ما<sup>٥</sup> اشتد التحامه به، وختمه بيفض الكافرين بعد ذكر يوم البعث، أتبعه ذكر ما ١٠ حفظ به قيام الوجود، وهو الرياح، يجعلها سببا في إدراج النعم التي منها ما هو أعظم أدلة البعث وهو النبات، وهي<sup>٦</sup> يحملتها دليل ذلك، وسبب القرار في البر والسير<sup>٧</sup> في البحر الموصل<sup>٨</sup> لمنافع بعض البلاد إلى بعض، وبذلك انتظم الأمر لأهل الأرض، فاستعمل<sup>٩</sup> المؤمن منهم ما رزقه سبحانه من العقل في النظر في ذلك حتى أداه إلى شكره فأجبه، ١٥ واقتصر الكافر على الدأب فيما يستجلب به<sup>١٠</sup> تلك النعم ويستكثرها، فأبطره ذلك فأوصله إلى كفره فأبغضه، والرياح أيضا أشبه شيء.

(١) في ظ و مد : انه (٢-٢) سقط ما بين الرقعين من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ : لأنه (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل : بما (٦) في ظ : هو (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل : السور. (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل : الموصل (٩) في ظ : فاستعمل.

بالناس ، منها النافع نقعا كبيرا ، ومنها الضار ضرا كثيرا ، [ فقال - ٢ ] :  
 ﴿ ومن آيته ﴾ أى الدلالات الواضحة الدالة على كمال قدرته وتام  
 عليه الدال على أنه هو وحده الذى أقام هذا الوجود ، وكما أنه أقامه  
 فهو يقيم وجودا آخر هو زبدة الأمر ، و محط الحكمة ، وهو أبداع من  
 هذا الوجود ، يبعث فيه الخلق بعد فنائهم ، و يتجلى لفصل القضاء بينهم ،  
 فيأخذ بالحق لظلمهم من ظالمهم ، ثم يصدعهم فيجعل فريقا [ منهم - ٢ ]  
 فى الجنة دار الإعانة والكرامة ، وفريقا فى السعير غار الإهانة والملامة  
 ﴿ ان يرسل الريح ﴾ على سبيل التجدد\* والاستمرار ، وهى ما عدا  
 الدور المشار فى الحديث الشريف إلى الاستعاذة منها اللهم اجعلها  
 رياحا ولا تجعلها ريحا ، وقد تقدم من شرحى لها عند " ومن ١٠  
 يرسل الريح بشرا " فى النمل ما فيه كفاية ، وفى جمعها المجمع  
 عليه هنا لوصفها بالجمع إشارة إلى باهر القدرة ، فان تحويل الريح  
 الواحدة من جهة إلى أخرى أمر عظيم لا قدرة لغيره عليه فى القضاء  
 الواسع ، وكذا إسكانه ، فكيف إذا كانت رياح متعاكسة ، ففى إثارتها  
 كذلك ثم إسكانها من باهر القدرة [ ما - ٢ ] لا يلبه إلا أولو البصائر ١٥  
 ﴿ مبشرات ﴾ أى لكم بكل ما فيه تفعمكم من المطر والروح و برد " الأكباد

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل وم : كثيرا (٢) فى م : ضررا (٣) زيد من ظ  
 وم و مد (٤) زيد فى ظ : الحكمة (٥) فى ظ و مد : التجديد (٦) زيدت  
 الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) آية ٦٣ ، وفى جميع  
 النسخ : ومن آياته أن يرسل (٨) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : لوصفه .  
 (٩) فى ظ و م و مد : بجمع (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لكل .  
 (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : برود .

ولذة العيش .

ولما كان التقدير : ليهلك بها من يشاء من عباده ، أو ليدفع عنكم ما يحصل بفقدوها من نعمته من الحر ، وما يتبعه من انتشار المفسدات ، و اضمحلال المصلحات ، و طواه لأن السياق لذكر النعم ، عطف عليه قوله مثبتا اللام إيضاحا للمطوف / عليه : ﴿ ولذيقكم ﴾ <sup>١</sup> و أشار <sup>٢</sup> إلى عظمة نعمه <sup>٣</sup> بالتبعض في قوله : ﴿ من رحمته ﴾ [ أى نعمه - ٢ ] من المياه العذبة و الأشجار الرطبة ، و صحة الأبدان ، و خصب الزمان ، و ما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها إلا خالقها ، و لا يتصورها حق تصورها إلا من فقد الرياح ، من وجود الروح و زكاه الأرض و إزالة العفونة [ من الهواء - ٢ ] و الإعانة على تذرية <sup>٤</sup> الحبوب و غير ذلك ، و أشار إلى عظمة هذه النعمة <sup>٥</sup> و إلى أنها <sup>٦</sup> صارت لكثرة الإلف مغفولا عنها باعادة اللام فقال : ﴿ و لتجرى الفلك ﴾ أى السفن فى جميع البحار و ما جرى مجراها عند هبوبها .

ولما أسند الجرى <sup>٧</sup> إلى الفلك <sup>٨</sup> نزعها منها بقوله : ﴿ بامرء ﴾ أى بما يلائم من الرياح اللينة ، و إذا أراد أعصفها فأغرقت ، أو جعلها متعاكسة فخيرت <sup>٩</sup> و رددت ، حتى يحتال الملاحون بكل حيلة على إيقاف

(١ - ١) فى ظ : فاشار (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالتعبير .  
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تدربه .  
(٥) فى ظ و مد : النعم (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لانها .  
(٧ - ٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : للفلك (٨) من م و مد ، وفى الأصل : فخرت ، وفى ظ : فخرت .

السفن لثلا تتلف<sup>١</sup>

ولما كان كل من<sup>٢</sup> مجرد السير فى البحر والتوصل به من بلد  
[ إلى بلد -<sup>٣</sup> ] نعمة فى نفسه، عطف على " لتجرى " قوله، منها باعادة  
اللام<sup>٤</sup> ايضاحا للعطوف عليه<sup>٥</sup> [ على تعظيم النعمة -<sup>٦</sup> ] : ( و لتبتغوا )  
أى تطلبوا طلبا ماضيا بذلك السير، وعظم ما عنده بالتبعض فى قوله : هـ  
( من فضله ) عما يسخر<sup>٧</sup> لكم من الريح بالسفر للتجر من بلد إلى بلد  
' والجهاد وغيره<sup>٨</sup> ( و لعلكم ) أى و لتكونوا إذا فعل بكم ذلك على  
رجاء [ من -<sup>٩</sup> ] أنكم ( تشكرونه ) ما أفاض عليكم سبحانه من نعمه،  
[ ودفع عنكم من نعمه -<sup>١٠</sup> ] .

ولما كان التقدير: فمن شكر أذاقه من رحمته، ومن كفر أنزل ١٠  
عليه من نعمته، وكان السياق كله لنصر أوليائه وقهر أعدائه، وكانت  
الرياح مبشرات و منذرات كالرسل، وكانت موصوفة بالخير كما فى  
الصحيح عن عائشة رضى الله عنها " فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين  
يلقاه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة "، وكانت فى  
كثرة منافعتها وعمومها إن كانت نافعة، ومضارها إن كانت ضارة، ١٥  
أشبه شئ بالرسل فى إنعاش قوم وإهلاك<sup>١١</sup> آخرين، وما ينشأ عنها كما

(١) من ظ وم ومد، وفى الاصل: تتلف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ  
وم ومد (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ وم ومد (٥) فى ظ: يسخر.  
(٦-٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: وغيره والجهاد وبلده (٧) أخرجه  
من طريق عبدان عن عداقه فى أثناء بدء الوحي (٨) زيد فى ظ: قوم.

ينشأ عنهم . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن  
 أبي موسى رضي الله عنه : البخارى فى العلم<sup>١</sup> . و مسلم فى المناقب<sup>٢</sup> ، مثل  
 ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ،  
 فكانت طائفة منها طية قبلت الماء وأنبت الكلاء والعشب الكثير ،  
 ٥ وكانت منها طائفة أجادب أمسكت الماء ، فنفخ الله بها الناس فشرخوا  
 وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك  
 ماء ولا<sup>٣</sup> تنبت كلاء ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله  
 به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى  
 أرسلت به . ولما كان الأمر كذلك ، عطف على قوله ” ينصر من يشاء “  
 ١٠ وقوله ” ثم كان عاقبة الذين أساءوا السواى “ أو على ما تقديره تسييا<sup>٤</sup>  
 عن قوله ” فاقم وجهك للدين القيم “ : فلقد أرسلناك بشيرا لمن أطاع  
 بالخير ، ونذيرا لمن عصى / بالشر ، قوله مسلما لهذا النبي الكريم ،  
 ١٤٥ / عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وأتباعه ، ولفت الكلام إلى مقام العظمة  
 لاقتضاء سياق الانتقام لها<sup>٥</sup> ، وأكد إشارة إلى أن الحال باشتداده

(١) باب فضل من علم وعلم (٢) باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم  
 من الهدى والعلم (٣) من ظ و م و مد والصحيحين ، وفى الأصل : ماء -  
 كذا (٤) فى ظ : تبعه (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سيبا (٦) من ظ  
 و م و مد ، وفى الأصل : فقد (٧) العبارة من هنا إلى «إرسال البشر» سابقة  
 من ظ و مد .



وصل إلى حالة اليأس، أو لإنكار<sup>١</sup> كثير من الناس إرسال البشر:  
( ولقد أرسلنا ) بما لنا من العزة .

ولما كانت العناية بالإخبار بأن عادته<sup>٢</sup> ما زالت قديما وحديثا  
على نصر أوليائه، قال معلما بأثبت الحار أن الإرسال [ بالفعل -<sup>٣</sup> ]  
لم يستغرق زمان قبل، أو أن الكلام في خصوص الأمم المهلكة : هـ  
( من قبلك ) مقاما له على ( رسلا ) أو<sup>٤</sup> للتيه على أنه خاتم النبيين  
بتخصيص<sup>٥</sup> إرسال غيره بما قبل زمانه، وقال : ( إلى قومهم ) إعلاما  
بأن بأس الله إذا جاء لا ينفع فيه قريب ولا بعيد، وزاد في التسلية  
بالتذكير إشارة إلى شدة أذى القوم لأنبيائهم حيث لم يقل « إلى قومها » .

ولما كان إرسال الله سببا<sup>٦</sup> لاحالة لليان الذى لا لبس معه قال : ١٠  
( فجاءهم بالبينت ) فانقسم قومهم إلى مسلمين و<sup>٧</sup> مجرمين ( فانقمنا )  
أى فكانت معاداة المسلمين للمجرمين فينا سببا لانا انتقمنا بما لنا من  
العظمة ( من الذين اجرموا ) لإجرامهم، وهو قطع ما أمرناهم بوصله  
اللازم منه وصل ما أمروا بقطعه، فوصلوا الكفر و قطعوا الإيمان،  
نفذناهم وكان حقا علينا قهر المجرمين، إكراما لمن عادوهم فينا، وأنعمنا ١٥  
على الذين آمنوا فنصرناهم .

ولما كان محط الفائدة إلزامه سبحانه لنفسه بما تفضل به، قدمه

- (١) من م، وفي الأصل وظ ومد : لانكاد (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل :  
عادت (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) فظ : اى (٥) في ظ وم مد : لتخصيص .  
(٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل : مسيا (٧) زيد في ظ : الى .

تعبجلا للسرور و تطيبيا للنفوس فقال: ﴿وكان﴾ أى على سبيل الثبات  
و الدوام ﴿حقا علينا﴾ أى بما أوجبه لوعدنا الذى لاخلف فيه  
﴿نصر المؤمنين﴾ أى العريقين فى ذلك الوصف فى الدنيا والآخرة،  
لم يزل هذا دأبنا فى كل ملة على مدى الدهر، فان هذا من الحكمة التى  
لا يبغي إعمالها، فليعتد هؤلاء لمثل هذا، و يأخذوا لذلك أهبة<sup>١</sup> لينظروا  
من المغلوب و هل ينفعهم شيء؟ و الآية من الاحتباك: حذف أولا  
الإهلاك الذى هو أثر الخذلان لدلالة النص<sup>٢</sup> عليه، و ثانيا الإنعام لدلالة  
الانتقام عليه.

و لما أقام سبحانه الدليل على البعث و إقامة الوجود بتصريفه الرياح  
١٠ كيف شاء، [و-٢] أتبعه آية التسلية و التهديد، و كان عذاب المذكورين  
فيها بالريح أو ما هى سببه<sup>٣</sup> أو لها مدخل فيه، أتبع ذلك الإعلام بأنه  
مختص بذلك سبحانه تنبيها على عظيم آية الرياح للحض على تدبرها،  
مؤكدًا لأمر البعث و مصرحًا به، فقال ثانيا الكلام عن مقام العظمة  
الذى اقتضته النعمة إلى الاسم الأعظم الجامع الذى نظره إلى النعمة  
١٥ أكثر من نظره إلى النعمة: ﴿الله﴾ أى وحده ﴿الذى يرسل﴾ مرة  
بعد أخرى<sup>٤</sup> لانه المتفرد<sup>٥</sup> بالكمال فلا كفوه له: ﴿الريح﴾ مضطربة

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: أهبة (٢) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: النظر (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: مسببة (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مرة (٦) فى ظ  
و مد: المفرد.

هاثجة بعد أن كانت ساكنة، و فى قراءة الجمهور بالجمع<sup>١</sup> خلافا لابن كثير  
وحمة والكسائي<sup>٢</sup> تنبيه على عظيم الصنع فى كونه يفعل ما ذكره بأى  
ريح أراد / ﴿ فثير سخابا ﴾ لم يكن له وجود .

١٤٦ /

ولما أسند الإثارة إلى الرياح . نزع الإسناد إليها فى البسط و التقطيع  
فانه<sup>٣</sup> لم يجعل فيها قوة شيء من ذلك ليعلم أن الكل فعله فقال : ﴿ فيسطه ﴾ هـ  
بعد اجتماعه ﴿ فى السماء ﴾ أى جهة العلو .

ولما كان أمر السحاب فى غاية الإعجاب فى وجوده بعد أن لم يكن  
و أشكاله و ألوانه<sup>٤</sup> و جميع<sup>٥</sup> أحواله فى اجتماعه و اقترانه [ وكثافته - ° ]  
ورقه و ما فيه من مطر و رعد و برق و غير ذلك مما لا يعلمه حق عليه  
إلا الله تعالى ، أشار سبحانه إلى ذلك بأداة الاستفهام وإن كانوا قد  
عدوها [ هنا - ° ] شرطية فقال : ﴿ كيف ﴾ أى كما ﴿ يشاء ﴾ فى أى  
ناحية [ شاء قليلا - ° ] تارة كسيرة ساعة أو يوم ، و كثيرا<sup>٦</sup> أخرى  
كسيرة أيام على أوضاع مختلفة<sup>٧</sup> تدلّك قطعا<sup>٨</sup> على أنه فعله وحده باختياره  
لا مدخل فيه لطبيعة و لا غيرها .

ولما كان المراد بذلك كونه على هيئة الاتصال ، دل عليه بقوله : د  
﴿ ويجعله ﴾ أى إذا أراد ﴿ كسفا ﴾ أى قطعا غير متصل بعضها ببعض

- (١) فى ظ ومد : بالفتح (٢) راجع نثر المرجان ٢٠٧/٥ (٣) فى ظ ومد : فكانه .  
(٤-٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فى جمع (٥) زيد من ظ و م ومد .  
(٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : كثير (٧-٧) من ظ و م ومد ، وفى  
الأصل : بذلك عطا .

اتصالا بمنع<sup>١</sup> نزول الماء (فقرى) أى<sup>٢</sup> بسبب إرسال الله له أو بسبب جعله ذا مسام و فرج يا من فيه اهلية<sup>٣</sup> الرؤية، أو يا أشرف خلقنا الذى لا يعرف هذا حق معرفته سواء (الودق) أى المطر المتقاطر القريب الواسع (يخرج من خلله) أى السحاب الذى هو اسم جنس فى  
 ٥ حالى الاتصال و الانفصال .

و لما كان سبحانه قد سبب عن ذلك سرور عباده لما يرجون من أثره و إن كانوا كثيرا ما يشاهدون تخلف الأثر لعوارض ينتجها سبحانه، قال مسيبا عن ذلك مشيرا بأداة التحقق إلى عظيم فضله و تحقق إنعامه : (فاذا أصاب) [أى الله - °] (به من) أى أرض من (يشاء) ١٠ و به على [أن - °] ذلك فضل منه لا يجب عليه لأحد أصلا شئ<sup>٦</sup> بقوله : (من عبادة) أى الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم، و هم جديرون بملزمة شكره، و الخضوع لأمره، خاصا لهم بقدرته و اختياره، و بين خفتهم<sup>٧</sup> بأسراعهم إلى الاستبشار مع احتمال العاهات<sup>٨</sup>، جامعا ردا على معنى "من" أو على "العباد" لأن الحفة من الجماعة أخش فقال : ١٥ (إذا هم يستبشرون) أى يظهر عليهم البشر، و هو السرور الذى تشرق له البشرية حال الإصابة ظهورا بالغا عظيما [بما - °] يرجونه [بما - °] يحدث عنه من الأثر النافع من الخصب و الرطوبة و اللين ؛

(١) فى ظ و مد : لا يمنع (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) فى م و مد : يتيحها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى ظ : شيئا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : صفتهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م : الغايات .  
 (٩) زيد من ظ و م و مد .

ثم بين طيشهم وعجزهم بقوله: ﴿وان﴾ أى والحال أنهم ﴿كانوا﴾ فى الزمن الماضى كونا متمكنا فى نفوسهم، وبين قرب بأسهم من استبشارهم دلالة على سرعة انفعالهم<sup>١</sup> وكثرة تقلبهم بالجار، فقال: ﴿من قبل ان ينزل﴾ أى المطر بأيسر ما يكون عليه سبحانه ﴿عليهم﴾ ثم أكد عظم خفتهم وعدم قدرتهم بقوله: ﴿من قبله﴾ أى الاستبشار سواء من غير ه تخلل زمان يمكن أن يدعى لهم فيه تسبب فى المطر ﴿لمبلسين﴾ أى ساكنين على ما فى أنفسهم تحيرا وياسا وانقطاعا، فلم يكن لهم على الإتيان بشيء من ذلك حيلة، ولا لمعبوداتهم صلاحية له<sup>٢</sup> باستقلال ولا وسيلة . ١٤٧ /

ولما انكشف بذلك الغطاء، وزاحت الشبه، أعرض سبحانه عنهم على تقدير أن يكون "ترى" لمن فيه أهلية الرؤية<sup>٣</sup> إيذانا بأنه<sup>٤</sup> لا فهم لهم<sup>٥</sup> ملتفتا<sup>٦</sup> إلى خلاصة الخلق الصالح للتلقي [عنه -<sup>٦</sup>] قائلا مسيا عن ذلك: ﴿فاظفر﴾ ولما كان المراد تعظيم<sup>٧</sup> النعمة، وأن الرزق أكثر من الخلق، [عبر بحرف الغاية -<sup>٨</sup>] إشارة<sup>٩</sup> إلى تأمل<sup>١٠</sup> الأقصى بعد تأمل الأدنى فقال: ﴿الى أثر﴾ ولما لم يكن لذلك سبب<sup>١١</sup> سوى سبق رحمته لغضبه قال: ﴿رحمت الله﴾ الجامع لمجامع العظمة، وأظهر ولم يضمر تنديها على ١٥

- (١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: اتصالهم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الرويا (٤) فى ظ ومد: بأنهم (٥ - ٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: له متفتتا (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: بعظيم، وفى م: بعظيم (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل: اشار (٩) لأن من ظ و م ومد، وفى الأصل: باهل - كذا (١٠) من ظ و م ومد، وفى الأصل: اثر.

نظم الدرر ( سورة الروم ٣٠ : ٥٠ و ٥١ ) ج - ١٥

ما في ذلك من<sup>١</sup> تنامي العظمة في تنوع الزروع بعد سقيا<sup>٢</sup> الأرض  
واهتزازها بالنبات و اخضرار الأشجار واختلاف الثمار<sup>٣</sup>، و تكون الكل  
من ذلك الماء .

و لما كان هذا من الخوارق العظيمة، ولكنه قد تكرر حتى صار  
ه مألوفاً، نه على عظمته بأنه أهل لأن يسأل عنه فقال: ﴿ كيف يحيي ﴾  
أى هذا الأثر أو الله مرة بعد أخرى ﴿ الأرض ﴾ باخراج ما  
ذكر منها .

و لما كانت قدرته على تجديد إحيائها دائمة - على ما أشار إليه  
المضارع<sup>٤</sup> ودعا إليه مقصود السورة<sup>٥</sup>، أشار إلى ذلك أيضاً بترك الجار  
١٠ فقال: ﴿ بعد موتها<sup>٦</sup> ﴾ بانعدام ذلك .

و لما كان هذا دالاً على القدرة على إعادة الموتى و لا بد لأنه مثله  
سواء، فإن جميع ما لا ينبته الآدميون يتفرق في الأرض بعد كونه هشيماً  
تذروه الرياح، و يتفتت بحيث يصير تراباً، فإذا نزل عليه الماء عاد كما  
كان أو أحسن قال: ﴿ ان ذلك ﴾ أى العظيم الشأن الذى قدر على  
١٥ هذا ﴿ يحيي الموتى ﴾ كلها من الحيوانات و النباتات، أى ما زال قادراً<sup>٧</sup>  
على ذلك<sup>٨</sup> ثابتاً له<sup>٩</sup> هذا الوصف و لا يزال ﴿ وهو ﴾ مع ذلك

(١) سقط من ظ (٢) في ظ و م و مد : شقها (٣) من ظ و م و مد ، و في  
الأصل : النهار (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من م (٥) سقط من ظ و مد .  
(٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : قاصراً (٧) زيد في الأصل : بقوله ، ولم  
تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٨) زيد في ظ و مد : على .

على

(على كل شيء) من ذلك و غيره (قدره) لأن نسبة القدرة منه سبحانه إلى كل ممكن على حد سواء .

و لما كان تكرار مشاهدتهم لمثل هذا الاقتدار لا يفيدهم علما بالله تعالى، دل على ذلك بقوله، لافتا الكلام إلى سياق العظمة تنبيها على عظيم عفوه سبحانه مع<sup>١</sup> تمام القدرة، مؤكدا له غاية التأكيد، تنبيها ه على أنه ليس من شأن العقلاء<sup>٢</sup> عدم الاستفادة بالمواعظ، معبرا بأداة الشك، تنبيها على أن إنعامه أكثر من انتقامه، مؤكدا بالقسم<sup>٣</sup> الإنكارم الكفر<sup>٤</sup>: (وإئن أرسلنا) بعد وجود هذا الأثر الحسن (ربحا) عقبا (فراده) أى الأثر<sup>٥</sup>، ويجوز أن يكون الضمير للريح من<sup>٦</sup> التعبير بالسبب<sup>٧</sup> عن المسبب (مصفرا) قد ذبل وأخذ في التلف من شدة ١٠ ييس الريح إما بالحر أو البرد (اظلوا) أى لداموا و عزتنا لهذا يحددون الكفر أبدا و إن كان «ظل» معناه: دام نهارا، و عبر بالماضى موضع المستقبل نحو «ليظنن و الله» تأكيدا لتحقيقه، و لعله عبر بالظلول لأن مدة النوم لا تجدد فيها للكفر، و لذلك أتى فيها<sup>٨</sup> بحرف التبعيض حيث قال: (من بعده) أى بعد اصفرا (يكفرون ه) يأسهم من روح ١٥ الله و جحودهم لما أسلف إليهم من النعم / بعد ما تكرر من تعرفه سبحانه ١٤٨ /

(١) ف ظ و مد «و» (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٣-٣) من م، و فى الأصل: الانكارى - و بعده يياض قدر كلمة، و سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الامر (ه-ه) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التسبب (٦) سقط من ظ و مد (٧) سقط من ظ .

إليهم بالإحسان، بعد [ ما - ١ ] التقت حلقتا البطان<sup>٢</sup>، وكان أو كان<sup>٣</sup>،  
فلام عند السراء بالرحمة شكروا، ولا عند الضراء بالنقمة صبروا، بل  
لم يزدوا هناك على الاستبشار، ولا نقصوا هنا شيئاً من تجديد الكفر  
والإصرار، فلم يزالوا لعدم استبصارهم على الحالة المذمومة، ولم يسبقوا<sup>٤</sup>  
• في إزالة النقم، [ ولا إنالة النعم، فكانوا أضل من النعم - ١ ] .

ولما كان هذا كله من حالهم في سرعة الحزن و الفرح في حالتي  
الشدة و الرخاء و إصرارهم على تجديد الكفر دليلاً على خفة أحلامهم،  
وسوء تدبرهم<sup>٥</sup>، فانهم لا للآيات المرتبة يعون، ولا للتلوذ عليهم يسمعون،  
سبب عن ذلك التعريف ' بأن أمرهم' ليس لأحد غيره سبحانه وهو<sup>٦</sup>  
١٠ قد جعلهم [ أموات - ١ ] المعاني، فقال بمثلهم بثلاثة أصناف من  
الناس، وأكدده لأنهم ينكرون أن يكون حالهم كذلك و النبي صلى الله  
عليه وسلم شديد السعي في إسماعهم و الجهد في ذلك: ( فانك ) أى  
استدامتهم لكفرهم هذا تارة في الرخاء و تارة في الشدة ووقفاً مع  
الآثر من غير نظر ما إلى المؤثر و أنت تتلو عليهم آياته، و تنبههم  
١٥ على بدائع بيناته<sup>٧</sup> بسبب أنك ( لا تسمع الموقن ) أى ليس في قدرتك  
إسماع الذين لآحياء لهم، فلا نظر و لا سمع، أو موتى القلوب، إسماعاً

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: البطلان .  
(٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ ، و كتب فوقه في الأصل « كذا » .  
(٤) في ظ و مد : لم يسعوا (٥) في ظ : تدبرهم (٦-٦) في ظ : أن يامرهم -  
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل : بيانه .



يففعهم ، لانه بما اختص به سبحانه ، و هؤلاء منهم من هم مثل الاموات لان الله تعالى قد ختم على مشاعرهم ' ( ولا تسمع ) أى أنت فى قراءة الجماعة غير ابن كثير ' ( الصم ) أى الذين لا سمع ' لهم أصلا ، وذكر ابن كثير الفعل من سمع و رفع الصم على أنه فاعل ، فكان التقدير : فان من مات أو مات قلبه لا يسمع ولا يسمع الصم ( الدعاء ) إذا دعوتهم ، ثم لما كان الأصم قد يحس بدعائك إذا كان مقبلا بجاسة بصره قال : ( اذا ولوا ) وذكر الفعل ولم يقل : ولت ، إشارة إلى قوة التولى ' لتلا يظن أنه أطلق على المجانبة مثلا ، ولذا بنى من فاعله ' حالا هي ' قوله : ( مدبرين ) .

ولما بدأ بفائدة حاسة السمع لأنها أنفع من حيث أن الإنسان ١٠ إنما يفارق غيره من البهائم بالكلام ، أتبعها حاسة البصر مشيرا بتقديم الضمير ' إلى أنه صلى الله عليه وسلم يجتهد فى هدايتهم اجتهدا من كأنه يفعله " بنفسه تدريبا لغيره فى الاقتصاد فى الأمور فقال : ( وما أنت بهد الحمى ) أى بوجود لهم هداية وإن كانوا يسمعون ،

- (١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مسامعهم (٢) راجع نثر المرجان ٣١٢/٥ .  
 (٣) فى ظ : سماع (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : أو (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : القوى (٦) سقط من م (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : م : من (٩) من م ومد ، وفى الأصل : تفاد ، وفى ظ : بها - كذا (١٠) فى ظ ومد : الضمر (١١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : يفعل .

هذا في قراءة الجماعة غير حمزة<sup>١</sup>، وجعله حمزة فعلا مضارعا مستندا إلى  
 المخاطب من هدى، فالتقدير: وما أنت تجدد هداية العمى (عن ضلتهم)<sup>٢</sup>  
 إذا ضلوا عن الطريق فأبعدوا وإن كان أذى ضلال - بما أشار إليه  
 التأنيث، وإن أتعبت<sup>٣</sup> نفسك في نصيحتهم، فأنهم لا يسلكون السيل  
 إلا وأيديهم في يدك<sup>٤</sup> ومتى غفلت عنهم وأنت لست بقيوم رجوعوا إلى  
 ضلالهم، فالمتنى في هذه الجملة في قراءة الجمهور ما تقتضيه الاسمية من  
 دوام الهداية مؤكدا، وفي قراءة حمزة / ما يقتضيه المضارع من التجدد  
 وفي التي قبلها ما تقتضيه الفعلية المضارعة من التجدد ما دام مشروطا  
 بالإدبار، وفي الأولى تجديد السماع مطلقا فهي أبلغ ثم التي بعدها،  
 ١٠ فمئول الصنف الأول [من - °] لا يقبل الخير بوجه ما مثل أبي جهل  
 وأبي بن خلف، والثاني من [قد - °] يقارب<sup>٥</sup> مقارنة ما<sup>٦</sup> مثل عتبة  
 ابن ربيعة حين كان يقول لهم: خلوا بين هذا الرجل وبين الناس،  
 فإن أصابوه فهو ما أردتم وإلا فعزه عزمكم، والثالث المناقون، وعبر في  
 الكل بالجمع لأنه أنكا - والله الموفق .

/ ١٤٩

١٥ ولما كان ذلك<sup>٧</sup> كناية عن إيغالهم في الكفر، بيته [بيان أن  
 المراد موت القلب وصممه وعماه لا الحقيقي -<sup>٨</sup>] بقوله: (إن) أي ما

(١) راجع نثر المرجان ٣١٢/٥ (٢) فظ: اتعب (٣) من ظ و م و مد، وفي  
 الأصل: يديك (٤) في ظ: من (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) من ظ  
 و م و مد، وفي الأصل: تقاربه هنا (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل:  
 هذا (٨) زيد من ظ و مد، وزيادة م ليست بمستثينة .

تسمع

( تسمع الا من يؤمن ) أى يحدد إيمانه مع الاستمرار مصداقا  
 ( بآيتنا ) أى فيه قابلية ذلك دائما، فهو يذعن<sup>١</sup> للآيات المسموعة،  
 و<sup>٢</sup> يعتبر بالآيات المصنوعة، و أشار بالإفراد فى<sup>٣</sup> الشرط إلى أن لفت الواحد  
 عن رأيه أقرب من لفته وهو مع غيره، و أشار بالجمع فى الجزء إلى  
 أن هذه الطريقة إن سلكت كثر التابع<sup>٤</sup> فقال: ( فهم ) أى قسب<sup>٥</sup>  
 عن قبولهم لذلك أنهم ( مسلمون ) أى متقادون للدليل غاية الاتقياد  
 غير جامدين مع<sup>٦</sup> التقليد .

ولما دل سبحانه على قدرته على البعث بوجوه من الدلالات،  
 تارة فى الأجسام، و تارة فى القوى، و أكثر على ذلك فى هذه السورة  
 من الحجج اليقينية، و ختم بأنه لا يبصر هذه البراهين إلا من حسنت<sup>١٠</sup>  
 طويته، فلانت للأدلة عريكته، و طارت فى فياق المقادير بأجنحة العلوم<sup>٦</sup>  
 فكرته و رويته، وصل بذلك دليلا جامعيا بين القدرة على الأعيان  
 و المعانى إبداء و إعادة، و لذلك لفت الكلام إلى الاسم الجامع و لفته<sup>٧</sup>  
 إلى الخطاب للتعظيم و الاستعطاف بالتشريف، فقال مؤكدا إشارة إلى أن  
 ذلك دال<sup>٨</sup> على قدرته على البعث و لابد و هم ينكرونها، فكأنهم ينكرونها،<sup>١٥</sup>  
 فانه لا انفكاك لأحدهما عن الآخر: ( الله ) أى الجامع لصفات

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يذهن (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م  
 و مد، وفى الأصل: من (٤) فى ظ: التابع (٥) من ظ و م و مد، وفى  
 الأصل: فى (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المقادير (٧) من ظ و مد،  
 وفى الأصل: م؛ لفت .

الكامل [ وحده - ' ] .

ولما كان تعريف الموصول<sup>١</sup> ظاهرا غير ملبس، عبر به دون اسم  
الفاعل فقال: ﴿الذى خلقكم﴾ أى من العدم . ولما كان محط حال  
الإنسان وما عليه أساسه وجبلته الضعف، وأضعف<sup>٢</sup> ما يكون في أوله  
قال: ﴿من ضعف﴾ أى مطلق - بما أشارت إليه قراءة حمزة  
وعاصم<sup>٣</sup> بخلاف عن حفص بفتح الضاد، وقوى بما أشارت إليه قراءة  
الباقيين بالضم، أو من الماء المهيئ إلى ما شاء الله من الأطوار، ثم [ ما - ' ]  
شاء الله من سن الصبي .

ولما كانت تقوية [ المعنى - ' ] الضعيف مثل إحياء الجسد الميت  
١٠ قال: ﴿ثم جعل﴾ عن سبب و تصيير بالتطوير في أطوار الخلق بما  
يقيمه من الأسباب . ولما كان ليس المراد الاستغراق عبر بالجار فقال:  
﴿من بعد﴾ ولما كان الضعف الذى تكون عنه القوة غير الأول،  
أظهر ولم يضر فقال: ﴿ضعف قوة﴾ بكبر العين والاشتراف من حال  
الترعرع إلى القوة بالبلوغ إلى التمام في أحد وعشرين عاما، وهو ابتداء  
١٥ سن الشباب إلى سن الاكتمال يبلوغ الأشد في [ اثنين و - ' ] أربعين  
/ عاما فلو [ لا - ' ] تكرر مشاهدة ذلك لكان خرق العادة في إيجاد  
بعد عدمه<sup>٤</sup> مثل إعادة الشيخ شابا بعد هرمه ثم جعل من بعد قوة في

/ ١٥٠

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اللامول .  
(٣) سقط من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل:  
فقال (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الاز (٧) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل: غزمه .

شباب تقوى به القلوب، وتحمى له الأنوف، وتشمخ من جرائه النفوس  
(ضعفا) ردا لما لكم إلى أصل حالكم .

ولما كان يابض الشعر يكون غالبا من ضعف المزاج قال:  
(وشية) وهى<sup>١</sup> يابض فى الشعر ناشئ<sup>٢</sup> من برد فى المزاج  
ويس يذبل بهما الجسم، وينقص الهمة والعلم، وذلك بالوقوف من هـ  
الثالثة والأربعين، وهو أول سن الاكتهال وبالأخذ فى النقص بالفعل  
بعد الحسنيين إلى أن يزيد النقص فى الثالثة والستين، وهو أول سن  
الشيخوخة، ويقوى الضعف إلى ما شاء الله تعالى .

ولما كانت هذه هى العادة الغالبة وكان الناس متفاوتين فيها،  
وكان من الناس من يظن فى السن وهو قوى، أتج ذلك كله<sup>٣</sup> ولا بد - ١٠  
التصرف<sup>٤</sup> بالاختيار مع شمول العلم وتام القدرة فقال: (يخلق ما يشاء)  
أى من هذا وغيره (وهو العليم) أى البالغ العلم فهو يسبب ما أراد  
من الأسباب لما يريد لإيجاده أو<sup>٥</sup> إعدامه (القدير) فلا يقدر أحد على  
إبطال شيء من أسبابه، فذلك لا يتخلف شيء أراحه عن الوقت الذى  
يريد فيه أصلا، وقدم صفة العلم لاستيعابها للقدرة التى المقام لها، فذكرها ١٥  
إذن تصرح بعد تلويح، وعبرة بعد إشارة .

(١) من م ومد، وفى الأصل: حره، وفى ظ: حرارة - كذا (٢) من ظ  
وم ومد، وفى الأصل: هو (٣) فى ظ: تاقى (٤) فى ظ: ههنا (٥) سقط  
من ظ (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: التعرف (٧) من ظ وم ومد،  
وفى الأصل: د و .

ولما ثبتت قدرته على البعث وغيره ، عطف على قوله أول السورة  
 ” و يوم تقوم الساعة يلبس المجرمون “ أو على ما تقديره : فيوم يريد  
 موتكم تموتون ، لا تستأخرون عن لحظة الأجل و لا تستقدمون ، قوله :  
 ﴿ و يوم تقوم الساعة ﴾ أى القيامة التى هى إعادة الخلائق الذين كانوا  
 بالتدرج فى ألوف من السنين لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى فى أقل من  
 لمح البصر ، ولذا سميت بالساعة إعلاما يسرها عليه سبحانه  
 ﴿ يقسم المجرمون لا ﴾ [أى - ٢] العريقون فى الإجرام جريا منهم على  
 ديدن الجهل فى الجزم ٢ بما لم يحيطوا به علما : ﴿ ما ﴾ أى أنهم ما  
 ﴿ لبوا ﴾ فى الدنيا والبرزخ ﴿ غير ساعة ﴾ أى قدر يسير من  
 ١٠ ليل أو نهار .

ولما كان هذا أمرا معجبا لأنه كلام كذب بحيث يؤثر أشد  
 الفضيحة والخزي<sup>١</sup> فى ذلك الجمع الأعظم مع أنه غير مغن شيئا ، استأنف  
 قوله تنبيها على أنه الفاعل له : فلا عجب ﴿ كذلك ﴾<sup>٢</sup> أى مثل ذلك  
 الصرف عن حقائق الأمور إلى شكوكها ﴿ كانوا ﴾ فى الدنيا كونا هو  
 ١٥ كالجلبة ﴿ يؤفكون ه ﴾ أى يصرفون عن الصواب الذى منشأ تحرى  
 الصدق والإذعان للحق إلى الباطل الذى منشأ تحرى المغالبة بصرفنا لهم ،

(١) فى ظ : الذى (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل :  
 بالجرم (٤) فى م : السير (٥ - ٥) من ظ ، وفى الأصل : مورث لأشد ، وفى  
 م ومد : يورث لأشد (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الجزا (٧) زيد  
 فى ظ : وعبر بقوله اوتوا العلم تنبيها على شكر من - كذا ، وسيأتى .

فانه لافرق فى قدرتنا و علمنا بين حياة و حياة، و دار و دار، و لعله  
بنى الفعل للجهول إشارة إلى سهولة انقيادهم إلى الباطل مع أى  
صارف كان .

و لما وصف الجاهلين، أتبعه صفة العلماء فقال: ﴿ وقال الذين ﴾

[ و - ' ] عبر بقوله: ﴿ ارتوا العلم ﴾ تنديها على / شكر من آتاهموه، ه / ١٥١

و بناء للجهول إشارة إلى تسهيل أخذه عليهم من الجليل و<sup>١</sup> الحقير، و أتبعه  
ما لا يشرق أنواره و يبرز ثماره غيره، فقال: ﴿ و الايمان ﴾ إشارة  
إلى تفكرهم فى جميع الآيات الواضحة و الغامضة مقسين كما أقسم<sup>٢</sup> أولئك  
محققين مقابلهم مواجهين للجرمين تبكيئا و تويخا مؤكدين ما أنكره أولئك:

﴿ لقد لبثتم فى كسب الله ﴾ أى فى إخبار قضاء<sup>٣</sup> الذى له جميع الكمال ١٠

الذى كتبه فى كتابه الذى<sup>٤</sup> كان يخبر به فى الدنيا ﴿ الى يوم البعث ﴾  
كما قال تعالى ” و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون<sup>٥</sup> “ و أما تعيين  
مدة اللبث فأخفاه عن عاده، و لما أعلم القرآن أن غاية البرزخ<sup>٦</sup>  
البعث، و صدق فى إخباره، سيوا عن ذلك قولهم: ﴿ فهذا ﴾ أى

فتسبب ما كنا نقوله و تكذبونا فيه، نقول<sup>٧</sup> لكم الآن حيث لا تقدرُونَ ١٥

على تكذيب: هذا ﴿ يوم البعث ﴾ [ أى - ' ] الذى آمنا به و كنتم

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: او (٣) فى ظ:  
انقسم (٤) سقط من ظ (٥) فى م « و » (٦) راجع سورة ٢٣ آية ١٠٠ (٧) زيدت  
الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فخذناها (٨) من ظ و م و مد،  
و فى الأصل: مقول .

تذكرونه، قد كان طبق ما [ كنا - ١ ] نقوله لكم<sup>١</sup>، فقد تبين بطلان قولكم، و كنتم تدعون الخلاص فيه بأنواع من التكاذيب قصدا للغلبة، فما كنتم صانعين عند حضوره فاصنعوه الآن، تنبئها لهم على أنه لا فائدة في تحرير مقدار اللبث في الدنيا ولا في البرزخ، وإنما الفائدة في التصديق بما أخبر به الكتاب حيث كان التصديق نافعا. ولما كان التقدير: قد أتى كما كنا به عالمين،<sup>٢</sup> فلو كان لكم نوع من العلم لصدقتمونا في إخبارنا به فنفعمكم ذلك الآن<sup>٣</sup>، عطف عليه قوله: (ولكنكم كنتم) أي كونا هو كالجيلة لكم في إنكاركم له (لا تعلمون) أي [ ليس - ١ ] لكم علم أصلا، لتفريطكم في طلب العلم من أبوابه،<sup>٤</sup> والتوصل<sup>٥</sup> إليه بأسبابه، فلذلك كذبتم به فاستوجبتم جزاء ذلك اليوم. ولما كان قوله تعالى "فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات" في أشكلها من الآيات دالا على أن هذه الدنيا دار العمل<sup>٦</sup>، و [ أن - ١ ] دار الآخرة دار الجزاء، وأن البرزخ هو<sup>٧</sup> حائل بينهما، فلا يكون في واحدة منهما ما للأخرى، سبب عن ذلك قوله: (فيومئذ) أي إذ تقوم الساعة، وتقع هذه المقابلة (لا ينفع) أي قضا<sup>٨</sup> [ ما - ٢ ] (الذين ظلموا) أي وضعوا الأمور في غير مواضعها (معذرتهم) وهي ما تثبت عذرهم، وهو إيساغ الجيلة في وجه بزيل ما ظهر من

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) - سقط من ظ (٣-٢) - سقط ما بين الرقنين من م.  
(٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: التواصل (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الملك (٦) - سقط من ظ وم ومد (٧) زيد من ظ وم ومد.



التقصير لأنهم<sup>١</sup> لا عذر لهم وإن بالغوا في إثباته، و العبارة شديدة جدا من حيث كانت تعطى أن من وقع منه ظلم ما يوما ما كان هذا حاله، وهى تدل على أنه تكون منهم معاذير<sup>٢</sup>، و ترقق كثير، و تذلل كبير، فلا يقبل منه شيء<sup>٣</sup> - هذا على قراءة الجماعة بتأنيث الفعل وهى<sup>٤</sup> أبلغ من قراءة الكوفيين بتذكيره بتأويل العذر، لأنه إذا لم ينفع الاعتذار الكثير لم ينفع القليل [الذى -<sup>٥</sup>] دل عليه المجرد ولا عكس، ويمكن أن يكون قراءة الجمهور<sup>٦</sup> متوجهة للكفرة و<sup>٧</sup> قراءة الكوفيين للعصاة من المؤمنين، فإن منهم من ينفعه الاعتذار فيعفى عنه، ويشهد لهذا ما / ورد في آخر ١٥٢ /

أهل النار خروجا [منها -<sup>٨</sup>] أنه يسأل في صرف وجهه [عنها -<sup>٩</sup>] ويعاهد ربه

سبحانه أنه [لا -<sup>١٠</sup>] يسأله غير ذلك، فاذا صرفه<sup>١١</sup> عن ذلك<sup>١٢</sup> رأى شجرة ١٠ عظيمة فيسأل أن يقدمه إلى ظلها فيقول الله: أأست أعطيت العهد<sup>١٣</sup> والمواثيق [أن لا تسأل -<sup>١٤</sup>]؟ فيقول: بلى يا رب! ولكن لا أكون أشقى خلقك<sup>١٥</sup> - الحديث<sup>١٦</sup>، وفيه «وربه بعذره، فهذا قد قبل عذره

(١) في ظ و مد: لانه، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في م إلى «في إثباته» (٢) في ظ: مقادير (٣) العبارة من هنا إلى «وراء ذلك كله» ص ١٣٤ م ٢ ساقطة من م (٤) في ظ: هو (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: عليه (٧) راجع نثر المرجان ٥/ ٣١٦ (٨) في ظ: في (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: اليهود (١١) زيدت الواو في ظ و مد (١٢) رواه البخاري في العديد من مناسباته و مسلم في أبواب الإيمان.

نظم الدرر (سورة الروم ٣٠: ٥٧ و ٥٨) ج - ١٥

في الجملة ، ولا يطلب منه أن يزيل العتب<sup>١</sup> لأن ذلك لا يمكن إلا بالعمل ،  
وقد فات محله ، فأنت المغفرة من وراء ذلك كله .

ولما كان العتاب من سنة الإجاب قال : ( ولا هم ) أي الذين  
وضعوا الأشياء في غير مواضعها ( يستعجبون ) أي يطلب منهم 'ظاهرا  
هـ أو باطنا بتلويح أو تصريح' أن يزيلوا ما وقعوا فيه بما 'يوجب العتب ،  
وهو المودة' عن تقصير يقع فيه المعتوب ، لأن ذلك لا يكون  
إلا بالطاعة وقد فات محلها بكشف الغطاء لفوات الدار التي تنفع فيها  
الطاعات لكونها إيمانا بالغيب ، والعبارة تدل على أن المؤمنين 'يعاتبون  
عتابا يلذذهم .

١٠ ولما أبانت هذه السورة طرق الإيمان أي يان ، وألقت على  
وجوه أهل<sup>٢</sup> الطغيان غاية الحزى والهوان ، [ وكان التقدير -<sup>٣</sup> ] : لقد  
أتينا في هذه السورة خاصة بعد عموم ما في سائر القرآن بكل حجة  
لا تقوم لها الأمثال ، ولم<sup>٤</sup> نبق لاحد عذرا ولا شيئا من إشكال ، لكونها  
ليس لها في وضوحها مثال ، عطف عليه قوله 'صارفا الكلام' إلى مقام  
١٥ العظمة تقييحا لمخالفتهم لما يأتي من قبله وترهيبا<sup>٥</sup> من الأخذ مؤكدا لأنهم

(١) في ظ و مد : العتب (٢ - ٢) - سقط ما بين الرقيين من م (٣) في ظ : ما .  
(٤) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : المودة (٥) من ظ و م و مد ، وفي  
الأصل : المؤمنون (٦) في ظ و م و مد : اولي (٧) زيد من ظ و م و مد .  
(٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لا (٩) العبارة من هنا إلى «من الأخذ»  
ساقطة من م (١٠) في ظ : للكلام (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : ترغيبا .  
ينكرون

بنكرون أن يكون فى القرآن دلالة . و من أقر منهم مع الكفر فكفره  
قام مقام إنكاره : ﴿ و لقد ضربنا ﴾ .

ولما كانت العناية فيها بالناس أكثر ، قال : ﴿ للناس ﴾ فقدمهم فى  
الذكر ﴿ فى هذا القرآن ﴾ أى عامة هذه السورة و غيرها ﴿ من كل مثل ﴾  
[ أى - ١ ] معنى غريب هو أوضح و أثبت من أعلام الجبال ، فى عبارة هـ  
هى أرشق ٢ من سائر الأمثال .

ولما كان المختوم على مشاعرهم منهم لا يؤمنون بشئ ٣ ، و كان ذلك  
من أدل دليل على علمه تعالى و قدرته ، قال مقسماً تكديماً لقولهم فى  
الاقتراحات ٤ خاصة من أهل العلم و الإيمان رأسهم ، دلالة على أن ٥ التصرف  
فى القلوب من العظم بمكانة تجل عن الوصف ، معبرا بالشرط إعلاما ١٠  
بأنه سبحانه لا يجب عليه شئ ، عاطفا على نحو : فلم ينفعهم شئ من  
ذلك : ﴿ و لئن جنتهم ﴾ أى الناس عامة ٦ ﴿ بآية ﴾ أى دلالة واضحة  
على صدقك معجزة ، غير ما جنتهم به بما ٧ اقترحوه و وعدوا الإيمان  
به مرئية كانت أو مسموعة ﴿ ليقولن الذين كفروا ﴾ أى حكمتنا بكفرهم  
غلظة و جفاء ، و دل على [ فرط - ١ ] عنادهم بقوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ١٥  
ولما كان التخصيص ٨ بالغلظة أشد على النفس ، ضم إليه اتباعه تسلياً  
و بياناً لعظيم شقاقهم فقال : ﴿ اتم ﴾ أى أيها الآتى بالآية و أتباعه  
(١) زيد من ظ و م ومد (٢) فى ظ : اوثق (٣) فى ظ و مد : لشيء (٤) العبارة  
من هنا إلى « شئ » من ذلك « ساقطة من م (٥) فى الأصل بياض ملأناه من  
ظ و مد (٦) فى ظ : خاصة (٧) فى ظ : ما (٨) فى ظ : التخليص .

( الا مبطلون \* ) أى من أهل العرافة فى الباطل بالإتيان بما لاهقيقة له<sup>١</sup> فى صورة ما له حقيقة، وأما الذين آمنوا فيقولون : / نحن بهذه الآية مؤمنون .

/ ١٥٣

ولما كان من أعجب العجب أن من يدعى العقل يهر على  
 ه التكدب بالحق، ولا يصغى لدليل، ولا يهتدى لسيل، قال مستأنفا  
 فى جواب من سأله<sup>٢</sup> : هل يكون مثل هذا الطبع ؟ ومرغبا فى العلم :  
 ( كذلك ) أى مثل هذا الطبع العظيم جدا .<sup>٣</sup> ولما كان كون الشيء  
 الواحد لناس هداية و لناس<sup>٤</sup> ضلالة جامعا إلى العظمة تمام العلم والحكمة،  
 صرف الخطاب عنها إلى الاسم الأعظم الجامع فقال : ( يطبع الله )  
 ١٠ أى الذى لا كفوء له، فهما أراد كان، عادة مستمرة، ونبه على كثرة  
 المطبوع عليهم بجمع الكثرة فقال : ( على قلوب الذين لا يعلمون \* ) أى  
 لا يحددون - أى<sup>٥</sup> لعدم القابلية - العلم<sup>٦</sup> بأن لا يطلبوا<sup>٧</sup> علم ما يجهلون بما  
 حققه هذا الكتاب من علوم<sup>٨</sup> الدنيا والآخرة<sup>٩</sup> رضى منهم بما عندهم  
 من جهالات سموها دلالات، و ضلالات ظنوها هدايات و كمالات .  
 ١٥ ولما كان هذا مذكرا<sup>١٠</sup> بعظيم قدرته بعد الإيأس من إيمانهم، سبب  
 عنه قوله : ( فاصبر ) أى على إنذارهم مع هذا الجفاء و الرد بالباطل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل و م : سأل (٣) العبارة من  
 هنا إلى « الجامع فقال » - اقطعة من م (٤) فى ظ : الناس (٥) سقط من ظ و م  
 و مد (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل : للعلم (٧) فى ظ : لا يطلبون .  
 (٨-٨) فى ظ : الآخرة و الدنيا (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل : مكرر .

و الأذى

(١٢٤)

١٣٦

والأذى ، 'فإن الكل فعلنا لم يخرج منه' شىء عن إرادتنا .  
 ولما كان 'قد تقدم' إليه بأنه لابد أن يظهر أمره على [ كل - ' ]  
 أمر ، علله بقوله مؤكداً 'لأن إنفاذ' مثل ذلك فى محل الإنكار لعظم  
 المخالفين و كثرتهم مظهرا غير مضمرا لئلا يظن التقييد بحجية الطبع :  
 ( إن وعد الله ) أى الذى له الكمال كله فى 'كل ما وعدك به الذى ه  
 منه' نصرك وإظهار دينك على الدين كله ونصر من قارب أتباعك فى  
 التمسك بكتاب من كتب الله وإن كان قد نسخ على من لا كتاب له  
 ( حق ) أى ثابت جدا بطابقه الواقع كما يكشف عنه الزمان ، وتأتى  
 به مطايا الحدثان .

ولما كان التقدير : فلا تعجل ، عطف عليه قوله : ( ولا يستخفك ) ١٠  
 أى يحملنك على الحقة ويطلب أن تخف باستعجال النصر خوفا من  
 عواقب تأخيره أو بتغييرك عن التبليغ ، بل كن بعيدا منهم بالغلظة والجفاء  
 والصدع بمر' الحق من غير محاباة ما ، بعدا لا يطمعون معه أن يحتالوا  
 فى خفتك فى ذلك بنوع احتيال' ، وقراءة " يستخفك " من الحق

(١) العبارة من هنا إلى « عن إرادتنا » ساقطة من م (٢) من ظ و مد ، وفى  
 الأصل : عنه (٣-٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قدم (٤) زيد من ظ  
 و م و مد (٥-٥) فى ظ : لا انفاذ ، والعبارة من هنا إلى « بحجية الطبع »  
 ساقطة من م (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : مظهر (٧-٧) سقط ما بين  
 الرقين من م (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بتقصيرك ، وفى م : بتغييرك .  
 (٩) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يمر (١٠) فى ظ : احتمال (١١) راجع  
 روح المعاني ٦ / ٤٦٠ .

معناها<sup>١</sup>: أى لا يطلب منك الحق الذى هو الفصل العدل بينك وبينهم  
أى لا تطلبه أنت، فهو مثل: لا أرينك ههنا تنهى نفسك وأنت تريد نهيه  
عن الكون بحيث تراه، والنهى فى قراءة الجماعة<sup>٢</sup> بالثقل أشد منه فى  
رواية رويس عن يعقوب بالتحففة، فقراءة الجماعة مصوبة إلى أصل الدين،  
هـ أى لا تفعل معهم فعلا يطعمهم فى أن تميل إليهم فيه، وقراءة رويس  
إلى نحو الأموال فانه كان يتألفهم بالإيثار بها، ولا شك أنه إذا آثرهم  
على أكابر المسلمين أطعمهم ذلك فى<sup>٣</sup> أن يطلبوا أن يميل معهم،  
وما أفاد هذا إلا تحويل النهى، ولو قيل: لا تخفن معهم، لم يفد ذلك،  
ولا يقال عكس هذا من أن النهى فى الثقل أخف لأنه نهى عن الفعل  
١٠ - ادلوك فبقى أصل الفعل. وكذا ما صحبه تأكيد خفيف، وفى التحففة  
غير المؤكد تأكيداً خفيفاً فلا يبقى غير أصل الفعل فهو أبلغ، لأن  
النون لم تدخل إلا / بعد دخول الناهى فلم تغد إلا قوة النهى<sup>٤</sup> لا قوة المنهى  
عنه - والله أعلم. (الذين لا يوقنون ع) أى أذى الذين لا يصدقون  
بوعودنا<sup>٥</sup> تصديقاً ثابتاً<sup>٦</sup> فى القلب<sup>٧</sup> بل هم إما شاكون فأدنى شئ<sup>٨</sup> يزلزلهم  
١٥ كمن يعبد الله على حرف، أو مكذبون بنصر الله لأوليائه المؤمنين ولمن  
قاربهم فى التمسك بكتاب أصله صحيح، فهم يبالغون فى العداوة  
والتكذيب حتى<sup>٩</sup> أنهم ليخاطرون فى وعد الله بنصر الروم على فارس،

/ ١٥٤

(١) فى ظ و مد: بمعناها (٢) راجع نثر المرجان ٢١٨/٥ (٣) من ظ و م و مد،  
وفى الأصل «و» (٤) فى ظ و مد: عن (٥) فى م: الناهى (٦) من ظ و م  
و مد، وفى الأصل: بوعودنا (٧-٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بالقلب.  
(٨) زيد فى ظ: من قولهم (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: على.

كانهم على ثقة و بصيرة من أمرهم فى أن ذلك لا يكون ، فاذا صدق  
 الله وعده فى ذلك باظهاره عن قريب علموا كذبهم عيانا ، و علموا - إن  
 كان لهم علم - أن الوعد بالساعة لإقامة العدل على الظالم و العود بالفضل  
 على المحسن كذلك يأتى و هم صاغرون ، و يحشرون 'وهم' داخرون ،  
 [ "و-٢" ] سيعلم الذين ظلموا اى منقلب يتقلبون " ، فقد انعطف آخرها على هـ  
 أولها عطف الحبيب على الحبيب ، و اتصل به اتصال القريب بالقريب ،  
 و التحم التحام النسيب بالنسيب .



( ١ - ١ ) - قط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن  
 الكريم سورة ٢٦ آية ٢٢٧ .

## سورة لقمن عليه الصلاة والسلام

مقصودها إثبات الحكمة للكتاب اللازم منه حكمة منزله سبحانه في  
أقواله وأفعاله، وقصة لقمان المسمى به<sup>٢</sup> السورة دليل واضح على ذلك  
كأنه<sup>٣</sup> سبحانه لما أكمل ما أراد من أول القرآن إلى آخر براءة التي  
هـ هي سورة غزو الروم، وكان سبحانه قد ابتدأ القرآن [بعد أم القرآن -<sup>٤</sup>]  
بنبي الريب عن هذا الكتاب، وأنه هدى للتقنين، واستدل على ذلك  
فيما تبعها من السور، ثم ابتدأ سورة<sup>٥</sup> يونس بعد سورة غزو<sup>٦</sup> الروم  
بإثبات حكمته، وأتبع ذلك دليله إلى أن ختم سورة الروم، ابتدأ دورا  
جديدا على وجه أضخم من الأول، فوصفه في أول هذه التالية للروم بما  
١٠ وصفه به في يونس التالية لغزو الروم، وذلك الوصف هو الحكمة وزاد  
أنه هدى وهداية للحنين، فهو لاء أصحاب النهايات، والمتقون  
أصحاب البدايات .

ولما أثبت في آل عمران أنه أنزل بالحق، أثبت في السجدة تنزيهه  
ونقي الريب عن أنه من عنده، وأثبت أنه الحق، واستمر فيما بعد هذا  
١٥ من السور مناظرا في الأغلب لما مضى كما يعرف ذلك بالإمعان في التذكر  
والتأمل والتدبر: (بسم الله) الذي وسع كل شيء رحمة وعلما  
(١) الحادية والثلاثون من سور القرآن، وعدد آياتها ثلاث وثلاثون في  
المنى والمدنى وأربع وثلاثون في عدد الباقيين - كما في روح المعاني ٦/٤٦١ .  
(٢) في مد: بها (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) سقط من ظ  
وم ومد (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: غزوة .



نظم الدور ( الجزء الحادى والعشرون ) ج - ١٥

( الرحمن ) الذى بث<sup>١</sup> بعموم حكمته<sup>٢</sup> شامل نعمته فى سائر برئته  
( الرحيم ) الذى أثار لخاصته طريق جنته<sup>٣</sup> ، فداموا<sup>٤</sup> أو هاموا<sup>٥</sup>  
فى محبته .

لما ختمت الروم بالحث على العلم ، وهو ما تضمنه هذا الكتاب  
العظيم ، و الأمر بالصبر و التمسك بما فيه من وعد ، و النهى<sup>٦</sup> عن الإطاع<sup>٧</sup>  
لأهل الاستخفاف فى المقاربة لهم فى شيء من الأوصاف ، وكان ذلك / هو  
الحكمة ، قال أول هذه : ( آتِ ) مشيراً بها إلى أن الله الملك الأعلى القيوم  
أرسل - لأنه الظاهر مع أنه الباطن - جبرئيل عليه السلام إلى محمد عليه  
الصلاة والسلام بوحي ناطق من الحكم و الأحكام بما لم ينطق به من قبله إمام ،  
و لا يلحقه فى ذلك شيء مدى الأيام ، فهو المبدأ و هو الختام ، و إلى ١٥  
ذلك أوماً تعبيره باداة البعد<sup>٨</sup> فى قوله<sup>٩</sup> : ( تلك ) أى الآيات التى هى  
من العلو و العظمة بمكان لا يناله إلا من جاهد نفسه حتى هذبها بالتخل  
عن جميع الرذائل ، و التحلى بسائر الفضائل ( آتِ الكتب ) الجامع  
لجميع أنواع الخير ( الحكيم )<sup>١٠</sup> بوضع الأشياء فى حواق مراتبها<sup>١١</sup>  
فلا يستطاع نقض شيء من إبرامه ، و لا معارضة شيء من كلامه ، الدال ١٥  
ذلك على تمام علم<sup>١٢</sup> منزله و خبرته<sup>١٣</sup> ، و شمول عظمته و قدرته ، و دقيق صنائعه

(١) فى ظ : ثبت (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد  
لخذفناها (٣-٢) فى ظ و م و مد : فهاموا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م :  
نهى (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٦) زيد فى ظ : و مواضعها .  
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خيرته .

في بديع حكمته، فلا بد من نصر المؤمنين و من داناهم في التمسك  
بكتاب له أصل من عند الله .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تكرّر الأمر بالاعتبار  
و الحض عليه و التنبيه بعجائب المخلوقات في سورة الروم كقوله سبحانه  
” اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات و الارض و ما بينهما  
الا بالحق“ و قوله ” اولم يسيروا في الارض“ و قوله ” الله يبدؤا الخلق  
ثم يعيده“ و قوله ” يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي“  
إلى قوله ” كذلك تفصل الآيت لقوم يعقلون“ و هي عشر آيات  
تحملت من جليل الاعتبار و التنبيه ما لا يبق معه شبهة و لا توقف لمن  
١٠ وفق إلى ما بعد هذا من آيات التنبيه و بسط الدلائل و ذكر ما فطر  
عليه العباد و ضرب الأمثال الموضحة [سواء - ٢] السيل لمن عقل معانيها  
و تدبر حكمها إلى قوله ” و لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل  
مثل“ و هي إشارة إلى ما أودع الله كتابه المبين من مختلف الأمثال  
و شتى العظات و ما تحملت هذه السورة من ذلك، أتبع سبحانه ذلك  
١٥ بقوله الحق ” ألم تلك آيت الكتب الحكيم“ أى دلائله و براهينه لمن

وفق<sup>٢</sup> و سبقت له الحسنى و هم المحسنون الذين ذكرهم بعد، [و - ٢]  
وصف الكتاب بالحكيم يشهد لما مهدناه، ثم أشار سبحانه إلى من حرم  
منفعته و الاعتبار به، و استبدل الضلالة بالهدى، و تنكب عن سنن<sup>٤</sup>

(١) من م، و في الأصل و ظ و مد: وقف (٢) زيد من ظ و م و مد.  
(٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: وقف (٤) في ظ: سكن.

فطرة الله التى فطر الناس عليها فقال " و من الناس من يشتري لهو الحديث " - الآيات ، ثم أتبع ذلك [ بما ييكت - ' ] كل معاند ، و يقطع بكل جاحد ، فذكر " خلق السماوات " بغير عمد مرئية مشاهدة لا يمكن فى أمرها امتراء ، ثم ذكر خلق الأرض و ما أودع فيها ، ثم قال سبحانه " هذا خلق الله فارونى ما ذا خلق الذين من دونه " ثم اتبع ذلك بذكر هـ من هداه سبيل الفطرة فلم تزغ به الشبه و لا تنكب سواء السبيل فقال " ولقد اتينا لقمن الحكمة " - الآية ، لتأسيس من اتبع فطرة الله التى تقدم ذكرها فى سورة الروم ، ثم تناسق الكلام و تناسج - انتهى .

ولما كان الإحسان ما دعت إليه سورة الروم من الإيمان بقاء الله ،

منزها عن شوائب النقص ، موصوفاً بأوصاف الكمال ، معبوداً بما ١٠

١٥٦ /

شرعه على وجه الإخلاص ، و الانقياد مع الدليل كيفما / توجه ،  
و الدوران معه كيفما دار ، و كان ذلك هو عين الحكمة ، قال تعالى :

{ هدى } أى حال كونها أو كونه بياناً متقناً { ورحمة } أى حاملاً  
على القيام بكل ما دعا إليه ، و التقدير على قراءة حمزة " بالرفع : هى أو "

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قد (٣) زيد  
فى الأصل : و الأرض ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٤) فى  
ظ : فلم تزغ (٥) من م و مد : وفى الأصل وظ : الشبهة (٦) فى ظ : تناسخ .  
(٧) من مد ، وفى الأصل وظ و م : موصوف (٨) من ظ و م و مد ،  
وفى الأصل : معبود (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الدوار (١٠) راجع  
نثر المرجان ١١١/١٩٩ - سقط من ظ .

هو، [و-'] قال: ﴿لِلْحَسَنِينِ﴾ إشارة إلى أن من حكته أنه خاص في هذا الكمال وضعا<sup>١</sup> للشيء في محله بهذا الصنف، وهم الذين لزموا التقوى فأدتهم إلى الإحسان، وهو عبادته تعالى على المكاشفة والمراقبة فهي له أو هو لها آخر، ثم وصفهم<sup>٢</sup> في سياق الرحمة والحكمة والبيان بالعدل<sup>٣</sup> يانا لهم بما<sup>٤</sup> دعت إليه سورة الروم من كمال الإحسان في معاملة الحق والخلق اعتقادا وعملا فقال: ﴿الَّذِينَ يقيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أى يجعلونها كأنها قائمة بفعلها بسبب إتقان جميع ما أمر به فيها ونذب إليه، وتوقفت بوجه عليه، على سبيل التجديد في الأوقات المناسبة لها والاستمرار، ولم يدع إلى التعبير بالوصف كالمقيمين داع ليدل<sup>٥</sup> على الرسوخ لأن المحسن هو الراسخ في الدين رسوخا<sup>٦</sup> جملة كأنه<sup>٧</sup> يرى المعبود ودخل فيها الحج لأنه لا يعظم البيت في كل يوم خمس مرات إلا يعظم له بالحج فعلا أو قوة ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أى كلها فدخل فيها الصوم لأنه لا يؤدى زكاة الفطر إلا من صامه قوة أو فعلا.

ولما كان الإيمان أساس هذه الأركان، وكان الإيمان بالبعث جامعا لجميع أنواعه، وحاملا على سائر وجوه الإحسان، وكان قد ختم الروم بالإعراض أصلا عن ليس فيه أهمية الإيقان، قال: ﴿وَم﴾ أى خاصة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: وصف  
(٣ - ٢) - فقط ما بين الرقيين من م (٤) في ظ: بما (٥) العبارة من هنا إلى  
« يرى المعبود » ساقطة من م (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: يدل (٧) فقط  
من ظ (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: وجو.

لكلهم فيما دخلوا فيه من هذه المعاني ﴿بالأخرة﴾ التى تقدم أن المجرمين عنها غافلون ﴿هم يوقنون<sup>١</sup>﴾ أى يؤمنون بها إيمان موقن فهو لا يفعل شيئا ينافى الإيمان بها، ولا يغفل عنها طرفة عين، فهو فى الذروة العليا من ذلك. فهو يعبد الله كأنه يراه، فأية البقرة بداية، وهذه نهاية.

ولما كانت هذه الحلال أمهات الأفعال، الموجبة للكمال، وكانت هـ مساوية من وجه لاية البقرة "ختمها بختامها"، بعد أن زمها بزمامها، فقال: ﴿اولئك﴾ أى العالو الرتبة الحازنون<sup>٢</sup> من منازل القرية أعظم رتبة ﴿على هدى﴾ أى عظيم هم متمكنون منه تمكن المستعلى على الشيء<sup>٣</sup>، وقال: ﴿من ربهم﴾ تذكيرا [لهم-<sup>٤</sup>] بأنه لو لا إحسانه ما وصلوا إلى شيء. ليلزموا<sup>٥</sup> تمرين الجباه<sup>٦</sup> على الاعتبار، خوفا من ١٠ الإعجاب ﴿واولئك هم﴾ أى خاصة ﴿المفلحون<sup>٧</sup>﴾ أى الظافرون بكل مراد.

ولما كان فطم النفس عن الشهوات، أعظم مدى قائد<sup>٨</sup> إلى حصول المرادات، وكان لإتباعها<sup>٩</sup> الشهوات أعظم قاطع عن الكمالات، وكان فى ختام الروم أن<sup>١٠</sup> من وقف مع الموهومات عن طلب ١٥

- (١) فى ظ: يوقنون (٢-٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: حتم (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: حازنون (٤) من ظ وم، وفى الأصل ومد: شيء.
- (٥) زيد من ظ و م ومد (٦-٦) من م ومد، وفى الأصل: تمرين الحياة، وفى ظ: تمرين الحياة (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: قايدا (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اقتباع (٩) سقط من ظ ومد.

المعلومات مطبوع على قلبه ، و كان ما دعا إليه الكتاب هو ' الحكمة  
التي تليقها الفوز ، و ما دعا إليه اللهو هو السفه المضاد للحكمة ، بوضع  
الاشياء في غير مواضعها ، المثمر للعطب' ، قال تعالى معجبا بمن يترك  
الجد إلى اللهو ، و يعدل / عن<sup>٢</sup> جوهر العلم إلى صدف السهو ، عاطفا على ما  
تقديره : فمن الناس من يتحلى بهذا الحال فيرقى إلى حلبة<sup>٣</sup> أهل الكمال :  
( ومن ) و يمكن أن يكون حالا من فاعل الإشارة . أى أشير إلى آيات  
الكتاب الحكيم حال كونه هدى لمن ذكر و الحال أن من ( الناس )  
أى الذين هم في أدنى رتبة<sup>٤</sup> الإحساس ، لم يصلوا إلى رتبة أهل الإيمان ،  
فضلا عن مقام أولى الإحسان .

/ ١٥٧

١٠. ولما كان التقدير : من يسير بغير هذا السير ، فيقطع<sup>٥</sup> نفسه عن  
كل خير ، عبر عنه بقوله : ( من يشترى ) [ أى - <sup>٦</sup> ] غير مهتد<sup>٧</sup>  
بالكتاب ولا مرحوم<sup>٨</sup> به ( لهو الحديث ) أى ما يلهى من الاشياء  
المتجددة التي تستلذ فيقطع بها<sup>٩</sup> الزمان من الغناء و المضحكات و كل شيء  
لا اعتبار فيه ، فيوصل النفس بما أوصلها إليه من اللذة إلى مجرد الطبع  
(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فهو (٢) في ظ و مد : للعطف (٣) من  
ظ و م و مد ، و في الأصل : من (٤) في ظ : صدق (٥) من ظ و م و مد ،  
و في الأصل : حلية (٦) في ظ و مد : رتب (٧) زيد في الأصل : <sup>٨</sup> ، و لم تكن  
الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و م و مد ،  
و في الأصل : مستحل (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مرحوا .  
(١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : <sup>١٢</sup> .

البيهي

البهيمى فيدعوها إلى العتب<sup>١</sup> من اللعب كالرقص<sup>٢</sup> ونحوه مجتهدا<sup>٣</sup> في ذلك معملا الخيل في تحصيله باشتراء سيه، معرضا عن اقتناص العلوم وتهذيب النفس بها<sup>٤</sup> عن المهوم<sup>٥</sup> والغوم، فينزل إلى أسفل سافلين<sup>٦</sup> كما علا الذى<sup>٧</sup> قبله بالحكمة إلى أعلى عليين - قال<sup>٨</sup> ابن عباس رضى الله عنهما: نزات في رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا، وقال مجاهد<sup>٩</sup>: في شرى ه القيان والمغنين والمغنيات، وقال<sup>١٠</sup> ابن مسعود: اللهو الغناء، وكذا قال ابن عباس وغيره .

ولما كان من المعلوم أن عاقبة هذه الملامى الضلال، بانهاك النفس في ذلك، لما طبعت عليه من الشهوة لمطلق البطالة، فكيف مع ما يثير ذلك ويدعو إليه من اللذادة، قصير أسيرة<sup>١١</sup> الغفلة عن الذكر، وقيلة<sup>١٢</sup> الإعراض عن الفكر، وكان المخاطب بهذا الكتاب قوما<sup>١٣</sup> يدعون العقول الفائقة، والأذهان الصافية<sup>١٤</sup> الرائقة، قال تعالى: ﴿ليضل﴾ من الضلال والإضلال على القراءتين<sup>١٥</sup>، ضد<sup>١٦</sup> ما كان عليه المحسنون من الهدى

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل و م : العتب (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : كالرقصة (٣) في ظ : مجتهلا (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل : بما (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل : المهوم (٦-٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل : كاعلاء الدين (٧) راجع الدر المنثور ١٥٩ / (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل : اسير (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل : قوم . (١٠) سقط من ظ (١١) راجع نثر المرجان ٢٢١ / (١٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : عند .

(عن سبيل الله) أى الطريق 'الواضح الواسع' الموصل إلى رضى الملك  
الاعلى المستجمع [لصفات -] الكمال و الجلال و الجمال التى هم مقرون  
بكثير منها، منها لهم<sup>٢</sup> على أن هذا مضل عن السبيل و لابد، و أن ذلك  
بحيث لا يخفى عليهم، فإن كان 'مقصودا لهم' فهو ما لا يقصده من له  
عدد فى البشر، و إلا كانوا من الغفلة و سوء النظر و عمى البصيرة بمنزلة  
هى دون ذلك بمراحل .

و لما كان المراد: من قصد الضلال عن الشيء، ترك ذلك الشيء،  
و كان العاقل لا يقدم على ترك شيء إلا 'و هو عالم' بأنه لا خير فيه قال:  
(بغير علم) و نكره ليفيد السلب العام لكل نوع من أنواع العلم،  
١٠ أى لأنهم لا علم لهم بشيء من حال السبيل و لاحال غيرها، علما يستحق  
إطلاق العلم عليه بكونه يفيد ربما أو يبق على رأس مال من دين  
أو دنيا، فإن هذا حال<sup>١</sup> من استبدل الباطل بالحق و الضلال بالهدى .  
و لما كان المستهزئ بالشيء المحتقر له لا يتمكن<sup>٢</sup> من ذلك إلا بعد الخبرة  
التامة بحال ذلك الشيء و أنه لا يصلح لصالحه<sup>٣</sup> و لا بروج له حال بحال  
١٥ قال 'معجبا تعجيبا آخر أشد من الأول بالنصب عطفًا' على 'يضل'

(١ - ١) فى ظ و مد: الواسع الواضح (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط  
من ظ (٤ - ٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مقصود (٥ - ٥) من ظ  
و م و مد، وفى الأصل: يعلم (٦) فى ظ و مد: شأن (٧) فى ظ: لا يمكن .  
(٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بصالحه (٩) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل و م: يقال (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: عاطفا .



فى قراءة حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم ، و بالرفع للباقيين عطفا  
على "يشترى" : ( و يتخذها ) أى يكلف نفسه ضد ما تدعوه إليه  
فطرته [الأولى - ' ] / أن يأخذ السيل التى لا أشرف منها مع ما ثبت  
له من الجهل المطلق ( هزوا ' ) .

و لما أنتج له ' هذا الفعل الشقاء الدائم ، بينه بقوله ، جامعا حملا ٥  
على معنى "من" بعد أن ' أفرد حملا على لفظها ، لأن الجمع فى مقام  
الجزاء أهول ، و التعجيب من الواحد أبلغ : ( اولئك ) أى ' الأغنياء  
البعيدون عن ' رتبة الإنسان ، و تهكم ' بهم بالتعبير باللام الموضوعة لما  
يلائم ' فقال : ( لهم عذاب مهين \* ) أى ثبت لهم الخزي الدائم ضد  
ما كان للحسين ' من الرحمة .

١٠

و لما كان الإنسان قد يكون غافلا ، فاذا نه انتبه ، دل سبحانه على  
أن [ هذا - ' ] الإنسان المتهمك ' فى أسباب الخسران لا يزداد على مر  
الزمان إلا مفاجأة اكمل ما يرد عليه من البيان بالغي و الطغيان ، فقال  
مفردا للضمير حملا على اللفظ أيضا لثلا يتعلق متمحل بأن المذموم إنما  
هو الجمع . صارفا الكلام إلى مظهر العظمة لما اقتضاه الحال "من الترهيب" : ١٥

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : حمل (٤) فى ظ و مد :  
ما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أهول (٦) فى ظ : من (٧) من ظ  
و م و مد ، و فى الأصل : تهكم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :  
لا يلائم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : للحسن (١٠) فى ظ و مد : انهكم .  
(١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يمر (١٢ - ١٣) فى ظ : للترهيب .

(وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِ أَيْتُنَا) أى يتجدد عليه تلاوة ذلك مع ما له من العظمة من أى تال كان وإن عظم ﴿وَلَّى﴾ أى بعد السماع، مطلق التولى سواء كان على حالة المجانبة أو [مدبرا - ٢] ﴿مستكبرا﴾ أى حال كونه طالبا للكبر موجدا له بالإعراض عن الطاعة تصديقا لقولنا آخر تلك هـ "وَلئن جنتهم بأية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون".

ولما كان السامع لآياته سبحانه جديرا بأن تكسبه رقة و تواضعا، قال تعالى دالا على أن هذا الشقى كان حاله عند سماعه و بعده كما كان قبل: ﴿كَأَن﴾ أى كأنه، أى مشبها حاله بعد السماع حاله حين ﴿لم يسمعها﴾ فدل ذلك على أنه لم يزل على حالة الكبر لأنه شبه حاله ١٠ مع السماع بحاله مع عدم السماع، و قد بين أن حاله مع السماع الاستكبار فكان حاله قبل السماع كذلك .

ولما كان من لم يسمع الشئ قد يكون قابلا للسمع، فاذا كلم من حد جرت العادة بأن يسمع منه سمع، بين أن حال هذا كما كان مساريا لما قبل التلاوة فهو مساو لما بعدها، لأن سمعه مشابه لمن به صمم، ١٥ فالمضارع فى 'يتلى' مفهم لأن الحال فى الاستقبال كهى فى الحال فقال تعالى: ﴿كَأَن فى آذنيه وقراج﴾ أى صمما يستوى معه تكليم غيره له و سكوته .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد: حال (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تبين (٥) من ظ و م و مد، أى: كما هى، وفى الأصل: فهى (٦) زيد فى الأصل: حال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .

ولما تسبب عن ذلك استحقاقه لما يزيل نخوته وكبره وعظمته ،  
 وكان استمرار الألم أعظم كاسرٍ لذوى الشمم ، وكان من طبع الإنسان  
 الاهتزاز لوعده الإحسان كائنًا من كان نوع<sup>١</sup> اهتزاز قال : ﴿ فبشره ﴾  
 فلما كان جديرًا بأن يقل - ولا يوتى لظنه البشرى - على حقيقتها لأن من  
 يعلم أنه أهل للعذاب بأفعاله الصعاب لا يزال يتوالى عليه النعم مرة<sup>٢</sup> بعد  
 مرة<sup>٣</sup> حتى يظن أو يكاد يقطع بأن المعاصى سبب لذلك وأنه - لما له  
 عند الله من عظيم المنزلة - لا يكره منه عمل<sup>٤</sup> من الأعمال ، قرعه بقوله :  
 ﴿ بعذاب ﴾ أى عقاب مستمر ﴿ اليم ﴾ .

ولما كانت معرفة ما لاحد الجزئين باعثة على<sup>٥</sup> السؤال عما / للحزب  
 ١٥٩ / الآخر ، وكانت إجابة السؤال عن ذلك من آتم الحكمة ، استأنف تعالى ١٠  
 قوله مؤكدا<sup>٦</sup> لاجل إنكار<sup>٧</sup> الكفرة : ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا  
 الإيمان ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا له ﴿ الصلحت ﴾ وضعا للشيء فى  
 محله عملا بالحكمة ﴿ لهم جنت ﴾ أى بساكنين ﴿ النعيم ﴾ ، فأفاد سبحانه  
 بإضافتها إليه أنه لا كدر فيها أصلا ولا شيء غير النعيم . ولما كان ذلك  
 قد لا يكون دائما . وكان لا سرور بشيء<sup>٨</sup> منقطع قال : ﴿ تخلص فيها ﴾ ١٥  
 أى دائما .

ولما كانت الثقة بالوعد على قدر الثقة بالواعد ، وكان إنجاز الوعد

- (١) زيد فى ظ : من (٢ - ٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بعده (م) فى  
 ظ : عملا (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ و م ، عن (هـ - هـ) فى ظ : لانكار .  
 (٦) سقط من ظ و م ومد (٧) فى ظ : اشئ .

نظم الدرر ( سورة لقمر ٢١ : ٩ - ١١ ) ج - ١٥

من الحكمة . قال مؤكدا لمضمون الوعد بالجنات : ﴿ وعد الله ﴾ الذى لا شئ أجل منه ؛ فلا وعد أصدق من وعده ، ثم أكدده بقوله : ﴿ حقا ﴾ أى ثابتا ثباتا لا شئ مثله ، لأنه وعد من لا شئ مثله ولا كفوه له .

٥ ولما كان النفس الغريب جدرا بالتاكيد . أتى بصفتين مما أفهمه الإتيان بالجلالة تصريحاً بهما تأكيدا لأن هذا لا بد منه فقال : ﴿ وهو ﴾ أى وعد بذلك و الحال أنه ﴿ العزيز ﴾ فلا يقبله شئ . ﴿ الحكيم ﴾ أى المحكم لما يقوله و يفعله ، فلا يستطيع نقضه ولا تنقصه .

١٠ ولما ختم بصفتي العزة - وهى غاية القدرة - والحكمة - وهى ثمرة العلم - دل<sup>٢</sup> عليهما باتقان أفعاله و إحكامها فقال : ﴿ خلق السموات ﴾ أى على علوها وكبرها و ضخامتها ﴿ بغير عمد ﴾ وقوله : ﴿ رونها ﴾ دال<sup>٣</sup> على الحكمة ، إن قلنا إنه صفة لعمد أو استئناف ، إما إن قلنا [ بالثاني فلكون - ° ] مثل هذا الخلق الكبير الواسع يحمل بمحض<sup>٤</sup> القدرة ، وإن قلنا بالأول<sup>٥</sup> فتركيب مثله على عمد تكون فى العادة حاملة له وهى مع ذلك بحيث لا ترى أدخل فى الحكمة وأدق فى اللطافة والعظمة ، لأنه

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : أكد (٢) زيد فى الأصل : كان هذا التقدير بحكمته . ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : دلت (٤) من ظ و م و مد . وفى الأصل : دالا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لمحض (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بانهنى .

يحتاج إلى عملين : تخفيف الكثيف و تقوية اللطيف .

ولما ذكر العمدة المقلدة<sup>١</sup>، اتبعه الأوتاد المقررة فقال : (والقى فى الارض)  
[أى -<sup>٢</sup>] التى<sup>٣</sup> أنتم عليها، جبالا (رواسى) والعجب أنها من فوقها  
وجميع الرواسى التى تعرفونها تكون من تحت<sup>٤</sup>، تثبتها عن (إن تيمده)  
أى تمايل مضطربة (بكم) كما هو شأن ما على ظهر الماء .  
ولما ذكر إيجادها وإصلاحها للاستقرار، ذكر ما خلقت له من  
الحيوان فقال : (وبث فيها) أى فرق (من كل دابة) ولما ذكر  
ذلك، ذكر<sup>٥</sup> ما يعيش به، فقال منها لظهر العظمة على أن ذلك وإن كان  
لهم فى بعضه تسبب<sup>٦</sup> لا يقدر<sup>٧</sup> عليه إلا هو سبحانه : (وازلنا) أى بما  
لنا من العزة اللازمة للقدرة، وقدم [ما -<sup>٨</sup>] لاقدرة لمخلوق عليه بوجه ١٠  
فقال : (من السماء ماء) ولما تسبب عن ذلك تدبير الاقوات، وكان  
من آثار الحكمة التابعة للعلم، دل عليه بقوله : (فانبتنا) أى بما لنا من  
العلو<sup>٩</sup> فى الحكمة (فيها) أى الارض بخاط الماء بترابها (من كل زوج)  
أى صنف من النبات متشابه (كريم<sup>١٠</sup>) بما له من البهجة والنضرة الجالبة  
للسرور والمنفعة والكثرة الحافظة لتلك الدواب .

١٥ / ١٦٠

ولما ثبت بهذا الخلق العظيم على هذا الوجه المحكم عزته وحكمته،  
ثبتت ألوهيته فالزمهم وجوب توحيدهم فى العبادة كما توحد بالخلق .

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : لاقلة (٢) زيد من ظ و م و مد .  
(٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) فى الأصل : ياض، ملائنه من ظ و م و مد (٥) من  
ظ و م و مد، وفى الأصل : تيميل (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : العلم .

لأن ذلك عين الحكمة، كما كان خلقه لهذا الخلق على هذا النظام ليدل عليه سبحانه سر الحكمة، فقال ملقنا للحسين من حربه ما ينهون به المخالفين موخا لهم مقبحا لحالهم<sup>١</sup> في عدوهم عنه مع عليهم بما له من التفرد بهذه الصنائع: ﴿هذا﴾ [أى - ٢] الذى تشاهدونه كله ﴿خلق الله﴾  
 هـ [أى - ٢] الذى له جميع العظمة<sup>٢</sup> فلا كفوه له .

و لما كان العاقل بل و غيره لا ينقاد لشيء إلا إن رأى له فعلا يوجب الانقياد له، نبه على ذلك بقوله جوابا لما تقديره: فان ادعيت لما دونه بما عبدتموه من دونه خلقا عبدتموه لأجله: ﴿فارونى ما ذا خلق الذين﴾ زاد اسم الإشارة زيادة فى التقرير بتأكيد النفي المقصود من الكلام،  
 ١٠ و نبه على سفول رتبهم بقوله<sup>٣</sup> مضرا لأنه<sup>٤</sup> ليس فيما أسند إلى الاسم الأعظم حيية يخشى من التقييد بها نقص: ﴿من دونه﴾ فسألهم فى رؤية ما خلقوا إشارة إلى أنهم فعلوا معهم فعل من يعتقد أن لهم خلقا، فالغنى أنكم غبتم غبنا ما غبناه<sup>٥</sup> أحد أصلا<sup>٦</sup> بأن انقذتم لما لا ينقاد له حيوان فضلا عن إنسان بكونه لا فعل له أصلا<sup>٧</sup>، فكان من حقكم - إن كانت لكم عقول - أن تبخثوا أولا [هل - ٢] لهم أفعال أم لا؟ ثم إذا ثبت فهل هى<sup>٨</sup> محكمة أم لا، ثم إذا ثبت فهل شاركهم غيرهم أم لا، وإذا

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لهم (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ و مد: الكمال (٥) فى ظ و مد: من أحله (٦) العبارة من هنا إلى «بها نقص» ساقطة من م (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: غبنا (٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ .

ثبت أن غيرهم شاركهم فأيهما أحكم، و أما أنكم تنقادون لهم و لافعل لهم أصلا ثم تقدرون أن لهم أفعالا ترجونهم بها و تحشونهم، فهذا [ما -<sup>١</sup>] لا يتصوره حيوان أصلا، ولذلك قال تعالى: ﴿بل﴾ منبها على أن الجواب: ليس لهم<sup>٢</sup> خلق؛ بل عبدتهم أو أتم في جعلهم شركاء، هكذا كان الأصل، ولكنه قال: ﴿الظلمون﴾ أى العريقون في الظلم، تعميما هـ و تنبها على الوصف الذى أوجب لهم كونهم ﴿في ضلل﴾ عظيم جدا محيط بهم ﴿مبين﴾ أى في غاية الوضوح، وهو كونهم يضعون الأشياء في غير مواضعها، لأنهم في مثل الظلام لا نور لهم لانحجاب شمس الإيمان عنهم بجمال<sup>٣</sup> الهوى فلا حكمة لهم .

ولما ثبتت حكمته سبحانه و أنه أعدم عنها<sup>٤</sup> بما قضى عليهم من ١٠ الجهل و غباوة العقل و آتاهما<sup>٥</sup> من تاب، و اعتصم بآيات الكتاب، توقع السامع الإخبار عن بعض من آتاه الحكمة من المتقدمين الذين كانوا من<sup>٦</sup> المحسنين . فوضعوا الأشياء في مواضعها بأن آمنوا و عملوا الصالحات، فقال صارفا وجه الكلام إلى مظهر العظمة تعظيما للحكمة عاطفا على قوله ”و هو العزيز الحكيم“ أو على مقدر تقديره: لانا أضللناهم بحكمتنا ١٥ و آتينا الحكمة الذين قبلوا آياتنا و أحسنوا التعبد لنا فما عبدوا صنما ولا مالوا إلى هو<sup>٧</sup>، لأن ذلك عين الحكمة لكونه [وضعا -<sup>٨</sup>] للشيء في محله، فهو

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) في ظ : له (٤) في ظ و مد : بخيال (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل : عنهم (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل : ان (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل : مع (٨) في ظ و مد : الهوى .

تقرير لتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة : ﴿ ولقد اتينا ﴾ بما  
لنا من العظمة والحكمة / ﴿ لقمن ﴾ وهو عبد من عبيدنا ﴿ الحكمة ﴾  
وهو العلم المؤيد بالعمل والعمل المحكم بالعلم ، وقال الخراي : هي العلم  
بالامر الذي لأجله وجب الحكم ، والحكم الحل على جميع أنواع الصبر  
والمصابة ظاهرا بالإيالة<sup>١</sup> العالية ، ولا يتم الحكم<sup>٢</sup> وتستوى<sup>٣</sup> الحكمة  
إلا بحسب سعة العلم ، وقال ابن ميثاق : إن مدارها على إصابة الحق  
والصواب في القول [ والعمل - <sup>٤</sup> ] ، ولهذا قال ابن قتيبة : لا يقال  
لشخص حكيمًا حتى يجتمع له الحكمة في القول والفعل ، قال : ولا يسمى  
المتكلم بالحكمة حكيمًا حتى يكون عاملاً بها - انتهى . ومن بليغ حكمته  
١٠ ما أسنده صاحب الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال : حقا أقول ! لم يكن لقمان نبيا ، ولكن كان عبدا  
ضمضامة كثير التفكير<sup>٥</sup> حسن اليقين ، أحب الله فأجبه ، فرق عليه بالحكمة ،  
كان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء ، قيل : يا لقمان ، هل لك أن يجعلك  
الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق ، فاجاب : إن خيرني ربي  
١٥ قبلت العافية ولم أقبل البلاء . وإن عزم علي فسمعا وطاعة ، فاني أعلم  
أنه<sup>٦</sup> إن فعل ذلك ربي عصمتي وأعانتني ، فقالت الملائكة بصوت لا يرام :  
١

- (١) في ظ و مد : من أجله (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بالانالة .  
(٣-٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ولا تستوى (٤) زيد من ظ و م و مد .  
(٥) في ظ و مد : حكيم (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد ، وفي  
الأصل : التفكير (٨) ومن هنا أخرجه البغوي في المعالم بهامش الباب ١٧٨/٥ .  
(٩) سقط من م والمعالم .



لم يالفتان؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه الظلم من كل مكان، إن يعدل فالحرج أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً، ومن تخير الدنيا على الآخرة تفتته الدنيا ولا يصيب الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن منطقته، فقام نومة فأعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها. وفي الفردوس عن\* ٥ مكارم الاخلاق لآي بكر بن لال عن أنى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم [قال - ١]: الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت، [وقال لقمان - ١]: لا مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس، وقال: ضرب الوالد لولده كالسباء للزرع، وقيل له: أى الناس شر؟ قال: الذى لا يبالي أن يراه الناس مستيئاً، وقيل له: ١٠ ما أقبح وجهك! فقال: تعيب النقش أو النقاش، وقال البغوى: إنه قيل له: لم بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعينى - انتهى. فهو سبحانه من حكمته وحكمته أن يرفع ما يشاء بما يعلمه منه" من سلامة الطبع وإن كان عبداً فلا بدع أن يختص

---

(١) في العالم: يعنى (٢) في ظ: خيراً (٣) من مد والمعال، وفي الأصل وم: بخير، وفي ظ: يختر (٤) من ظ وم ومد والمعال، وفي الأصل: تعجبت (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: من (٦) زيد من ظ وم ومد. (٧) من ظ وم ومد ومخطوطة تلخيص الفردوس ١٣٠ / ب، وفي الأصل: واحدة (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: شبتا (٩) راجع العالم بهامش الباب ٥ / ١٧٨ (١٠) في ظ: حكمته (١١) سقط من ظ.

محمدا صلى الله عليه وسلم ذا التسبب العالى والمصبب المنيب فى كل خلق  
 شريف بالرسالة من بين قریش وإن لم يكن من أهل الدنيا المتعظمين  
 بها، قال ابن ميلق : من حكمته سبحانه أن يجمع بين أثرى عدله  
 وفضله، وأن يعاقب بينهما فى الظهور فيذل ويعز ويفقر<sup>١</sup> ويفقى  
 ٥ ويسقم ويشقى ويفقى ويبقى إلى غير ذلك، فامن سابق عدل إلا له  
 لاحق فضل، ولا سابق فضل إلا له لاحق عدل، غير أن أثر العدل  
 والفضل قد يتعلق بالباطن<sup>٢</sup> خاصة، وقد يتعلق أحدهما بالظاهر والآخر  
 بالباطن<sup>٣</sup>، وقد يكون اختلاف تعاقبهما فى حالة واحدة، وقد يكون على  
 البدل، وعلى قدر تعلق الأثر [السابق يكون تعلق الأثر -<sup>٤</sup>] اللاحق .  
 ١٠ ولما كانت الحكمة قاضية بذلك، أجرى الله سبحانه آثار عدله  
 على ظواهر أصفائه دون بواطنهم، ثم عقب ذلك بإيراد آثار<sup>٥</sup> فضله  
 على بواطنهم وظواهرهم حتى صار من قاعدة الحكمة الإلهية تفويض ممالك  
 الأرض / للمستضعفين فيها كالنجاشى حيث بيع فى صفرة، وذلك كثير  
 موجود بالاستقراء، فمن كمال رتبة الحكيم لمن يريد إعلاء شأنه أن يجرى  
 ١٥ على ظاهره من أثر العدل ما فيه تكميل لهم وتنوير لمداركهم وتطهير  
 لوجودهم وتهذيب وتاديب - إلى غير ذلك من فوائد الترية، ومن  
 تتبع أحوال الأكابر من آدم عليه السلام وهلم جرا رأى من حسن  
 (١) من ظ و م ومد، وفى الأصل : يفقر (٢) فى ظ ومد : سابق .  
 (٣-٤) تكرر ما بين الرقین فى الأصل فقط (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) فى  
 ظ : إثارة (٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل : رتبة .

بلاء الله سبحانه و تعالى لهم ما يشهد<sup>١</sup> لما قررته بالصحة<sup>٢</sup> إن شاء الله تعالى - انتهى<sup>٣</sup> .

و لما كانت الحكمة هى الإقبال على الله قال : ( ان اشكر ) و هو  
و إن كان تقديره : قلنا له كذا ، يؤول إلى آتيناه الشكر ، و صرف<sup>٤</sup>  
الكلام إلى الاسم الأعظم الذى لم يتسم به غيره سبحانه دفعا للتعنت ، و  
ونقلا عن مظهر العظمة [ إلى - \* ] أعظم منها فقال : ( لله ) بان  
وقفناه<sup>٥</sup> له بما سببناه له من الامر به لأن الحكمة فى الحقيقة هى القيام  
بالشكر لا الإيصاء به ، و يمكن أن تكون [ ه أن ، - \* ] مصدرية ، و يكون  
التقدير : آتيناه إياها بسبب الشكر ، و عبر بفعل الامر إعلاما بان شكره  
كان لامثال الامر ليكون أعلى .

١٠

و لما كان التقدير : فبادر و شكر ، فأنفع لإلغائه ، كما أنه لو كفر  
ما ضر إلغائه ، عطف عليه [ معرفا - \* ] أنه غنى عن شكر الشاكرين  
قوله معبرا بالمضارع الدال على أن<sup>٦</sup> من أقبل عليه - فى أى زمان كان -  
يلقاه<sup>٧</sup> و يكون معروفا له<sup>٨</sup> دائما بدوام العمل : ( و من يشكر ) أى  
يحدد الشكر و يتعاهد به نفسه كائنا من كان ( فانما يشكر ) أى يفعل<sup>٩</sup>  
ذلك ( لنفسه ج ) أى فانما ينفع نفسه ، فان الله يزيد من فضله فان الله

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يشهدون (٢) زيد فى ظ : لهم (٣) سقط  
من ظ (٤) فى ظ : صرح (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ،  
و فى الأصل : وقفنا (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يتلقاه .

شكور مجيد ﴿و من كفر﴾ فانما يضر نفسه، و عبر بالماضى إشارة إلى أن من وقع منه كفر و لو مرة جوزى بالإعراض عنه ﴿فان الله﴾ عبر بالاسم الاعظم لانه فى سياق الحكمة، و الحكيم من أدام<sup>١</sup> استحضار صفات الجلال و الجمال فقلب خوفه رجاءه ما دام فى دار الأكدار ﴿غنى﴾ عن الشكر و غيره ﴿حميد﴾ أى له جميع المحامد و إن كفره جميع الخلائق<sup>٢</sup>، فان تقدير الكفر عليهم بحيث لا يقدرّون على الاتفكك عنه من جملة محامده بالقدرة و العزة و الفهم و العظمة، و يجوز - و هو أقرب - أن يعود "غنى" إلى الكافر و "حميد" إلى الشاكر، فيكون اسم فاعل، فيكون التقدير: "و من<sup>٣</sup> كفر فانما يكفر على نفسه؛ ثم سبب عن الجملتين ١٠ و [هما -<sup>٤</sup>] كون عمل كل من الشاكر و الكافر لا يتعداه قوله "فان الله غنى" [أى -<sup>٥</sup>] عن شكر الكافر "حميد" للشاكر، و الآية على الأول من الاحتباك: تخصيص الشكر بالنفس أولا يدل على حذف مثله من الكفر ثانيا، و إثبات الصفتين ثانيا يدل على حذف مثلها أولا.

و [لما -<sup>٦</sup>] كان الإنسان لا يعرف حكمة الحكيم إلا بأقواله و أفعاله، ١٥ و لاصدق الكلام [و حكمته -<sup>٧</sup>] إلا بمطابقته للواقع، فكان التقدير: اذكر ما وصفنا به لقمان لتنزل<sup>٨</sup> عليه ما تسمع من أحواله و أفعاله<sup>٩</sup> فى توفية حق الله و حق الخلق الذى هو مدار الحكمة، عطف عليه قوله: ﴿و اذ﴾

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دام (٢) فى ظ و مد: الخلق (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فن (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م، و فى الأصل و ظ و مد. لينزل (٦) فى ظ و مد: أقواله.

أى و اذكر بقلبك لتعظ<sup>١</sup> و بلسانك لتعظ غيرك - بما أنك رسول -  
 ما كان حين (قال لقمن لابنه) ما<sup>٢</sup> يدل على شكره فى نفسه و امره  
 به<sup>٣</sup> لغيره فانه لا شكر يعدل البراءة من الشرك، و فيه حث على التخلق  
 بما مدح به لقمان بما يحمل على الصبر و الشكر و المداومة<sup>٤</sup> على كل خير،  
 و على تأديب الولد، بسوق الكلام على وجه يدل على تكرير و عظه ه  
 فقال: (و هو يعظه) أى يوصيه بما ينفعه و يرق قلبه / و يهذب نفسه،  
 ١٦٣ / و يوجب له الخشية و العدل .

و لما كان أصل توفية حق الحق تصحيح الاعتقاد و إصلاح العمل،  
 و كان الأول أهم، قدمه<sup>٥</sup> فقال: (ينبئ) مخاطبه بأحب ما يخاطب به،  
 مع إظهار الترحم و التحنن و الشفقة، ليكون ذلك أدعى لقبول النصح ١٠  
 (لا تشرك) أى [لا-٦] توقع الشرك لا جلبا و لا خفيا. و لما كان  
 فى تصغيره الإشفاق عليه، زاد ذلك بابرار الاسم الأعظم الموجب لاستحضار  
 جميع الجلال، تحقيقا لمزيد الإشفاق، فقال: (بالله) أى الملك الأعظم  
 الذى لا كفوء له، ثم علل هذا النهى بقوله: (ان الشرك) أى بنوعيه  
 (لظلم عظيم) أى<sup>٧</sup> فهو ضد الحكمة، لأنه وضع الشئ فى غير محله، ١٥  
 فظلم ظاهر من جهات عديدة جدا، أظهرها أنه تسوية المملوك الذى  
 ليس له من ذاته إلا العدم فلا نعمة منه أصلا<sup>٨</sup> بالملك الذى له وجوب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: بما (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤-٤) من  
 ظ و م و مد، و فى الأصل: بالمداومة (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من  
 ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: الا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م  
 و مد لحدوثها .

الوجود، فلا خير ولا نعمة إلا منه، وفي هذا تنبيه لقريش وكل سامع على أن هذه وصية لا يعدل عنها، لأنها من أب حكيم لابن محنو عليه محبوب، وأن آباءهم لو كانوا حكماء<sup>٢</sup> ما فعلوا إلا ذلك، لأنه يترتب عليها ما عليه مدار النعم الظاهرة و الباطنة<sup>٣</sup> الدينية و الدنيوية، العاجلة و الآجلة، وهو الأمن و الهداية ” الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن و هم مهتدون “ فانه لما نزلت تلك الآية كما في صحيح البخارى فى غير موضع عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه شق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بذلك<sup>٤</sup>، ألم تسمع إلى قول لقمان ” ان الشرك لظلم عظيم “ .

ولما ذكر سبحانه و تعالى ما أوصى به ولده من شكر المنعم الأول الذى لم يشركه فى إيجاده أحد، و ذكر ما عليه<sup>٥</sup> الشرك من الفضاة و الشناعة<sup>٦</sup> و البشاعة، أتبعه سبحانه وصيته للولد بالوالد لكونه<sup>٧</sup> المنعم الثانى المتفرد سبحانه بكونه [جعله -<sup>٨</sup>] سبب وجود الولد اعترافاً بالحق

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: حكك (٣) زيدته الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد و صحيح البخارى - تفسير هذه السورة، وفى الأصل و م و نسخة من الصحيح: بذلك (٥) زيد فى ظ و مد: من (٦ - ٦) فى ظ و م و مد: وصيته سبحانه. (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لكون (٨) زيد من ظ و م و مد. (٩) فى ظ: اعترازا.

وإن صغر لأمله<sup>١</sup> وإيذا<sup>٢</sup> بأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس؛ وتفخيما  
 لحق الوالدين، لكونه قرن عقوبتهما بالشرك، وإعلاما بأن الوفاء شيء  
 واحد متى نقص شيء منه تداعى سائر<sup>٣</sup> كما فى الفردوس عن أبى الدرداء  
 رضى الله عنه أن<sup>٤</sup> النبى صلى الله عليه وسلم قال: لو أن العبد لقي الله  
 بكالم ما اقترض عليه ما خلا بر الوالدين ما دخل الجنة، وإن بر الوالدين  
 لنظام<sup>٥</sup> التوحيد والصلاة والذكر، ولذلك لفت الكلام إلى مظهر العظمة  
 ترهيبا من العقوق ورفعاً لما لعله يتوهم من أن<sup>٦</sup> الانفصال عن الشرك  
 لا يكون إلا بالإعراض<sup>٧</sup> عن جميع الخلق.

ولما قد يخيله الشيطان من أن التقيد<sup>٨</sup> بطاعة الوالد شرك، مضمنا  
 تلك الوصية لإجادة لقمان عليه السلام فى تحسين الشكر<sup>٩</sup> وتقييح الشرك<sup>١٠</sup>  
 لموافقته لأمر رب العالمين، وإيجاب امتثال ابنه لأمره، فقال مينا حقه  
 وحق كل والد غيره. ومعرفا قباحة من أمر ابنه بالشرك / لكونه  
 منافيا للحكمة التى أبانها لقمان عليه السلام، وتحريم امتثال الابن لذلك  
 ووجوب مخالفته لآييه فيه تقديماً لأعظم الحقيقين، وارتكاباً لأخف  
 الضررين: (ووصينا) أى قال لقمان ذلك لولده<sup>١١</sup> نصحاله<sup>١٢</sup> والحال<sup>١٣</sup>

١٦٤ /

(١-١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فايدانا (٢) من مد، وفى الأصل  
 و ظ و م: بشايره (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: عن (٤) من ظ  
 و م و مد، وفى الأصل: بنظام (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، وفى  
 الأصل و ظ: بإعراض (٧) من مد، وفى الأصل و ظ و م: التقيد (٨) من  
 م و مد، وفى الأصل و ظ: الشرك (٩) فى ظ: لابنه.

أنا<sup>١</sup> - بعظمتنا وصينا ولده به بنحو ما أوصاه به في حقنا - مكذا كان  
الأصل ، ولكنه عبر بما يشمل<sup>٢</sup> غيره فقال : (الإنسان) أي هذا  
النوع على لسان أول نبي أرسلنا وهم جراثيم<sup>٣</sup> ركناء<sup>٤</sup> في كل فطرة  
من أنه ما جزاء الإحسان إلا الإحسان (بوالديه ج) فكأنه قال : إن  
٥ لقمان عرف نعمتنا عليه وعلى أبناء نوعه لو صينا لأولادهم بهم فشكرنا<sup>٥</sup>  
ولقن<sup>٦</sup> عنا نهيهم<sup>٦</sup> بذلك عن الشرك لأنه كفران لنعمة المنعم ، فأنهى  
في نفسه ونهى ولده ، فكان بذلك حكما .

ولما كانت الأم في مقام الإحتقار لما للآب<sup>٧</sup> من العظمة<sup>٨</sup> بالقوة  
والعقل والكبد عليها وعلى ولدها ، نوه بها ونه<sup>٩</sup> على ما يختص به  
١٠ من أسباب وجود الولد وبقائه<sup>٩</sup> عن الآب بما حصل لها<sup>٩</sup> من المشقة بسببه  
وما لها إليه من الترية . فقال معللا أو مستأنفا : (حملته أمه وهنا)  
أي حال كونها ذات وهن تحمله في أحشائها ، وبالغ بحملها نفس الفعل  
دلالة على شدة ذلك الضعف بتضاعفه كلما أثقلت (على وهن) أي  
هو قائم بها من نفس خلقها وتركيبها إلى ما يزيد بها التمداد بالخل ، ثم  
١٥ أشار إلى ما لها عليه من المنة بالشفقة وحسن الكفالة وهو لا يملك

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : انه (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :  
يشتمل (٣-٣) من م ومد ، وفي الأصل : ربما ركناء ، وفي ظ : وبما كرمنا .  
(٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : فيشكرنا (٥) في ظ و م ومد : لقمن (٦) من  
ظ و م ومد ، وفي الأصل : بنهيهم (٧-٧) في ظ : بالعظمة (٨) زيد في الأصل :  
بها ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها (٩) من ظ و م ومد ، وفي  
الأصل : تنه (١٠) في ظ : له .



لنسه شيئا بقوله : ﴿ و فسله ﴾ أى فظامه من الرضاعة بعد وضعه .

ولما كان الوالدان يعدان وجدان<sup>١</sup> الولد من أعظم أسباب الخير والسرور ، عبر في أمره بالعام الذى تدور مادته على السعة لذلك و ترجية لها<sup>٢</sup> بالقول<sup>٣</sup> عليه و تعظيما لحقهما<sup>٤</sup> بالتعبير بما يشير إلى صعوبة ما قاسيا<sup>٥</sup> فيه ه باتساع زمنه<sup>٦</sup> فقال : ﴿ فى عامين ﴾ تقاسى فيهما في منامه و قيامه ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى ، و فى التعبير بالعام أيضا إشارة إلى تعظيم منتها بكونها تعد<sup>٧</sup> أيام رضاعه - مع كونها اضعف ما يكون في تربيته - أيام سعة و سرور ، و التعبير بـ فى ، مشير إلى أن الوالدين لها أن يفظاه قبل تمامها على حسب ما يحتمله حاله ، و تدنو إليه المصلحة من أمره . ١٠

ولما ذكر الوصية و اشار إلى أمهات أسبابها ، ذكر الموصى به فقال مفسرا له و صينا<sup>٨</sup> : ﴿ ان اشكر ﴾ ولما كان الشكر منظورا إليه آتم نظر ، قصر فعله ، أى أوجد هذه الحقيقة و لتكن من همك . ولما كان لا بد له من متعلق ، كان كأنه قال : لمن ؟ فقال مقدما ما<sup>٩</sup> هو أساس الموصى به فى الوالدين ليكون معتدا به ، لافتا القول إلى ضمير الواحد من غير تعظيم ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وجدان (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لها (٣) فى ظ و م و مد : بالون (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بحقهما (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : قاسا (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الزمن (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بعد (٨) فى ظ و لوصيتنا (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا .

تنصيصا على المراد: ﴿لِي﴾ أى 'لأنى' المنعم بالحقيقة ﴿ولو لديك﴾  
 لكونى جعلتهما سببا لوجودك والإحسان بربيتك، وذكر الإنسان بهذا  
 الذكر فى سورة الحكمة إشارة إلى أنه أنعم الموجودات حكمة، قال الرازى  
 فى آخر سورة الأحزاب من لوازمه: الموجودات كلها كالشجرة،  
 ١٦٥ / هـ و الإنسان ثمرتها، وهى كالقشور و الإنسان / لبابها، وكالمبادئ و الإنسان  
 كالألها، [و-'] من أين للعالم ما للإنسان؟ بل العالم العلوى فيه، وليس  
 فى العالم العلوى ما فيه، فقد جمع ما<sup>٢</sup> بين العالمين بنفسه و جسده،  
 و استجمع الكونين بعقله و حسه. و ارتفع<sup>١</sup> عن الدرجتين باتصال الأمر  
 الأعلى به و حيا قوليا، و سلم الأمر لمن له الخلق و الأمر تسليما اختياريا  
 ١٠ طوعيا. ثم علل الأمر بالشكر محذرا فقال: ﴿الْيَ﴾ لا إلى غيرى  
 ﴿المصير﴾ أى فأستلك عن ذلك كما كانت منها البداءة ظاهرا<sup>٣</sup> بما  
 جعلت<sup>٤</sup> لها من التسبب فى ذلك، فيستلأنك عن القيام بحقوقها و إن  
 قصرت فيها<sup>٥</sup> شكواك إلى الناس و أقاما عليك الحجة و أخذنا بحقوقها.  
 و لما ذكر سبحانه وصيته بهما و أكد حقهما، أتبعه الدليل على ما  
 ١٥ ذكر لقمان عليه السلام من قباحة الشرك فقال: ﴿وإن جاهدك﴾  
 أى مع ما أمرتك به من طاعتها، و أشار بصيغة المفاعلة إلى مخالفتها  
 و إن بالغنا<sup>٦</sup> فى الحمل<sup>٧</sup> على ذلك ﴿على أن تشرك بى﴾ و أشار بأداة  
 (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من م (٤) من ظ و م  
 و مد، و فى الأصل: فارتفع (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ظاهره.  
 (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيها (٧-٧) فى ظ و مد: بالحمل.  
 (٨-٨) تأخر ما بين الرقيين فى الأصل عن «لأجل الفتنة» ص ١٦٧ س ٨٠  
 الاستعلاء

الاستعلاء إلى أنه لا مطمع لمن أطاعهما في ذلك ولو باللفظ فقط ان يكون في عداد المحسنين وإن كان والدان في غاية العلو والتمكن من الأسباب الفاتنة له بخلاف سورة العنكبوت فانها لمطلق الفتنة . وليست لقوة الكفار، فعبّر [ فيها - ١ ] بلام العلة<sup>٢</sup>، إشارة إلى مطلق الجهاد الصادق<sup>٣</sup> بقويه وضعيفه<sup>٤</sup>، ففي الموضعين نوع رمز إلى أنه إن ضعف هـ [ عنهما - ١ ] أطاع<sup>٥</sup> باللسان، ولم يخرج ذلك عن الإيمان، كما أخرجه [ هنا - ١ ] عن الوصف بالإحسان، ولذلك حذر في الآية التي بعد تلك من التفاق لأجل الفتنة، وأحال سبحانه على اتباع الأدلة على حكم ما وهب من العقل عدلا وإنصافا فقال<sup>٦</sup>: (ما ليس لك به علم لا) إشارة إلى أنه لا يمكن أن يدل علم من أنواع العلوم على شيء من الشرك بنوع ١٠ من أنواع الدلالات بل العلوم كلها دالة على الوحدةانية على الوجه الذى تطابقت عليه العقول، وتطافرت عليه من الأنبياء والرسل النقول، و<sup>١١</sup>أما الوجه<sup>١٢</sup> الذى سماه أهل الإلحاد بمذهب الاتحاد توحيدا<sup>١٣</sup> فقد كفى في أنه ليس به علم إطباقهم على أنه خارج عن طور العقل، مخالف لكل ما<sup>١٤</sup>ورد عن الأنبياء من نقل، وإن لبسوا بادعاء متابعة بعض الآيات كما ١٥ بينه كتابى الفارض، فلا يمكن أن يتمذهب به أحد إلا بعد الانسلاخ من

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) في الأصل بياض ملائنه من ظ و م و مد .  
 (٣-٢) في ظ : بقوته وضعفه (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اطماع .  
 (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : قال (٦-٦) في ظ : انما التوجه (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : توجد .

العقل و التكذيب بالنقل، فلم يناد أحد على نفسه بالإبطال ما نادوا به  
[على ١] أنفسهم<sup>٢</sup> و لكن من يضل<sup>٣</sup> الله فما له من هاد<sup>٤</sup> .

فلما قرر ذلك على هذا المنوال البديع، قال مسييا عنه: (فلا تطعهما)  
أى فى ذلك و لو اجتماعا على المجاهدة لك عليه، بل خالفهما، و إن أدى  
٥ - الأمر إلى السيف فجاهدتهما به، لأن أمرهما بذلك مناف للحكمة<sup>٥</sup> حامل  
على محض الجور و السفه، فقيه تنبيه لقريش على محض الغلط فى التقليد<sup>٦</sup>  
لآبائهم فى ذلك .

و لما كان هذا قد يفهم الإعراض عنها رأسا فى كل أمر إذا  
خالفا فى<sup>٧</sup> الدين، أشار إلى أنه ليس مطلقا فقال: (و صاحبهما فى الدنيا)  
١٠ - أى فى أمورهما<sup>٨</sup> التى لاتعلق بالدين<sup>٩</sup> ما دامت حياتهما<sup>١٠</sup> .

و لما كان المبنى على النقصان عاجزا عن الوفاء بجميع الحقوق، خفف  
عليه بالتكثير<sup>١١</sup> فى قوله: (معروفان)<sup>١٢</sup> أى<sup>١٣</sup> يبرهما إن كانا على دين  
/ يقران عليه و معاملتهما بالحلم و الاحتمال و ما يقتضيه مكارم الأخلاق / ١٦٦  
و معالى التشيم، قال ابن مبلق: و يلوح من هذه المشكاة تعظيم الاشياخ  
١٥ الذين كانوا فى العادة سببا لإيجاد القلوب فى دوائر التوحيد العلمية و العملية

(١) ريد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) من ظ و م  
و مد، وفى الأصل: بضل (٤-٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فلا هادى  
٥ (٥) فى ظ: الى الحكمة (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: التقليد (٧) من  
ظ و م و مد، وفى الأصل: فيه فى (٨) فى ظ: امورهما (٩-١٠) فى ظ و م  
و مد: ما دامت حيا (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بالتكبر .  
(١١) سقط من ظ .

- يعى فى سوق هذه الوصية هذا المياق اعظم تنيه على أن تعظيم  
الوسائط من الخلق ليس مانعا من الإخلاص فى التوحيد ، قال ابن مبلق :  
ومن هنا زلت أقدام أقوام تعمقوا فى دعوى التوحيد حتى أعرضوا عن  
جانب الوسائط فوقعوا فى الكفر من حيث زعموا التوحيد ، فان تعظيم  
المعظم فى الشرع تعظيم لحرمات الله ، وامثال لأمر الله ، ولعمري إن ه  
هذه الميزة ليتعثر بها تباع إبليس حيث أبى أن يسجد لغير الله ، ثم قال  
ما معناه : و " هؤلاء قوم " أعرضوا عن تعظيم الوسائط زاعمين الغيرة على  
مقام التوحيد ، وقابلهم قوم اسقطوا الوسائط جملة و قالوا : [ إنه ٢- ]  
ليس فى الكون إلا هو ، وهم أهل الوحدة المطلقة ، والكل على ضلال ،  
والحق الاقتصاد والعدل فى إثبات الخالق وتوحيده ، وتعظيم من أمر ١٠  
بتعظيمه من عبيده .

و لما كان ذلك قد يجر إلى نوع وهن فى الدين يبعض محابة ،  
نقى ذلك بقوله : ( واتبع ) أى بالغ فى أن تتبع ( سبيل ) أى دين  
وطريق ( من اناب ) أى أقبل خاضعا ( الى ٤ ) لم يلتفت إلى عبادة غيرى ،  
وهم المخلصون من أبويك و غيرهما ، فان ذلك لا يخرجك ١ عن برهما ١٥  
ولا عن توحيد الله والإخلاص له ، وفى هذا حث على معرفة الرجال  
بالحق ، وأمر بحك المشايخ وغيرهم على محك الكتاب والسنة ، فمن

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فوقفوا (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : أقوام (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :  
يخرج (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : لا يخرجك .

كان عمله موافقا لها اتبع ، و من كان عمله مخالفا لها اجتنب .  
 ولما كان التقدير : فان مرجع أموركم كلها في الدنيا إلى ، عطف  
 عليه قوله : ﴿ ثم إلى ﴾ أى في الآخرة ، لا إلى غيرى ' مرجعك -  
 هكذا كان الأصل ، ولكنه جمع لإرادة التعميم فقال معبرا بالمصدر  
 المسمى الدال على الحدث ' وزمانه ومكانه : ﴿ مرجعكم ﴾ حسا ومعنى ،  
 فأكشف الحجاب ﴿ فانبئكم ﴾ أى أفعل فعل من يبالغ في التنقيب  
 والإخبار عقب ذلك وبسيه ، لأن ذلك أنسب شيء للحكمة و "إن كان"  
 تعقيب كل شيء بحسب ما يليق به ﴿ بما كنتم ﴾ بما هو لكم كالجيلة  
 ﴿ تعملون ﴾ أى تجددون عمله من صغير وكبير ، و جليل وحقير ، وما  
 ١٠ كان في جلاتكم بما \* لم يبرز إلى الخارج ، فأجازى من أريد ، وأعقر  
 لمن أريد \* ، فاعد لذلك عدته \* ، ولا تعمل عمل من ليس له مرجع يحاسب  
 فيه و يجازى على مثاقيل الذر من أعماله ، ولعله عبر عن الحساب \*  
 بالنبهة لأن العلم بالعمل \* سبب للجازاة عليه أو لأنه جمع \* القسمين ،  
 ومحاسبة السعيد العرض فقط بدلالة التضمن ومحاسبة الشقي بالمطابقة .

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : غيره (٢) من ظ و م و مد ، وفى  
 الأصل : الحديث (٣-٢) سقط ما بين الرفعين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م  
 و مد ، وفى الأصل : ما (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يريد (٦) من  
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : عدة (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :  
 بالحساب (٨) فى ظ و مد : فالعلم (٩) فى ظ و م (١٠) زيد فى الأصل : بين ،  
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لعدمها .

ولما فرع من تأكيد ما قاله لقمان عليه السلام فى الشكر والشرك  
فعلم ما أوتى من الحكمة، وختمه بعد الوصية بطاعة الوالد بذكر دقيق  
الأعمال وجليها، وأنها فى علم الله سواء، حسن [جدا - ١] الرجوع  
إلى تمام بيان حكمته<sup>٢</sup>، فقال بادئا بما يناسب ذلك من دقيق العلم و محيطه  
المكمل لمقام التوحيد، وعبر بمثقال الحبة<sup>٣</sup> لأنه أقل ما يخطر غالبا بالبال، ه  
وهى من أعظم حاث على التوحيد الذى مضى تأسيسه: ﴿يُنْبِئُ﴾ متجيبا  
مستعظفا، مصغرا<sup>٤</sup> له بالنسبة إلى حمل شيء من غضب الله تعالى / مستضعفا:  
﴿انها﴾ أى العمل، و أنت لأنه فى مقام التقليل<sup>٥</sup> والتحقيق، والتأنيث  
أولى بذلك. ولأنه يأول بالطاعة والمعصية<sup>٦</sup> والحسنة والسيئة<sup>٧</sup> ﴿ان تك﴾  
و أسقط النون لغرض الإيجاز فى الإيضاح بما ينيل المقاز، والدلالة على ١٠  
أقل الكون واصغره ﴿مثقال﴾ أى وزن، ثم حقرها بقوله: ﴿حبة﴾  
وزاد فى ذلك بقوله: ﴿من خردل﴾ هذا على قراءة الجمهور<sup>٨</sup> بالنصب،  
ورفع المديان على معنى أن الشأن والقصة العظيمة أن توجد فى رقت  
من الأوقات هتة هى أصغر شيء. واحقره - بما أشار إليه التأنيث .

ولما كان قد عرف [أن - ١] السياق لما ذاء، أثبت النون فى ١٥  
قوله مسيا عن صغرها: ﴿فتكن﴾ إشاره إلى ثباتها فى مكانها. ويزداد  
تشوق<sup>٩</sup> النفس إلى محط الفائدة ويذهب الوهم<sup>١٠</sup> كل مذهب لما علم من  
(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: حكه (٣) من  
ظ وم ومد، وفى الأصل: الحنة (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ وم  
وممد (٥) فى م: التعليل (٦-٧) فى م: السيئة والحسنة (٧) راجع نثر المرجان  
٢٢٩/٥ (٨) فى ظ: تشوق (٩) زيد فى ظ: عن .

أن المقصد عظيم يحذف<sup>١</sup> تلك النون وإثبات هذه، و عسرها بعد أن  
 حقرها بقوله معبرا عن أعظم الخفاء و أتم الإحراز : ﴿ في صخرة ﴾ أي  
 أي أي صخرة كانت ولو أنها أشد الصخور و اقواها و أصغرها و أخفها .  
 ولما أخفى و ضيق<sup>٢</sup> ، أظهر و وسع ، و رفع و خفض ، ليكون أعظم  
 ٥ لضياعها لحقارتها فقال : ﴿ او في السموات ﴾ أي في أي مكان كان  
 منها على سعة أرجائها و تباعد أنحائها ، و أعاد أوه<sup>٣</sup> نصا على إرادة كل  
 منهما على حدة ، و الجار تأكيداً للمعنى فقال : ﴿ او في الارض ﴾  
 [ أي -<sup>٤</sup> ] كذلك ، و هذا كما ترى لا ينبغي أن تكون الصخرة فيها او في  
 إحدهما<sup>٥</sup> ، و عبر له<sup>٦</sup> بالاسم الأعظم لعلو<sup>٧</sup> المقام فقال : ﴿ بات بها الله ﴾  
 ١٠ بعظم جلاله ، و باهر كبريائه و كماله ، بعينها لا يخفى عليه و لا يذهب  
 شيء منها ، فيحاسب عليها<sup>٨</sup> ، ثم علل ذلك من علمه و قدرته بقوله مؤكداً  
 إشارة إلى [ أن -<sup>٩</sup> ] إنكار ذلك لما له من باهر العظمة من دأب  
 النفوس إن [ لم -<sup>٩</sup> ] يصحبها التوفيق : ﴿ ان الله ﴾ فأعاد الاسم الأعظم  
 تنبيها على استحضر العظمة و تعميما للحكم ﴿ لطيف ﴾ أي عظيم المت<sup>١٠</sup>

---

(١) في ظ و مد : لحذر (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م  
 و مد لحذفها (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : « و » (٤) زيد من ظ  
 و مد (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : احدهما (٦) سقط من ظ و مد .  
 (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ليناسب (٨) من ظ و م و مد ، و في  
 الأصل : عليه (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل  
 بياض ، و في ظ : المتبر - كذا .



بالوجوه الخفية الدقيقة الفاضلة في بلوغه إلى أى أمر أرادته حتى يحدد الطريق الموصل فيما يظهر للخلق ( بحيرة ) بالغ العلم بأخفى الأشياء ، فلا يخفى عليه شيء<sup>٢</sup> ، ولا يفوته أمر .

ولما نبه<sup>٣</sup> على إحاطة علمه سبحانه وإقامته للحساب ، أمرهم بما يدخره لذلك توسلا إليه ، وتخضعا لديه ، وهو رأس ما يصلح به العمل<sup>٥</sup> ويصحح التوحيد ويصدقه ، فقال<sup>٤</sup> : ( يَنْبِئُ ) مكررا للناداة على هذا الوجه تنبيها على فرط النصيحة لفرط الشفقة ( اقم الصلوة ) أى بجميع حدودها وشروطها ولا تغفل عنها ، سعيًا في نجاة نفسك و تصفية شرك ، فان 'إقامتها - وهى' الإتيان بها على النحو المرضي - مانعة من الخلل في العمل " ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر " لأنها الإقبال على ١٠ من وحدته فاعتقدت أنه الفاعل وحده وأعرضت عن كل ماسواه لآله في التحقيق عدم ، ولهذا الإقبال والإعراض كانت ثمانية التوحيد ، وترك ذكر الزكاة تنبيها على أن من حكمته تخلية وتخلي ولده من الدنيا حتى بما / يكفيهم لقوتهم .

١٦٨ /

ولما أمره بتكميله في نفسه بتكميل نفسه توفية<sup>٦</sup> لحق الحق ، عطف ١٥ على ذلك تكميله لنفسه بتكميل غيره توفية<sup>٦</sup> لحق الخلق<sup>٧</sup> ، وذلك أنه لما

(١) في ظ : يصد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : نبه .  
(٤) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : قال (هـ - هـ) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : اقتتها وهو (٦) في ظ : الوجه (٧) في ظ : لترك (٨) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : عن (٩) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : توفيقه (١٠) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : الحق .

كان الناس في هذه الدار سفرا، وكان المسافر إن أهمل رفيقه حتى أخذ  
أوشك أن يؤخذ هو، أمره بما يكمل نجاته بتكميل رفيقه، وقدمه - وإن  
كان من جلب المصالح - لأنه يستلزم ترك المنكر، وأما ترك المنكر  
فلا يستلزم فعل الخير، فأنك إذا قلت: لا تأت منكرا، لم يتناول ذلك  
في العرف إلا الكف عن فعل المصيبة، لا فعل الطاعة، فقال:  
( وأمر بالمعروف ) أى كل من تقدر على أمره تهذبا لغيرك شفقة  
على نفسك بتخليص أبناء جنسك .

ولما كانت هذه الدار سفينة لسفر من فيها إلى ربهم، وكانت  
المعاصي مفسدة لها، وكان فساد السفينة مغرقا لكل من فيها: من أفسدها  
١٠ ومن أهمل المفسد ولم يأخذ على يده، وكان الأمر بالمعروف نهيا عن  
المنكر، صرح به [ فقال - ٢ ] : ( وأنه ) أى كل من قدرت على  
نهي ( عن المنكر ) جبا لأخيك ما تحب لنفسك، تحقيقا لنصيحتك،  
وتكميلا لعبادتك، لأنه ما عبد الله أحد ترك غيره، يتعبد لغيره، ومن  
هذا الطراز قول أبي الأسود: رحمه الله تعالى:

١٥ ابدأ بنفسك فانها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم  
لأنه أمره أولا بالمعروف، وهو الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر،  
فاذا أمر نفسه ونهاها، ناسب أن يأمر غيره<sup>١</sup> ينهاه، وهذا وإن كان  
(١) في ظ: لا (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ ومد، وفي الأصل وم:  
عند (٤) هو ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي، والبيت الآتي من أشهر أبياته  
(٥-هـ) من ظ وم ومد، وفي الأصل: باسمه

من قول لقمان عليه السلام إلا أنه لما كان في سياق المدح له كنا مخاطبين به .

ولما كان القاض على دينه في غالب الأزمان كالقاض على الجرم،  
لأنه يخالف المعظم فيرمونه عن قوس واحدة لاسيما إن أمرهم ونهاتهم،  
قال تعالى : ﴿ واصبر ﴾ صبرا عظيما بحيث يكون مستغنيا ﴿ على ما ﴾ ه  
أى الذى ، وحقق بالماضى أنه لا بد من المصيبة ليكون الإنسان على بصيرة ،  
فقال : ﴿ اصابك ﴾ أى في عبادتك من الأمر [ بالمعروف - ] وغيره .  
سواء كان بواسطة العباد أو لا كالمرض ونحوه ، وقد بدأ هذه الوصية  
بالصلاة وختمها بالصبر لأنهما ملاك الاستعانة " واستعينوا بالصبر  
والصلوة " واختلاف المخاطب في الموضعين أوجب اختلاف الترتيبين ، ١٠  
المخاطب هنا مؤمن متقل ، وهناك كافر متكبر .

ولما كان ما أحكمه له عظيم الجدوى ، وجعل ختامه الصبر الذى  
هو ملاك الأعمال والتبرك كلها ، نهى على ذلك بقوله على سبيل التعليل  
والاستئناف إيماء إلى التبجيل : ﴿ ان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى  
أوصيتك به لاسيما " الصبر على المصائب " : ﴿ من عزم الامور ﴾ أى ١٥

(١) زيد في ظ : الكلام (٢) في ظ : ولا سيما (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل  
وم : لأنه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيدت الواو في ظ و مد (٦) من ظ  
وم و مد ، وفي الأصل : لمرض (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لأنها .  
(٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لهم (٩) من ظ و م و مد ، وفي  
الأصل : به (١٠) زيد في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد  
لحذفها (١١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : المصاب .

معزوماتها، تسمية لاسم المفعول أو الفاعل بالمصدر، أى الامور<sup>١</sup> المقطوع بها المفروضة<sup>٢</sup> أو القاطعة<sup>٣</sup> الجازمة بنجم فاعلها. أى التى هى أهل لأن يعزم عليها العازم<sup>٤</sup>، وينحو إليها بكليته الجازم، فلا مندوحة فى تركها بوجه من الوجوه فى ملة / من الملل .

/ ١٦٩

٥. ولما كان من<sup>٥</sup> آفات العبادة<sup>٦</sup> لاسبيا الامر و النهى - لتصورهما بصورة الاستعلاء - الإعجاب الداعى إلى الكبر، قال محذرا من ذلك معبرا عن الكبر بلازمه، لأن نقي الأعم نقي للاخصر، منها على أن المطلوب فى الامر و النهى اللين لا الفظاظه و النظة الحاملان على النفور<sup>٧</sup> :  
( ولا تصغر<sup>٨</sup> خدك ) أى لا تمله متعمدا إمالته بامالة العنق متكلفا لها  
١٠. صرفا عن الحالة القاصدة، وأصل الصرداء يصيب البعير يلوى منه عنقه، وقرأ نافع وأبو عمرو وحزرة والكسائى : تصاعر، والمراد بالمفاعلة والتفعيل تعمد فعل ذلك لأجل الكبر حتى يصير خلقا، والمراد النهى عما يفعله المصغر من الكبر - والله أعلم .

ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التى لا تدم، أشار  
١٥ إلى المقصود بقوله تعالى : ( للناس ) بلام<sup>٩</sup> العلة، أى لا تفعل ذلك

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : الامر (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بالقاطعة (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل : العار (٤-٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : انا بالعبادة - كذا (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : الامور المنفرة (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل : لا تصاعر، وراجع لاختلاف القراءة نثر المرجان ٢٢٠/٥ (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل : لام.

لأجل

(٤٤)

١٧٦

لأجل الإمالة عنهم، و ذلك لا يكون إلا تهاونا بهم من الكبير، بل أقبل عليهم بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر ولا علو، 'و أتبع' ذلك ما يلزمه فقال: ﴿ولا تمش﴾ ولما كان فى أسلوب التواضع و ذم الكبير، ذكره بأن أصله تراب، و هو لا يقدر أن يعدهه فقال: ﴿فى الارض﴾ وأوقع المصدر موقع الحال أو العلة فقال: ﴿مرحاً﴾ هـ  
أى اختيالا و تبخترا، أى لاتكن 'منك هذه الحقيقة لأن ذلك مشى أشر و بطر و تكبر، فهو جدير بأن يظلم صاحبه و يفحش و ييغى، بل امش هونا فان ذلك يفضى [بك - ٢] إلى التواضع، فتصل إلى كل خير، فترفق بك الارض إذا صرت فيها حقيقة بالكون فى بطنها .

ولما كانت غاية ذلك الرياء للناس و الفخر عليهم المشر لبغضتهم ١٠  
الناشئة عن بغضة الله تعالى، علله بقوله مؤكدا لأن كثيرا من الناس يظن أن إسباغ النعم الدينية من حجة الله: ﴿ان الله﴾ أى الذى لا ينبغى الكبير إلا له لما له من العظمة المطلقة . ولما كان حب الله الذى يلزمه حب الناس محبوا للنفوس، و كان فوات المحبوب أشق على النفوس من وقوع المحذور، و كانت "لا" لاتدخل إلا على المضارع المستقبل ١٥  
قال: ﴿لا يجب﴾ أى فيما يستقبل من الزمان، و لو قال "يفض" لاحتل التقييد بالحال . ولما كان النشر المشوش أفصح لقرب الرجوع

(١-١) من ظ و م و مد . وفى الأصل: فاتبع (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يكن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: علل (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: فوت (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: وقع .

تدليا فيما رقى فيه المقبل قال: ﴿كل محتال﴾ أى<sup>١</sup> مرآة للناس في مشيه  
تبخرا يرى له فضلا على الناس فيشمخ بأنفه، وذلك فعل المرح ﴿نفخو﴾  
يعدد مناقبه، وذلك فعل المصغر، لأن ذلك من الكبير الذى ردى به  
سبحانه و تعالى فمن نازعه إياه قصمه<sup>٢</sup>.

٥ ولما كان النهى عن ذلك أمرا بأضداده، وكان الأمر باطلاق  
الوجه يلزم [منه-٣] الإنصاف في الكلام، وكان الإنصاف في الكلام<sup>٤</sup>  
و المشى لاعلى طريق المرح<sup>٥</sup> و الفخر ربما<sup>٦</sup> دعا إلى الاستماتة في المشى  
و الحديث أو الإسراع في المشى و السر و الجهر بالصوت<sup>٧</sup> فوق الحد، قال  
محترسا في الأمر بالخلق الكريم عما يقارب<sup>٨</sup> الحال الذميم: ﴿واقصد﴾  
١٧٠ / ١٠ أى اعدل و توسط ﴿في مشيك﴾ لا إفراط و لا تفريط / مجانبنا لوئب  
الشاطر<sup>٩</sup> و ديب التماوتين<sup>١٠</sup>، و عن ابن مسعود: كانوا ينهاون عن خيب  
اليهود و ديب النصارى، و القصد في الأفعال كالقسط في الأوزان -  
قاله الرازى في اللوامع، و هو المشى الهون [الذى-٣] ليس فيه تصنع  
للخلق<sup>١١</sup> لا بتواضع و لا بتكبر<sup>١٢</sup> ﴿واقضض﴾ أى انقص، و لأجل ما

(١) زيد في ظ: كل (٢) زيد في الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة في ظ  
و م و مد فحذفها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقین من  
ظ (٥-٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: الفخور بما (٦-٦) من ظ و م  
و مد، و في الأصل: الشد و الجهد بالقوت (٧) في ظ: قارب (٨) في ظ  
و مد: الشيطان (٩) من مد، و في الأصل و ظ و م: التمارتين (١٠-١٠) من  
ظ و م و مد، و في الأصل: تواضع و لا تكبر.

ذكر<sup>١</sup> قال: ﴿من صوتك<sup>٢</sup>﴾ باثبات "من" أى ثلثا يكون صوتك منكرا، وتكون برفع الصوت فوق الحاجة حمارا، وأما مع الحاجة كالآذان فهو مأمور به .

ولما كان رفع الصوت فوق العادة منكرا كما كان خفضه دونها<sup>٣</sup> تماوتا<sup>٤</sup> أو دلالات<sup>٥</sup> وتكبرا، وكان قد أشار إلى النهى عن هذا بـ "من" هـ فأفهم<sup>٦</sup> أن الطرفين<sup>٧</sup> مذمومان، علل النهى<sup>٨</sup> عن الأول<sup>٩</sup> دلالات<sup>١٠</sup> بصيغة "أفعل" على اشتراك الرفع كله فى النكارة ذاكرا أعلاها تصويرا له بأقبح صورة تغفيرا<sup>١١</sup> عنه فقال: ﴿ان انكر﴾ أى أظطع وأشبع وأوحش ﴿الاصوات﴾ [أى كلها -<sup>١٢</sup>] المشتركة فى النكارة برفعها فوق الحاجة، وأخلى<sup>١٣</sup> الكلام عن لفظ التشبيه فأخرجه<sup>١٤</sup> "مخرج الاستعارة تصويرا ١٠ لصوت الرافع صوته فوق الحاجة بصورة التهاق<sup>١٥</sup>" وجعل المصوت كذلك حمارا، مبالغة فى التهجين، وتنبهنا على أنه من كراهة الله له بمكان [فقال -<sup>١٦</sup>]: ﴿اصوت الحير﴾<sup>١٧</sup> أى هذا الجنس، لما له<sup>١٨</sup> من الغلو

(١) فى ظ: ذكره (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: دونها (٣-٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: واذلالات (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: افهم (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الطريقين (٦-٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: أولا (٧) فى ظ: وأتى (٨) زيد فى ظ: تنبيهها (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تغفيرا (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: انخلى (١٢) فى ظ و مد: وأخرجه (١٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: التفاق (١٤-١٤) فى ظ و مد: لما له أى هذا الجنس .

المفرط من غير حاجة ، و اوله زفير و آخره شهيق ، و هما فعل أهل النار ، و أفرده ليكون نضا على إرادة الجنس لئلا يظن أن الاجتماع شرط في ذلك ، و 'الذكر الحار' مع ذلك من بلاغة الذم و الشتم ما ليس لغيره ، و لذلك يستهجن<sup>٢</sup> التصريح باسمه ، و هذا يفهم أن الرفع مع الحاجة ه غير مذموم فانه ليس بمستنكر و لامستبشع ، و لقد دعت هذه الآيات إلى معالى الأخلاق ، و هى أمهات الفضائل الثلاث : الحكمة و العفة و الشجاعة ، و أمرت بالعدل فيها . و هى<sup>٣</sup> وظيفة التقسيط الذى هو الوسط الذى هو بجمع الفضائل ، و نهت عن مساوئ الأخلاق ، و هى الأطراف التى هى مبدأ الرذائل الحاصل بالإفراط و التفريط ، فاقامة<sup>٤</sup> ١٠ الصلاة التى هى روح العبادة المبنية على العلم هى سر الحكمة و الأمر و النهى ، أمر بالشجاعة و نهى عن الجبن ، و فى النهى عن التصغير<sup>٥</sup> و ما معه نهى عن التهور ، و القصد فى المشى و [ الغض فى<sup>٦</sup> ] الصوت أمر بالعفة و نهى عن الاستماتة و الجود و الخلاعة و الفجور ، و فى النهى عن الاستماتة نهى عما قد يلزمها من الجريزة ، و هى الفكر بالمكر المؤدى ١٥ إلى اللعنة ، و عن الانحطاط إلى البله و البلادة و الغفلة ، و الكافل بشرح هذا ما قاله الشيخ سعد الدين الفتازانى فى الكلام على الإجماع من تلويحه ، قال : إن الخالق تعالى و تقدر قد ركب فى الإنسان ثلاث قوى : إحداها<sup>٧</sup>

(١ - ١) فى ظ : ذكر الحمير (٢) فى الأصل بياض ملائنه من ظ و م و مد  
(٣) فى مد : هو (٤) فى ظ : و اقامة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصغير (٦) زيد من ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أحدها .

مبدأ

(٤٠)

١٨٠



نظم الدرر ( الجزء الحادى والعشرون ) ج - ١٥

مبدأ إدراك الحقائق، والشوق إلى النظر فى العواقب، والتمييز بين  
 'المصالح والمفاسد'، ويعبر عنها بالقوة النطقية والعقلية والنفس<sup>٢</sup> المطمئنة  
 الملكية، والثانية مبدأ جذب<sup>٣</sup> المنافع وطلب الملاذ من المآكل والمشارب  
 / وغير ذلك، وتسمى القوة الشهوية والبهيمية والنفس الامارة، والثالثة / ١٧١  
 مبدأ الإقدام على الأحوال والشوق إلى<sup>٤</sup> التسلط والترفيع، وهى القوة ه  
 الغضبية والسبعية والنفس اللوامة، ويحدث من اعتدال الحركة الأولى  
 الحكمة، والثانية العفة، والثالثة الشجاعة، فأمتهات الفضائل هى هذه  
 الثلاث<sup>٥</sup>، وما سوى ذلك إنما هو<sup>٦</sup> من تفرعاتها وتركيباتها، وكل  
 منها محتوش بطرفى إفراط وتفریط هما رذيلتان، أما الحكمة فهى  
 معرفة الحقائق على ما هى [عليه - ٧] بقدر الاستطاعة، وهى العلم النافع ١٠  
 المعبر<sup>٨</sup> عنه بمعرفة<sup>٩</sup> النفس ما لها وما عليها المشار إليه بقوله تعالى "ومن  
 يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً" وإفراطها الجريزة، وهى استعمال  
 الفكر فيما لا ينبغى كالمتشابهات، وعلى وجه لا ينبغى، كخالفه الشرائع -  
 نعوذ بالله من علم لا ينفع، قلت: وهى بحجم ثم مهمة ثم موحدة ثم  
 زائى مأخوذة من الجريز - بالضم، وهو الحب، أى الخداع الخبيث - ١٥

- (١ - ١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الصالح والفساد (٢) من ظ و م  
 ومد، وفى الأصل: العر - كذا (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل:  
 جلب (٤) زيد فى الأصل: التوصل، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فخذناها  
 (٥) فى ظ و م ومد: الثلاثة (٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل و م: هى .  
 (٧) زيد من م ومد (٨ - ٨) فى ظ: عن معرفة .

والله أعلم ، و تقربطها الغباوة التي هي تعطيل القوة الفكرية بالإرادة  
والوقوف عن اكتساب العلوم النافعة ، و أما الشجاعة فهي انقياد السبعة  
للناطقة ليكون إقدامها على حسب الروية من غير اضطراب في الأمور  
المائلة ، حتى يكون فعلها جميلا ، و صبرها محمودا ، و إفراطها التهور ، أي  
الإقدام على ما لا ينبغي ، و تقربطها الجبن ، أي الحذر عما لا ينبغي ، و أما  
العفة فهي [ انقياد -<sup>١</sup> ] البهيمية للناطقة ، لتكون تصرفاتها بحسب اقتضاء  
الناطقة ، لتسلم عن استبعاد<sup>٢</sup> الهوى إياها ، و استخدام اللذات ، و إفراطها  
الخلاعة و الفجور ، أي الوقوع في ازدياد اللذات على ما يجب ، و تقربطها  
المجود ، أي السكوت عن طلب اللذات بقدر ما رخص فيه العقل  
١٠ و الشرع إثارا لا خلقة ، فالأوساط فضائل ، و الأطراف رذائل ، و إذا  
امتزجت الفضائل الثلاث<sup>٣</sup> حصلت من اجتماعها حالة متشابهة هي العدالة ،  
فهذا الاعتبار عبر عن العدالة بالوساطة ، أي في قوله تعالى ” و كذلك  
جعلناكم أمة وسطا “ و إليه أشير بقوله عليه الصلاة و السلام ” خير الأمور  
أوساطها ، و الحكمة في النفس البهيمية بقاء البدن الذي هو مركب  
١٥ النفس الناطقة ليصل بذلك إلى كمالها اللائق بها ، و مقصدها المتوجه<sup>٤</sup>  
إليه ، و في السبعة كسر البهيمية و قهرها<sup>٥</sup> و دفع الفساد المتوقع من استيلائها ،  
و اشترط التوسط<sup>٦</sup> في أفعالها لئلا تستعبد الناطقة<sup>٧</sup> هواها و تصرفاتها<sup>٨</sup>

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م ، و في الأصل و ظ و مد : استبعاد .  
(٣) في كل النسخ : الثلاثة (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التوجه .  
(٥) في ظ : فترها (٦-٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اشترط التوسط .  
(٧-٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : هواها و تصرفاتها .

عن كمالها و مقصدها - انتهى .

ولما انقضت هذه الجمل ، رافعة أعناقها على المشتري و زحل ، قابلة<sup>١</sup> لمن يريد عليها مع الكسل . و الضجر فى الفكر و الملل ، و أين الثريا من يد المتناول<sup>٢</sup> ، و كان قد أخبر سبحانه و تعالى فى أول السورة أن الآيات المسموعة هدى لقوم و ضلال لآخرين ، و كان من الغرائب أن هـ شيئا واحدا يؤثر<sup>٣</sup> شيئين متضادين ، و أتبع ذلك ما دل على أنه / من بالغ الحكمة بوجه مرضية مشرقة مضية ، لكنها بمسالك دقيقة و<sup>٤</sup> إشارات خفية ، إلى أن ختم بالنهاى عن التكبر . و رفع الصوت فوق الحاجة ، إشارة إلى أن فاعل ما لا حاجة إليه غير حكيم ، و كان التكبر على الناس و تعالى عليهم من آثار الفضل فى النعمة ، و كانت العادة جارية بأن ١٠ الملك يخضع له تارة لمجرد عظمته ، و تارة خوفا من سطوته ، و تارة رجاء لنعمته ، أبرز سبحانه و تعالى غيب ما وصف به الآيات المسموعة من تأثير الضدين فى حالة واحدة فى شاهد الآيات المرئية على وجه يدل على استحقاقه ، لما أمر به لقمان عليه السلام من العبادة و التذلل ، و أن<sup>٥</sup> إليه المرجع ، و هو عالم بكل شيء ، قادر على كل شيء . و أن كل ما ترى ١٥ خلقه مذكرا بأن النعمة إنما هى منه ، فلا ينبغي لأحد أن يفخر بما آتاه غيره ، و لو وكل فيه إلى نفسه لم يقدر على شيء منه ، محذرا من سلبها

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قابلة (٢) فى ظ و مد : تناول (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٤) سقطت الواو من ظ (هـ) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : انه (٦) فى ظ : شيء .

عن المتكبر<sup>١</sup> وإعطائها للذليل<sup>٢</sup> المحتقر، فقال: ﴿الم تروا﴾ أى تعلموا  
 علما هو في ظهوره كالمشاهدة<sup>٣</sup> أيها المشترون لهو الحديث، المتكبرون<sup>٤</sup>  
 على المقبلين على الله، المتخلين عن الدنيا، الذين قلنا لهم ردا عن<sup>٥</sup> الشرك  
 وإبعادا عن الهوى والإفك ” هذا خلق الله فارونى ما ذا خلق الذين  
 من دونه“ ﴿ان الله﴾ أى<sup>٦</sup> الحائز لكل كمال ﴿سخر لكم﴾ أى خاصة  
 ﴿ما فى السموات﴾ بالإنارة والإظلام، والحر والبرد وغير ذلك  
 من الإنعام، وأكدته<sup>٧</sup> باعادة الموصول والجار، لأن المقام حقيق به  
 فقال: ﴿وما فى الارض﴾ بكل ما يصلحكم فتعلموا أن الكل خلقه،  
 ما لاحد من دونه<sup>٨</sup> فيه شيء<sup>٩</sup>، وأنه محيط بكل شيء قدرة وعلما، فهو  
 ١٠ قادر على تعسيره<sup>١٠</sup> كما قدر على تسخيره، وقوى على نزعه من القوى  
 و”دفعه للضعيف“ هو يرجعكم إليه فينبئكم بما” كنتم تعملون ويحضره لكم  
 وإن كان فى أخفى الأماكن ﴿واسع﴾ أى أطال وأوسع وآتم وأفضل  
 عن قدر الحاجة وأكمل ﴿عليكم﴾ أيها المكلفون ﴿نعمه﴾ [أى - “]

(١) فى ظ و مد: التكبر (٢) فى ظ و مد: التذلل (٣) فى ظ: كالشاهد.  
 (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المنكرون (٥) من ظ و م و مد، وفى  
 الأصل: على (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل و م و مد:  
 أكد (٨-٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: شيء فيه (٩) من م و مد،  
 وفى الأصل و ظ: تغييره (١٠-١٠) من م و مد، وفى الأصل و ظ: نزعه  
 من الضعيف (١١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ما (١٢) زيد من ظ  
 و م و مد.

واحدة تليق بالدنيا - فى قراءة الجماعة 'باسكان العين و [تاء - ٢] تأنيث منصوبة منونة تنوين تعظيم ، مشيرا الى أنها ذات أنواع كثيرة جدا ، بما دلت عليه قراءة المدنيين و أبى عمرو و حفص عن عاصم بحمل تاء التأنيث ضميرا له سبحانه مع فتح العين ليكون جمعا ( ظاهرة ) وهى ما تشاهدونها متذكرين لها ( و باطنة ) وهى ما غابت عنكم فلا تحسونها ، أو تحسونها<sup>١</sup> وهى خفية عنكم ، لاتذكرونها إلا بالتذكير ، وكل منكم يعرف ذلك على الإجمال ، فاعبدوه لما دعت إليه بحجة لقمان عليه السلام لتكونوا من المحسنين ، حذرا من سلب نعمه ، وإيجاب نقمه ، ويجوز أن تكون الآية دليلا على قوله تعالى "خلق السموات بغير عمد ترونها" .

ولما كان التقدير: ومع كون كل منكم أيها الخلق يعرف أن ١٠ ذلك نعمة منه سبحانه تعالى وحده ، فمن الناس من أذعن وأناب ، وسلم لكل ما دعا<sup>٢</sup> إليه كتابه الحكيم ، على لسان رسوله النبى الكريم ، / فكان من الحكماء المحسنين فاهتدى ، عطف عليه قوله 'مظهرا موضع ١٧٣ / [ضمير - ١] المخاطبين بما يشير إليه النوس : ( ومن الناس ) أى الذين هم أهل الاضطراب ، ويمكن أن يكون حالا من "الم تروا" ويكون ١٥

(١) راجع نثر المرجان ٢٢٢/هـ (٢) زيد من ظ و م ومد (٣-٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فلا تحسوها أو تجسوها - كذا (٤) فى الأصل بياض ملثناه من ظ و م ومد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : اسلم (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : غا - كذا (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الحتماء (٩) العبارة من هنا إلى « النوس » سابقة من م (١٠) زيد من ظ و مد .

”الم تروا“ دليلا على أول السورة، أى أشير إلى الآيات حال كونها هدى لمن ذكر و الحال أن من الناس من يشتري اللهو، ألم تروا دليلا على [ أن - ١ ] من الناس المعاند بعد وضوح الدليل أن الله سخر لكم جميع العالم و أنعم عليكم بما أنعم و الحال أن من الناس ﴿من يجادل﴾ فلا لهو أعظم من جداله، و لا كبر مثل كبره، و لا ضلال مثل ضلاله، و أظهر لزيادة التشنيع على هذا المجادل، و إشارة إلى قبح<sup>٢</sup> المجادلة من غير نظر إلى النعم أيضا فقال تعالى: ﴿فى الله﴾ المحيط<sup>٣</sup> بكل شيء<sup>٤</sup> علما و قدرة .

و لما كان سبحانه فى ظهور وجوده<sup>٥</sup> و أوصافه بحيث لا يخفى بوجه، ١٠ و كان المجادل قد يكون فهما، قال: ﴿بغير﴾<sup>٦</sup> أى بكلام متصف بأنه غير<sup>٧</sup> ﴿علم﴾<sup>٨</sup> أى بل<sup>٩</sup> بالفاظ هى فى ركاكة معانيها لعدم استنادها إلى حس و لا عقل ملحقة بأصوات الحيوانات العجم، فكان بذلك حمارا تابعا للهوى .

و لما كان المعنى قد يظهر بطلانه لبعض القاصرين، لوروده على لسان ١٥ من لا يعتبر، فاذا أضيف إلى كبير، تؤمل و لم يبادر إلى رده لاستعظامه، فظهر على طول حسه، قال<sup>١٠</sup> معبرا بأداة النفي الحقيقة به، لأن الموضع لها، و عدل عنها أولا لئلا يظن أن المذموم إنما هو المجادل إذا كان غير متصف بالعلم<sup>١١</sup>

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) ليس فى الأصل فقط (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: اتبع (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: وجود (٦-٦) سقط ما بين الرقين من م (٧) سقط من ظ .

[ و إن كان جداله متصفا بالعلم - ' ] : ( ولا هدى ) أى وارد  
 عن ' عهد منه سداد الأقوال و الأفعال بما أبدى من المعجزات  
 و الآيات الينيات ، فوجب أخذ أقواله مسلة و إن لم يظهر معناها .  
 و لما كان القول قد يكون مقبولا لاستناده إلى الله تعالى و إن  
 لم يكن أصلا معقولا ، قال : ( ولا كتب ) أى من الله ؛ و وصفه بما ه  
 هو لازمه لا ينفك عنه فقال : ( منيره ) أى بين غاية البيان ، مبين لغيره  
 على عادة بيان الله سبحانه و تعالى ، أو يكون أريد بالوصف الإعجاز  
 لإظهاره قطعا أنه من الله ، فانه ليس كل كتاب الله كذلك .

و لما كان المجادل بغير واحد من هذه الثلاثة تابعا هوام مقلدا  
 مثله قطعا ، و كان حال المجادلين هذا لظهور أدلة الوجدانية عجا ، ١٠  
 عجب منهم تعجيبا آخر باقامتهم على الضلال مع إيضاح الأدلة فقال :  
 ( و اذا قيل ) أى من أى قائل كان . و لما كان ضلال الجمع أعجب  
 من ضلال الواحد ، [ و كان التعجيب من جدال الواحد - ° ] تعجيبا  
 من جدال الاثنين فأكثر من باب الأولى ، [ أفرد أولا - ° ] و جمع  
 هنا فقال : ( لهم ) أى للمجادلين هذا الجدال : ( اتبعوا ما ) ٧ أى ابذلوا ١٥  
 جهدكم فى تبع الذى ، و أظهر لزيادة التشنيع أيضا فقال : ( أنزل الله )  
 الذى خلقكم و خلق آباءكم الأولين ، و هو الذى لا عظيم إلا هو ( قالوا )

- (١) زيد من ظ و مد (٢) فظ : على (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) فى ظ : تعجيبا .  
 (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قاله .  
 (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من م .

جودا: لا نفعل<sup>١</sup> ( بل تتبع ) وإن جاهدنا<sup>٢</sup> بالأنفس و الأموال  
( ما وجدنا عليه أبأمانا<sup>٣</sup> ) لأنهم أثبت منا عقولا ، وأقوم قبلا ،  
وأهدى سبيلا .

ولما كانوا لا يسلكون طريقا حسيا<sup>٢</sup> بغير دليل ، كان التقدير:  
١٧٤ / • أتتبعونهم لو كان الهوى يدعوهم فيما وجدتموه / [ عليه -<sup>٢</sup> ] إلى ما يظن  
فيه الهلاك ، لكونه بغير دليل ، فعطف عليه قوله<sup>٢</sup>: ( أو لو كان الشيطان )  
أى البعيد من الرحمة ، المحترق باللعة ، وهو أعدى أعدائهم ، دليلهم فهو  
( يدعوهم )<sup>١</sup> إلى الضلال فيوقعهم فيما يسخط الرحمان فيؤديهم  
ذلك ( إلى عذاب السعير ) و عبر بالمضارع تصويرا لحالهم في ضلالهم  
١٠ • وأنه مستمر ، وأطلق العذاب على سببه .

ولما كان التقدير: فمن جادل في الله<sup>٢</sup> فلا متمسك<sup>٢</sup> له ، عطف  
عليه قوله في شرح حال أضدادهم: ( ومن يسلم ) أى فى الحال  
أو الاستقبال ( وجهة ) أى قصده و توجهه وذاته كلها • ولما كان  
مقصود السورة إثبات الحكمة ، عدى الفعل بـ ( إلى ) تنبيها على إتيان  
١٥ الطريق بالوسائط من النبى أو الشيخ و حسن الاسترشاد فى ذلك ، فقال  
معلقا بما تقديره: سارا واصلنا ( إلى الله ) الذى له صفات الكمال ،

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل: لا يعقل (٢) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل: جاهدوا (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل: حسنا (٤) زيد من ظ  
و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل: أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ  
و م و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقین من ظ .



فلم يبق لنفسه أمر أصلاً ، فهو لا يتحرك إلا بأمر من أوارره سبحانه  
 ﴿ وهو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ محسن ﴾ أى مخلص بباطنه كما أخلص  
 بظاهره ، فهو دائماً فى حال الشهود ﴿ فقد استمسك ﴾ أى اوجد الإمساك  
 بغاية ما يقدر عليه من القوة فى بادئة الأمور لترقية نفسه من حضيضها  
 إلى أوج الروح على أيدي المسلكين الذين اختارهم لديه ، العارفين بأخطار  
 السير و عوائق الطريق ﴿ بالمعروة الوثقى ﴾ التى هى الوثق ما يتمسك به  
 فلا يسقط له أصلاً ، ' فليسرك شكره ' فان ربه يعليه إلى كل مراد  
 ما دام متمسكاً بها تمثيلاً لحال هذا السائر بحال من سقط فى بحر ،  
 أو أراد أن يرقى جبلاً ، فادلى له صاحبه جبلاً ذا عرى فأخذ بأوثقها .  
 فهو يعلو به إذا جره صديقه . و هو قادر [ على جره - ٢ ] لاحتالة من ١٠  
 غير انفصام ، لأن متمسكه فى غاية الأحكام .

و لما كان الكل صائرٍ إليه . وافدين عليه : من استمسك بالأوثق ،  
 و من استمسك بالآوهى ، و من لم يتمسك بشيء ، إلا أن الأول صائر مع  
 السلامة . و غيره مع العطب ، قال مظهرًا تعظيماً للامر و لثلاً ' يقيد  
 بحبته ' عاطفاً على ما تديره : فيصير إلى الله سالماً ، فالى الله عاقبته لاحتالة : ١٥  
 ﴿ و الى الله ﴾ أى الملك الأعظم وحده . تصير ﴿ عاقبة الاموره ﴾ أى  
 كما أنه كانت منه بادئتها . و إنما خص العاقبة لأنهم مقرون بالبادئة .

(٢-٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل . فليسرك امر (٢) فى ظ : ربك (٣) زيد  
 من ظ و م ومد (٤ - ٤) بياض فى ظ و مد . و زيد فى الأصل بعده : قال ،  
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٥) سقط من م .

ولما ذكر المسلم ذكر الكافر فقال: ﴿وا من كفر﴾ أى ستر ما  
أداه إليه عقله من أن الله لا شريك له؛ وأنه لا قدرة [أصلاً -] لأحد  
سواه، ولم يسلم وجهه إليه، فتكبر على الدعاة وأبى أن ينقاد لهم، اتباعاً  
لما قاده إليه الهوى. بأن جعل لنفسه اختياراً وعملاً فعل القوى القادر،  
ه فقد أتى نفسه في كل هلكة لكونه لم يمسك شيئاً ﴿فلا يحزنك﴾  
أى يهلك و يوجعك، و أفرد الضمير باعتبار لفظ 'من' لإرادة التخصيص  
على كل\* مرد فقال: ﴿كفره﴾<sup>١</sup> كائناً من كان<sup>٢</sup> فإنه لم يفتك شيئاً فيه  
خير ولا يعجز لنا ليحزنك، ولا تبعه عليك بسية. وفي التفسير بنا بالماضى  
وفي الأول بالمضارع بشارة بدخول كثير في هذا الدين. وانهم  
١٧٥ / ١٠ لا يرتدبن بعد إسلامهم، و رغب في الإسلام لكل / من كان خارجاً  
عنه، فالآية من الاحتباك: ذكر الحزن ثانياً<sup>٣</sup> لإيلاء على حذف ضده  
أولاً، و ذكر الاستمساك أولاً<sup>٤</sup> لإيلاء على حذف ضده ثانياً.

ولما كان الحزن بمعنى الهم، حسن التعليل بقوله<sup>٥</sup> التفاتاً إلى مظهر  
العظمة التي هذا<sup>٦</sup> من أخفى مواضعها، و جمع لأن الإحاطة بالجمع أدل  
١٥ على العظمة: ﴿الينا﴾ أى خاصة بما لنا من العظمة التي لا تثبت لها الجبال

(١) ليست الواو في الأصل فقط (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م  
و مد، وفي الأصل: امر (٤) العبارة من هنا إلى «فرد فقال» سائطة من م  
(٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرمين من م (٧) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل: أولاً (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ثانياً (٩) العبارة من هنا إلى  
«على العظمة» سقطت من م (١٠) في ظ: هو (١١) من ظ و م و مد. وفي  
الأصل و م: احق.

(مرجعهم) أى رجوعهم 'وزمائه ومكانه أى' معنى فى الدنيا وحساب يوم الحساب، لا إلى غيرنا. ولما بين أنهم فى قبضته. وأنه لا بد من منهم، بين أن السبب فى ذلك حسابهم لتظهر الحكمة [ فقال - ٢ ] :  
(فنتبهم) بسبب إحاطتنا بامرهم وعقب رجوعهم (بما عملوا) أى ونجازهم عليه إن أردنا .

و لما كان معنى التضعيف : نفعل معهم فعل منقب عن الأمور مفقش<sup>٢</sup> على جليها: خفيها، جليها<sup>٣</sup> ودقيقها، فلا ندر شيئا منها، علله بقوله "معبرا بالاسم [ الأعظم - ١ ] المفهوم للنظمة وغيرها 'من صفات الكمال التى من أعظمها "علم. لقنا للكلام عن العظمة التى لا تدل على غيرها' إلا باللزوم، مؤكداً لإنكارهم شمول علمه: (إن الله علم) أى يحيط العلم<sup>١</sup> بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال (بذات الصدوره) أى بالأعمال التى هى صاحبها، ومضمرة ومودعة فيها، فناشئة عنها من قبل أن تبرز إلى الوجود، فكيف بذلك بعد عملها<sup>٤</sup>.

و لما تشوف المسلم إلى إهلاك من هذا شأنه وإلى العلم بمدة ذلك، وكان من طبع الإنسان العجلة. أجاب من يستعجل بقوله<sup>٥</sup> عائداً إلى مظهر<sup>١٥</sup> العظمة التى يتقاضاها إدلال العدو وإعزاز الولي<sup>٦</sup>: (نمتهم قليلا)

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: جليها.  
(٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: جليها.  
(٥) العبارة من هنا إلى «شمول علمه» ساقطة من م (٦) زيد من مد (٧) من م و مد وفى الأصل و ظ: علمها (٨-٨) سقط ما بين الرقين من م .

[أى - ١] من الزمان و من الحظوظ وإن جل ذلك عند من لا علم له ،  
فلا تشغلوا أنفسكم بالاستعجال عليهم فإن كل آت قريب .  
٢ ولما كان ٣ إلهاء المتجبرين ٢ إلى العذاب أمرا مستبعدا ، أشار بأداة البعد  
إلى ما يحصل عنده من صفات الجلال ، التي ٤ تذلل الرجال ، و تدك ٥ الجبال ،  
ه وفيه أيضا إشارة إلى استطالة ٦ المحسنين ٥ من تمتيعهم ٥ وإن كان قليلا في  
الواقع ، أو ٧ عند الله فقال : ﴿ تم نضطرم ﴾ أى ناخذهم أخذنا لا يقدر  
على الانفكاك عنه بنوع حيلة ٨ ، وأشار إلى طول إذلالهم في مدة السوق ٩  
بحرف الغاية ، فكان المعنى : فصيرهم بذلك الآخذ ﴿ إلى عذاب غليظه ﴾  
أى شديد ثقل ، لا ينقطع عنهم أصلا ولا يجدون لهم منه مخلصا من  
١٠ جهة من جهاته ، فكأنه ١١ في شدته و ثقله جرم غليظ ١٢ جدا إذا برك  
على شيء لا يقدر على الخلاص منه .

ولما كان من أعجب العجب مجادلتهم مع إقرارهم بما يلزمهم به

- 
- (١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « عند الله فقال » - ساقطة من م .  
(٣-٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : الحال ير - مع تحلل البياض (٤) من  
ظ و مد ، وفي الأصل : بنى (٥) من مد ، وفي الأصل : تذلل ، وفي ظ :  
تذل (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : استطابة (٧) زيد في الأصل : له ، ولم  
تكن الزيادة في ظ و مد فدفناها (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : تمتعهم .  
(٩) في ظ « و » (١٠) العبارة من هنا إلى « فكان المعنى » ساقطة من م (١١) من  
ظ و م ، وفي الأصل : الشوق (١٢) من ظ و مد ، وفي الأصل وم : نكان -  
(١٣) في ظ و مد : عظيم .

قطعا التسليم فى أنه الواحد لاشريك له ، وأن له ' جميع صفات الكمال  
 فله ' الحمد كله '، قال : ﴿ واثن ﴾ أى يجادلون أو يقولون : بل تقب  
 آباءنا و الحال أنهم إنا ﴿ سألهم من خلق السموات ﴾ بأسرها  
 ﴿ والارض ﴾ وجميع ما فيها ﴿ يقولن ﴾ أو لما كان الانسب للحكمة  
 التى هى مطلع السورة الاقتصار على محل الحاجة ، لم يرد هنا على المسند ' ه  
 إليه بخلاف الزخرف ' التى منها الإبانة ، فقال لافتا القول عن ' العظمة  
 إلى أعظم منها فقال : ﴿ الله ' ﴾ [أى - ' ] "المسمى بهذا الاسم الذى جمع  
 أسماء بين الجلال والإكرام" ، فقد أقرؤا بأن كل ما أشركوا به بعض  
 خلقه / و مصنوع من مصنوعاته .

١٧٦ /

و لما كانوا يعتقدون أن شركاءهم تفعل لهم بعض الأفعال ، فلذلك ١٠

كانوا يرجونهم ويخافونهم ، كما أن ذلك واضح فى قصة عم أنس الصم  
 وغيرها ، أمره صلى الله عليه وسلم بأن يعلمهم أنه لاخلق لغيره ولا أمر ،  
 بل هو مبدع كل شئ فى السماوات والارض كما أبدعها " ، وأن من

(١) تأخر فى الأصل عن « الكمال » و الترتيب من ظ و م و مد (٢) من ظ  
 و م و مد ، وفى الأصل : « و » (٣) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى  
 ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ « و » (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ :  
 جمع (٦) العبارة من هنا إلى « أعظم منها فقال » سقطت من م (٧) من ظ  
 و مد ، وفى الأصل : المستند (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : الزجر ، و راجع  
 من الزخرف آية ٩ (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : الى (١٠) زيد من ظ و مد .  
 (١١-١٢) سقط ما بين الرقيين من م (١٢) فى ظ و مد : ابتدعها .

جملة ذلك بما يستحق به الحمد سبحانه قهرهم على تصديقه صلى الله عليه وسلم [بمثل -<sup>١</sup>] هذا الإقرار وهم في غاية التكذيب، فقال مستأنفاً: ﴿قل الحمد﴾ أى الإحاطة بجميع أوصاف الكمال ﴿لله﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة الكاملة من غير تقييد بخلق الخافقين ولا غيره «الامر أعظم من مقالة قائل<sup>٢</sup>، كما أحاط بما تعلونه من خلق السموات والأرض، فهو فاعل الأفعال كلها، كما أنه خالق الذوات كلها، ولا شريك له فى شيء من الأمر، كما أنه لا شريك له فى شيء من الخلق».

ولما كانوا يظنون أن أصنامهم تصنع شيئاً كما قالت امرأة ذى النور الدوسى رضى الله عنه: هل<sup>٣</sup> يخشى على الصية من ذى الشرى، وكما قال قوم ضمام بن ثعلبة رضى الله عنه لما سب آلهتهم: اتق<sup>٤</sup> الجذام اتق<sup>٥</sup> البرص، وكما قال سادن العزى، وكما قالت ثقيف فى طاعتهم، حتى أنهم قالوا عند ما سويت بالأرض: والله ليغضبن<sup>٦</sup> الأساس، حتى حل ذلك المغيرة بن شعبة رضى الله عنه على أن حفر الأساس، وكانوا إذا مستهم الضراء لاسباً فى البحر تبرأوا منها، وأسندوا الأمر إلى من هو ١٥ له كما هو مضمون التوحيد<sup>٧</sup>، فكان ربما قال قائل استناداً<sup>٨</sup> إلى ذلك:

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من م (٣) العبارة من «أى الذى» فى م و من «من غير» فى ظ ساقطة إلى هنا (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بل (٥) من مد، وفى الأصل و ظ و م: اتقى (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ليغضبن (٧) العبارة من هنا إلى «بالتحميد» ساقطة من ظ و مد. (٨) فى م: التحميد (٩) من م، وفى الأصل: استناداً.

إنهم ليعلمون ما أثبت بالتحديد، قال: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أى  
 أن الله هو المتفرد بكل شئ. كما أنه تفرد بخلق السماوات والأرض،  
 وأنه لا يكون شئ إلا بأذنه لأنهم لا يعملون بما يعلمون من ذلك، وعلم  
 لا يعمل به عدم، بل العدم خير منه، وكان "القليل" المقصدون عند  
 النجاة من الشدة<sup>٢</sup> كما سيأتى آنفاً، أو يكون المعنى أنه لا علم لهم أصلاً  
 إذ لو كان لهم علم لنفهم في علمهم بالله، أو فى أنهم لا يقرون بتفرد  
 سبحانه بالخلق والرزق، فيكون ذلك موجباً لتناقضهم وملزماً لهم بالإقرار  
 بصدقك فى الحكم بوحديته على الإطلاق. ولما أثبت لنفسه سبحانه  
 الإحاطة بأوصاف الكمال، شرع يستدل على ذلك، فقال ميتاً أن ما  
 أخبر أنه صنعه فهو له: ﴿الله﴾ أى الملك الأعظم المحيط بجميع  
 أوصاف الكمال خاصة دون غيره ﴿ما فى السموات﴾ كلها. ولما تحور  
 بما تقدم أنهم عالمون مقرون بما يلزم عنه وحدانيته، لم يؤكد بأعادة  
 "ما" و"الجار"، بل قال<sup>٤</sup>: ﴿والأرض﴾ أى كلها كما كانتا مما صنعه،  
 فلا يصح أن يكون شئ من ذلك له شريكاً.

ولما ثبت ذلك أنتج قطعاً قوله: ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعظم<sup>١٥</sup>  
 ﴿هو﴾ أى وحده، وأكد لأن<sup>١٦</sup> ادعاءهم الشريك يتضمن إنكار غناه،

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: العلم (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى  
 الأصل: القيل هو - كذا (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) فى ظ و مد و . .  
 (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ملزوماً (٦) سقط من ظ (٧) سقطت  
 الواو من ظ و م (٨-٨) فى ظ و مد: فقال (٩-٩) سقط ما بين الرقین من م.  
 (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كان.

و لذلك اظهر موضع الإضمار إشارة إلى أن كل ما وصف به فهو ثابت له مطلقا من غير تقييد بحديثه ( الغنى ) مطلقا، لأن جميع الأشياء له و محتاجة إليه، وليس / محتاجا إلى شئ أصلا . ولما كان الغنى قد لا يوجب الحمد قال : ( الحميد ) أى ' المستحق لجميع المحامد ، لأنه المنعم على الإطلاق ، المحمود بكل لسان ألسنة الأحوال و الأقوال ، ولو كان نطقها دما فهو حمد من حيث أنه هو الذى أنطقها ، ومن قيد الحرس أطلقها .

/ ١٧٧

ولما كان الغنى قد يكون ماله محصورا كما فى السماوات و الأرض الذى قدم أنه له ، و المحمود قد يكون ما يحمد عليه مضبوطا مقصورا .  
١٠ أثبت أنه على غير ذلك ، [ بل - ٢ ] لا حد لغناه ، ولا ضبط لمعلوماته و مقدوراته الموجبة للحمد و لائتاءه ، فقال : ( ولو ) أى له الصفتان المذكورتان و الحال أنه لو ( أن ما فى الأرض ) أى كلها ، و دل على الاستغراق و تقصى<sup>٢</sup> كل فرد فرد<sup>١</sup> من الجنس بقوله : ( من شجرة ) حيث وحدها ( أقلام ) أى و الشجرة بمددا من بعدها على سبيل المبالغة  
١٥ سبع<sup>١</sup> شجرات ، و أن ما فى الأرض من بحر مداد لتلك الأقلام ( و البحر ) أى و الحال أن البحر ، و على قراءة البصريين<sup>٥</sup> بالنصب<sup>٦</sup> التقدير : و لو أن البحر ( بمدده ) أى يكون مددا<sup>٢</sup> له و زيادة فيه ( من بعده ) أى  
(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من مد ، و فى الأصل وظ و م : يقضى (٤) فى ظ : السبع (٥) راجع نثر الرجان ٢٢٨/٥ (٦) سقط من م . (٧) فى ظ و م و مد : مداد .



من وراثته (سبعة ابحر) فكتب<sup>١</sup> بتلك الأقلام و ذلك المداد الذى  
الأرض كلها له دواة كلمات الله (ما فقدت) وكرر الاسم الأعظم  
تعظيما للمقام فقال<sup>٢</sup> مظهرها للإشارة<sup>٣</sup> مع التبرك<sup>٤</sup> إلى عدم التقيد بشيء  
وإن جل<sup>٥</sup>: (كلمت الله) و فئت الأقلام و المداد، و أشار بجمع  
الفلة مع الإضافة إلى اسم الذات إلى زيادة العظمة بالعجز عن ذلك القليل  
فيهم العجز عن الكلم من باب الأولى، و يتبع الكلمات الإبداع، فلا  
تكون كلمة إلا لإحداث شأن من الشؤون "انما امره إذا اراد شيئا ان  
يقول له كن فيكون" و علم من ذلك نقاد الأبحر كلها لأنها محصورة،  
فهى لا تنفى بما ليس بمحصور، فبالها من عظمة لا تنهاى<sup>٦</sup> و من كبرياه  
لا تجارى و لاتضاهى، لاجرم كان نتيجة ذلك قوله مؤكدا لان ادعاءهم<sup>١٠</sup>  
الشريك إنكار للعزة، و عدم البعث إنكار للحكمة: (ان الله) أى المحيط  
بكل شيء قدرة و علما<sup>١</sup> من غير قيد أصلا (عزيز) أى يعجز كل  
شيء و لا يعجزه شيء (حكيم) يحكم<sup>٢</sup> ما أراده، فلا يقدر أحد على  
نقضه، و لا علم لأحد من خلقه إلا ما عليه، و لاحكمة لأحد منهم إلا بمقدار  
ما أوره، و قد علم أن الآية من الاحتباك: ذكر الأقلام دليلا على<sup>١٥</sup>

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يكتب (٢) من ظ و م و مد، و فى  
الأصل: فقام (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الإشارة (٤) فى ظ و مد:  
التبرى (٥) العبارة من «مظهرا» إلى هنا سائطة من م (٦ - ٦) سقط ما بين  
الرقين من م (٧) سقط من ظ و مد.

حذف مدادها<sup>١</sup>، وذكر السبعة [في -<sup>٢</sup>] مبالغة الأبحر دليلا على حذفها في الأشجار، وهو من عظيم هذا الفن، وعلم أيضا من<sup>٣</sup> السياق أن المراد بالسبعة المبالغة في الكثرة لاحقيقتها، وأن المراد بجمع القلة في "أبحر" الكثرة، لقريته المبالغة، وبجمع القلة في "كلنت" حقيقتها لينظم المعنى، وكل ذلك سائغ شائع في لغة العرب .

ولما ختم بهاتين الصفتين بعد إثبات القدرة على الإبداع من غير انتهاء، ذكر بعض آثارهما<sup>٤</sup> في البعث الذي تقدم أول السورة وأثناءها ذكره إلى<sup>٥</sup> أن حذرهم به في قوله "الينا مرجعهم" فقال: (ما خلقكم) أى كلمكم في عزته وحكمته إلا كخلق<sup>٦</sup> نفس واحدة، وأعاد الثاني نصا على كل واحد ١٠ / ١٧٨ من الخلق والبعث على حدته / فقال: (ولا بعثكم) كلمكم (الا كنفس) أى كبعث نفس<sup>٧</sup>، وبين الأفراد تحقيقا للراد، وتأكيذا للسهولة فقال: (واحدة<sup>٨</sup>) فان كلماته مع كونها غير نافذة نافذة<sup>٩</sup>، وقدرته مع كونها باقية بالغة. فنسبة القليل والكثير إلى قدرته على حد سواء، لأنه لا يشغله شأن عن شأن؛ ثم دل على ذلك بقوله مؤكدا لأن تكذيبهم ١٥ لرسوله وردهم لما شرفهم به يتضمن الإنكار لأن يكونوا<sup>١٠</sup> بمرأى منه

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: مرادها (٢) زيد من ظ و م ومد .  
(٣) زيد في ظ : هذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل :  
آثارها (٦) سقط من ظ ومد (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل : خلق، والعبارة  
من بعده إلى « على حدته فقال » ساقطة من م (٨) زيد في الأصل : واحدة، ولم  
تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها، والعبارة من هنا إلى « للسهولة فقال »  
ساقطة من م (٩) من ظ و م ومد، وفي الأصل : يكون .

و مسمع: ﴿ان الله﴾ أى الملك الاعلى الذى له الإحاطة الشاملة ﴿سميع﴾  
أى بالغ السمع يسمع كل ما يمكن سماعه من المعاني فى 'آن واحد'  
لا يشغله شئ منها عن غيره ﴿بصيره﴾ بليغ البصر يبصر كذلك كل  
ما يمكن أن يرى من الاعيان والمعاني، و من كان كذلك كان محيط  
العلم بالغة<sup>٢</sup> شامل القدرة تامها، فهو يبصر جميع الأجزاء من كل ميت، ه  
و يسمع كل ما يسمع من معانيه، فهو باحاطة عليه و شمول قدرته يجمع  
تلك الأجزاء، و يميز بعضها من بعض، و يودعها تلك المعاني، فاذا هى  
أنفس قائمة كما كانت أول مرة فى أسرع من لمح البصر .

و لما قرر هذه الآية الخارقة، دل عليها بأمر [محسوس - ٢] يشاهد  
كل يوم مرتين، مع دلالاته على تسخير ما فى السماوات و الأرض، ١٥  
و إبطال قولهم "ما يهلكنا الا الدهر" بأنه، هو الذى أوجد الزمان  
بتحريك الأفلاك، خاصا بالخطاب من لا يفهم ذلك<sup>٣</sup> حق فهمه غيره،  
أو عاما كل عاقل، إشارة إلى أنه فى دلالاته على البعث فى غاية الوضوح  
قال: ﴿الم تر﴾ أى يا من يصلح لمثل هذا الخطاب، و يمكن أن يكون  
لنبي صلى الله عليه وسلم لأنه لا يعلم ذلك من المخلوقين حق عليه غيره . ١٥  
و لما كان 'البعث مثل' إيجاد كل من الملوك بعد إعدامه، فكان  
إنكاره<sup>٤</sup> إنكارا لهذا، نه على ذلك بالتأكيده<sup>٥</sup> فقال: ﴿ان الله﴾ [أى - ٢]

(١-١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ارواحه (٢) من ظ و م و مد،  
وفى الأصل: بالغ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (ه-ه) من ظ  
و م و مد . وفى الأصل: البعث قبل (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل:  
إشارة (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: التاكيد .

بجلاله وعز كاله ( يولج ) أى يندخل<sup>١</sup> إدخالاً لا مربة فيه  
 ( النيل فى النهار ) فيغيب فيه بحيث لا يرى شئ منه، فاذا النهار  
 [ قد -<sup>٢</sup> ] عم الأرض كلها أسرع من اللح ( و يولج النهار ) أى  
 يدخله كذلك ( فى الليل ) فيخفى حتى لا يبق له أثر؛ فاذا الليل قد  
 ٥ طبق الآفاق<sup>٣</sup> : مشارقها ومغاربها فى مثل الظرف، فيميز سبحانه كلا منهما

- وهو معنى من المعانى - من الآخر بعد اضمحلاله، فكذلك الخلق  
 والبعث فى قدرته بعزته وحكمته بلوغ<sup>٤</sup> سمعه وفوق بصره . ولما كان  
 هذا معنى من المعانى يتجدد فى كل يوم وليلة، عبر فيه<sup>٥</sup> بالمضارع .  
 ولما كان النيران جرمين عظيمين قد صرفا على طريق معلوم بقدر

١٠ لا يختلف، عبر فيهما بالماضى عقب ما هما آياته<sup>٦</sup> فقال : ( ونحر الشمس )  
 آية للنهار بدخول الليل فيه ( والقمر ) آية لليل كذلك ؛ ثم استأنف  
 ما سحرا فيه<sup>٧</sup> فقال : ( كل ) أى منهما ( بحرى ) [ أى<sup>٨</sup> ] فى فلكه  
 سائرا متباديا [ و -<sup>٩</sup> ] بالغا ومنتها .

ولما كان محط مقصود السورة الحكمة، وكانت هذه الدار مرتبطة

١٥ بحكمة الاسباب والتطور، والمد فى الإبداع والتسير، كان الموضع<sup>١٠</sup>  
 لحرف الغاية فقال : ( الى<sup>١١</sup> اجل مسمى ) لا يتعداه فى منازل معروفة فى  
 جميع الفلك لا يزيد ولا ينقص، هذا يقطعها فى الشهر [ مرة -<sup>١٢</sup> ] وتلك

(١) زيد فى م : أى (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من ظ و م ومد، وفه  
 الأصل : بالآفاق (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ ومد -  
 (٦) زيد من م ومد (٧) من م ومد، وفى الأصل و ظ : الوضع .  
 فى (٥٠)

فى / السنة مرة ، لا يقدر واحد منها أن يتعدى طوره ، ولا أن ينقص دوره ، ولا أن يغير سيره .

ولما بان بهذا التدبير المحكم ، فى هذا الخلق الأعظم ، شمول علمه وتمام قدرته ، عطف على<sup>٢</sup> "ان الله" ، قوله مؤكدا لأجل أن أفعاله من ينكر علمه بها : ( وان الله ) أى بما له من صفات الكمال المذكورة وغيرها ، وقدم الجار إشارة إلى تمام علمه<sup>٣</sup> بالأعمال - كما مضت الإشارة إليه غير مرة ، [ وعم بالخطاب يانا لما قبله وترغيا وترهيا -<sup>٤</sup> ] فقال : ( بما تعملون ) أى<sup>٥</sup> فى كل وقت على سبيل التجدد ( خير ) لا يعجزه شيء [ منه -<sup>٦</sup> ] ولا يخفى عنه ، لأنه الخالق له كله دقه وجله ، وليس للعبد فى إيجاد غير الكسب لأنه لا يعلم مقدار الحركات والسكنات فى شيء منه ، ولو كان هو الموجد له لعلم ذلك لأنه لا يقدر على الإيجاد ناقص العلم أصلا ، وكما<sup>٧</sup> أخبر سبحانه فى كتبه وعلى لسان أنبيائه بأشياء مستقبله من أمور العباد ، فكان ما قاله كما قاله ، لم يقدر أحد [ منهم -<sup>٨</sup> ] أن يخالف فى شيء مما قاله ، فثبت كلماته ، وصدق إشاراته وعباراته ، وهذا دليل آخر على تمام القدرة على البعث وغيره ١٥ باعتبار أن الخلائق فى جميع الأرض يفوتون الحصر ، وكل منهم

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : هذه (٢) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م و مد مخدفاها (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : العلم . (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) فى ظ : كما (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لا (٨) زيد من ظ و م و مد .

لا ينفك في كل لحظة عن 'عمل من حركة و سكون، و هو سبحانه الموجد  
لذلك كله في [ كل - ' ] أن دائما ما تعاقب الملوان، وبقى الزمان،  
لا يشغله شأن منه عن شأن، و قد كان الصحابة رضى الله عنهم لما  
خوطبوا بهذا في غاية العلم [ به - ' ]، لما ذكر من دليله. ولما شاهدوا  
ه من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن معيات تتعلق بأناس غائبين  
وأناس حاضرين. منهم البعيد جدا و المتوسط و القريب، و غير ذلك  
من أحوال توجب القطع لهم بذلك، هذا عليهم فكيف يكون علم  
المخصوص في هذه الآية بالخطاب صلى الله عليه وسلم، مع ما يشاهد  
من آثاره سبحانه و تعالى، و يطلع عليه من إبداعه في ملكوت السماوات  
١٠ و الأرض و غير ذلك مما أطلعه عليه سبحانه و تعالى من عالم  
الغيب و الشهادة.

و لما ثبت بهذه الأوصاف الحسنى و الأفعال العلى أنه لا موجد  
بالحقيقة إلا الله قال: ( ذلك ) أى ذكره لما ذكر من الأفعال الهائلة  
و الأوصاف الباهرة ( بأن ) [ أى - ' ] بسبب أن ( الله ) [ أى - ' ]  
١٥ الذى لا عظيم سواه ( هو ) وحده ( الحق ) أى الثابت بالحقيقة  
و ثبت غيره فى الواقع عدم. لأنه مستفاد من الغير، و ليس له الثبوت  
من ذاته، و منه ما أشركوا به، و لذلك أوردته بالنص، فقال صارفا للخطاب

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من  
ظ و م و مد، و فى الأصل: حواطوا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل:  
اثبت (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الأفاضات (٦) من ظ و م و مد،  
و فى الأصل: دابه.

الماضى إلى الغيبة على قراءة البصريين<sup>١</sup> و حمزة و حفص عن عاصم إنيانا  
بالغضب، و قراءة الباقيين على الأسلوب الماضى ( و ان ما يدعون )  
أى هؤلاء المختوم على مداركهم، و أشار إلى سفول و تبتهم بقوله:  
( من دونه ) .

و لما تقدمت الأدلة الكثيرة على بطلان آلهتهم بما لا مزيد عليه، ه  
كقوله ” هذا خلق الله فارونى ما ذا خلق الذين من دونه “ و أكثر  
هنا من إظهار الجلالة موضع الإضمار تنبيها على عظيم المقام<sup>٢</sup> لم تدع حاجة  
إلى التأكيد بضمير الفصل فقال : ( الباطل لا ) أى العدم حقا، لا يستحق  
أن تضاف إليه الإلهية بوجه من الوجوه، و إلا منع [ من - ٢ ] شئ من  
هذه الأفعال مرة من المرات، فلما وجدت على هذا النظام علم أنه الواحد ١٠  
الذى لا مكافئ له .

و لما كانوا يعلنونها عن مراتبها و يكبرونها بغير حق، قال :  
( و ان الله ) أى الملك الأعظم<sup>٣</sup> وحده . و لما كان النيران بما عبد  
من دون الله، و كانا قد جمعا<sup>٤</sup> علوا و كبرا<sup>٥</sup>، و كان ليس لهما من ذاتهما<sup>٦</sup>  
إلا العدم فضلا عن السفول و الصغر، ختم بقوله : ( هو العلى الكبير )  
أى عن أن يدانيه فى عليائه ضد . أو يباريه<sup>٧</sup> فى كبريائه ند . ١٥

(١) راجع نثر الرجان ٣٤٠/٥ (٢-٢) سقط ما بين الرفين من م (٢) زيد من  
ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل : أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد  
لغذفناها (٥-٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م : كبرا و علوا (٦) فى ظ :  
ذاتهم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل و م : يقاربه .

ولما تضمنت الآية ثلاثة أشياء ، أتبعها دليلها <sup>١</sup> ، فقال منها على أن سيرنا في الفلك مثل سير النجوم في الفلك ، وسير أعمارنا في فلك الأيام حتى يولجنا في بحر الموت مثل سير كل من الليل والنهار في فلك الشمس حتى يولج في الآخر فيذهب حتى كأنه ما كان ، ولو لا قدره بالحقية والعلو والكبر <sup>٢</sup> ما استقام ذلك ، خاصا بالخطاب أعلى الناس ، تنبيها على أن هذه الآية لكثرة الألف لها أعرض عن تأملها ، فهو في الحقيقة [ حث - <sup>٢</sup> ] على تدبرها ، ويؤيده الإقبال على الكل عند تعليلها <sup>٣</sup> :

( الم تر ان الفلك ) أى السفن كبارا وصغارا ( تجرى ) أى بكم حاملة ما تعجزون عن نقل مثله في البر ، وعبر بالظرفية <sup>٤</sup> إشارة إلى أنه ليس لها من ذاتها إلا الرسوب [ في الماء - <sup>٢</sup> ] لكثافتها ولطافته فقال : ( في البحر ) [ أى - <sup>٢</sup> ] على وجه الماء ، [ وعبر عن الفعل بآثره لأنه أحب فقال - <sup>٢</sup> ] : ( بنعمت الله ) أى برحمة <sup>٥</sup> الملك الأعلى المحيط علما وقدره وإحسانه ، مجددا ذلك على مدى الزمان عليكم في تعليمكم صنعها <sup>٦</sup> حتى تهيات لذلك على يدي أيكم نوح العبد الشكور عليه السلام ١٥ ( ليرىكم من ابنه ) أى عجائب قدرته ودلائله [ التى - <sup>٢</sup> ] تدلكم على

(١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : دليلا (٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ : الكبرياء (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يؤيد (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : تعليله (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بالظرف فيه (٧) زيد من ظ ومد (٨) في ظ ومد : بانعام (٩) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : امد (١٠) في ظ وم ومد : صنعتها (١١) في ظ : عجيب



نظم الدرر ( الجزء الحادى والعشرون ) ج - ١٥

أنه الحق الذى أثبت بوجوب وجوده ما ترون من الاحمال الثقال على وجه الماء الذى ترسب فيه الإبرة فما دونها، وهى مساوية لغيرها فى أن الكل من التراب، فما فوات بينها إلا هو بتمام قدرته وفعله بالاختيار. ولما كان هذا أمرا إذا جرد النظر فيه عن كونه قد صار مألوقا بهر العقول وحير الفهوم، أشار إليه بقوله مؤكدا تنبيها بما هم فيه من الغفلة عنه، "لاقنا الخطاب بعد الجمع إلى الأفراد تنبيها على دقة الأمر وأنه" - وإن كان يظن أنه ظاهر - لا يفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه وسلم: (إن فى ذلك) أى الأمر الهائل البديع الرفيع (لأثبت) أى دلالات واضحات على ماله من صفات الكمال\* فى عدم غرقه وفى سيره إلى البلاد الشاسعة، والاقطار البعيدة، وفى كون سيره ذهابا ١٠ وإيابا تارة برحمن، وأخرى برمح واحدة، وفى إنجاء أيكم نوح عليه السلام ومن أراد الله من خلقه [به - ٧] وإغراق غيرهم من جميع أهل الأرض، وفى غير ذلك من شؤنه، وأموره وفنونه، ونعمه [وفنونه - ٨] وإن كان / أكثر ذلك قد صار مألوقا لكم فجهلتم أنه من خوارق العادات، ونواقض المطردات<sup>٩</sup>. وعلم من ختام التى قبلها أن ١٥

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: بوحود (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الثقلات (٣) العبارة من هنا إلى « عليه وسلم » ساقطة من م. (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م مد (٥) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفها (٦) قد ظ و م: تارة (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) زيد من م ومد (٩) من ظ و م ومد، وفى الأصل: المضطربات.

المراد - بقوله جامعا لجميع الإيمان الذي هو نصفان : نصف صبر، و نصف شكر، و ذلك تمام صفة المؤمن 'مظهرا موضع 'لك' أو 'لكم' - ما أفاد الحكم بكل من شاركه صلى الله عليه و سلم في الوصفين المذكورين :  
 ( لكل صبار ) لإدامة الفكر في هذه النعم و استحضارها في الشدة و الرخاء، و أنها من عند الله، و أنه لا يقدر عليها سواه، و الإذعان له في جميع ذلك، حفظا لما دل عليه العقل من أخذ الميثاق بالشكر، و أن لا يصرف الحق إلى غير أهله، فيلزم عليه الإساءة إلى المحسن (شكور\*) عليه مبالغ في كل من الصبر و الشكر، و علم من صيغة المبالغة في كل منهما أنه لا يعرف في الرخاء من عظمة الله ما كان يعرفه في الشدة إلا من<sup>١</sup> طبعهم [الله - ٢] على ذلك و وقفهم له و أعانهم عليه بحفظ العهد و ترك النقض جريا مع ما<sup>٢</sup> تدعو إليه الفطرة الأولى السليمة، و قليل ما هم، [و - ٣] قال الرازي في اللوامع : و كيفما كان فالصبر هو الثبات في مراكز العبودية، و الشكر رؤية النعمة من المنعم الحق و صرف نعمه إلى محابته .

١٥ و لما كانوا يسارعون إلى الكفر بعد انفصالهم من هذه الآية<sup>١</sup> العظيمة، و إلباسهم هذه النعمة الجسيمة، التي عرفتهم ما تضمنته<sup>٢</sup> الآية السالفة من حقيقته<sup>٣</sup> وحده و علوه و كبره و بطلان شركاتهم، أعرض عنهم

(١-١) سقط ما بين الرقین من م (٢) تكرر في الأصل فقط (٣) زيد من م و مد (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : الاياب (٧) من ظ و مد، و في الأصل و م : تضمنتهم (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ : حقيقته .

وجه<sup>١</sup> الخطاب لأنهم لم يرجعوا بعد الوضوح إيداناً باستحقاق شديد الغضب والعذاب، فقال معجبا<sup>٢</sup> عاطفا على ما تقديره: وأما غير الصبار الشكور فلا يرون ما فى ذلك من الآيات فى [حال -<sup>٣</sup>] رخائهم: ﴿واذا غشيهم﴾ أى علام ومم فيها حتى صار كالمغطى لهم، لأنه منهم من أن تمتد<sup>٤</sup> أبصارهم كما كانت ﴿موج﴾ أى هذا الجنس<sup>٥</sup>، ولعله أفرد<sup>٦</sup> لأنه لشدة اضطرابه وإتيانه شيئا فى أثر شيء متابعا<sup>٧</sup> يركب بعضه<sup>٨</sup> كأنه شيء واحد، وأصله من الحركة والازدحام ﴿كالظلل﴾ [أى -<sup>٩</sup>] حتى كان كأطراف الجبال المظلة<sup>١٠</sup> لمن يكون إلى جانبها، [وللاشارة إلى خضوعهم غاية الخضوع كرر الاسم الأعظم فقال -<sup>١١</sup>]: ﴿دعوا الله﴾ [أى -<sup>١٢</sup>] مستحضرين لما يقدر عليه الإنسان من كماله بجلاله وجماله، عالمين<sup>١٣</sup> بجميع مضمون الآية السالفة من حقيقته وعلوه وكبره وبطلان ما يدعون من دونه ﴿مخلصين له الدين﴾ لا يدعون شيئا سواه بألسنتهم ولا قلوبهم لما اضطروا إلى ذلك من آيات الجلال، وقسروا عليه من العظمة والكمال<sup>١٤</sup>، واقتضى الحال فى سورة الحكمة حذف ما دعوا به لتعظيم الأمر [فيه -<sup>١٥</sup>] لما اقتضاه من الشدائد لتذهب النفس فيه كل مذهب<sup>١٦</sup> . ولما كان القتل بالسيف أسهل عندهم من أن يقال عنهم: إنهم

(١) فى ظ: بوجه (٢) العبارة من هنا إلى «رخائهم» ساقطة من م (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: تميل (٥) سقط من ظ (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من م . (٧) زيد من م ومد (٨) فى م: كالظلة (٩) العبارة من هنا إلى «كل مذهب» ساقطة من م .

أقروا بشيء هم له منكرون<sup>١</sup> لأجل الخوف خوف السبة<sup>٢</sup> بذلك و العار<sup>٣</sup>  
حتى قال من قال: لولا أن يقال<sup>٤</sup> "إني ما أسلمت إلا جزعا من الموت فيسب  
بذلك بئى من بعدى" لأسلمت. بين لهم سبحانه أنهم وقعوا بما فعلوا  
عند خوف الغرق في ذلك، وأعجب منه رجوعهم إلى الكفر عند الإنجاء،  
لما فيه مع<sup>٥</sup> ذلك من كفران الإحسان الذى هو عندهم من أعظم الشنع،  
فقال دالا بالفاء على قرب استحالتهم و طيشهم و جهالتهم: / (فلما نجّهم)  
أى خلاصهم رافعا لهم، تنجية لهم<sup>٦</sup> عظيمة بالتدرج من تلك الأحوال  
(إلى البر) نزلوا<sup>٧</sup> عن تلك المرتبة التى أخلصوا فيها الدين، و تنكبوا  
سبيل المفسدين<sup>٨</sup> و انقسموا قسمين<sup>٩</sup> (فمنهم) أى تسبب عن نعمة الإنجاء  
١٠ و ربط بها إشارة إلى أن المؤثر لهذا الانقسام إنما هو الاضطراب إلى  
الإخلاص فى البحر<sup>١٠</sup> و النجاة منهم أنه كان منهم (مقتصد<sup>١١</sup>) متكلف  
للتوسط<sup>١٢</sup> و الميل للأقامة<sup>١٣</sup> على الطريق المستقيم، و هو الإخلاص فى  
التوحيد الذى أُلجأ إليه الاضطراب، و هم قليل - بما<sup>١٤</sup> دل عليه التصريح  
بالتبعض، و منهم جاحد للنعمة تلقى للجلاب الحياء فى التصريح بذلك،

---

(١) فى ظ: ينكرون (٢) من م و مد، وفى الأصل وظ: الشبه (٣) من ظ  
وم و مد، وفى الأصل: المعاد (٤) زيد فى ظ: قولاً (٥) قى ظ: من (٦) سقط  
من ظ (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تولوا (٨ - ٨) سقط ما بين  
الرقين من م (٩) زيد فى ظ: التوحيد إليه (١٠) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: الوسط (١١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: إلى الأقامة (١٢) من  
ظ و م و مد، وفى الأصل: بما.

وهو الأكثر - كما مضت الإشارة إليه، [و-'] دل عليه ترك التصريح فيه بالتبويض، وما يقتصد إلا كل صبار شكور، إما حالا وإما مآلا (وما يحمد) 'و خوف الجاحد بمظهر' العظمة التى من شأنها الانتقام، قال صارفا القول' إليه: (بأيقنا) أى بنكرها مع عظمها ولاسيما بعد الاعتراف بها (الا كل ختار) أى شديد القدر عظيمه لما نقض ه من العهد الهادى إليه العقل والداعى إليه الخوف (كفور ه) أى عظيم الكفر لإحسان من هو متقلب فى نعمه، فى سره وعلمه، وحركاته وسكناته، ولانعمة إلا وهى منه، ومن هنا جاءت المبالغة فى الصفتين، وعلم أنها طابقا ومقابلة لختام التى قبلها، وأن الآية من الاحتباك: دل ذكر المقتصد أولا على "و منهم جاحد" ثانيا، و حصر الجحود<sup>١٠</sup> فى الكفور ثانيا على حصر الاقتصاد فى الشكور أولا، قال البغوى<sup>١١</sup>: قيل: نزلت فى عكرمة بن أبى جهل حين<sup>١٢</sup> هرب رضى الله عنه عام الفتح إلى البحر فجاءهم ريح عاصف - يعنى: فقال الركاب على عاداتهم: أخلصوا فان آلتكم لا تقى عنكم هنا شيئا - فقال عكرمة رضى الله عنه: لن أنجاني الله من هذا لأرجعن إلى محمد ولاضعن يدي فى يده، فسكنت<sup>١٥</sup> الريح، فرجع عكرمة رضى الله عنه إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه، وقال

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) العبارة من هنا إلى 'القول إليه' ساطعة من م.  
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: لنظهر (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: العظمة (٥) من ظ و مد، وفى الأصل و م: أنها (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من م (٧) فى ظ و م و مد: الجحود (٨) راجع العالم بهامش الباب ١٨٢ / ٥ (٩) ليس فى العالم.

بجاهد : مقتصد في القول ، [ مضر للكفر ، وقال الكلبي : مقتصد في القول - ١ ] أى من الكفار ، لأن بعضهم كان أشد قولا وأعلى في الاقتراء من بعض .

ولما ظهرت<sup>٢</sup> بما ذكر في هذه السورة دقائق الحكمة ، وانتشرت في الحافقين ألوية العظمة ونفوذ الكلمة ، وأعربت السن<sup>٣</sup> القدرة عن دلائل الوجدانية ، فلم تدع شيئا من العجمة ، فظهر<sup>٤</sup> كالشمس أنه لا بد من الصيرورة إلى يوم الفصل وختم بالمكذب ، أمر سبحانه عباده عامة عاصيهم ومطيعهم بالإقبال عليه ، وخوفهم ما<sup>٥</sup> هم صائرون إليه ، مناديا لهم بأدنى أوصافهم لما لهم من الذبذبة كما عرف به الحال الذي شرح<sup>٦</sup>

١٠. آتفا فقال : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ) أى عامة ،<sup>٧</sup> ولفت الكلام ، إلى الوصف المذكور<sup>٨</sup> بالإحسان ترغيبا وترهيبا فقال : ( اتقوا ربكم ) / أى الذى لا إله [ لكم - ٩ ] غيره ، لأنه لا محسن إليكم غيره ، اتقاء يدوم وأنتم في غاية الاجتهاد فيه . لا كما فعلتم عند ما رأيتم من أهوال البحر .

/ ١٨٣

ولما كانت وحدة [ الإله - ١٠ ] الملك توجب الخوف منه ، لأنه لا مكافئ له ، وكان إن عهد منه أنه لا يستعرض عبادة لمجازاتهم على

١٥. زيد من العالم (٢) من ظ و م و مد . وفي الأصل : ظهر (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : السنة (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فظهرت . (٥) في ظ : بما (٦) زيد في الأصل : به ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لخذلتها (٧) العبارة من هنا إلى ترهيبا فقال : ساقطة من م (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : المذكور (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) زيد من م .

أعمالهم

أعمالهم لا يخشى كما يخشى إذا علم منه أنه يستعرضهم قال: (واخشوا يوما) لا يشبه الأيام، ولا يعد هول البحر ولا غيره عند أدنى هول من أهواله شيئا بوجه.

ولما كان المجرم إذا علم أن له عند الملك من يدفع [عنه - ١] فرّ ذلك من خوفه، وكان ما بين الوالد والولد من الخوف والشفقة والعطف ٥ والرحمة الداعية إلى المحاماة والنصرة والفداء بالنفس والمال أعظم مما بين غيرهما، فاذا اتقى إغناء أحدهما عن الآخر اتقى غيرهما بطريق الأولى قال: (لا يجرى) أى يغنى فيه، ولعله حذف الصلة إشارة إلى أن هذا الحال لهم دائما إلا أنه سبحانه أقام في هذه الدار أسبابا ستر قدرته بها، فصار الجاهل يحمل الأمر عليها ويستند إليها، وأما هناك فتزول ١٠ الأسباب، وينجلي غمام الارتباب، ويظهر اختصاص العظمة برب الأرباب.

ولما كانت شفقة الوالد - مع شمولها لجميع أيام حياته - أعظم، [فهو يؤثر حياة ولده على حياته ويؤثر أن يحمل بنفسه الآلام والأموال - ٢] بدأ به فقال: (والد) كاتنا من كان (عن ولده) [أى - ٣] ١٥ لا يوجد منه ولا يتجدد في وقت من الأوقات نوع من أنواع الجزاء

(١) زيد في ظ: انه (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: نقره (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الوالد (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الحطابة (٦) في ظ وم ومد: ما (٧) في ظ: هذا (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: هنا (٩) سقط من ظ.

وإن تحقق أن الولد منه، والتعبير بالمضارع إشارة إلى أن الوالد لا يزال تدعوه الوالدية إلى الشفقة على الولد، وتجدد عنده العطف والرقّة، والمفعول إما محذوف لأنه أشد في النفي وآكد، وإما مدلول عليه بما في الشق الذي بعده.

٥. ولما كان الولد لا يتوقع منه الإغناء عن والده في المزاهر إلا بعد بلوغه، أخره في عبارة دالة على ثبات السلب العام فقال: (ولا مولود) أي مولود كان (هو جازي عن والده) وإن علم أنه بعضه (شيئا) من الجزاء، وفي التعبير بـ «هو» إشعار بأن المنقّ نفعه بنفسه، فبه ترجية بأن الله قد يأذن له في نفعه إذا وجد الشرط، وعبر هنا بالاسم.
١٠. الفاعل لأن الولد من شأنه أن يكون ذلك له ديدنا لما لا يه عليه من الحقوق، والفعل يطلق على من ليس من شأنه الاتصاف بما أخذ اشتقاقه. فعبّر به في الآب لأنه لاحق للولد عليه بوجوب عليه ملازمة الدفع عنه، ويكون ذلك من شأنه وما يتصف به فلا ينفك عنه، وذلك كما أن الملك لو خاط صبح أن يقول في تلك الحال: إنه يخيط.
١٥. ولا يصح «خياط» لأن ذلك ليس من صناعته، ولا من شأنه.
- ولما كان من المعلوم أن لسان حالهم يقول: هل هذا اليوم كان

(١-١) سقط ما بين الرقيين من م (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بضمة.  
 (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: النهي (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: للوالد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: حللم - كذا.



حقاً؟ أجيب هذا السؤال بقوله مؤكداً لمكان إنكارهم، "لأنا القول إلى الاسم الأعظم" لاقتضاء "الوفاء له" (١) (ان وعد الله) الذى له جميع معاهد العز / والجلال (حق) يعنى أنه سبحانه قد وعد به على جلال جلاله. وعظيم قدرته وكأله، فكيف يجوز أن يقع فى وهم فضلاً عن أوهامكم أن يخلفه مع [أن - ١] أدناكم - أيها العرب كافة - ه لا يرى أن يخلف وعده وإن ارتكب<sup>٢</sup> فى ذلك الأخطار، وعانى فيه الشدائد الكبار، فلما ثبت أمره، وكان جبههم لسجن هذا الكون المشهود فيسبهم ذلك اليوم،<sup>٣</sup> لما جعل سبحانه فى هذا الكون من المستلذات، تسبب عنه قوله: (فلا تفرنكم) مؤكداً لعظم الخطب (الحياة الدنيا دقة) أى بزخرفها، و [لا - ١] ما يبهج من<sup>٤</sup> لا تأمل له من فاني روتقها،<sup>٥</sup> وكرر الفعل والتأكيد إشارة إلى أن ما لهم من الإلف بالحاضر<sup>٦</sup> معيهم لهم عما فيه من الزور، والخداع الظاهر والغرور، فقال مظهراً غير مضمحل لأجل زيادة التنبيه والتحذير: (ولا يفرنكم بالله) الذى لا أعظم منه ولا مكافئ له مع ولايته لكم (الغرور ه) [أى - ١] الكثير الغرور

---

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بمكان (٢) العبارة من هنا إلى «الوفاء له» ساقطة من م (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد (٥) من م و مد، وفى الأصل: ما عاهد، وفى ظ: مناقاة (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ: اختلف (٨) زيدت الواو فى ظ (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لمن (١١) العبارة من هنا إلى «و التحذير» ساقطة من م (١٢) من ظ و مد، وفى الأصل: الحاضر.

المبالغ فيه . و هو الشيطان الذى لا أحقر منه ، لما جمع من البعد و الطرد  
 و الاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من أمرها ، و يلهيكم به من تعظيم  
 قدرها ، و ينسبكوه من كيدها و غدرها ، و تبها و شرها ، و أذاها  
 'وضرها' ، فيوجب ذلك لكم الإعراض عن ذلك اليوم ، فلا تعدونه  
 ٥ معادا ، فلا تتخذون له 'زادا' ، لما اقترن بفروره<sup>٢</sup> من حلم<sup>١</sup> الله و إمهاله ،  
 قال سعيد بن جبير رضى الله عنه<sup>٣</sup> : الغرة بالله أن يعمل المعصية  
 و يتمنى المغفرة

و لما كان من الامر الواضح أن لسان حالهم بعد السؤال عن  
 تحقق ذلك اليوم يسأل عن وقته كما مضى في غير آية ، و يأتي [في<sup>١</sup>]  
 ١٠ آخر التي بعدها ، إما تمتنا و استهزاء و إما حقيقة ، أجاب عن ذلك ضامنا  
 إليه أجيواته من مفاتيح الغيب المذكورة في حديث ابن عمر رضى الله  
 عنهما الآتى ، لما في ذلك من الحكمة التي سبقت لها السورة ، مرتبا لها  
 على الأبعد فالأبعد عن علم الخلق ، فقال مؤكدا لما يعتقدون في كهانهم<sup>٤</sup>  
 مظهرا الاسم الأعظم غير مضر لشدة اقتضاء المقام له : ( أن الله )  
 ١٥ أى بما له من العظمة و جميع أوصاف الكمال ( عنده ) أى خاصة ، و لو  
 قيل " له " مثلا ما أفاد الحضور ، و لو قيل " لديه " لاؤم التعبير بلدى<sup>٥</sup>

(١-١) سقط ما بين الرفين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ،  
 و فى الأصل : بغروركم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حكم (٥) راجع  
 معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ١٨٢ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و م  
 و مد ، و فى الأصل : كهانهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به .

الى

التي هي للحضور أن ذلك كناية عن قربها جدا، و' أوم أن علمه تعالى يتفاوت تعلقه بالاشياء بخصوص أو عموم لأجل أن "لدى" أخص من 'عند' فكانت 'عند' أوفق للراد، فانها أفادت التمكن من العلم مع احتمال تأخرها [وسلت - ٢] من تطرق احتمال فاسد إليها (علم الساعة ع) أى وقت قيامها، لا علم لغيره بذلك أصلا.

ولما كان سبحانه قد نصب عليها أمارات توجب ظنونا في قربها، وكشف بعض أمرها، عبر تعالى<sup>٢</sup> بالعلم، ولما كانوا قد ألحوا في السؤال عن وقتها، وكانت<sup>٣</sup> أبعد الخس عن علم الخلق، وكانت شيئا واحدا لا يتجزى "فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة" أبرزها سبحانه في جملة<sup>٤</sup> اسمية دالة على الدوام والثبوت على طريق الحصر، وهذا هو ١٠ المفتاح الأول من مفاتيح الغيب يفتح به من العلوم ما يجمل عن الحصر عن قيام الانفس بأبدانها، ماثلة على مذاقها بجميع أركانها، وأشكالها وألوانها، وسائر شأنها، وطيران الأرواح بالنفخ<sup>٥</sup> إليها واحتوائها عليها على اختلاف أنواعهم، وتغير صورهم وأطوالهم، وتبين السننهم وأعمالهم، إلى<sup>٦</sup> غير ذلك من الأمور، وعجائب المقدور، / ثم سعيهم إلى الموقف ثم ١٥ / ١٨٥ وقوفهم، ثم<sup>٧</sup> حسابهم إلى استقرار الفريقين في الدارين، هذا إلى موجههم

- (١) في مد: او (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) سقط من م (٤) في ظ وم ومد: الحفوا (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كان (٦) في ظ: جمل. (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بالفتح (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل "و" (٩) سقط من ظ.

من شدة الزحام، والكروب العظام، بعضا في بعض. يطلبون من يشفع لهم في الحساب حتى يقوم المصطفى صلى الله عليه وسلم المقام المحمود الذي يغطه به الأولون والآخرون إلى انتفاض السموات، وانكدار ما فيها من النيرات، ونزول الملائكة بعد قيامهم من منامهم، وهم من لا يحصى. ه أهل سماء منهم، كثرة، كيف وقد أطلت السماء وحق لها أن تظط، ما فيها موضع قدم إلا [ و- ٢ ] فيه ملك قائم يصلي، هذا إلى تبدل الأراضى وزوال الجبال، ونسف الأبنية والروابي والتلال، وغير ذلك بما لا<sup>٢</sup> يعلمه حق عليه إلا هو سبحانه.

المفتاح الثاني: آية الله في خلقه على قيام الساعة، وأدل الأدلة عليه، وهو إزال المطر الذي يكشف عن الاختلاط في أعماق الأراضى بالتراب الذي كان نباتا ثم إعادته نباتا [ كما- ٢ ] كان من قبل على اختلاف ألوانه، ومقاديره وأشكاله، وأغصانه وأفانه<sup>٢</sup>، وروائحه وطعومه، ومنافعه وطبائعه - إلى غير ذلك من شؤونه، وأحواله وفنونه، التي لا يحيط بها علما إلا خالقها ومبدعها وصانعها.

١٥ ولما كانوا ينسبون الغيث إلى الأنواء أسند الإنزال إليه سبحانه ليفيد الامتان، وعبر بالجملة الفعلية للدلالة على التجدد فقال: { ويزل الغيث } بلام الاستغراق القائمة مقام التوسير<sup>٢</sup> بـ «كل»

(١-١) من م ومد، وفي الأصل: وكيف، وفي ظ: فكيف وقد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ومد، وفي الأصل وم: عليها (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الغيب (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ: التنوين.

وقد أفاد ذلك الاختصاص بالعلم بوقته و مكانه و مقداره و غير ذلك من شئونه ، فان من فعل شيئا حقيقة لم يعلم أحد وقت فعله قبل وقوعه إلا من قبله .

المفتاح الثالث : علم الاجته وهو ' في الرتبة الثانية في الدلالة ' على البحث الكاشف عن تخطيطها و تصويرها ، و تشكيلها و تقديرها ، على وصفي ه الذكورة و الانوثة ، مع الوضوح أو الإشكال ، و ' الوحدة أو الكثرة ، و التهام أو النقص - إلى ما هناك من اختلاف المقادير و الطبائع ، و الأخلاق و الصفات ، و الأكساب ' و الصنائع ، و التقلبات في مقدار العمر و الرزق في الأوقات و الأماكن - و غير ذلك من الأحوال التي ' لا يحصيها إلا بارئ النسم ، و محي الرمم ' . و لما كانت للخلق في ذلك لكثرة الملابس ١٠ و المعالجات ظنون في وجود الحمل أولا ، ثم في كونه ذكرا أو أنثى ثانيا ، و نحو ذلك بما ' ضرب عليه من الأمارات الناشئة عن طول التجارب ، و كثرة الممارسة ، [عبر - ٨] بالعلم فقال : ( و يعلم ما في الارحام ) من ذكر أو أنثى حتى أوميت و غير ذلك ، و صيغة ' المضارع لتجدد الاجته شيئا فشيئا وقتا بعد وقت ، و الكلام في اللام و الاختصاص ١٥

- (١) في ظ : هي (٢) من ظ و مد ، و في الأصل و م : الادلة (٣) في ظ : او .  
 (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الاكتساب (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الذي (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الرخايم (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بما (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) في ظ : بصيغة .

بالعلم كالننى قبله سواء .

المفتاح الرابع : الكسب الناشئ عما في الأرحام الفاتح ' لكتوز' السعادة و آفات الشقاوة و المسفر عن حقائق الضائر في صدقها عند البلاء و كذبها، و عن مقادير العزائم و رتب الغرائز، و عن أحوال الناس عند<sup>٥</sup> ذلك في الصداقة و العداوة و الذكاء و<sup>٢</sup> الغباوة و الصفاء و الكدر

و السلامة و الحيل، و غير ذلك من الصحة و العلل، في اختلاف الأمور، و عجائب المقدور، في الخيور و الشرور، بما لا يحيط به إلا مبدعه، و غارزه في عباده و مودعه، و لكون الإنسان - مع أنه ألصق الأشياء به و ألزمه له - لا يعلمه مع إيساعه الحيلة [ في - ] / معرفته، عبر فيه بالدراية لأنها ١٠ تدل على الحيلة بتصريف الفكر و إجابة الرأي - كما تقدم في سورة

يوسف عليه السلام - أن مادة 'درى' تدور على الدوران، و من لوازمه إعمال الحيلة و إيمان النظر، فهي أخص من مطلق العلم فقال: ( و ما تدرى نفس ) أى من الأنفس البشرية و غيرها ( ما ) و أكد المعنى بـ 'ذا'، و تجريد الفعل فقال: ( ذا تكسب غداً ) أى في المستقبل ١٥ من خير أو شر بوجه من الوجوه، و في نفى علم ذلك عن العبد مع كونه ألصق الأشياء به دليل ظاهر على نفى علم ما قبله عنه لأنه أخفى منه، و قد تقدم إثبات علمه له<sup>٦</sup> سبحانه و تعالى، فصار على طريق الحصر،

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل : المفتاح (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل : عن (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد. و في الأصل : عما. (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : مبدعه (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و م و مد.

و علم

وعلم أيضا أنه لا يسند<sup>١</sup> إلى العبد الأعلى طريق التكسب لأنه لو كان مخلوقا له لعله قطعاً، ثبت أنه سبحانه وتعالى خالقه، فلم اختصاصه بهله من هذا الوجه أيضا.

المفتاح الخامس: مكان الموت الذى هو ختام الأمر الدنيوى و طى سجل الأثر الشهودى، و ابتداء الأمر الآخرى المظهر لأحوال البزوخ فى ه النزول مع المنتظرين لبقية السفر إلى دائرة<sup>٢</sup> البعث و حالة الحشر إلى ما هنالك من ربح و خسران، و عز و هوان، و ما للروح من الاتصال بالجسد و الرتبة فى العلو و السفول، و الصعود و النزول، إلى ما وراء ذلك إلى ما لا آخر له عما لا يعلم تفاصيله و جملة و كلياته و جزئياته إلا محترعه و بارئه و مصطنعه<sup>٣</sup>.

١٠

و لما كان لا يعلمه الإنسان بنوع حيلة مع شدة حذره منه [و جه -<sup>٤</sup>] لو أتفق جميع ما يملكه لكى يعلمه، عبر عنه بما عبر عن الذى قبله فقال مؤكداً باعادة التأسى و المسند: (و ما تدبى ) و أظهر لأنه أوضح و أليق بالتعميم فقال: ( نفس ) أى من البشر و غيره (بأى أرض تموت<sup>٥</sup>) و لم يقل: بأى وقت. لعدم القدرة على الاتفكاك ١٥ عن الوقت مع القدرة على الاتفكاك عن مكان معين، و إحاطة العلم بكرامة كل أحد للموت، فكان [ذلك -<sup>٦</sup>] أدل دليل على جهله بموضع<sup>٧</sup>

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا ينسب (٢) فى ظ و مد: دائرة (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مصطفىه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) فى ظ: موضع.

موته إذ لو علم به لبعد عنه ولم يقرب منه ، وقد روى البخارى ' حديث  
المفاتيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم قرأ " أن الله عنده علم الساعة "  
الآية ، وله ' عن أبي هريرة رضى الله عنه في حديث سؤال جبريل عليه السلام  
٥ النبي صلى الله عليه وسلم عن أشراط الساعة فأخبره ببعضها وقال : " خمس لا يعلمهن  
إلا الله وإن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث " - إلى آخر السورة ، فقد دل  
الحديث قطعا على أن الآية فيما " يفرد سبحانه وتعالى بعلمه ، وقد رتبها  
سبحانه ' هذا الترتيب ' لما تقدم ' من الحكمة و علم سر إتيانه بها تارة في  
جملة اسمية و تارة في فعلية ، و تارة ليس فيها ذكر للعلم ، و أخرى يذكر  
١٠ فيها ، و يسند إليه سبحانه ، لكن لا على وجه الحصر ، و تارة بنى العلم  
عن غيره فقط من غير / إسناد للفعل إليه ، و علم سر قوله " باقى ارض "  
/ ٨٧١ دون ' أى وقت ' . كما في بعض [ طرق - ' ] الحديث .

و لما كان قد أثبت سبحانه لنفسه اختصاص العلم عن الخلق  
هذه الأشياء ، أثبت بعدها ما هو أعلم منها لتدخل فيه ضمنا فيصير مخبرا  
(١) راجع صحيحه ٢ / ٧٠٤ (٢) زيد في ظ : في (٣) زيد في الأصل : به ،  
و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٤) زيد في الأصل : على ، و لم تكن  
الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) زيد  
من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد .



بعله لما مرتين، فقال على وجه التأكيد لأنهم ينكرون بعض ما يخبر به،  
وذلك يستلزم إنكارهم لبعض علمه: ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أى المختص بأوصاف  
الكمال والعظمة والكبرياء والجلال ﴿عَلِيمٌ﴾ أى شامل العلم للأمور  
كلها، كلياتها وجزئياتها، فثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه بعد أن نفاه  
عن الغير فى هذه الخمس تارة نصا وأخرى بطريق الأولى أو باللازم، هـ  
فانطبق الدليل على الدعوى - والله الموفق .

ولما أثبت العلم على هذا الوجه، أكدده لأجل ما سيق له السورة  
بقوله: ﴿خَيْرٌ عِ﴾ أى يعلم خبايا الأمور، وخفايا الصدور، كما يعلم  
ظواهرها وجلاياها، كل عنده على حد سواء، فهو الحكيم فى ذاته  
وصفاته، ولذلك أخفى هذه المفاتيح عن عباده، لأنه لو أطلعهم عليها ١٠  
لفات كثير من الحكم، باختلاف هذا النظام، على ما فيه من الإحكام،  
فقد انطبق آخر السورة - بآياته الحكمة بآيات العلم [والخبر - ١] مع  
تقرير أمر الساعة التى هى مفتاح الدار الآخرة - على أولها المخبر بحكمة  
صفته التى من عليها حق عليها، وتخلق بما دعت إليه وحضت عليه  
لاسيما الإيقان بالآخرة، كان حكما خيرا عليا مهذبا [مهديا - ٢] مقربا ١٥  
عليا، فسبحان من هذا كلامه، وتعالى كبرياؤه وعز مرامه، ولا إله  
غيره وهو اللطيف ٢ .

(١) فى ظ: ثبت (٢) زيد من ظ وم ومد (٣-٢) سقط ما بين الرقین  
من ظ وم ومد .

## سورة التّم السجدة

مقصودها إنذار الكفار بهذا الكتاب السار للآبرار بدخول الجنة والنّجاة من النار، واسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت إليه [آيتها ٢] من الإخبات وترك الاستكبار، و [كذا - ٢] تسميتها بالتّم ٥ تنزيل فانه مشير إلى تأمل جميع السورة، فهو في غاية الوضوح في هذا المقصود (سم الله) ذي الجلال والإكرام العزيز الغفار (الرحمن) بعموم البشارة والندارة (الرحيم) الذي أسكن في قلوب أحبابه الشوق إليه والخشوع بين يديه (التّم ج) تقدم في البقرة وغيرها شيء من أسرار هذه الأحرف، وعما لم يسبق أنها إشارة إلى أن الله المحيط ١٠ في علمه وقدرته وكل شأنه أرسل جبرئيل عليه السلام إلى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم بكتاب معجز دالّ بآجزه على صحة رسالته، ووحداية من أرسله، وعدله في العاصين، وفضله على المطيعين، وسرد سبحانه هذه الأحرف في أوائل أربع من هذه السور، فزادت على الطواسين بوحدة، وذلك بقدر العدد الذي يؤكد به، وزيادة مبدأ ١٥ العدد إشارة إلى أن التكرير لم يرد به مطلق التأكيد، بل دوام التكرير،

(١) الثانية والعشرون من سور القرآن الكريم، مكية مع استثناء بعض الآي، وهي تسع وعشرون آية في البصري وثلاثون في الباقي - راجع روح المعاني ٤٩٨/٦ (٢) زيد من ظ وم ومد، إلا أن في الأولى: آياتها (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) في ظ: فهي (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: سكن. (٦) في ظ: ما (٧) في ظ: مقدار.

إشارة إلى أن هذه المعاني فى غاية الثبات لا انقطاع لها - والله الهادى .

١٨٨ /

/ ولما كان المقصود فى التى قبلها إثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب

الذى 'هو يان' كل شىء المألوم لتمام العلم وكال الخبرة الذى ختمت به بعد أن أخبر أنه سبحانه يخصص بعلم المفاتيح بعد أن أئذر بأمر الساعة،

ثبت بذلك وما قبله أنه ما أثبت شيئاً فقدره غيره من أهل الكتاب .

ولا غيرهم على نفيه، ولا نفي شيئاً فقدره غيره على إثباته ولا إثبات

شىء منه، كانت نتيجة ذلك أنه لا يكون شىء من الأشياء دقيقها وجليلها

إلا يعلمه سبحانه وتعالى، وأجل ذلك إنزال هذا الذكر الحكيم الذى

فيه إثبات هذه العلوم مع شهادة العجز عن معارضته " له بأنه من عند الله،

فلذلك قال : ( تنزيل الكتب ) أى الجامع لكل هدى على ما ترون .

من التدرج من السماء ( لا ريب فيه ) أى فى كونه من السماء لأن نافي

الريب و مبطله وهو الإعجاز معه لا ينفك عنه، فكل ما يقولونه بما يخالف

ذلك تعنت أوجمل من غير ريب، حال كونه ( من رب العالمين ) أى

الخالق لهم المدبر لمصالحهم، فلا يجوز فى عقل ولا يخطر فى بال ولا يقع

فى وهم ولا يتصور فى خيال [١-] أنه يترك خلقه - وهو المدبر الحكيم - ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٢-٢) فى ظ و م و مد : فيه

تبيان (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ : تمام (٤) فى ظ : التى (٥) فى

ظ : يعلم (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ : لقد (٧) من ظ و م و مد،

وفى الأصل : شىء (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل : كان (٩) من ظ

و م و مد، وفى الأصل : شىء (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و م و مد،

وفى الأصل : معارضة (١٢) زيد من ظ و م و مد.

من غير كتاب يكون سبب إقائهم أو [ أن يصل شيء من كتابه<sup>٢</sup> إلى هذا النبي الكريم بغير أمره، فلا يتخيل أن شيئاً منه ليس بقول الله، ثم لا يتخيل أنه كلامه تعالى ولكنه أخذه من بعض أهل الكتاب، لأن هذا لا يفعل مع ملك فكيف بملك الملوك، فكيف بمن هو عالم بالسر والجهر، محيط عليه بالحقى والجنى، فلو ادعى عليه أحد ما لم يأذن فيه لما أيدته بالمعجزات .

ولما أقره على ذلك المدد المتطاولات، ولا سيما إجماز كل ما ينسب إليه بالمعجزات، و<sup>٣</sup> يدعيه عليه، و<sup>٤</sup> هذا غاية ما فى آل عمران كما كان أول لقمان غاية أول القرآن المطلق . وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما انطوت سورة الروم على ما قد أشير إليه من التنبه بعجائب ما أودعه سبحانه فى عالم السماوات والأرض، وعلى ذكر الفطرة، ثم اتبعت بسورة لقمان تعريفاً بأن مجموع تلك الشواهد من آيات الكتاب وشواهد دلائله، وأنه قد هدى من شاء<sup>٥</sup> إلى سبيل الفطرة وإن لم يمتحن بما امتحن به كثيراً من ذكر، فلم يغن عنه ودعى<sup>٦</sup> ١٥ فلم يجب، وتكررت عليه الإنذارات فلم يصنع [ لها - <sup>٧</sup> ] لأن كل ذلك من الهدى والضلال واقع بمشيئته وسابق إرادته، واتبع سبحانه

(١) فى ظ و مد : انه (٢-٢) من ظ و مد، وفى الأصل وم : منه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ وم و مد . وفى الأصل : الجليل (٥) سقط من ظ وم و مد . (٦-٦) فى ظ : يهدى من يشاء (٧) زيد من ظ وم و مد (٨) فى ظ و مد : ان .

ذلك بما ينفه المعتبر على صحته فقال " ومن يسلم وجهه الى الله وهو  
محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى " فأعلم سبحانه أن الخلاص والسعادة  
فى الاستسلام له ' ولا يقع من أحكامه ، وعزى نفيه صلى الله عليه  
وسلم وصبره بقوله " ومن كفر فلا يحزنك كفره " ثم ذكر تعالى  
لجأ الكل قهراً ورجوعاً بحاكم اضطرارهم لوضوح الأمر إليه تعالى فقال ه  
" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله " ثم وعظ  
تعالى الكل بقوله " ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة " أى أن ذلك  
لا يشق عليه سبحانه وتعالى ولا يصعب ، والقليل والكثير سواء ، ثم  
نبه بما يبين ذلك من إيلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل وجريان  
الفلك بنعمته " ذلك بان الله هو الحق " ، ثم أكد ما تقدم من رجوعهم ١٠  
فى الشدائد إليه فقال " واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له  
الدين " فاذا خلصهم / سبحانه ونجاهم عادوا إلى سبب أحوالهم ، هذا  
وقد عاينوا رفقه بهم وأخذه عند الشدائد بأيديهم وقد اعترفوا بأنه  
خالق السموات والارض ومسخر الشمس والقمر ، وذلك شاهد من  
حالهم بجرىاتهم على [ ما - ° ] قدر لهم ووقوفهم عند حدود السوابق ١٥  
" ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى "  
ثم عطف سبحانه على الجميع فدعاهم إلى تقواه ، وحذرهم يوم المعاد  
وشدته ، وحذرهم من الاعتزاز ، وأعلمهم أنه المتفرد بعلم الساعة ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : عاد (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : مفر .  
(٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ ومد (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من  
م ومد ، وفى الأصل وظ : ملئ .

نظم الدرر (سورة التّم السجدة ٣٢: ٣) ج - ١٥

وإنزال الغيث، و علم ما في الأرحام، و ما يقع من المكتسبات، و حيث يموت كل من المخلوقات، فلما كانت سورة لقمان - بما بين من مضمناها - محتوية من<sup>١</sup> التنبيه و التحريك على ما ذكر، و معلية بانفراده سبحانه بخلق الكل و ملكهم<sup>٢</sup>، أتبعها تعالى بما يحكم بتسجيل صحة الكتاب، و أنه من عنده ه و أن ما انطوى عليه من الدلائل و البراهين يرفع كل ريب، و يزيل كل شك، فقال "آلَمْ تَنْزِيلَ الْكِتَابَ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ" يقولون افتريه بل هو الحق من ربك<sup>٣</sup> "أى أيقع منهم هذا بعد وضوحه و جلاء شواهد، ثم اتبع ذلك بقوله "[ما لكم من دونه من دلى ولا شفيع]" و هو تمام لقوله "و من يسلم وجهه الى الله" و لقوله [٢] "و اتين سألهم من خلق السموات و الارض ليقولن الله" و لقوله "و اذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين"<sup>٤</sup> و لقوله "اتقوا ربكم ما لكم من دونه من دلى ولا شفيع افلا تتذكرون" بما ذكرتم، ألارون أمر لقمان و هدايته بمجرد دليل فطرته، فالكم بعد التذكير و تقرير الزواجر و ترادف الدلائل و تعاقب الآيات تتوقفون<sup>٥</sup> عن السلوك<sup>٦</sup> ١٥ إلى ربكم و قد أقررتم بأنه خالقكم، و لجأتم إليه عند احتياجكم؟ ثم أعلم نبيه صلى الله عليه و سلم برجوع من عاند و إجابته حين لا ينفعه رجوع، و لا تغنى عنه إجابة، فقال "ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم"

(١) في ظ : على (٢) في ظ و مد : هلكهم (٣) زيد من ظ و م و مد .  
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من م و مد (٥) في ظ : يتوقفون، و في مد :  
متوقفون (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : الشكوك .

ثم

نظم الدرر ( الجزء الحادى و العشرون ) ج - ١٥

تم أعلم سبحانه أن الواقع منهم إنما هو بارادته و سابق من حكمه ، ليأخذ الموق الموقن نفسه بالتسليم فقال " ولو شئنا لأتينا كل نفس هديها " كما فعلنا بلقيان و من أردنا توفيقه ، ثم ذكر انقسامهم بحسب السوابق فقال " أفن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون " ثم ذكر مصير الفريقين و مآل الحزين ، ثم اتبع [ ذلك - ١ ] بسوء حال ٥ من ذكر فأعرض فقال " و من اظلم من ذكر بأيت ربه ثم اعرض عنها " و تعلق الكلام إلى آخر السورة - انتهى .

و لما كان [ هذا - ٢ ] الذى قدمه أول السورة على هذا الوجه برهانا ساطعا و دليلا قاطعا على أن [ هذا - ٣ ] الكتاب من عند الله ، كان - كما حكاه البغوى ١ و الرازى فى اللوامع - كأنه قيل : هل آمنوا به ؟ ١٠ ( ام يقولون ) مع ذلك الذى لا يمتري ٢ فيه عاقل ( افترت ) أى تعد كذبه .

و لما كان الجواب : إنهم ليقولون : افتراه ، و كان جوابه ٣ : ليس هو مفترى لما هو مقارن له من الإعجاز ، ترتب عليه قوله : ( بل هو الحق ) أى الثابت ثباتا لا يضاويه ثبات شئ من الكتب قبله ، كاتنا ( من ربك ) ١٥ / المحسن إليك بانزاله و إحكامه ، و خصه بالخطاب إشارة إلى ٤ أنه لا يفهم ١٩٠ /

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مال (٣) زيد من ظ (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٨٣ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يمتري (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجواب . (٧) سقط من ظ .

حقيقته حق الفهم سواء .

ولما ذكر سبحانه إحسانه إليه صلى الله عليه وسلم صريحا ، أشار بتعليقه إلى إحسانه [ به - ١ ] أيضا إلى كافة العرب ، فقال مفردا التذارة لأن المقام <sup>٢</sup> لها بمقتضى <sup>٢</sup> ختم لقمان : ( لتذر قوما ) أى ذرى <sup>٢</sup> قوة . و جلد ومنعة و صلاحية للقيام بما أمرهم به ( ما آتاهم من نذر ) أى رسول فى هذه الأزمان القريبة لقول ابن عباس رضى الله عنهما ' إن المراد الفترة ، و يؤيده إثبات الجار فى قوله : ( من قبلك ) [ أى بالفعل - ١ ] شاهده أو شاهده آباؤهم . وإما بالمعنى والقوة فقد كان فيهم دين إبراهيم عليه السلام إلى أن غيره عمرو بن لحي ، وكلهم كان يعرف ذلك وأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يعبد صنما ولا استقسم بالآزلام ، و ذلك ' كما قال ' تعالى " و ان من امة الا خلا فيها نذير " أى شريعته و دينه ، و النذير ليس مخصوصا بمن باشر - به على ذلك أبو حيان <sup>٢</sup> . و يمكن <sup>٢</sup> أن يقال : ما آتاهم من ينذرهم على خصوص ما غيروا من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، و أما إسماعيل ابنه عليه السلام فكان <sup>٢</sup> بشيرا لا نذيرا ، لأنهم ما خالفوه ، و أحسن من ذلك كله ما نقله البغوى <sup>٢</sup> عن ابن عباس رضى الله عنهما و مقاتل أن ذلك

(١) زيد من ظ و م و مد ( ٢ - ٢ ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا يقتضى ( ٣ ) فى ظ : ذى ( ٤ ) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ١٨٣/٥ . ( ٥ - ٥ ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قوله ( ٦ ) سورة ٣٥ آية ٢٤ ( ٧ ) راجع البحر المحيط ١٩٧/٧ ( ٨ ) زيد فى الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها ( ٩ ) فى ظ و م و مد : فقد كانت .



فى الفترة التى كانت بين عيسى و محمد على الله عليهما وسلم ، فانه قد نقل أن عيسى عليه السلام لما ارسل رسله<sup>١</sup> إلى الآفاق أرسل إلى العرب رسولا .

ولما ذكر علة الإنزال ، أتبعها علة الإنذار فقال : ( اللهم يهتدون ) أى ليكون حالهم فى مجارى العادات حال من ترجى هدايته إلى كمال الشريعة ، وأما التوحيد فلا عذر لأحد فيه بما<sup>٢</sup> أقامه الله من حجة العقل مع ما أبقت الرسل عليهم الصلاة والسلام آدم فمن بعده من واضح النقل بآثار دعواتهم<sup>٣</sup> و بقايا دلائلهم<sup>٤</sup> ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن أبيه : أبى وأبوك فى النار<sup>٥</sup> ، وقال : لا تقتخروا بأبائكم الذين مضوا فى الجاهلية فالذى نفسى بيده لما تدرج الجعل خير<sup>٦</sup> منهم<sup>٧</sup> - فى غير هذا من الأخبار القاضية بأن كل من مات قبل دعوته على الشرك فهو للنار<sup>٨</sup> .

ولما تقرر بما سبق فى التى قبلها من اتصافه تعالى بكمال العلم أنه من عنده و بعلمه لا محالة ، وكان هذا أمرا يهتم بشأنه ويعتنى<sup>٩</sup> بأمره ، لأنه عين المقصود [ الذى -<sup>١٠</sup> ] ينبئ عليه أمر الدين ، وختم ما ذكره<sup>١١</sup> من أمره فهنا باقاة اهتدائهم مقام الترجى بانذاره صلى الله عليه وسلم ،

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : رسوله (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بما (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : دعواهم (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : دلائلهم (٥) راجع مسالك الحنفاء للسيوطى ١٥ ، و أصل الرواية عند مسلم (٦) راجع مسند لإمام أحمد ٣٠١/١ (٧) بهامش م : رواه الطيالسى عن ابن عباس رضى الله عنهما (٨) فى ظ : يعنى (٩) زيد من ظ و م و مد .

أتبعه بيان ذلك الدليل بإيجاد عالم الأشباح والخلق ثم عالم الأرواح  
والأمر، وإحاطة العلم بذلك كله على وجه يقود تأمله إلى الهدى، فقال  
مستأنفا شارحا لأمر يندرج فيه إنزاله معبرا بالاسم الأعظم لاقتضاء  
الإيجاد والتدبير على وجه الانفراد له: ﴿الله﴾ أى الحادى لجميع  
صفات الكمال وحده: ﴿الذى خلق السموات﴾ كلها ﴿والارض﴾  
بأسرها ﴿وما بينهما﴾ من المنافع العينية والمعنوية.

ولما كانت هذه الدار مبنية على حكمة الأسباب كما أشير إليه  
في لقمان، وكان الشئ إذا عمل بالتدرج كان [أتقن - ٢]، قال:  
﴿فى ستة أيام﴾ كما يأتى تفصيله فى فصلت، وقد كان قادرا على فعل  
١٠ ذلك فى أقل من لمح البصر، [و يأتى فى فصلت سركون المدة ستة - ١].  
ولما كان تدبير هذا وحفظه وتمهيد مصالحه والقيام بأمره أمرا

- بعد أمر إيجاده - باهرا، أشار إلى عظمته بأداة التراخى [و التعبير  
بالافتعال - ١] فقال: ﴿ثم استوى على العرش﴾ أى [استواء لم يعهدوا  
مثله وهو أنه - ١] أخذ فى [تدييره و - ٢] تدبير [ما حواه - ١] بنفسه،  
١٥ لا شريك له ولا نائب عنه ولا وزير، كما تعهدون من ملوك الدنيا إذا  
اتسعت ممالكهم، وتباعدت أطرافها، وتناهت أقطارها، وهو معنى قوله  
تعالى استأنافا جوابا لمن كأنه قال: العرش بعيد عنا جدا فمن استأنافه فى  
أمرنا، ولذلك [لفت - ٢] الكلام إلى الخطاب لأنه أقمد

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل:  
الغيبية (-) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و مد (هـ - هـ) من ظ و م  
و مد، وفى الأصل: بأسرة (٦) فى ظ: فى.

فى التنبيه: ﴿ 'ما لكم' من دونه ﴾ لانه كل ما سواه من دونه وتحت  
قهره، وذل على عموم النى بقوله: ﴿ من رلى ﴾ أى لى أموركم ويقوم  
بمصلحكم وينصركم إذا حل بكم شىء مما تنذرون به ﴿ ولا شفيع ﴾  
يشفع عنده فى تدبيركم أرى أحد منكم بغير إذنه، [ وهو كناية عن  
قره من كل شىء وإحاطته به، وأن إحاطته بجميع خلقه على حد سواء  
لا مساقه بينه وبين شىء أصلا - ٢ ]

ولما كانوا مقرين بأن الخلق خلقه والامر أمره، عارفين بأنه  
لا لى وال من قبل ملك من الملوك <sup>٣</sup> إلا بحجة منه يقيمها على [ أهل - ٤ ]  
البلدة التى أرسل إليها أو نائب فيها، ولا يشفع شفيع فيهم إلا وله إليه  
وسيلة، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم فى قوله: ﴿ افلا تتذكرون ٥ ﴾ ١٠  
أى تذكر <sup>٥</sup> عظميا بما أشار إليه الإظهار ما تملونه من <sup>٦</sup> أنه  
الخالق وحده، ومن أنه لا حجة لىء مما أشركتموه بشىء مما أهلمتموه <sup>٧</sup>  
له ولا وسيلة لىء [ منهم إليه يؤهل بها فى الشفاعة فيكم ولا أخبركم  
أحد منهم بشىء - ٨ ] من ذلك، فكيف تخالفون فى هذه الأمور - التى هى  
أهم المهم، لأن عاقبتها خسارة الإنسان نفسه، فضلا عما دونها - عقولكم ١٥  
وما جرت به عوائدكم، وتعللون فيها بالتحال، وتقنعون بقيل وقال،

(١-١) ليس ما بين الرقعين فى الأصل فقط (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من  
ظ و م و مد، وفى الأصل لا يحجبه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ  
و م و مد، وفى الأصل: تذكيرا (٦-٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل:  
تعللون (٧) من م و مد، وفى الأصل وظ: أهلمتموه.

وتخاطرون فيه<sup>١</sup> بالآفئس والأولاد والأموال .  
ولما نفى أن يكون له شريك أو وزير في الخلق، ذكر كيف  
يفعل في هذا الملك العظيم الذى أبدعه فى ستة أيام من عالم الأرواح  
والأمر، فقال مستأنفا مفسرا للمراد بالاستواء: (يدبر الأمر) أى كل  
أمر هذا العالم<sup>٢</sup> بأن يفعل فى ذلك فعل الناظر فى أدباره لإتقان خواتمه  
ولوازمه. كما نظر فى أقباله لإحكام<sup>٣</sup> فوائمه وعوازمه، لا يكل شيئا  
منه<sup>٤</sup> إلى شيء من خلقه، قال الرازى فى اللوامع: وهذا دليل على  
أن استواءه<sup>٥</sup> على العرش بمعنى إظهار القدرة، والعرش مظهر التدبير  
لامقر المدبر .

١٠. ولما كان المقصود للعرب [نما] هو<sup>٦</sup> تدبير ما تمكن<sup>٧</sup> مشاهدتهم  
له<sup>٨</sup> من العالم قال مفردا: (من السماء) أى فينزل ذلك [الأمر<sup>٩</sup>]  
الذى أنقذه كما يتقن من ينظر فى أدبار ما يعلمه<sup>١٠</sup> (إلى الأرض)  
غير متعرض إلى ما فوق ذلك، على أن السماء تشمل كل عال فيدخل  
جميع العالم .

١٥. ولما كان الصعود أشق من النزول على ما جرت به العوائد،  
فكان بذلك مستعبدا، أشار إلى ذلك بقوله: (ثم يرجع) أى يصعد

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فيها (٢) فى ظ و م و م (٣-٢) سقط ما  
بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: منها (٥-٥) من ظ  
وم و مد، وفى الأصل: استوى (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ  
وم و مد، وفى الأصل: مشاهدته لهم (٨) فى ظ: لا يعلمه (٩) فى ظ: ثم .

الأمر الواحد - وهو من الاستخدام الحسن - إليه ، أى بصعود  
 الملك إلى الله ، أى إلى الموضع الذى شرفه أو أمره بالكون فيه كقوله  
 تعالى " أنى ذاهب إلى ربى " " و من يخرج من بيته مهاجرا إلى الله  
 و رسوله " و نحو ذلك ، أو إلى الموضع الذى أبدأ منه / نزول التدبير  
 ١٩٢ / وهو السماع كأنه صاعد فى معارج ، و هى الدرج على ما تتعارفون ٥  
 بينكم ، فى أسرع من لمح البصر ( فى يوم ) من أيام الدنيا ( كان مقداره )  
 لو كان الصاعين واحدًا منكم على ما تعهدون ( ألف سنة مما تعدون )  
 من سنينكم التى تعهدون ، و الذى دل على هذا التقدير شيء من العرف  
 و شيء من اللفظ ، أما اللفظ فالتعير به كان ، مع انتظام الكلام بدونها  
 لو أريد غير ذلك ، و أما العرف [ فهو - ] أن الإنسان المتكبر يبنى ١٠  
 البيت العظيم العالى فى ستة مثلاً ، فإذا فرغه صعد إليه بخادمه إلى أعلاه  
 فى أقل من درجتين من درج الرمل ، فلا تكون نسبة ذلك من زمن  
 بنائه إلا جزءاً لا يعد ، هذا و هو خلق محتاج فما ظنك بمن خلق الخلق  
 فى ستة أيام و هو غنى عن كل شيء قادر على كل شيء ١٠ و ظاهر العبارة  
 أن هذا التقدير بالآلاف لما بين السماء و الأرض بناء على [ أن - ] البداية ١٥  
 و الغاية لا يدخلان ، فإذا أردنا تنزيل هذه الآية على آية سألنا أخذنا

(١) سورة ٢٧ آية ٩٩ (٢) سورة ٤ آية ١٠٠ (٣) من م و مد ، و فى الأصل :  
 يتعارفون ، و فى ظ : تعارفون - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :  
 المصاعد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل : أن ، و لم تكن الزيادة  
 فى ظ و م و مد فخذناها (٧ - ٧) سقط ما بين الرقنين من ظ (٨) راجع آية ٤  
 من سورة المعارج

هذا بالنسبة إلى صعود أحداً مستويًا لو أمكن، وجعلت الأرض واحدة في العدد<sup>١</sup>. وأول تعددها كما قيل باعتبار الأقاليم، وزيد عليه مقدار ثخن السماوات وما بينهما، وزيد<sup>٢</sup> على المجموع<sup>٣</sup> مثل نصفه لمسافة الانحناء في بناء الدرج والتعريح الذي هو مثل محيط الدائرة بالوتر الذي قسمها بنصفين<sup>٤</sup> ليتمكن الصعود منها، وهو مقدار نصف مسافة الاستواء وشيء يسير، لأنك إذا قسمت دائرة بوتر كان ما بين رأسى الوتر من محيط نصف الدائرة بمقدار ذلك الوتر مرة ونصفًا سواء يزداد عليه يسير لأجل تعاريج الدرج، فإذا فعلنا ذلك كان ما بين أحد سطحى الكرسي المحدث وما يقابله من<sup>٥</sup> السطح الآخر بحسب اختراقه من جانبيه واختراق أطباق<sup>٦</sup> السماوات السبع: الأربعة عشر، اثنين وثلاثين ألف سنة، لأنه يخص كل سماء ألفان. لأنه فهم من هذا السياق أن من مقرر السماء إلى سطح الأرض الذى نحن عليه مسيرة ألف سنة، و [بعد -<sup>٧</sup>] ما بين كل سمانين كعب ما بين [السماء والأرض، ونحن كل سماء كذلك، فيكون بعد ما بين أحد -<sup>٨</sup>] سطحى الأرض إلى سطح الكرسي الأعلى ستة عشر ألف سنة، وبعد<sup>٩</sup> ما بين سطح الأرض الآخر إلى أعلى سطح الكرسي

---

(١) من ظ و م و مد. وفي الأصل: العدل (٢ - ٢) في ظ و مد: عليه.  
 (٢) في ظ: نصفين (٤) - سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل:  
 نصف (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الطباق (٧) زيد من ظ و م و مد.  
 (٨) زيد في الأصل: ما بين السماء والأرض ونحن كل سماء كذلك فيكون بعد - ونعلها تأخرت.

من الجانب الآخر كذلك ، ثم يزداد على المجموع وهو اثنان وثلاثون ألف سنة مسافة ثخن الأرض وهي ألف سنة ليكون المجموع<sup>٢</sup> ثلاثة وثلاثين<sup>٣</sup> ألف سنة يزداد عليه ما للتعرج<sup>٤</sup> ، وهو نصف تلك المسافة وشئ ويكون سبعة عشر<sup>٥</sup> ألف سنة<sup>٦</sup> . فذلك خمسون ألف سنة ، وإنما جعلت سطح الكرسي الأعلى النهاية ، لأن العادة جرت أن لا يصعد إلى عرش الملك غيره ، وأن الأطلع تنقطع<sup>٧</sup> دونه ، بل ولا يصعد إلى كرسيه . وسيتأتى اعتبار ذلك [ فى - ] الوجه الأخير ، وإن قلنا : إن الأراضى سبع على<sup>٨</sup> أنها كرات مترتبة متعالية غير متداخلة . وأدخلنا العرش فى العدد فنقول : إنه مع الكرسي والسموات تسعة ، فجانبها المحيطان<sup>٩</sup> بالأرض ثمانى عشرة طبقة ، والأراضى<sup>١٠</sup> سبع ، فلك خمس ١٠ وعشرون طبقة ، فكل<sup>١١</sup> واحدة - مع ما بينها وبين الأخرى على ما هو ظاهر الآية - ألفان ، فنضعف هذا العدد ، فيكون خمسين / ألفا ، وهذا الوجه أوضح الوجوه وأقربها إلى مفهوم الآية ، ولا يحتاج معه إلى زيادة لأجل انعطاف الدرج ، ويجوز أن نقول : إن السر - والله أعلم -

١٩٣ /

- (١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : هو (٢) فى ظ وم ومد : الجميع (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ثلاثون (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : للتصريح (٥) سقط من ظ (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : منقطع . (٧) زيد من م ومد (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : قلنا (٩) فى ظ وم ومد : غير (١٠) فى ظ وم : المحيطة (١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل وم : اراضى (٢) فى ظ وم : لكل

في جعل ما مسيرته خمسمائة سنة - كما في الحديث - ألف سنة لأجل التعريج<sup>١</sup>، والحديث ليس<sup>٢</sup> نصاً في سير<sup>٣</sup> معين حتى يتحامي تأويله [بل -<sup>٤</sup>] قدورد بالفاظ متغايرة منها خمسمائة، ومنها اثنان وسبعون سنة، ومنها إحدى<sup>٥</sup> وسبعون إلى غير ذلك، فلا بد أن يحمل كل لفظ على سير ٥. فنقول: الخمسمائة للصاعد في درج مستقيم كدرج الدقل مثلاً، والاثنان وسبعون لسير الطائر، والألف كما في الآية لدرج منخطف، وبذل عليه ما رواه الترمذى - وقال: إسناده حسن - عن عبيد الله بن عمرو بن العاص<sup>٦</sup> رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو أن رصاصة<sup>٧</sup> مثل هذه - وأشار إلى مثل الجمجمة - أرسلت<sup>٨</sup> من السماء إلى الأرض، وهى مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل. ولو<sup>٩</sup> أنها أرسلت من رأس السلسلة<sup>١٠</sup> لسارت<sup>١١</sup> أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها. [أو تقول: إن الألف لجهة التدبير بالنزول والعروج<sup>١٢</sup>] - والله أعلم، وإن جعلنا البداية داخلة فتكون الألف من سطح الأرض الذى نحن عليه إلى محذب السماء لتتفق الآية مع الحديث ١٥ القائل بأن<sup>١٣</sup> بين الأرض والسماء خمسمائة سنة، ونحن السماء كذلك.

(١) من ظ و مد، وفي الأصل وم: التصريح (٢) زيد في الأصل: فيه، ولم تكن الزيادة في ظ وم و مد فحذفناها (٣-٤) من ظ وم و مد، وفي الأصل: لسير (٥) زيد من ظ وم و مد (٥) في ظ وم و مد: أحد (٦) راجع أبواب صفة جهنم من جامع الترمذى ٨٣ / ٢ (٧) في الأصل يابض، ملأناه من ظ وم و مد والجامع (٨) من ظ وم و مد والجامع، وفي الأصل: التسلسلة. (٩) زيد من ظ وم و مد (١٠) من ظ وم و مد، وفي الأصل وم: ان.



و كذا بقية السماوات و العرش ، أدخلنا العرش فى العدد و قلنا : إن  
الارضى سبع متداخلة كالسماوات ، كل واحدة منها فى التى تليها ،  
فالتى نحن فيها أعلاها و محيطة بها كلها ، فهى بمنزلة العرش للسماوات ،  
فكون السماوات السبع من جانبيها بأربعة عشر ألفا ، و الارضى كذلك ،  
فذلك ثمانية وعشرون ألفا ، و العرش و الكرسي من جانبيها بأربعة . ٥  
فذلك اثنان و ثلاثون ألفا يضاف إليها ما يزيده انحناه المعارج الذى  
يمكن لنا معه العروج ، و هو نصف مسافة الجملة و شيء ، فالنصف ستة  
عشر ألفا ، و نحصل الشيء الذى لم يتحرر لنا ألفين ، فذلك ثمانية عشر  
ألفا إلى اثنين و ثلاثين ، فالجملة خمسون ألفا . و يمكن أن يكون ذلك  
بالنسبة إلى السماوات مع الارضى ، و الكل متطابقة متداخلة ، فذلك ثمان ١٠  
و عشرون [ طبقة من سطح السماء السابعة الأعلى إلى سطحها الأعلى من  
الجانب الآخر ، فذلك ثمانية وعشرون - ٠ ] ألف ستة ، لكل جرم  
خمسائة ، و لما بينه و بين الجرم الآخر كذلك فذلك [ ألف - ٠ ] ،  
فضممه بالنسبة إلى المهبوط و الصعود فيكون ستة و خمسين ألفا حسب منه  
خمسون ألفا و ألفى الكسر ، لكن هذا الوجه مخالف لظاهر الآية التى ١٥  
فى سورة سأل ، و هى قوله تعالى " تعرج الملائكة و الروح إليه فى  
(١) فى ظ : واحد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : من .  
(٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لم يتحرر (٥) زيد من ظ وم ومد .  
(٦-٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ألفا (٧) من ظ وم ومد ، وفى  
الأصل : خمسون (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٩) من م ومد .  
وفى الأصل و ظ : هو .

يوم كان مقداره خمسين الف سنة“ فانه ليس فيها ذكر الهبوط -  
والله أعلم . وكل من هذه الوجوه أقعد مما قاله البيضاوي<sup>٢</sup> في سورة  
سأل، وأقرب للفهم والعرف، فان كان ظاهر حاله أنه جعل الثمانية  
عشر ألفاً<sup>٣</sup> من أعلى<sup>٤</sup> سرادقات العرش إلى أعلى سرادقاته من الجانب  
الآخر، ولا دليل [على -] هذا ولا عرف يساعد في صعود الخدم<sup>٥</sup>  
إلى أعلى السرادق، وهو الأعلى منه، والعلم عند الله تعالى، وروى  
إسحاق بن راهويه عن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال: ما بين سماء الدنيا إلى الأرض خمسمائة سنة، و [ما -] <sup>٦</sup>  
بين كل سماء إلى التي تليها خمسمائة / سنة إلى السماء السابعة، والأرض  
١٠ مثل ذلك، وما بين السماء السابعة إلى<sup>٧</sup> العرش مثل [جميع -] ذلك .  
واعلم أن القول بأن الأراضى سبع هو الظاهر لظاهر قوله تعالى ” الله  
الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن “ ويعضده ما رواه  
الشيخان<sup>٨</sup> و [غيرهما عن -] عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال: من ظلم قدر<sup>٩</sup> شبر من الأرض طوقه الله<sup>١٠</sup> من

/ ١٩٤

(١) العبارة من هنا إلى . كان ظاهره ساقطة من ظ و مد (٢) في تفسيره  
أنوار التنزيل (٣ - ٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: على (٤) زيد من ظ  
و م و مد (٥) في ظ: الخدام (٦) في ظ: بمثل (٧) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل «و» (٨) البخارى في أبواب المظالم وبدء الخلق، ومسلم في أبواب المساقاة.  
(٩) في الأصل بياض ملأناه من جميع المراجع (١٠) كذا في نسخة مسلم، وفي  
جميع المراجع: قيد (١١) من المراجع، وفي الأصل و ظ: أرض (١٢) ثبت في  
نسخة مسلم، و ساقط من جميع المراجع .

سبع أرضين، وفي رواية للبغوى<sup>١</sup>: خسف به إلى سبع أرضين<sup>٢</sup>،  
 وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال: إن المؤمن إذا حضره الموت - فذكره إلى  
 أن قال: وأما الكافر إذا قبضت نفسه ذهب به إلى الأرض فتقول  
 خزنة الأرض: ما وجدنا ربحاً أنتن من هذه<sup>٣</sup>، فيبلغ بها إلى [الأرض-<sup>٤</sup>] هـ  
 السفلى - قال المنذرى<sup>٥</sup>: وهو عند ابن ماجه بسند صحيح، ويؤيد من<sup>٦</sup> قال:  
 إنها متطابقة متداخلة كالكرات<sup>٧</sup> وبين كل أرضين فضاء كالسماوات ما  
 روى الحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الأرضين بين كل أرض إلى التي  
 تليها مسيرة خمسمائة سنة، فالعليا منها على ظهر حوت - إلى آخره . ١٠  
 وهو في آخر الترغيب للحافظ المنذرى في آخر أهوال القيامة في سلاسلها  
 وأغلاها<sup>٨</sup>، وروى أبو عبيد [القاسم-<sup>٩</sup>] بن سلام في غريب الحديث<sup>١٠</sup> عن  
 مجاهد رحمه الله أنه قال: إن الحرم حرم مناه من السماوات السبع والأرضين  
 السبع، وأنه رابع أربعة عشر بيتاً، في كل سماء بيت، وفي كل أرض  
 بيت، لو سقطت لسقط بعضها على بعض - مناه يعنى قصده وحذاه . ١٥

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: البغوى (٢) وأخرجه البخارى أيضاً  
 من طريق سالم عن أبيه - راجع باب ما جاء في سبع أرضين - بدء الخلق (٣) من  
 م و مد، وفي الأصل وظ: هذا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في الترغيب  
 والترهيب ص ٦٣ - ٦٤ في ظ: ما (٦) في الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد.  
 (٨) راجع ص ٦٦٤ (٩) راجع ٤ / ٤٢٣ .

و في مجمع الزوائد<sup>١</sup> للحافظ نور الدين الهيثمي أن الإمام أحمد روى من طريق الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مرت سحابة فقال<sup>٢</sup> : هل تدرون ما هذه ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم<sup>٣</sup> قال<sup>٤</sup> : العنان وزوايا الأرض ، يسوقه الله إلى من لا يشكره ولا يدعوه ، أتدرون ما هذه فوقكم ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم<sup>٥</sup> قال : الرفيع موج مكفوف ، و سقف محفوظ ، أتدرون كم بينكم وبينها ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم<sup>٦</sup> قال : مسيرة خمسمائة عام ، ثم قال : أتدرون ما الذي فوقها ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم<sup>٧</sup> قال : سماء أخرى ، أتدرون كم بينكم وبينها ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم<sup>٨</sup> قال : ١٠ [ مسيرة - ٩ ] خمسمائة عام - حتى عد سبع سموات [ ثم - ٨ ] قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم<sup>٩</sup> قال<sup>١٠</sup> : العرش ، قال<sup>١١</sup> : أتدرون كم بينه وبين السماء السابعة ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم<sup>١٢</sup> قال : [ مسيرة - ١١ ] خمسمائة عام ، ثم قال : ما هذه تحتكم ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم<sup>١٣</sup> قال<sup>١٤</sup> :

(١) راجع ٧ / ٢٠ : (٢) من ظ و م ومد والمجمع ، وفي الأصل : قال .  
(٣) زيد في الأصل : الرفيع موج مكفوف ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد والمجمع لغزناها (٤) في م : التي (٥) في العبارة من « قال الرفيع » إلى هنا - نقطة من ظ (٦-٩) من ظ والمجمع ، وفي الأصل : بينها وبينها ، وفي م ومد : بينها وبينها (٧) زيد من ظ والمجمع (٨) زيد من ظ و م ومد والمجمع .  
(٩-٩) من ظ و م ومد والمجمع ، وفي الأصل : أترون (١٠) سقط من ظ .  
(١١) ليس في المجمع (١٢) زيد من م ومد والمجمع (١٣-١٣) سقط ما بين الرقين من ظ .

ارض، قال: أتدرون ما تحتها؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: أرض أخرى. أتدرون كم بينهما؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: مسيرة سبعائة عام حتى عد سبع أرضين، ثم قال: وأيم الله لو دلتهم بحبل لبط، ثم قرأ "هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم" قال: رواه الترمذى غير أنه ذكر [أن - ٢] بين كل أرض والأرض ٥ الأخرى خمسمائة عام، وهنا سبعائة، وقال في آخره: لو دلتهم بحبل لبط على الله. ولعله أراد: [على - ١] عرش الله / أو على حكمه<sup>٧</sup> وعلوه<sup>٨</sup> ١٩٥ / وقدرته، يعنى أنه فى ملكه وقبضته ليس خارجا<sup>٩</sup> عن شىء من أمره - والله أعلم<sup>١٠</sup>، ورأيت<sup>١١</sup> فى جامع الأصول لابن الأثير بعد إرادة<sup>١٢</sup> هذا الحديث [ما نصه - ١]: قال أبو عيسى: قراءة رسول الله صلى الله عليه ١٠ وسلم الآية تدل على أنه أراد: لبط على علم<sup>١٣</sup> الله وقدرته وسلطانه ويكون مؤيدا للقول بأنها كرات متطابقة متداخلة - والله أعلم - ما روى<sup>١٤</sup> أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع فى العرش إلا كحلقفة ملقاة فى<sup>١٥</sup> فلاة. ولم يقل: كدرهم - مثلاً، وكذا

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) آية ٣ من سورة الحديد (٣) زيد من المجمع (٤) سقط من ظ (٥) من ظ وم ومد والمجمع، وفى الأصل: آخر. (٦) زيد من ظ وم ومد (٧-٧) سقط ما بين الرقین من ظ (٨) زيد فى الأصل: منها، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ليس (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: إراد (١١) زيد فى الأصل عن، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (١٢) زيد فى الأصل: ارض، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها.

نظم الدرر (سورة الم السجدة ٣٢: ٦ و ٧) ج - ١٥

ما روى محمد بن أبي عمر وإسحاق بن راهويه وأبو بكر ابن أبي شيبة  
وأحمد بن حنبل وابن حبان عن أبي ذر رضى الله عنه حديثاً طويلاً  
فيه ذكر الأنبياء، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تدرى ما مثل  
السموات والأرض في الكرسي؟ قلت: لا، إلا [أن -] [تعلنى بما  
عملك الله عز وجل، قال: مثل السموات والأرض في الكرسي كحلقة  
ملقاة في فلاة، وإن فضل الكرسي على السموات والأرض كفضل  
الفلاة على تلك الحلقة. وأصله عند النسائي والطائسى وأبي يعلى،  
وكذا ما روى صاحب الفردوس عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال: ما السموات السبع في عظمة الله إلا كجوزة  
١٠ معلقة. وقوله تعالى "وسع كرسيه السموات والأرض" يدل على  
أن الكرسي محيط بالكل من جميع الجوانب [وقوله تعالى "إن استطعتم  
أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا" صريح في ذلك،  
فإن النفوذ يستعمل في الخرق لاسيما مع التعبير بـ "من، دون، في"،  
وكذا قوله في السماء "وما لها من فروج، -" - والله الموفق.

١٥ ولما تقرر هذا من عالم الأشباح والخلق، ثم عالم الأرواح والأمم،  
فدل ذلك على شمول القدرة، وكان شامل القدرة لا بد وأن يكون

(١) زيد في الأصل: الأرض، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها.  
(٢) زيد من ظ وم ومد (٣) في ظ: ما (٤) زيد في الأصل: أرض، ولم  
تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل:  
رواه (٦) سقط من ظ (٧) سورة ٢ آية ٢٥٥ (٨) سورة ٥٥ آية ٣٤ (٩) سورة ٥٠  
آية ٦ (١٠) زيد ما بين الحائزين من ظ ومد (١١) في ظ: في (١٢) في ظ ومد:  
الشامل (١٣) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ وم ومد لحذفها.

محيط

محيط العلم، كانت نتيجته لا محالة : ﴿ ذلك ﴾ أى الإله العالى المقدار .  
الواضح المنار ﴿ علم الغيب ﴾ الذى تقدمت<sup>١</sup> مفاتيحه آخر التى قبلها  
من الأرواح والأمر والخلق .

ولما قدم<sup>٢</sup> علم الغيب لكونه أعلى ، وكان العالم به قد لا يعلم المشهود  
لكونه لا يبصر قال<sup>٣</sup> : ﴿ والشهادة ﴾ من ذلك كله التى منها تنزيل القرآن ه  
عليك و وصوله إليك ﴿ العزيز ﴾ الذى يعجز كل شئ ولا يعجزه شئ .  
ولما كان ربما قدح متعنت فى عزته باهمال<sup>٤</sup> العصاة قال : ﴿ الرحيم لا ﴾  
[ أى - ] الذى خص أهل التكليف من عباده بالرحمة فى إزال الكتب  
على السنة الرسل ، وأبان لهم ما رضاه الإلهية ، بعد أن عم جميع الخلائق  
صفة الرحانية بعد الإيجاد من الإعدام بالبر والإنعام .

ولما ذكر<sup>٥</sup> صفة الرحيمية صريحا لاقتضاء المقام إياها ، أشار إلى  
صفة الرحانية فقال : ﴿ الذى أحسن<sup>٦</sup> كل شئ ﴾ و لما كان هذا الإحسان  
عاما ، خصه بأن<sup>٧</sup> وصفه - على قراءة المدنى والكوفى<sup>٨</sup> - بقوله : ﴿ خلقه ﴾  
فبين أن ذلك بالإتقان والإحكام ، كما فسر به ابن عباس<sup>٩</sup> رضى الله عنهما  
من حيث التشكيل والتصوير ، وشق المشاعر ، و تهية المدارك ، وإفاضة ١٥

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تقدست (٢) من ظ وم مد ، وفى الأصل  
وم : قدر (٣) العبارة من هنا إلى « العصاة قل » ساقطة من ظ وم مد (٤) فى  
م : باهمال (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن  
فى ظ وم ومد لحدفاها (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من أظ (٨) فى ظ : ان .  
(٩) راجع نثر الرحان ١٥ / ١٢٥ . راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٨٤ / ٥ .

المعاني. مع المفاوطة في جميع ذلك، وإلى هذا أشار الإبدال في قراءة  
الباقيين، وعبر بالحسن لأن ما كان على وجه الحكمة كان حسنا وإن  
رآه الجاهل القاصر قبيحا.

ولما كان الحيوان أشرف الأجناس، وكان الإنسان أشرفه، خصه  
ه بالذكر ليقوم<sup>٢</sup> دليل الوحدة بالأنفس كما قام قبل بالآفاق<sup>٣</sup>، فقال  
دالا على البعث: (وبدأ خلق الإنسان) أي الذي هو المقصود الأول  
بالخطاب بهذا القرآن (من طين ج) أي مما ليس له أصل في الحياة  
بخلق آدم عليه السلام منه.

/ ولما كان قلب<sup>٤</sup> الطين إلى هذا الهيكل على هذه الصورة بهذه  
١٠ المعاني أمرا هائلا، أشار<sup>٥</sup> إليه بأداة البعد في قوله: (ثم جعل نسله)  
<sup>٦</sup> أي ولده الذي ينسل أي يخرج (من سلالة) أي من شيء مسلول،  
أي منزع منه (من ماء مهين ج) أي حقير وضعيف<sup>٧</sup> وقليل مراق  
مبذول<sup>٨</sup>، فعيل بمعنى مفعول، وأشار إلى عظمة ما بعد ذلك من خلقه  
وتطويره بقوله: (ثم سوّاه) أي عدله لما يراد منه بالتخطيط والتصوير  
١٥ وإبداع المعاني (ونفخ فيه من روحه) الروح ما يمتاز به الحي من

/ ١٩٦

(١-١) في م ومد: القاصر الجاهل (٢) من ظ ومد، وفي الأصل وم: ليقوى.  
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل وم: بالاتفاق (٤) زيدت الواو في ظ.  
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ذلك (٧) من ظ  
وم ومد، وفي الأصل: المشار (٨-٨) في الأصل يابض، ملأناه من ظ وم  
ومد (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تصويره.



الميت ، و الإضافة للتشريف ، فباله من شرف ما أعلاه<sup>١</sup> إضافة إلى الله .  
ولما ألقى السامعون لهذا الحديث أسماعهم ، فكانوا جديرين بأن  
يزيد المحدث لهم إقبالهم و انتفاعهم<sup>٢</sup> . فلت إليهم الخطاب قائلاً : ( وجعل )  
أى بما ركب فى البدن من الأسباب ( لكم السمع ) [ أى - ٢ ] تدركون  
به المعانى المصوتة ، و وحده لقلته التفاوت فيه إذا<sup>٣</sup> كان سالماً  
( و الابصار ) تدركون بها<sup>٤</sup> المعانى و الأعيان القابلة ، [ ولعله قدمها  
لأنه ينتفع بها حال الولادة ، و قدم السمع لأنه يكون إذ ذاك أمين  
من البصر . و لذا تربط القوابل العين لثلاث يضعفها النور ، و أما العقل  
فانما يحصل بالتدريج فلذا أخر محله فقال - ١ ] : ( و الاثنية ) أى  
المضغ<sup>٥</sup> الحارة المتوقدة المتحررة ، و هى القلوب المودعة غرائز العقول ١٠  
المتباينة فيها أى<sup>٦</sup> تباين ؛ قال الرازى فى اللوامع : جملة - أى<sup>٧</sup> الإنسان -  
مركبا من روحانى و جسمانى<sup>٨</sup> ، و علوى و سفلى ، جمع فيه بين العالمين  
بنفسه<sup>٩</sup> و جسده ، و استجمع الكونين بعقله و حسه ، و ارتفع عن الدرجتين  
باتصال الأمر الأعلى به " و حيا قوليا ، و سلم " الأمر لمن له الخلق و الأمر  
( ١ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهل ( ٢ ) فى الأصل بياض ، ملثاه من  
ظ و م و مد ( ٣ ) زيد من ظ و م و مد ( ٤ - ٤ ) من ظ و م و مد ، و فى  
الأصل : وحدها لقوة ( ٥ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إذ ( ٦ ) من ظ  
و م و مد ، و فى الأصل : به ( ٧ ) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد ( ٨ ) من  
ظ و م و مد ، و فى الأصل : التسع - كذا ( ٩ ) سقط من ظ ( ١٠ ) من ظ  
و م و مد ، و فى الأصل : حيوانى ( ١١ - ١١ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :  
و خلق السماء بسلا .

نظم الدرر (سورة التمس السجدة ٣٢ : ٩ - ١١) ج - ١٥

تسلما اختياريا طوعيا . و [ لما - ' ] لم يقادروا إلى الإيمان عند التذكير  
بهذه النعم الجسام قال : ﴿ قليلا ما تشكرون ٥ ﴾ أي وكثيرا  
ما تكفرون .

و لما كانوا قد قالوا : محمد ليس برسول ، و الإله ليس بواحد ،  
٥ و البعث ليس بممكن ، فدل على صحة الرسالة بنى الرب عن الكتاب ،  
ثم على الوحدانية بشمول القدرة و إحاطة العلم بابداع الخلق على وجه  
هو نعمة لهم ، و ٢ ختم بالتعجب من كفرهم ، ' وكان ' استبعادهم للبعث - الذي  
هو الأصل الثالث - من أعظم كفرهم ، قال معجبا منهم في ' إنكاره بعد  
التعجب في قوله " أم يقولون افترنه " . لافتنا عنهم الخطاب لإيذانا  
١٠ بالغضب من قولهم : ﴿ وقالوا ﴾ منكرين لما ركزوا في الفطر الأول ،  
ونبهت عليه الرسل ، فصار ' بحيث لا ينكره عاقل ألم ' بشيء من الحكمة :  
﴿ إذا ﴾ أي أنبعث [ إذا - ' ] ﴿ ضللتنا ﴾ أي ذهبنا و بطلنا و غنا  
﴿ في الارض ﴾ بصيرورتنا رابا مثل رايها ، لا يتميز بعضه من  
بعض : قال أبو حيان تبعاً ' للبقوى و الزمخشري و ابن جرير الطبري  
و غيرهم : و أصله من ضل الماء في اللين - إذا ذهب " . ثم كرروا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) العبارة من هنا إلى ' من كفرهم ' ساقطة من  
م (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فان (٥) في ظ : من .  
(٦) من م و مد ، وفي الأصل وظ : ذكر (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :  
الاولى (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الهمت (٩) في ظ و مد : نصارت .  
(١٠) في الأصل بياض ، ملائمة من ظ و م و مد (١١) في ظ و م و مد : فيه ،  
و ليست الزيادة في البحر المحيط ٧ / ٢٠٠ .

لاستفهام الإنكارى زيادة فى الاستبعاد فقالوا: ﴿إنا لنرى خلقاً جديداً﴾<sup>١</sup>  
هو محيط بنا ونحن مظلوفون له .

ولما كان قولهم هذا يتضمن إنكارهم القدرة . وكانوا يقرون بما  
يلزمهم منه الإقرار بالقدرة على البعث من خلق الخلق / و الإنجاء من  
كل كرب ونحو ذلك . أشار إليه بقوله : ﴿بل﴾ أى ليسوا بمنكرين ه  
لقدرته سبحانه ، بل ﴿هم بخلقهم﴾ المحسن بالإيجاد والإبقاء مستخرا  
لهم كل ما ينفعهم فى الآخرة للحساب أحياء سويين كما كانوا فى الدنيا .  
والإشارة بهذه الصفة إلى أنه لا يحسن بالمحسن أن ينقص إحسانه بترك  
القصاص<sup>٢</sup> من الظالم الكائن فى القيامة ﴿كفرون ه﴾ أى منكرون للبعث  
عناداً ، سارون لما فى طباعهم من أدلته ، لما غلب عليهم من الهوى القائد ١٠  
لهم إلى أفعال منعهم من الرجوع عنها الكبير عن قبول الحق والآفة  
من الإقرار بما يلزم منه نقص العقل .

ولما ذكر استبعادهم . و أتبعه عنادهم ، وكان إنكارهم إنما هو بسبب  
اختلاط الأجزاء بالتراب بعد انقلابها تراباً ، فكان عندهم من المحال  
تمييزها من بقية التراب . دل على أن ذلك عليه هـ هين بأن نبههم<sup>٣</sup> على ١٥  
ما هم مقرون به بما هو مثل ذلك بل أدق . فقال مستأنفاً : ﴿قل﴾ أى

(ر) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ليس (م) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : يفيض (م) زيد فى ظ و مد : الكائن (ع) فى ظ : إنكاره (هـ) من ظ  
وم و مد ، وفى الأصل : عليهم (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تبيهم .

جواباً لهم عن شبهتهم : ﴿توفئكم﴾<sup>١</sup> أى يقبض أرواحكم كاملة من  
أجسادكم بعد أن كانت مختلطة بجميع [أجزاء-<sup>٢</sup>] البدن ، لا تميز لأحدهما  
عن الآخر بوجه تعرفونه بنوع حيلة ﴿ملك الموت﴾ ثم أشار إلى  
أن فعله بقدرته ، وأن ذلك<sup>٢</sup> عليه في غاية السهولة ، ببناء الفعل لما لم يسم  
فاعله فقال : ﴿الذى وكل بكم﴾ أى وكله الخالق لكم بذلك ، وهو  
عبد من عبيده ، ففعل ما أمر به ، فاذا البدن ملق لا روح في شيء منه  
وهو على حاله كاملاً<sup>٣</sup> لا نقص في شيء منه يدعى الخلل بسببه ، فاذا  
كان هذا فعل عبد من عبيده صرفه في ذلك فقام به على ما تروونه مع  
أن ممازجة الروح للبدن أشد من ممازجة تراب البدن لبقية التراب لأنه  
١٠ ربما يستدل بعض الحذاق على بعض ذلك بنوع دليل من شم ونحوه ،  
فكيف يستبعد شيء من الأشياء على رب العالمين ، ومدير  
الخلائق أجمعين ؟

فلما قام هذا البرهان القطعى الظاهر مع دقته لسكل أحد على قدرته  
التامة على تمييز ترابهم من تراب الأرض ، وتمييز بعض ترابهم من بعض ،  
١٥ وتمييز تراب كل جزء من أجزائهم جل أو دق<sup>٤</sup> عن بعض . علم أن  
التفكير : ثم يعيدكم خلقاً جديداً كما كنتم أول مرة ، فحذفه كما هو

(١) تكرر في ظ (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من ظ و م ومد ، وفي  
الأصل : كان (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بناء (٥) من ظ و م  
ومد ، وفي الأصل : كاول (٦) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ  
وم ومد فحذفناه .

عادة القرآن في حذف كل ما دل عليه السياق ولم يدع داع إلى ذكره<sup>١</sup>  
 فعطف عليه قوله: ﴿ثم إلى ربكم﴾ أى الذى ابتداء خلقكم وتربيتكم  
 وأحسن إليكم غاية الإحسان ابتداء، لا إلى غيره، بعد إعادتك ﴿ترجعون﴾  
 بأن يعثكم كنفس واحدة فإذا أنتم بين يديه، فيتم إحسانه وربويته بأن  
 يجازى كلا<sup>٢</sup> بما فعل، كما هو دأب الملوك مع عبيد، لا يدع أحد<sup>٣</sup> ه  
 منهم الظالم من عبيده مهملًا.

ولما تقرر دليل البعث بما لا خفاء فيه، لا لبس، شرع يقص<sup>٤</sup> بعض  
 أحوالهم عند ذلك، فقال عادلا عن خطابهم استهانة [بهم - °] وإذانا  
 بالغضب، وخطابا للنبي صلى الله عليه وسلم تسليه له، أو لكل من يصح  
 خطابه، عاطفا على ما تقديره: فلو رأيتمهم وقد بعثت القبور، وحصل ١٠  
 ما في / الصدور. وهناك<sup>٥</sup> أمور أى أمور، موقفا<sup>٦</sup> المضارع في حيز<sup>٧</sup> ما  
 من شأنه الدخول على الماضي، لأنه لتحقيق<sup>٨</sup> وقوعه كأنه قد كان، واختير  
 التعبير به لترويح النفس بتقريب رؤيته حال<sup>٩</sup> سماعه، تعجيلا للسرور بتقريب  
 المحذور لأهل الشرور: ﴿ولو ترى﴾ أى تكون أيها الرائي من أهل  
 الرؤية لترى حال المجرمين ﴿إذ المجرمون﴾ أى القاطعون لما أمر الله ١٥

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ذكر (٢) في ظ: كل - كذا (٣) من  
 م و مد، وفي الأصل وظ: أحدا (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: في.  
 (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: حال (٧-٧) من  
 ظ و م و مد، وفي الأصل: للمضارع مع خبر (٨) من ظ و م و مد، وفي  
 الأصل: تحقق (٩) من م و مد، وفي الأصل: بحال من، وفي ظ:  
 حال من.

نظم الدرر (سورة الم السجدة ٣٢ : ١٢ و ١٣) ج - ١٥

به أن يوصل بعداً أن وقفوا بين يدي ربهم (ناكسوا رؤوسهم) أي  
مطاطوهم<sup>١</sup> خجلاً و خوفاً و خزيًا<sup>٢</sup> و ذلاً<sup>٣</sup> في محل المناقشة (عند ربهم)<sup>٤</sup>  
المحسن إليهم المتوحد بتدبيرهم، قائلين بغاية الذل و الرقة : (ربنا) أي  
أيها المحسن إلينا (ابصرنا) ما كنا نكذب به (وسمعنا) أي  
• منك و من ملائكتك و من أصوات النيران و غير ذلك ما كنا نستبعده،  
فصرنا على غاية العلم<sup>٥</sup> بتمام قدرتك و صدق وعودك<sup>٦</sup> (فارجعنا)  
بما لك من هذه الصفة المقتضية للاحسان، إلى دار الأعمال (نعمل صالحاً)  
ثم حققوا هذا الوعد بقولهم على سبيل التعليل مؤكدين لأن حالهم كان  
حال الشاك الذي يتوقف المخاطب في إيقانه : (أنا موقنون) أي ثابت  
١٠ [الآن -<sup>٧</sup>] لنا الإيقان<sup>٨</sup> بجميع ما أخبرنا به عنك مما كشف عنه العيان،  
أي لو رأيت<sup>٩</sup> ذلك لرأيت أمراً لا يحتمله من هوله و "عظمه عقل"،  
و لا يحيط به وصف .

و لما لم يذكر لهم جواباً<sup>١٠</sup>، علم أنه لهوانهم، لأنه ما جراًهم على<sup>١١</sup>

(١) في ظ : بل (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : مطاطيون (٣) من م  
و مد، وفي الأصل و ظ : حزناً (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد.  
(٥) سقط من ظ (٦) زيد في الأصل : بها، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد  
لحذفناها (٧) في ظ : وعدك (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد،  
وفي الأصل : الايمان (١٠) من ظ و م و مد، وفي الأصل : رأيت .  
(١١-١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : عقله (١٢) من ظ و م و مد،  
وفي الأصل : جواب (١٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل : إلى .

المصيان إلا صفة الإحسان . فلا يصلح لهم إلا الحزى والهوان ، ولأن<sup>١</sup> الإيمان لا يصح إلا بالغيب<sup>٢</sup> قبل العيان .

ولما كان ربما وقع في وهم أن ضلالهم مع الإيمان في البيان ، لعجز عن هدايتهم أو توان ، قال<sup>٣</sup> عاطفا [ على<sup>٤</sup> ] ما تقديره : إني<sup>٥</sup> لا أردكم لأنى لم أضلكم في الدنيا للعجز عن هدايتكم فيها ، بل لأنى لم أرد<sup>٥</sup> إسعادكم ، ولو شئت لهديتكم ، [ صارفا القول إلى مظهر العظمة لا قضاء المقام لها -<sup>٤</sup> ] : ﴿ ولو شئنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى تأبى<sup>٦</sup> أن يكون لغيرنا شيء يستقل به<sup>٧</sup> أو يكون<sup>٨</sup> في ملكنا ما لا نريد ﴿ لا تبنا كل نفس ﴾ أى مكلفة لأن الكلام فيها ﴿ هدها ﴾ أى جعلنا هدايتها ورشدها وتوفيقها للإيمان وجميع ما يتبعه من صالح الأعمال في يدها ١٠ متمكنة منها .

ولما استوفى الأمر حده من العظمة ، لفت الكلام إلى الأفراد ، دفعا للتعنّت وتحقيقا لأن المراد بالاول العظمة فقال : ﴿ ولكن ﴾ أى لم أشأ ذلك لأنه ﴿ حق القول منى ﴾ وأنا من<sup>٩</sup> لا يخلف الميعاد ، لأن الإخلاف إما لعجز أو نسيان أو حاجة ولا شيء من ذلك يليق بجنانى ١٥ أو يحل بساحتى ، وأكد لأجل إنكارهم فقال مقسما : ﴿ لا ملئ جهم ﴾

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالغيب (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فقال (٤) زيد من ظ و م و مد . (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لأنى (٦) فى الأصل بياض ، ملائنه من ظ و م و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بمن .

التي هي محل إهانتى و تجهم أعدائى بما تهمموا أوليائى (من الجنة) أى  
الجن طائفة إبليس ، وكأنه أنتم<sup>١</sup> تحقيرا لهم عند من يستعظم أمرهم  
لما دعا<sup>٢</sup> إلى تحقيرهم من مقام الغضب<sup>٣</sup> و بدأ بهم لاستعظامهم لهم<sup>٤</sup> و لأنهم  
الذين أضلّوهم (و الناس اجمعين<sup>٥</sup>) حيث قلت لإبليس : " لا ملنّ جهنم  
منك و ممن تبعك منهم اجمعين " فلذلك شئت كفر الكافر و عصيان  
العاصى / بعد أن جعلت لهم اختيارا ، و غيت العاقبة عنهم ، فصار  
الكسب ينسب إليهم<sup>٦</sup> ظاهرا ، و الخلق فى الحقيقة و المشيئة لى<sup>٧</sup> .

/ ١٩٩

ولما تسبب عن هذا القول الصادق أنه لا محيص عن عذابهم ، قال  
بجيا<sup>٨</sup> لترققهم إذ ذاك نافيا لما<sup>٩</sup> قد يفهمه كلامهم من أنه<sup>١٠</sup> محتاج إلى  
١٠ العباداة : ( فذوقوا ) أى<sup>١١</sup> ما كنتم تكذبون به منه بسبب ما حق منى  
من القول ( بما ) أى بسبب ما ( نسيتم لقاء يومكم ) ( و أكده -<sup>١٢</sup> )  
و بين لهم<sup>١٣</sup> بقوله : ( هذا ج ) أى عملتم - فى الإعراض عن الاستعداد  
لهذا الموقف الذى تحاسبون فيه و يظهر فيه العدل - عمل الناسى له مع  
أنه مركوز فى طباعكم<sup>١٤</sup> أنه لا يسوغ لذى علم و حكمة أن يدع عييده

(١) فى الأصل بياض ، ملأته من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى  
الأصل : دعاهم (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى م : إياهم (٥) سقط من ظ .  
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : معجبا (٧) من ظ و م و مد ، و فى  
الأصل : بما (٨) زيد فى الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد  
لخذفها (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ذلهم .  
(١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : طباعهم .



يمرحون فى أرضه و يتقلبون فى رزقه، ثم لا يحاسبهم<sup>١</sup> على ذلك و ينصف مظلومهم؛ فكان الإعراض عنه مستحقا لأن يسمى نسيانا من هذا الوجه أيضا، و من جهة أنه لما ظهر له من البراهين ما ملأ الأكوام صار كأنه ظهر، و روى ثم نسي . ثم علل ذوقهم لذلك أو<sup>٢</sup> استأنف لبيان المجازاة به مؤكدا فى مظهر العظمة قطعا لأطاعهم فى الخلاص، و لذا ه عاد<sup>٣</sup> إلى مظهر العظمة فقال: ( انا نسينكم ) أى عاملناكم بما لنا من العظمة و لكم من الحقارة معاملة الناسى لكم، فأوردناكم النار كما أفسنا أنه ليس أحد إلا يردھا، ثم أخرجنا أهل و دنا و تركناكم فيها [ ترك - ١ ] المنسى .

و لما كان ما تقدم من أمرهم بالذوق مجعلا، بينه بقوله مؤكدا له<sup>٤</sup>: ١٠ ( و ذوقوا عذاب الخلد ) أى المختص بأنه لا آخر له . و لما كان قد خص [ السبب - ١ ] فيما مضى، عم هنا فقال: ( بما كنتم ) أى جبلة و طبعا ( تعملون ) من أعمال من لم يخف أمر البعث ناوين أنكم لا تفكون عن ذلك .

و لما كان قوله تعالى " بل هم بلبقاء ربهم كفرون " قد أشار إلى ١٥ أن الحامل لهم على الكفر الكبير، و ذكر سبحانه أنه قسم الناس قسمين

- (١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يحاؤون - كذا (٢) فى ظ و مد و «و» .
- (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: اعاد (٤) تقدم فى الأصل على « بما لنا »، و الترتيب من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تركنا .
- (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : له .

ظم الدرر (سورة التم السجدة ٣٢: ١٥ و ١٦) ج - ١٥

لأجل الدارين، تشوفت النفس إلى ذكر علامه أهل الإيمان كما ذكرت علامة أهل الكفران، فقال معرفاً أن المجرمين لا سبيل إلى إيمانهم "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه": ﴿انما يؤمن بائتنا﴾ الدالة على عظمتنا ﴿الذين اذا ذكروا بها﴾ من أى مذكر كان، فى أى وقت كان، قبل كشف الغطاء وبعده ﴿خروا سجدا﴾ أى بادروا إلى السجود مبادرة ٥ من كانه سقط من غير قصد، خضعاً لله من شدة تواضعهم وخشيتهم وإخباتهم له خضوعاً ثابتاً دائماً ﴿وسبحوا﴾ أى أوقموا التزويه عن كل شائبة نقص من ترك البعث المؤدى إلى تضييع الحكمة ومن غيره متلبسين' ﴿بمجد﴾ 'ولفت الكلام إلى الصفة المقتضية لتزويهم وحمد تبيينها لهم فقال: ﴿رهم﴾ أى بائياتهم له الإحاطة بصفات الكمال. ولما تضمن هذا تواضعهم، صرح به فى قوله: ﴿وهم لا يستكبرون السجدة﴾ أى لا يحددون طلب الكبير عن شىء مما دعاهم إليه "المهادى ولا يوجده" خلقاً لهم راسخاً فى ضمائرهم.

ولما كان المتواضع ربما سب إلى الكسل، نفى ذلك عنهم بقوله ١٥ مينا: بما تضمنته الآية السالفة من خوفهم: ﴿تجافى﴾ أى ترتفع ارتفاع مبالغ فى الجفاء - بما أشار إليه الإظهار، وبشر بكثرتهم بالتعبير

(١) فى م ومد. متلبسين (٢-٣). تأخر ما بين الرفق فى الأصل عن "فى قوته"، والترتيب من ظ وم ومد (٣-٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ادعا ولا محدوده - كذا (٤-٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تضمنت (٥) زيد فى ظ وم: من (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: بالتبصير.

بجمع الكثرة فقال : ﴿ جنوبهم ﴾ بعد النوم ﴿ عن المضاجع ﴾ أى  
الفرش الموطأة الممهدة التى هى [ محل -<sup>١</sup> ] الراحة و السكون و النوم<sup>٢</sup> ،  
فيكونون عليها كالمسوعين ، لا يقدرون على الاستقرار عليها ، فى الليل  
الذى هو موضع<sup>٣</sup> الخلوة و محط اللذة<sup>٤</sup> و السرور بما تهواه النفوس ، [ قال  
الإمام السهروردى فى الباب السادس و الأربعين من عوارفه عن المحبين : ه  
قيل : نومهم نوم الفرقى ، و أكلهم أكل المرضى ، و كلامهم ضرورة ، فن  
نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل وفق لقيام الليل ، و إنما النفس  
إذا طمعت و وطنت على النوم استرسلت فيه ، و إذا أزججت بصدق  
العزيمة لا تسترسل فى الاستقرار ، و هذا الانزعاج فى النفس بصدق  
العزيمة هو التجافى الذى قال الله ، لأن الهم بقيام الليل و صدق العزيمة ١٠  
يجعل بين الجنب و المضجع سواء و تجافيا -<sup>٥</sup> ] .

و لما كان هجران<sup>٦</sup> المضجع قد يكون لغير العبادة ، بين أنه لها ،  
فقال مينا لحالهم : ﴿ يدعون ﴾ أى على سبيل الاستمرار ،<sup>٧</sup> و أظهر الوصف  
الذى جراحهم على السؤال فقال<sup>٨</sup> : ﴿ ربهم ﴾ أى الذى عودهم باحسانه ؛  
ثم علل دعاءهم بقوله : ﴿ خوفا ﴾ أى من سخطه و عقابه ، [ فان أسباب ١٥  
الخوف من نقائصهم كثيرة سواء عرفوا سببا يوجب خوفا أولا ، فهم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣-٢) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : اللذة و محط الخلوة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من  
ظ و م و مد ، وفى الأصل : يجزان (٦-٧) تأخر ما بين الرثين فى الأصل عن  
«دعاءهم بقوله » ، و الترتيب من ظ و م و مد .

لا يأمّتون مكره لأن له أن يفعل ما يشاء - [ (و طمعان) أى فى رضاء  
الموجب لثوابه، و عبر به دون الرجاء إشارة إلى أنهم لشدة معرفتهم  
بنقائصهم لا يعدون أعمالهم شيئاً بل يطلبون فضله بغير سبب، [ وإذا كانوا  
يرجون رحمته بغير سبب فهم مع السبب أرجى، فهم لا يأسون من  
رحمته - ] .

ولما كانت العبادة تقطع عن التوسع فى الدنيا، فرمما دعت نفس<sup>٦</sup>  
العابد إلى التمسك بما فى يده خوفاً من نقص العبادة عند الحاجة لتشوش  
الفكر والحركة لطلب الرزق<sup>٧</sup>، حت على الإنفاق منه اعتماداً على الخلاق  
الرزاق الذى ضمن الخلف<sup>٨</sup> ليكونوا بما ضمن لهم أوثق منهم بما عندهم،  
١٠. وإيذاناً بأن الصلاة سبب للبركة فى الرزق<sup>٩</sup> "و امر اهلك بالصلوة واصطبر  
عليها لا نستلك رزقاً نحن نرزقك"، فقال لفتا إلى مظهر العظمة تنبئها على  
أن الرزق منه وحده: (و بما رزقهم) أى بعظمتنا، لا بحول منهم  
ولا قوة (ينفقون) من غير إسراف ولا تقتير فى جميع وجوه<sup>١٠</sup> القرب  
التي شرعناها لهم .

١٥. ولما ذكر جزاء المستكبرين، فقتشفت النفس إلى جزاء المتواضعين،  
أشار إلى جزائهم بقاء السبب، إشارة إلى أنه هو الذى وفقهم لهذه  
الأعمال برحمته، وجعلها سبباً إلى دخول جنته، ولو شاء لكان

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ و م و مد: النفس .  
(٣) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ  
وم و مد، وفى الأصل: الخلق (٥) فى ظ: الوجوه .

غير ذلك [فقال - ١]: (فلا تعلم نفس) أى من جميع النفوس مقربة ولا غيرها (ما أخفى لهم) أى هؤلاء المذكرين من العالم بمفاتيح القيوب و خزائنها كما كانوا يخفون أعمالهم بالصلاة في جوف الليل وغير ذلك ولا يراون بها، ولعله بنى للفعول في قراءة الجماعة تعظيماً له بذهاب الفكر في الخفي كل مذهب، أو للعلم بأنه الله تعالى الذي أخفوا توافل أعمالهم لأجله، هـ وسكن حمزة الياء على أنه للتكلم سبحانه لفتنا لأسلوب العظمة إلى أسلوب الملاطفة، والسر مناسبة لحال الأعمال.

ولما كانت العين لا تقر فتتجمع إلا عند الأمن والسرور قال: (من قرأ عين ج) أى من شيء نفيس ساراً تقر به أعينهم لأجل ما ألقوها<sup>١</sup> عن قرارها بالنوم؛ ثم صرح بما أهمته فاه السبب فقال: ١٠ (جزأ) أى أخفاها لهم لجزائهم (بما كانوا) [أى - هـ] بما هو لهم كالجلبة (يعملون) روى البخارى في التفسير عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم "فلا تعلم نفس" - الآية. ١٥

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: المذكرون.
- (٣) راجع نثر المرجان ٣٥٨/هـ (٤) فظ: أى (هـ) من مد، وفي الأصل وظ و م:
- بان (٦ - ٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: أنها التكلم (٧) ف م: ألقوها.
- (٨) زيد من ظ (٩) راجع صحيحه ٧٠٤ / ٢ (١٠) زيد فظ: ما أخفى لهم، وزيد في الصحيح: ما أخفى لهم من قرأ عين.

نظم المدرس (سورة السم السجدة ٢٢: ١٨-٢٠) ج - ١٥

٢٠١ /

ولما كانوا أهل / بلاغة ولسن، وبراعة: وجدل، فكان ربما  
قال متعتهم: ما له إذا كان ما ترحمون من أنه لا يبالى بشيء ولا ينقص  
من خزائنه شيء وهو العزيز الرحيم، لا يسوى بين الكل في إدخال الجنة،  
والمن بالنعم فيعطيهم بالرحمة الظاهرة كما عطيهم بها في الدنيا كما هو دأب  
المحسنين؟ تسبب عن ذلك أن قاله منكرا. لذلك مشيرا إلى أن المانع  
منه خروجه عن الحكمة، فإن تلك دار الجزاء، وهذه دار العمل، فينبغي  
يون: (أفمن كان) أى كونا كأنه من رسوخه جلي (مؤمنا) أى  
راخا في التصديق العظيم بجميع ما أخبر به الرسل (كن. كان)  
[ولما كان السياق منسوقا على دليل "ما لكم من دونه منى ولى ولا شفيع"  
١٠ - الآية، فكان الكافر خارجا عن محيط ذلك الدليل الذى لا يخفى بوجه  
على أحد له سمع وبصر وفؤاد، اقتضى الحال التعبير بالفسق الذى هو  
الخروج عن محيط فقال -<sup>٢</sup>]: (فاسقا) أى راخا في الفسق خارجا  
عن دائرة الإذعان.

ولما توجه الاستفهام<sup>٢</sup> إلى كل من اتصف بهذا الوصف، وكان  
١٥ الاستفهام إنكاريا، عبر عن معناه مصرحا بقوله: (لا يستون) إشارة  
- بالمثل على لفظ "من، مرة" ومعناها أخرى - إلى أنه لا يستوى  
جمع من هؤلاء يجمع من أولئك ولا فرد بفرد.

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فيبينها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من  
ظ و م و مد، وفي الأصل: الاذعان (٤) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل: مر.

ولما

ولما نفي استواءهم، أتبعه حال كل على سبيل التفصيل معبرا بالجمع  
 لأن الحكم بآرائه وإخطائه يفهم الحكم على الواحد منه من باب الأول  
 فقال: ﴿ اما الذين آمنوا وعملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم  
 ﴿ الصلحت فلهم جنت المأوى ﴾ أى الجنات المختصة. دون الدنيا التى  
 هى دار ممر، دون النار التى هى دار مفر لا مقر، بتأهلها للمأوى الكامل  
 فى هذا الوصف بما أشار إليه هـ، ثابتون فيها لا يغيرون عنها حولا، كما  
 تبوؤا الإيمان الذى هو أهل للاقامه فيه فلم يغيروا به بدلا ﴿ نزلا ﴾ أى  
 عدادا لهم أول قدومهم فى قول الحسن وعطاء، وهو أرفع لاقام  
 كما يعد للضيف على ملاح ﴿ بما كانوا ﴾ جبلة وطبعا ﴿ يعملون ﴾  
 دائما على وجه التجديد، فان أعمالهم من رحمة ربهم، فإذا كانت هذه  
 الجنات نزلا فما ظنك بما بعد ذلك و هو لعمري ما أشار إليه  
 [ قوله - ١ ] صلى الله عليه وسلم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت  
 ولا خطر على قلب بشر، وهم كل لحظة فى زيادة لأن قدرة الله لا نهاية  
 لها، فإياك أن يخدعك خادع أو يفرك ملحد ﴿ و اما الذين فسقوا ﴾  
 أى خرجوا عن دائرة الإيمان الذى هو معدن التواضع وأهل للصاحبة  
 والملازمة ﴿ فإولهم النار ﴾ أى التى لا صلاحية فيها للأواء بوجه

(١) فى ظ و هـ، والكلمة ساقطة من مد (٢) فى ظ و م ومد: أشارت (٣) من  
 ظ و م ومد، وفى الأصل: فلم يبايعوا (٤ - ٤) من ظ و م ومد، وفى  
 الأصل: رحمة من (هـ) سقطت الواو من ظ و م ومد (٩) زيد من ظ و م  
 ومد (٧) من ظ و م ومد، وفى الأصل: بأن (٨) فى ظ: الذى (٩) من  
 ظ و م ومد، وفى الأصل: للادواء.

من الوجوه أصلا .

ولما كان السامع جديرا بالعلم بأنهم يجتهدون في الخلاص منها،  
قال مستأنفا لشرح حالهم : ﴿ كَلَّا ارَادُوا ﴾ [ أى - ٢ ] وهم مجتمعون  
فكيف إذا أراد بعضهم ﴿ ان يخرجوا منها ﴾ وهذا يدل على أنه يزداد  
في عذابهم بأن يخيل إليهم ما يظنون به القدرة على الخروج منها كما  
كانوا يخرجون [ بفسوقهم من محيط الأدلة و - ٢ ] من دائرة الطاعات  
إلى يداه المعاصي والزلات، فيعالجون الخروج فاذا ظنوا أنه ييسر لهم  
وهم بعد في غمراتها ﴿ اعبدوا ﴾ بأيسر أمر وأسهل من أى من  
أمر بذلك ﴿ فيها ﴾ إلى المكان الذى كانوا فيه أولا ، ولا يزال هذا  
١٠ دأبهم أبدا ﴿ وقيل ﴾ أى من أى قاتل وكل بهم ﴿ لهم ﴾ أى عند  
الإعادة إهانة لهم : ﴿ ذوقوا عذاب النار ﴾ .

ولما وصف عذابهم في النار كان أحق بالوصف عدد بيان سبب  
الإهانة بالأمر بالذوق مع أنه أحق من حيث كونه مضافا عددا عنه  
فقال : ﴿ الذى كنتم ﴾ أى كونا هو لكم كالجبلات ، وأشار إلى أن  
١٥ / ٢٠٢ تكذيبهم به يتلاشى عنده كل / تكذيب ، فكأنه مختص فقال :  
﴿ به تكذبون . ﴾ فان الإعادة بعد معالجة الخروج أمكن في التصديق  
باعتبار التجدد في كل آن .

(١) فى ظ و م و مد : شرح (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد .  
(٤) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٥) وقع فى الأصل بعد  
« اعبدوا » ، و الترتيب من ظ و م و مد .



ولما كان المؤمنون الآن يتمنون إصابتهم بشئ<sup>١</sup> من الهوان فى هذه الدار، لأن نفوس البشر مطبوعة على العجلة، بشرم بذلك على وجه يشمل<sup>٢</sup> عذاب القبر، فقال مؤكدا [له - ٢] لما عندهم من الإنكار لعذاب ما بعد الموت وللإصابة<sup>٣</sup> فى الدنيا بما لهم من الكثرة والقوة: (ولتذيقنهم) أى أجمعين بالمباشرة والتسيب<sup>٤</sup>، بما لنا من العظمة التى تلاشى عندهما<sup>٥</sup> كثرتهم وقوتهم (من العذاب الأدنى) أى قبل يوم القيامة، بأيديكم وغيرهما، وقد صدق الله قوله، وقد كانوا عند نزول هذه السورة بمكة المترففة فى غاية الكثرة والنعمة، فأذاقهم الجذب سنين متوالية، وفرق شملهم وقلهم وأسرهم بأيدي المؤمنين إلى غير ذلك بما أراد سبحانه: ثم أكد الإرادة لما قبل الآخرة وحقها بقوله، معبرا ١٠ بما يصلح للغيرة<sup>٦</sup> والسقول: (دون العذاب الأكبر) أى الذى مر ذكره فى الآخرة (لعلهم يرجعون) أى ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن تقصده عند من ينظره، وقد كان ذلك، رجع كثير منهم خوفا من السيف، فلما رأوا عاصم الإسلام كانوا من أشد الناس فيه رغبة<sup>٧</sup> وله حبا.

١٥

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لشيء (٢) فى ظ: شمل (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل: الإصابة (٥) من ظ ومد، وفي الأصل وم: التسبب (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: عندهما. (٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ: للغيرة (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: كثيرا (٩-١٠) من ظ و م ومد، وفي الأصل: رغبة فيه.

و لما كان التقدير: يرجعون [عن -] ظلهم فانهم ظالمون، عطف عليه [قوله -] : ((ومن اظلم)) منهم، هكذا [كان -] [الأصل]، ولكنه أظهر الوصف الذي صاروا به أظلم فقال: ((من ذكر)) أى من أى مذكر كان؛ وصرف القول إلى صفة الإحسان استعطافاً وتنبهاً. هـ على وجوب الشكر فقال: ((بانت ربه)) أى الذى لا نعمة عنده إلا منه.

و لما بلغت هذه الآيات من الوضوح أقصى الغايات، فكان الإعراض عنها مستبعداً بعده، عبر عنه بأداة البعد لذلك فقال: ((ثم أعرض عنها)) ضد ما عمله الذين لم يتبالوا أنه خروا سجداً، ويجوز - وهو أحسن - أن يكون "ثم" على بابها التراخي، أى يكون المعنى: أنه من وقع له التذكير بها فى وقت ملاء فأخذ يتأمل فيها، ثم أعرض عنها بعد ذلك ولو بألف عام فهو أظلم الظالمين، ويدخل فيه ما دون ذلك من باب الأولى لأنه أجدر بعدم النسيان، فهى أبلغ من التعبير بإلقاء كما فى سورة الكهف، ويكون عدل إلى إلقاء هالك شراحلاً لما يكون من حالهم، ١٥ عند بيان سؤالهم، الذى جعلوا بيانه آية الصدق، والعجز عنه آية الكذب.

و لما كان الحال مقتضياً للسؤال عن جزائهم، و [كان -] قد أفرد الضمير باعتبار لفظ "من" تنديها على فباحة الظلم من كل فرد، (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بعد (س) فظ : الذى.

نظم الدرر ( الجزء الحادى والعشرون ) ج - ١٥

قال جامعا لأن إهانة الجمع دالة على إهانة الواحد من باب الأولى، مؤكدا  
لأن إقدامهم على التكذيب كالإتكاف لأن تجاوزوا عليه، صارفا وجه  
الكلام عن صفة الإحسان ليبدأ بالقضب: (انل) متهم، هكذا كان  
الاصلى، ولكنه أظهر الوصف نصا فى التعميم وتعليقا للحكم به معنا  
لنوع ظلمهم تبشيعا له فقال: (من المجرمين) [أى - ٢] القاطعين ٥  
لما يستحق الوصل خاصة (منتقمون ٤) وعبر بصيغة العظمة تنديها على  
أن الذى يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرد العداد  
فى الظالمين، فكيف وقد كانوا\* أظلم الظالمين؟ والجملة الاسمية تدل  
على دوام ذلك عليهم فى الدنيا إما باطنا بالاستدراج بالنعم، وإما ظاهرا  
بإحلال النقم، وفى الآخرة بدوام العذاب على حرر الآباد. ١٠  
ولما كان مقصود السورة نفي الزيب عن تنزيل هذا الكتاب  
المبين فى أنه من عند رب العالمين، ودل على أن الإغراض عنه إنما  
هو ظلم ومعاد بما ختمه بالتهديد على الإغراض عن الآيات بالانتقام،  
و [كان - ٢] قد انتقم سبحانه من استخف بموسى عليه السلام قبل  
إنزال الكتاب عليه وبعد إنزاله، وكان المول من أنزل عليه كتاب ١٥

(٢) فى م ٤ لاف (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل: الظالمين، ولم  
تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحدفاها (٤) زيد فى الأصل: من، ولم تكن  
الزيادة فى ظ و م و مد لحدفاها (٥-هـ) فى ظ: فكانوا، وفى مد: فكيف إذا  
كانوا (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: منى (٧) فى ظ: من (٨) من ظ  
و م و مد، وفى الأصل: استخف (٩) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: الكتاب.

نظم الدرر (سورة التهم السجدة ٣٢ : ٢٣) ج - ١٥

من بنى إسرائيل بعد قرة كبيرة<sup>١</sup> من الانبياء بيته وبين يوسف عليها السلام وآمن به جميعهم والفهم<sup>٢</sup> اقه به وأتخذهم من أسر القبط على يده، ذكر بحاله<sup>٣</sup> تسليية ونأسية لمن أقبل وتهديدا لمن أعرض، وبشارة بايمان العرب كلهم وتأليفهم<sup>٤</sup> به وخلاص أهل اليمن منهم من أسر الفرس بسية، فقال مؤكدا تنبيها لمن بطن أن العظيم لا يره شوء من أمره: ﴿ ولقد اتينا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ موسى الكتب ﴾ [أى الجامع للأحكام - °] وهو التوراة .

ولما كان ذلك مما لا ريب فيه أيضا، وكان قومه قد تركوا اتباع كثير منه لا سيما فيما قص من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وفيما ١٠ أمر فيه باتباعه<sup>٥</sup>، وكان هذا إعراضا منهم مثل إعراض الشاك<sup>٦</sup> في الشيء، وكانوا في زمن موسى عليه السلام أيضا يخالفون أوامره وقتا بعد وقت وحيناً إثر<sup>٧</sup> حين<sup>٨</sup>، تسبب عن الإيتاء المذكور قوله "تعرضنا بهم" وإعلاما بأن العظيم قد يريد [رد - °] بعض أوامره لحكمة دبرها: ﴿ فلا تكن ﴾ أى كونا راسخا - بما أشار إليه فعل الكون وإثبات نونه،

(١) في مد: كثيرة (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: انهم (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بحا - كذا (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تألفهم. (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: باتباع. (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الشأن (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بعد (٩) زيد بعده في الأصل: واثرا بعد اثر، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فخذناها (١٠ - ١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تعرض به .

- فيفهم العفو عن حديث النفس الواقع من الأمة على ما بينه صلى الله عليه وسلم (في مرية) أى شك (من لقائه) أى لا تفعل فى ذلك فعل الشاك فى لقاء موسى عليه السلام [ للكتاب - ١ ] منا و تلقية له بالرضا و القبول و التسليم ، كما فعل المدعون لاتباعه و العمل بكتابه فى الإعراض عما دعاهم إليه من دين الإسلام ، أولا تفعل فعل الشاك فى ٥
- لقائك الكتاب منا وإن نسبك إلى الافتراء وإن تأخر بعض ما يخبر به فسيكون هدى لمن بقى منهم ، وعذابا للماضين<sup>٢</sup> ، ولا يبقى خبر ما أخبر به أنه كان إلا كان طبق ما أخبر به ، فانك لتلقاه<sup>٣</sup> من لدن<sup>٤</sup> حكيم عليم .
- و قد صبر موسى عليه السلام فى تلقى كتابه و دعائه حتى مات على أحسن الأحوال ، أو يكون المعنى : و لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف [ عليه - ٦ ] ١٠
- فيه فاشك<sup>٥</sup> أحد من الثابتين فى إيتائنا إياه الكتاب لأجل إعراض من أعرض ، و لا زلزلة أديار من أدبر ، و انتقمنا ممن أعرض عنه فلا يكن أحد ممن آمن بك فى شك من إيتائنا الكتاب لك / لإعراض من أعرض ، فسنهلك<sup>٦</sup> من حكمنا بشقاوته<sup>٧</sup> انتقاما منه ، و نسعد الباقين به .
- و لما أشار إلى إعراضهم عنه و إعراض العرب عن كتابهم ، ذكر ١٥
- أن الكل فعلوا بذلك الضلال ضد<sup>٨</sup> ما أنزل له الكتاب ، فقال ممتنا على
- 
- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : انا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لافا - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لبعاء (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و ان (٦) زيد من م و مد (٧) فى ظ و مد : ظنك (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فسنعجلك (٩) فى ظ و مد : بشقاوته (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عند .

بنى إسرائيل و مبشرا للعرب: ﴿وجعلناه﴾ أى كتاب موسى عليه السلام  
 جملا يليق بعظمتنا ﴿هدى﴾ أى بياناً عظيماً ﴿لبنى إسرائيل﴾ وأشار  
 إلى اختلافهم فيه بقوله: ﴿وجعلنا منهم﴾ أى من أنبيائهم وأجبارهم  
 بعظمتنا، مع ما فى طبع الإنسان من اتباع الهوى ﴿أمة يهدون﴾ أى  
 ٥ يوقعون البيان ويعملون على حسبه ﴿بأمرنا﴾ أى بما أنزلنا فيه من  
 الأوامر؛ ثم ذكر علة جعله ذلك لهم بقوله: ﴿لما صبروا﴾ أى بسبب  
 صبرهم ولاجله - على قراءة حمزة والكسائي بالكسر والتخفيف،  
 أو حين صبرهم على قبول أوامرنا<sup>٢</sup> على قراءة الباقيين بالفتح، التشديد،  
 وإن كان الصبر أيضاً إنما هو بتوفيق الله لهم ﴿وكانوا بآيتنا﴾<sup>٣</sup> لما لها<sup>٤</sup>  
 ١٠ من العظمة ﴿يوقنون﴾ لا يرتابون فى شئ منها ولا يفعلون فعل الشاك  
 فيه بالإعراض، وكان ذلك [لهم -<sup>٥</sup>] جلة جبلناهم عليها.

ولما أفهم قوله "منهم" أنه كان منهم من يضل عن أمر الله  
 ويصد عنه، جاء قوله تسلياً للؤمنين وتوعداً للكافرين، استئنافاً مؤكداً  
 تنبيهاً لمن يظن أنه لا يبعث، ولفت القول إلى صفة الإحسان إشارة<sup>٦</sup>  
 ١٥ إلى ما يظهر من شرفه صلى الله عليه وسلم [فى ذلك اليوم -<sup>٧</sup>] من  
 المقام المحمود وغيره: ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك بإرسالك ليعظم<sup>٨</sup>

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٦٥ (ب) من ظ و م ومد، وفى الأصل: أوامرهما.  
 (٢-٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: بما لنا (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) زيد  
 فى ظ: فريق (٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل: مبشرا إشارة (٧) من ظ  
 و م ومد، وفى الأصل: لتعظيم.

ثوابك و يعلى<sup>١</sup> ما بك ( هو ) أى وحده ( يفصل بينهم ) أى من الهادين والمضلين والضالين ( يوم القيمة ) بالقضاء الحق، فيعلى أمر المظلوم ويردى كيد الظالم ( فيما كانوا ) جلة وطبعا ( فيه ) أى خاصة ( يختلفون ) أى يحددون الاختلاف<sup>٢</sup> فيه على سبيل الاستمرار حسب ما طبعوا<sup>٣</sup> عليه، لا يخفى عليه شئ منه،<sup>٤</sup> وأما غير ما اختلفوا فيه فالحكم فيه لهم أو<sup>٥</sup> عليهم لا بينهم. وما اختلفوا فيه لا على وجه القصد فيقع في محل العفو.

ولما كان قد تقدم عن الكفار في هذه السورة قولان: أحدهما في التكذيب بالقرآن، والثانى في إنكار البعث، و دل سبحانه على<sup>٦</sup> فسادهما إلى أن ختم بذكر الآيات، والبعث والفصل بين الحق والمبطل، ١٠ أتبعه استفهامين إنكاريين مشورين على القولين، [ وختم آية كل منهما بآخر، قصير الاستفهامات أربعة -<sup>٧</sup> ]، وفى مدخول الأول الفصل بين الفريقين فى الدنيا، فقال مهددا: ( أو لم ) أى يقولون<sup>٨</sup> عنادا لرسولنا<sup>٩</sup>: افتراء ولم ( يهد ) أى يبين - كما رواه البخارى<sup>١٠</sup> عن ابن عباس رضى الله عنهما ( لهم كم اهلكنا ) أى كثرة من أهلكناه<sup>١١</sup>. ١٥

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تعلى (٢-٣) سقط ما بين الرقین من م.  
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الاخلاف (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: طبقوا (٥) العبارة من هنا إلى محل العفو - ساقطة من م (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: و (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الى (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد، وفى الأصل: وظ: يقواون - بدون همزة الاستفهام (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ارسلناه (١١) راجع من صحيحه ٤/٢٧ (١٢) فى ظ و مد: اهلكنا.

ولما كان قرب الشيء في الزمان أو المكان أدل، بين قربهم  
 بادخال الجار فقال: ﴿من قبلهم﴾ أى لأجل معاندة الرسل ﴿من القرون﴾  
 الماضين من المعرضين عن الآيات، ونجينا من آمن بها، و [ربما -<sup>١</sup>].  
 كان قرب المكان منزلا<sup>٢</sup> منزلة قرب الزمان لكثرة التذكير بالآثار،  
 ٥. والتردد خلال الديار.

ولما كان انهماكهم في الدنيا الزائلة قد شغلهم عن التفكير فيما  
 ينفعهم / عن المواعظ بالافعال والاقوال، أشار إلى ذلك بتصوير  
 ا٢٠٤ / اطلاعهم على ما لهم من الأحوال، بقوله: ﴿يمشون﴾ أى أنهم ليسوا  
 بأهل للتفكير إلا حال المتى ﴿في مسكنهم<sup>٣</sup>﴾ لشدة ارتباطهم مع  
 ١٠. المحسوسات، وذلك كما سكن عاد وثمود وقوم لوط ونحوهم. ولما  
 كان في هذا آثم عبرة وأعظم عظة، قال منها عليه مؤكدا تنبيها على  
 أن من لم يعتبر منكر<sup>٤</sup> لما فيه من العبر: ﴿ان في ذلك﴾ أى الأمر  
 العظيم ﴿لأيت<sup>٥</sup>﴾ أى دلالات ظاهرات جدا، مراثيات في الديار وغيرها  
 من الآثار، ومسموعات في الأخبار.

١٥ ولما كان السماع هو الركن الأعظم، [وكان إهلاك القرون إنما  
 وصل إليهم بالسماع -<sup>٦</sup>]، قال منكرا: ﴿افلا يسمعون﴾ أى أن  
 أحوالهم لا يحتاج من ذكرت له في الرجوع عن الغنى إلى غير سماعها.

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل وم: نازلا (٣) في ظ:

منكرا (٤) زيد من ظ وم ومد.



فان لم يرجع فهو بمن لا سمع له ( ١ ولم ) أى يقولون فى إنكار البعث :  
 إذا ضلنا فى الأرض ، ولم ( يروا ) بما لنا من العظمة ( نسوق الماء )  
 من السماء أو الأرض ( الى الأرض الجزز ) أى التى جرز نباتها أى  
 قطع بالبيس و التهشم ، أى بأيدى الناس فصارت ملساء لا نبت فيها ،  
 وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما : إنها التى لا تمطر إلا مطرا ٥  
 لا يبقى عنها شيئا ، قالوا : و [ لا - ٤ ] يقال لى لا تنبت كالسباخ : جزر ،  
 و يدل عليه قوله : ( فتخرج به ) من أعماق الأرض ( زرعاً ) أى  
 نبأ لاساق له باختلاط الماء بالتراب الذى كان زرعاً قبل هذا ، وأشار  
 إلى أنه حقيقة ، لا مرية فيه ، وليس هو بتخييل كما تفعل السحرة ، بقوله  
 مذكراً بنعمة الإبقاء بعد الإيجاد : ( تاكل منه ) أى من حبه وورقه ١٠  
 و تبنه و حشيشه ( أنعامهم ) و قدمها لموقع الامتان بها لأن بها قوامهم  
 فى معاشهم و أبدانهم ، ولأن السياق لمطلق إخراج الزرع ، و أول صلاحه  
 إنما هو لاكل الأنعام بخلاف ما فى سورة عبس ، فان السياق لطعام الإنسان  
 الذى هو نهاية الزرع حيث قال " فلينظر الإنسان الى طعامه " ثم قال  
 " فانبثا فيها " جاً و ذكر من طعامه من العنب وغيره ما [ لا - ٤ ] يصلح ١٥

- ( ١ ) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يقولون - بدون همزة الاستفهام ( ٢ ) زيد  
 فى ظ : أى ( ٣ ) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد  
 لحذفها ( ٤ ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل « و » ( ٥ ) سقط من م ( ٦ - ٦ ) من ظ  
 و م و مد ، وفى الأصل : فصار ملبساً لا ينبت ( ٧ ) راجع من صحيحه ٢ / ٧٠٤ .  
 ( ٨ ) زيد من ظ و م و مد ( ٩ ) فى ظ و مد : نبت ( ١٠ ) آية ٢٤ ( ١١ ) من  
 آية ٢٧ ، وفى الأصول : به .

للأنعام (و انفسهم) أى من حبه، و أصله إذا كان بقلا .  
 ولما كانت هذه الآية [ مبصرة، وكانت - ' ] فى وضوحها فى  
 الدلالة على البعث لا يحتاج الجاهل به فى الإقرار سوى رؤيتها قال :  
 ﴿ افلا يبصرون <sup>التثنية</sup> ﴾ إشارة إلى أن من رآها ونبه على ما فيها من الدلالة  
 هـ و أصر على الإنكار ' لا بصر له ولا بصيرة ' .

ولما كانت هذه الآية أدل دليل - كما مضى - على البعث، و كان  
 يوما<sup>٢</sup> يظهر فيه عز الاولياء و ذل الأعداء، أتبعها قوله تعجيبا منهم عطفًا  
 على: " يقولون افتراه " و نحوها: ﴿ و يقولون ﴾ أى مع هذا البيان  
 الذى لا لبس معه استهزاء: ﴿ متى هذا الفتح ﴾ أى النصر و القضاء و الفصل  
 ١٠ الذى يفتح المنطلق يوم الحشر ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا راسخا ﴿ صدقين هـ ﴾  
 أى عريقين فى الصدق بالإخبار بأنه لا بد من كونه لنؤمن إذا رأيناه .

ولما أسفر حالهم بهذا السؤال الذى محصله الاستعجال على وجه  
 الاستهزاء عن أنهم لا يزدادون مع البيان إلا اعتادا، أمرهم بحجاب فيه  
 أبلغ تهديد، فقال / فاعلا فعل القادر فى الإعراض عن إجابتهم عن  
 ١٥ تعيين اليوم إلى<sup>١</sup> ذكر حاله: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء اللد الجهلة: ﴿ يوم الفتح ﴾  
 [ أى - ' ] الذى تستهزؤون به - وهو يوم القيامة - تبادرون إلى الإيمان  
 بعد الانسلاخ بما<sup>٢</sup> أتم فيه من الشاخرة والكبر، فلا ينفعكم بعد ' حيان

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ما بصر  
 و لا بصير (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٤) زيد فى ظ: ما (هـ) من  
 ظ و م و مد، وفى الأصل: محطه (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل و م:  
 الذى (٧) فى ظ و م و مد: بما .

[ و هو معنى - ' ] ( لا ) ينفعكم - هكذا كان الأصل ، ولكنه أظهر الوصف تعميما وتعليقا للحكم به فقال : ( ينفع الذين كفروا ) أى غطوا آيات ربهم التى لاخفاء بها سواء فى ذلك أتم وغيركم من اتصف بهذا الوصف ( إيمانهم ) لأنه ليس إيمانا بالغيب ، ولكنه ساقه هكذا سوق ما هو معلوم ( ولا هم ينظرون ) أى يمهلون فى إيقاع العذاب .  
[ بهم - ' ] لحظة ما من منظر ما .

ولما كانت نتيجة سماعهم لهذه الأدلة استهزاؤهم حتى بسؤالهم عن يوم الفتح ، وأجابهم سبحانه عن تعيينه بذكر حاله ، و كان صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على نفعهم<sup>٢</sup> ربما أحب إعلامهم بما طلبوا وإن كان يعلم أن ذلك [ منهم - ' ] استهزاء رجاء أن ينفعهم نفعاً ما ، سبب ١٠ سبحانه عن إعراضه عن إجابتهم ، أمره لهذا الداعى الرقيق والهادى الشفيق بالإعراض عنهم أيضا ، فقال مسليا له مهددا لهم : ( فاعرض عنهم ) [ أى - ' ] غير مبال بهم<sup>٣</sup> وإن اشتد أذاهم ( و انتظر ) أى ما تفعل بهم بما فيه إظهار أمرك<sup>٤</sup> وإعلاء دينك . ولما كان الحال مقتضيا لتردد السامع فى حالهم هل هو الانتظار ، أجيب على سبيل التأكيد بقوله : ١٥ ( انهم منتظرون ) أى ما يفعل بك وما يكون من عاقبة أمرك<sup>٥</sup> فيما تتوعدهم به وفى غيره ، وقد انطبق آخرها على أولها بالإنداز بهذا

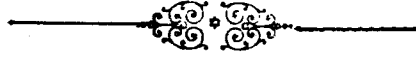
---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نفعه (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لهم (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : تفعل (هـ - هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد .

نظم الدرر ( سورة التّٰم السجدة ٣٢ : ٣٠ ) ج - ١٥

الكتاب ، وأعلم بجلالته وجزالته وشدته وشجاعته أنه ليس فيه نوع  
ارتياب ، وأيضاً فأولها في التكذيب بتنزيله ، وآخرها في الاستهزاء  
بتأويله ، [ ” يوم يأتى تأويله - ١ ” يقول الذين نسوه من قبل ” - الآية ٢ -  
وأيضاً فالأول ٣ في التكذيب ٢ بانزال الروح المعنوى ، والآخر في  
التكذيب باعادة الروح العيقى الحسى الذى ابتدأه أول مرة - والله الهادى  
إلى الصواب ٤ .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سورة ٧ آية ٥٢ (٣-٣) من ظ و م و مد ،  
وفى الأصل : بالتكذيب (٤-٤) سقط ما بين الرقین من م .



## سورة الأحزاب

مقصودها الحث على الصدق فى الإخلاص فى التوجه إلى الخالق من  
 [ غير - ٢ ] مراعاة بوجه ما للخلاق<sup>٢</sup>، لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم  
 فيما يفعله، فهو يعلى من يشاء وإن كان ضعيفا، ويردى من يريد  
 وإن كان قويا، فلا يهتمن<sup>٣</sup> الماضى<sup>٤</sup> لآمره برجاه<sup>٥</sup> لأحد منهم فى بره، ه  
 ولا خوف منه فى عظيم شره وخفى مكره، واسمها واضح فى ذلك بتأمل  
 القصة التى أشار إليها ودل عليها ﴿ بسم الله ﴾ الذى مهما أراد كان  
 ﴿ الرحمن ﴾ الذى سرت رحمته خلال الوجود، فشملت كل موجود،  
 بالكرم والجلود ﴿ الرحيم ه ﴾ لمن توكل عليه بالعطف إليه .

لما ختمت التى قبلها بالإعراض عن الكافرين، وانتظار<sup>٦</sup> ما يحكم<sup>٧</sup>  
 به فيهم رب العالمين، بعد تحقيق أن تنزيل<sup>٨</sup> الكتاب من عند المدبر  
 لهذا الخلق كله، والنهى عن الشك فى لقائه، افتتح هذه بالامر بأساس  
 ذلك، والنهى عن طاعة المخالفين مجاهرين كانوا أو مساترين، والامر  
 باتباع الوحي الذى أعظمه الكتاب تنبيها على أن الإعراض إنما يكون

٢٠٦ /

(١) القائمة و الثلاثون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آياتها ثلاث  
 وسبعون قال الطبرسى : بالإجماع - راجع روح المعاني ٧ / ٢ (٢) زيد من ظ  
 وم ومد (٣) من ظ وم وم مد ، وفى الأصل : للخالق (٤) من ظ وم  
 ومد ، وفى الأصل : فلا يضمن (ه - ه) من ظ وم وم مد ، وفى الأصل :  
 بامرهم أرجاء (٦) من ظ وم وم مد ، وفى الأصل : ولما (٧) من ظ وم  
 ومد ، وفى الأصل : انتظر (٨) من ظ وم وم مد ، وفى الأصل : هذا .

طاعة لله مع مراعاة تقواه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ عبر بأداة التوسط  
إيماء إلى أن وقت نزول السورة - وهو آخر ستة خمس، غب رتبة  
الأحزاب - أوسط<sup>١</sup> مدة ما بعد الهجرة إلا أنه لم يبق من أمد  
كمال النصرة التي اقتضاها وصف النبوة الدال على الرفعة إلا القليل،  
و عبر به لاقضاء مقصود السورة مقام النبوة الذي هو بين الرب و عبده  
في تقرّبه<sup>٢</sup> وإعلانه إلى جنابه إذا قرئ بغير همز، وإن قرئ به كان  
اللحظ إلى إنبائه بالحنى وتفصيله للجلى، وقال الحرالى فى كتاب له فى  
أصول الدين: حقيقة النبوة ورود<sup>٣</sup> غيب ظاهر أى من الحق بالوحى  
لخاص من الخلق، خفى عن العامة منهم، ثم قد يختص مقصد ذلك  
١٠ الوارد المقيم لذلك الواحد بذاته، فيكون نبيا غير رسول<sup>٤</sup>، وقد يرد  
عليه عند تمام أمره فى ذاته موارد إقامة غيره فيصير رسولا، والرتبة  
الأولى كثيرة الوقوع فى الخلق، وهى النبوة، والثانية قليلة الوقوع،  
فالرسل<sup>٥</sup> معشار معشار الأنبياء، وللنبوة اشتقاقان: أحدهما [ من<sup>٦</sup> ]  
النبأ وهو الخير، وذلك لمن اصطفى من البشر لرتبة السماع والإنباء  
١٥ فنى<sup>٧</sup> و نبأ غيره من غير أن يكون عنده حقيقة ما نبي<sup>٨</sup> به ولا ما نبأ

- (١) من ظ ومد، وفى الأصل وم: أو وسط (٢) من ظ ومد، وفى الأصل  
وم: تقرّبه (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: و ورد (٤) من ظ وم  
ومد، وفى الأصل: مرسول (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فالرسل.  
(٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: نبي - كذا.  
(٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: نبأ.

فيكون حامل علم<sup>١</sup>، و الاشتقاق الثانى من النبوة و هى<sup>٢</sup> الارتفاع و العلو،  
و ذلك لمن أعلى عن رتبة النبأ إلى رتبة العلم، فكان مطالعا<sup>٣</sup> على علم ما ورد  
عليه من الغيب على حقيقته و كاله، فمن علا عن الحظ المتنزل العقلى  
إلى رتبة سماع، كان نبيا بالهمز<sup>٤</sup>، و من علا عن ذلك إلى رتبة علم  
بحقيقة ذلك كان نيا غير مهموز، فأدم عليه السلام مثلا فى علم الأسماء ه  
بى بغير همز، و فى ما وراءه نبيء بهمز، [و كذلك إبراهيم عليه السلام  
فيما ارى من الملكوت نبي غير مهموز، و فيما وراءه نبيء بهمز - °]  
- انتهى. و لم يناده سبحانه باسمه تشريفا لقدره، و إعلاء لمحلّه، و حيث  
سماه باسمه فى الأخبار فللتشريف من جهة أخرى، و هى تعيينه و تخصيصه  
إزالة للبس عنه، و قطعاً لشبه التعنت .

١٠

و لما ناداه سبحانه بهذا الاسم الشريف المقتضى للانبساط، امره  
بالخوف فقال: ﴿ اتق الله ﴾ أى زد من التقوى يا أعلى الخلاق  
بمقدار ما تقدر عليه لذى الجلال كله و الإكرام، لئلا تلتفت<sup>٥</sup> إلى شيء  
سواه، فانه أهل لأن يرهب لما له من خلال<sup>٦</sup> الجلال، و العظمة و الكمال .  
و لما وجه إليه الأمر بخشية الولي الودود، اتبعه النهي عن الالتفات ١٥

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما لم (٢) من ظ و م و مد، و فى  
الأصل: هو (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مطلقا (٤) من ظ و م  
و مد، و فى الأصل: بالهمزة (ه) زيد من ظ و م و مد (٦) من مد،  
و فى الأصل و ظ و م: لئلا يلتفت (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل:  
جلال، و قد مضى قبيل صفحات « جلال الجلال » فليصح هناك أيضا.

نحو' العدو' والحسود. فقال: ﴿ولا تطع الكافرين﴾ أى الممانعين  
 ﴿والمنفقين﴾ أى المصانعين فى شىء من الأشياء لم يتقدم إليك الخالق  
 فيه / بأمر وإن لاح لأمح خوف أو برق بارق رجاء، ولا سيما سؤالنا فى  
 شىء مما<sup>١</sup> يقترحونه رجاء إيمانهم مثل أن تعين لهم وقت الساعة التى يكون  
 فيها الفتح، فانهم إنما يطلبون ذلك استهزاء، قال أبو حيان<sup>٢</sup>: ونسب  
 نزولها أنه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان يجب  
 لإسلام اليهود، فتابعه<sup>٣</sup> ناس منهم على النفاق، وكان يلين لهم جانبه،  
 وكانوا يظهرون النصائح من<sup>٤</sup> طرق المخادعة<sup>٥</sup>، فزلت تحذيرا له منهم،  
 وتنبها على عداوتهم - انتهى - ثم علل<sup>٦</sup> الأمر والنهى<sup>٧</sup> بما يزيل الهموم  
 ١٠. ويوجب الإقبال عليهما وال لزوم، فقال ملوحا إلى أن لهم أغوارا فى  
 مكرهم ربما خفيت عليه صلى الله عليه وسلم، وأكد ترغيا فى الإقبال  
 على معلوله بغاية الاهتمام: ﴿إن الله﴾ أى بعظيم كماله وعز جلاله  
 ﴿كان﴾ أزلا وأبدا ﴿علما﴾ شامل العلم ﴿حكما﴾ بالغ الحكمة،  
 فهو لم يأمرك بأمر إلا وقد علم ما يترتب عليه، وأحكم إصلاح  
 ١٥ الحال فيه.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه: افتتحها سبحانه بأمر

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: إلى (٢) من ظ و م و مد، وفى  
 الأصل: ما (٣) راجع البحر المحيط ٢١٠/٧ (٤) فى البحر: فبايعه (٥) فى البحر:  
 فى (٦) زيد فى البحر: وحلفه وحرسه على اتلافهم ربما كان يسمع منهم.  
 (٧-٧) فى م و مد: النهى والأمر (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بما.



نبيه باتقائه، ونهيه عن الصغو<sup>١</sup> إلى الكافرين و المناهقين، و اتباعه ما يوحى إليه، تنزيها لقدره عن محنة من سبق له الامتحان بمن قدم ذكره في سورة السجدة، و أمرا له بالتسليم لخالقه و التوكل عليه، و الله يقول الحق وهو يهدى السيل، و لما تحصل من السورتين قبل ما تعقب العالم من الخوف أشده<sup>٢</sup> لغية العلم بالخواصم و ما جرى في السورتين من ٥ الإشارة إلى السوابق "و لو شئنا لآتينا كل نفس هديها" كان ذلك مظنة<sup>٣</sup> لتأنيس نبي الله صلى الله عليه وسلم و صالحى أتباعه، و لهذا أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس<sup>٤</sup> و البشارة ما يجرى على المهود من اطفه تعالى و سعة رحمته، فافتح سبحانه السورة بخطاب نبيه صلى الله عليه وسلم بالتقوى، و إعلامه بما [قد - ٧] أعطاه قبل من ١٠ سلوك سبيل النجاة و إن ورد على طريقة الأمر ليشعره باستقامة سبيله، و إيضاح دليله، و خاطبه بلفظ النبوة لأنه أمر عقب تخويف و إنذار و إن كان عليه السلام قد نزه الله قدره عن أن يكون منه خلاف التقوى، و عصمه من<sup>٥</sup> كل ما ينافر نزاهة حاله و على منصبه، و لكن طريقة خطابه تعالى للعباد أنه تعالى متى جرد ذكرهم للادح من غير أمر و لانهى ١٥

(١) من مد - و هو الليل - ، و فى الأصل ظ و م : الصغو (٢) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و الشدة (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مظنة ذلك . (٥-٥) فى ظ و مد : فلهذا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التأمين (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) فى ظ و م و مد : عن .

فهو موضع ذكرهم بالأخص الأمدح من محمود صفاتهم ، ومنه " محمد رسول الله و الذين معه " - الآيات ، فذكره صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة . ومهما كان الأمر و النهى ، عدل في الغالب إلى الأعم ، ومنه " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ " " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ " " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ " " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ " " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ " " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ " وقد تبين في غير هذا ، و أن ما ورد على خلاف هذا القانون فلسبب خاص استدعى العدول عن المطرد كقوله " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ " فوجه هذا أن قوله سبحانه " و إن لم تفعل فما بلغت رسالته " موقعه شديد ، فعودل<sup>١</sup> بذكره صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة لضرب<sup>٢</sup> من التلطف ، فهو<sup>٣</sup> من باب " عفا الله عنك لم اذنبت لهم " وفيه بعض غموض ، و أيضا فانه لما قيل له " بلغ " طابق [ هذا -<sup>٤</sup> ] ذكره بالرسالة . فان المبلغ رسول ، و الرسول مبلغ ، و لا يلزم النبي أن يبلغ إلا أن يرسل ، و أما قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ [ في الكفر ] -<sup>٥</sup> " فأمره و إن كان نهيا أوضح من الأول ، لأنه تسلية له عليه السلام و تأنيس و أمر بالصبر و الرفق بنفسه ، فبانه

---

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل فعول (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بذكر (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بضرب (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : وهو زيد من ظ و م و مد .

راجع إلى ما يرد مدحا مجردا عن الطلب ، وعلى ما أشير إليه يخرج  
 [ ما ورد من هذا . ولما افتتحت هذه السورة بما حاصله ما قدمناه - ١ ]  
 من إعلامه عليه السلام من هذا الأمر بعل حاله ومزية قدره ، ناسب  
 ذلك ما احتوت عليه السورة من باب التنزيه فى مواضع منها إعلامه  
 تعالى بأن أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين<sup>٢</sup> فزهن عن ٥  
 أن يكون حكمهن حكم غيرهن من النساء مزية لهن وتخصيصا وإجلالا  
 لنيه صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله تعالى ” ولما رأى المؤمنون  
 الأحزاب ” - الآية ، فزهم<sup>٣</sup> عن تطرق سوء أو دخول ارتياب على مصون  
 معتقداتهم وجليلى إيمانهم ” قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق  
 الله ورسوله وما زادهم الا إيمانا وتسليما ” والآية بعد كذلك ، وهى ١٠  
 قوله تعالى ” من المؤمنين رجال صدقوا ” - الآية ، ومنها ” يفساء النبي  
 لسن كاحد من النساء ان اتقين ” فزهن سبحانه وبين شرفهن على  
 من عداهن ، ومنها تنزيه أهل البيت و تكريمهم ” إنما يريد الله ليذهب  
 عنكم الرجس أهل البيت ” الآية ، ومنها الأمر بالحجاب ” يا أيها النبي  
 قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيين ” ١٥  
 فزهن المؤمنات عن حالة الجاهلية من التبرج وعدم الحجاب ، وصانهن  
 عن التبذل والامتهان ، ومنها قوله تعالى ” يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : مزيد (٣) من  
 مد ، وفى الأصل وظ وم : للمؤمنين (٤) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة  
 فى ظ وم ومد فحذفنا (د) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فزهن .

كالذين اذوا موسى“ فوصاهم جل و تعالى و نزههم بما نهاهم عنه أن يتشبهوا  
 بمن استحق اللعن و الغضب في سوء أدبهم و عظيم مرتكبهم، إلى ما  
 تضمنت السورة من هذا القبيل، ثم أتبع سبحانه ما تقدم بالبشارة  
 العامة و اللطف الشامل كقوله تعالى ” يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا  
 ٥ و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله باذنه و سراجا منيرا “ ثم قال تعالى ” و بشر  
 المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا “ و قوله تعالى ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا - إلى قوله تعالى : اجرا كريما “ و قوله تعالى  
 ” إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ  
 و سلِّوا تسليما “ و قوله تعالى ” إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ - إلى قوله :  
 ١٠ و اجرا عظيما “ و قوله تعالى ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ و قولوا قولا  
 سديدا - إلى قوله : عظيما “ و قوله تعالى ” و يتوب الله على المؤمنين  
 و المومنات - إلى قوله : [وكان الله غفورا - ٢] رحبما “ و قوله تعالى مثنيا  
 على المؤمنين بوفائهم و صدقهم ” و لما رآ المؤمنون الأحزاب قالوا  
 هذا ما وعدنا الله و رسوله ۖ صدق الله و رسوله “ - إلى قوله : و ما  
 ١٥ بدلوا تبديلا “ [و قوله - ٦] سبحانه تعظيما لحرمة نبيه صلى الله عليه و سلم  
 و المؤمنين ” إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - إلى قوله : و أثاما مينا “ و في

---

(١) زيد في الأصل : إليه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها .  
 (٢-٢) موضع ما بين الرقین في م و مد : الآية (٣) زيد من م (٤) من ظ و م  
 و مد ، و في الأصل : شفيا (٥-٥) سقط ما بين الرقین من م و مد (٦) زيد من  
 ظ و م و مد .

هذه الآيات من تأنيس المؤمنين و بشارتهم و تعظيم حرماتهم ما يكسر  
سورة الخوف الحاصل من سورتي لقمن و السجدة و يسكن روعهم<sup>١</sup>  
تأنيسا لا رفعا، و من هذا القليل أيضا ما تضمنت السورة من تعداد نعمه  
تعالى عليهم و تحسين<sup>٢</sup> خلاصهم كقوله تعالى ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِّرُوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ - إِلَى قَوْلِهِ : هُنَالِكَ ابْتُلِيَ  
الْمُؤْمِنُونَ وَ زَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا“ و قوله تعالى ” وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بَغِظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ - إِلَى قَوْلِهِ : وَ كَانَ اللَّهُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا“ و ختم السورة بذكر التوبة و المغفرة أوضح شاهد  
لما تمهد من دليل قصدها و يانها على ما وضح و الحمد لله . و لما كان  
حاصلها رحمة و لطفًا و نعمة، لا يقدر عظيم قدرها، و ينقطع العالم دون ١٠  
الوفاء بشكرها، أعقب بما ينبغي من الحمد يعنى أول سبا - انتهى .  
و لما كان ذلك<sup>٣</sup> مفهوما لمخالفة<sup>٤</sup> كل ما يدعو إليه كافر، و كان  
[الكافر - ٤] ربما دعا إلى شيء من مكارم الأخلاق، قيده بقوله :  
( و اتبع ) أى بغاية جهدك .

و لما اشتدت العناية هنا بالوحي، و كان الموحى معلوما من آيات ١٥  
كثيرة، بنى للفعول قوله : ( ما يوحى ) أى يلقى<sup>٥</sup> إلقاء خفيا كما يفعل  
المحب مع حبيبه ( إليك ) و أتى موضع الضمير بظاهر يدل على الإحسان  
(١) فى ظ و مد : روعتهم (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل : تحب من .  
(٣-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل : منها بمخالفة (٤) زيد من ظ و م  
و مد (٥) زيد فى الأصل : إليك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

في الترية ليقوى على "امثال ما أمرت" به الآية السالفة فقال: ﴿من ربك﴾<sup>١</sup>  
 أى المحسن إليك بصلاح جميع<sup>٢</sup> أمرك، فهما أمرك به فافعله<sup>٣</sup> لربك  
 لا لهم، ومهما نهاك عنه فكذلك، سواء كان إقبالا عليهم أو إعراضا  
 عنهم أو غير ذلك .

٥ ولما أمره باتباع الوحي، رغبه فيه بالتعليل بأوضح من التعليل  
 الأول في أن مكرم خفي، فقال مذكرا<sup>٤</sup> بالاسم الأعظم بجميع ما يدل  
 عليه من الاسماء الحسنى زيادة في التقوية على الامثال<sup>٥</sup>، مؤكدا للترغيب  
 كما تقدم، وإشارة<sup>٦</sup> إلى أنه مما يستبعده بعض المخاطبين في قراءة الخطاب<sup>٧</sup>  
 [لغير أبي عمرو - <sup>٨</sup>]؛ ﴿ان الله﴾ [أى - <sup>٩</sup>] بعظمته و كماله ﴿كان﴾  
 دائما ﴿بما تعملون﴾ أى الفريقان من المكاييد وإن دق ﴿خييرا﴾  
 فلا<sup>١٠</sup> تهتم بشأنهم، فانه سبحانه كافيكه<sup>١١</sup> وإن تعاضم، وعلى قراءة<sup>١٢</sup> أبى  
 عمرو بالغيب<sup>١٣</sup> يكون هذا التعليل حثا على الإخلاص، وتحقيقا / لأنه  
 قادر على الإصلاح وإن أعْي<sup>١٤</sup> الخلاص، ونفيا لما قد يعتري النفوس  
 من الزلزال، في أوقات الاختلال .

/٢١٠

(١ - ١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: امثالها - مع بياض قدر كلمتين .  
 (٢) زيد في ظ: ما (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فافعل (٤) من ظ  
 و م و مد، وفي الأصل: مؤكدا (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل:  
 الامتتان (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اشارة (٧) راجع نثر المرجان/هـ/٣٧٠ .  
 (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد، وفي  
 الأصل: قلما (١١) من م و مد، وفي الأصل و ظ: كافيك (١٢) زيد في مد:  
 غير (١٣) من ظ و مد، وفي الأصل و م: بالخطاب (١٤) في ظ و مد: ادعى .  
 ولما

ولما كان الآدمى موضع الحاجة إلى 'تعظيم الترجية قال: (و توكل)  
 أى دع الاعتماد على التدبير فى أمورك واعتمد فيها (على الله) المحيط  
 علما و قدرة، ولتكرير هذا الاسم [ الأعظم - ٢ ] الجامع لجميع معانى  
 الأسماء فى هذا المقام شأن لا يخفى كما أشير إليه .

ولما كان التقدير: فانه يكفيك فى جميع ذلك، عطف عليه قوله: هـ  
 (وكفى بالله) أى الذى له الأمر كله على الإطلاق (وكيلا)  
 أى أنه لا أكفى منه لكل من وكله فى أمره، فلا تلتفت فى شيء من  
 أمرك إلى شيء [ غيره - ٢ ] لأنه ليس لك قلبان تصرف كلا منهما  
 [ إلى واحد .

ولما كان النازع إلى جهتين - ٢ ] والمعالج لأمرين متباينين كانه ١٠  
 يتصرف بقلبين، أكد أمر الإخلاص فى جعل الهم هما واحدا فيما  
 يكون من أمور الدين والدنيا، وفى المظاهرة والتبني وكل ما شاههما  
 بضرب المثل بالقلبين - كما قال الزهرى، فقال معللا لما قبله بما فيه من  
 الإشارة إلى أن الآدمى مع قطع النظر عن رتبة النبوة موضع لحفاء  
 الأمور عليه: (ما جعل الله) أى الذى له الحكمة البالغة، والعظمة ١٥  
 الباهرة، وليس الجعل إلا له ولا أمر لغيره (لرجل) أى لآدم من  
 بنى آدم الذين هم أشرف الخلائق من نبي ولا غيره، وعبر بالرجل لأنه  
 أقوى جسما وفهما فيفهم غيره من باب الأولى؛ وأشار إلى التأكيد

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ان (٢) ريد من ظ و م و مد .

بقوله : ﴿ من قلوبين ﴾ و أكد الحقيقة و قررهما ، و جلاها و صورها ،  
لما قد يظن الإنسان من أنه يقدر على صرف النفس إلى الأمور المتخالفة  
كما يفعل المنافق بقوله : ﴿ في جوفه ج ﴾ أى حتى يتمكن من أن ينزع  
بكل قلب إلى جهة غير الجهة التى نزع إليها القلب الآخر لأن ذلك مود  
٥ إلى خراب البدن لأن القلب مدبره باذن الله تعالى ، واستقلال كل  
بالتدبير يودى إلى الفساد كما مضى فى دليل التمانع سواء ؛ قال الرازى  
فى اللوامع : القلب كالمرآة مهما حوذى به جانب القدس أعرض عن  
جانب الحس ، و مهما حوذى به جانب الحس أعرض عن جانب القدس ،  
فلا يجمع الإقبال على الله و على ما سواه - انتهى . و حاصل ذلك  
١٠ أنه تمهيد لأن التوزع<sup>١</sup> و الشرك لا خير فيه ، و أن مدبر الملك<sup>٢</sup> واحد  
كما أن مدبر البدن قلب واحد ، فلا التفات إلى غيره ، و أن الدين  
ليس بالتشهى و جعل الجاعلين ، و إنما هو بعمله<sup>٣</sup> سبحانه ، فانه العالم بالأمور  
على ما هى عليه .

و لما كان كل من المظاهرة و التبنى نازعا إلى جهتين متنافيتين ، و كان  
١٥ أهل الجاهلية يعدون الظهار طلاقا مؤبدا لا رجعة فيه - كما نقله ابن  
الملقن فى عمدة المنهاج عن صاحب الحاوى ، و كان المخاطبون قد أعلام  
الوعظ السابق إلى التأهل للخطاب ، لفت سبحانه القول إليه على قراءة  
الغيب [ فى "يعملون" لأبى عمرو -<sup>٤</sup> ] فقال : ﴿ و ما جعل أزواجكم ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التوزيع (٢) من ظ و م و مد ، و فى  
الأصل : الكل (٣) فى ظ و م و مد : بما يجعله هو (٤) زيد من ظ و م .



أى بما أباح لكم من الاستمتاع بهن<sup>١</sup> من جهة الزوجية؛ ثم أشار إلى  
الجهة الأخرى بقوله: { أَلَيْسَ تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ } أى [ كما - <sup>٢</sup> ] يقول  
الإنسان للواحدة منهن: أنت على كظهر أى { امهنتكم } بما حرم عليكم  
/ من الاستمتاع بهن<sup>١</sup> حتى تجعلوا ذلك على التأييد<sup>٢</sup> وترتبوا على ذلك  
٢١١ / أحكام الأمهات كلها، لأنه لا يكون لرجل أمان، ولو جعل ذلك لضاق<sup>٣</sup>  
الامر، واتسع الخرق، وامتنع الرق<sup>٤</sup> { وما جعل ادعياءكم } بما  
جعل لهم من النسبة والانتساب إلى غيركم { أبناءكم } بما جعلتم لهم  
من الانتساب إليكم ليحل لهم<sup>٥</sup> إرثكم<sup>٦</sup>، وتحرم عليكم حلاتهم<sup>٧</sup> وغير  
ذلك من أحكام الأبناء، ولا يكون لابن أبوان، ولو جعل ذلك لصاغت  
الأنساب، وعم الارتباب، وانقلب كثير من الحقائق أى انقلاب، ١٠  
فانفتح بذلك من الفساد أبواب أى أبواب، فليس زيد بن حارثة بن  
شراحيل الكلبي الذى تبنيته<sup>٨</sup> ابنا لك أيها النبي ببنيك<sup>٩</sup> له جزاء [ له - <sup>١٠</sup> ]  
باختياره لك على أياه وأهله، وهذا توطئة لما يأتى من قصة زواج النبي  
صلى الله عليه وسلم لزَيْنَب بنت جحش مطلقه زيد مولى رسول الله  
١ (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: عين - كذا (٢) زيد من ظ و م و مد.  
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الترتيب (٤) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: اطرق (٥) فى مد: لكم (٦) فى الأصل: ياض، ملأناه من ظ و م و مد.  
(٧) زيد فى الأصل و م: و تحلهم حلاتكم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد  
لحذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م و مد لحذفناها (٩) من  
ظ و م و مد، وفى الأصل: و تبنيته.

صلى الله عليه وسلم [ فانه صلى الله عليه وسلم - ١ ] لما تزوجها قال المنافقون كما حكاه البغوى<sup>٢</sup> وغيره: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية، وبين أن التبنى إنما هو مجاز، وأن المحرم إنما هو زوجة الابن الحقيقي [ و - ١ ] ما ألحق به من الرضاع، هـ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان<sup>٣</sup> تبنى زيدا لقصة<sup>٤</sup> مذكورة في السيرة<sup>٥</sup>، روى البخارى<sup>٦</sup> عن ابن عمر رضى الله عنهما أن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن "ادعوهم لأبائهم". و لما أبطل [ هذا - ١ ] سبحانه، استأنف الإخبار عما مضى من عملهم فيه فقال<sup>٧</sup>: ﴿ ذلكم ﴾ أى القول البعيد عن الحقيقة، وأكد هذا بقوله: ﴿ قولكم بأفواهكم ﴾ أى لاحقيقة له وراء القول وتحريك الفم [ من غير مطابقة قلوبكم - ٨ ]، فان كل من يقول ذلك لا يعتقده، [ لأن من كان له فم كان محتاجا، ومن كان محتاجا كان معرضا للنقائص كان معرضا للأوهام، ومن غلبت عليه الأوهام كان فى كلامه الباطل - ٩ ] ﴿ والله ﴾ أى المحيط عليه ١٥ وقدرته [ وله جميع صفات الكمال - ٩ ] ﴿ يقول الحق ﴾ أى الكامل

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٩١/٥ (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: كما (٤-٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: زيد والقصة (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: السير (٦) راجع من صحيحه ٧٠٥/٢ (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ وم ومد.

فى حقيقته<sup>١</sup>، الثابت الذى يوافق ظاهره باطنه، فلا قدرة لاحد على نقضه  
فان أخبر عن شىء فهو كما قال، ليس بين الخبر والواقع من ذلك  
الخبر عنه شىء من المخالفة، وإن أتى بقياس فرع على أصل لم يستطع أحد  
إبداء فرق<sup>٢</sup>، [فان أقواله سبحانه سابقة على الواقع لأنها مصدرة فيها  
بكون، فاذا قال قولاً وجد مضمونه مطابقاً لذلك القول، فاذا طبقت هـ  
بينهما كانا سواء، فكان ذلك المضمون ثابتاً كما كان ذلك الواقع ثابتاً،  
فكان حقاً، هكذا أقواله على الدوام، لأنه منزّه سبحانه عن النقائص  
فلا جارحة ثم ليكون بينهما وبين معد القول مخالفة من فم أو غيره وعن  
كل ما يقتضى حاجة، فالآية من الاحتباك: ذكر الفم أولاً دليلاً على  
نفيه ثانياً والحق ثانياً دليلاً على ضده الباطل أولاً، وسرّ ذلك أنه ذكر ١٠  
ما يدل على النقص فى حقنا، وعلى الكمال فى حقه، ودل على التنزيه  
بالإشارة ليعين فهم الفهماء وعلم العلماء - ٣ ] ( وهو ) أى وحده من  
حيث قوله الحق ( يهدى السبيل ) أى الكامل الذى من شأنه أن يوصل  
إلى المطلوب إن ضل أحد فى فعل أو قول، فلا تعولوا على سواء  
ولا تلتفتوا أصلاً إلى غيره .

١٥

ولما كان كانه قيل: فما تقول؟ إهدنا إلى سبيل الحق فى ذلك،  
أرشد إلى أمر التنبى إشارة إلى أنه هو المقصود فى هذه السورة لما يأتى  
بعد من آثاره التى هى المقصودة بالذات بقوله: ( ادعوه ) أى الادعاء  
(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الحقيقة (٢) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: فرقا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من م و مد، وفى الأصل  
وظ: المقصود .

(لَابَأْتَهُمْ) أى إن علموا ولدا قالوا: زيد بن حارثة؛ ثم علله بقوله:  
 (هو) أى هذا الدعاء (اقسط) أى أقرب إلى العدل من التنبى  
 وإن كان إنما هو لمزيد الشفقة على المتنبى والإحسان إليه (عند الله ج)  
 أى الجامع لجميع صفات الكمال، فلا ينبغي أن يفعل في ملكه إلا ما هو  
 ٥ أقرب إلى الكمال، وفى هذا بالنسبة إلى ما مضى بعض التنفيس عنهم،  
 وإشارة إلى أن ذلك التغليظ بالنسبة إلى مجموع القولين / المتقدمين .

/ ٢١٢

ولما كانوا قد يكونون<sup>١</sup> مجهولين، تسبب عنه قوله:  
 (فإن لم تعلموا 'آباءهم') لجهل أصلي<sup>٢</sup> أو طارثي (فاخوانكم في الدين)  
 إن كانوا دخلوا في دينكم (ومواليكم<sup>٣</sup>) أى أرقاؤكم مع بقاء الرق  
 ١٠ أو مع العتق على كلتا الحالتين، ولذا قالوا: سالم مولى أبى حذيفة .  
 ولما نزل هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: من ادعى إلى غير  
 أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام - أخرجه الشيخان<sup>٤</sup> عن سعد بن أبى  
 وقاص وأبى بكره رضى الله عنهما .

ولما كانت عادتهم الخوف مما سبق من أحوالهم على النهى لشدة  
 ١٥ ورعهم، أخبرهم أنه تعالى أسقط عنهم ذلك لكونه خطأ، وساقه على  
 وجه يعم ما بعد النهى [أيضا -<sup>٥</sup>] فقال: (وليس عليكم جناح) أى

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يكونوا (٢) من ظ و م و مد، وفى  
 الأصل: أصل (٣) البخارى فى باب من ادعى إلى غير أبيه من كتاب الفرائض  
 - راجع صحيحه ٣ / ١٠٠١، ومسلم فى باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه  
 وهو يعلم، من كتاب الإيمان - راجع صحيحه ٥٧ / ١ (٤) زيد من ظ و م و مد .

إثم وميل واعوجاج ، وعبر بالظرف ليفيد أن الخطأ لا إثم فيه بوجه ، ولو عبر بالباء لظن أن فيه إثماً ، ولكنه عفا عنه فقال : ( فيما أخطأتم بدلاً ) أى من الدعاء بالبنوة والمظاهره أو فى شيء قبل النهى أو بعده ، ودل قوله : ( ولكن ما ) أى الإثم فيما ( تعمدت قلوبكم ) على زوان الحرج أيضاً فيما وقع بعد النهى على سبيل التسيان أو سبق اللسان ، ودل ٥ ، تأنيث الفعل على أنه لا يتعمده<sup>١</sup> بعد البيان الشافى<sup>٢</sup> إلا قلب فيه رخاوة الانوثة ، ودل جمع الكثرة على عموم الإثم إن لم يثبته المتعمد . ولما كان هذا الكرم خاصاً بما تقدمه ، عم سبحانه بقوله : ( وكان الله ) أى لكونه لا أعظم منه ولا<sup>٣</sup> أكرم منه ( غفوراً رحيماً ) أى من صفته الستر البليغ على المذنب التائب ، والهداية العظيمة للضال الآتب ، ١٠ والإكرام بابتداء الرغائب .

ولما نهى سبحانه عن التبنى ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة مولاه<sup>٤</sup> لما اختاره على أبيه وأمه<sup>٥</sup> ، علل سبحانه النهى فيه بالخصوص بقوله دالاً على أن الأمر أعظم من ذلك : ( النبي ) أى<sup>٦</sup> الذى ينبت الله بدقائق الأحوال فى بدائع الأقوال ، ويرفعه دائماً ١٥ فى مراقى الكمال ، ولا يريد أن يشغله بولد ولا مال ( أولى بالمؤمنين ) أى الراشخين فى الإيمان ، فقيرهم أولى<sup>٧</sup> فى كل شيء من أمور الدين

(١) فى ظ و م ومد : لا يتعمد (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الثانى .  
(٣) سقط من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : مولاه .  
(٥) فى ظ و م ومد : عمه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : من .

و الدنيا لما حازه من الحضرة الربانية ﴿ من انفسهم ﴾ فضلا عن آباتهم  
 في<sup>١</sup> نفوذ حكمه فيهم و وجوب طاعته عليهم ، لأنه لا يدعوم إلا إلى  
 العقل والحكمة ، ولا يأمرهم إلا بما ينجيهم ، وأنفسهم إنما تدعوم إلى  
 الهوى و الفتنة فتأمرهم بما يردبهم ، فهو يتصرف [ فيهم -<sup>٢</sup> ] تصرف  
 الآباء بل الملوك<sup>٣</sup> [ بل -<sup>٤</sup> ] أعظم بهذا السبب الرباني ، فأى حاجة له<sup>٥</sup>  
 إلى السبب<sup>٦</sup> الجسماني ﴿ وازواجه ﴾ أى اللاتي دخل بهن لما لهن من  
 حرمة<sup>٧</sup> ﴿ امهاتهم<sup>٨</sup> ﴾ أى المؤمنين<sup>٩</sup> من الرجال خاصة دون النساء ، لأنه  
 لا محذور من جهة النساء ، وذلك في الحرمة و الإكرام ، و التعظيم  
 و الاحترام ، و تحريم النكاح دون جواز الخلوة و النظر و غيرها من  
 الأحكام ، لا فرق بينهن و بين الأمهات في ذلك أصلا ، فلا يحل انتهاك  
 حرمتهم بوجه و لا الدنو من جنبهن بنوع نقص ، لأن حق النبي صلى الله  
 عليه وسلم على أمته أعظم من حق الوالد على ولده ، و هو حي في قبره  
 و<sup>١٠</sup> هذا أمر جعله الله<sup>١١</sup> و هو الذي إذا جعل / شيئا كان<sup>١٢</sup> ، لأن الأمر  
 أمره و الخلق [ خلقه -<sup>١٣</sup> ] ، و هو العالم بما يصلحهم و ما يفسدهم " الا يعلم  
 ١٥ من خلق و هو اللطيف الخبير " روى الشيخان<sup>١٤</sup> عن أبي هريرة رضى الله

/ ٢١٣

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل ه و هـ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من  
 م ، وفي الأصل و ظ و مد : الملاك (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ،  
 وفي الأصل : التسبب (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : المؤمنون .  
 (٧) سقط من ظ و م و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) في ظ و م  
 و مد : البخاري ، و الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب التفسير من  
 صحيحه . و أخرجه مسلم في الفرائض من صحيحه - راجع ٢ / ٣٦ .

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة، اقرأوا إن شئتم " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم " فأيا مؤمن ترك مالا فليتركه عصبته من كانوا . فان ترك ديننا أو ضياعا فليأتنى وأنا مولاه .

و لما رد الله سبحانه الأشياء إلى أصولها، ونهى عن التشقت ه  
و الشعب، وكان من ذلك أمر التبنى، وكان من المتفرع عليه الميراث  
بما كان قديما من الهجرة والنصرة و الأخوة التى قررهما النبي صلى الله  
عليه وسلم لما كان الأمر محتاجا إليها، وكان ذلك قد نسخ بالآية التى  
فى آخر الأقال، وهى قبل هذه السورة ترتيبا ونزولا، وكان ما ذكر  
هنا فردا داخلا فى عموم العبارة فى تلك الآية، أعادها [منا - ١] تأكيدا ١٠  
و تنصيحا على هذا الفرد للاهتمام به ثمع ما فيها من تفصيل و زيادة فقال :  
( و أولوا الارحام ) أى القرابات بأنواع النسب من النبوة وغيرها  
( بعضهم أولى ) بحق القرابة ( يعض ) فى جميع المنافع العامة للدعوة  
و الإرث و النصرة و الصلة ( فى كتب الله ) أى قضاء الذى له الأمر  
كله ولا أمر لاحد معه، و حكمه كما تقدم فى كتابكم هذا، و كما أشار ١٥

(١) سقط من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد والصحيحين ، وفى الأصل :  
ماله (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : امرا (٤) من ظ وم ومد ، وفى  
الأصل : الآية (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : العبارة (٦) زيد من ظ  
وم ومد (٧) ليس فى الأصل فقط (٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل :  
غيرهم .

إليه الحديث الماضي أنفا .

ولما بين أنهم أولى بسبب القرابة . بين المفضل عليه فقال : (من) أي هم أولى بسبب القرابة من (المؤمنين) الأنصار<sup>١</sup> من : [غير - ٢] قرابة مرجحة (والمهجرين) المؤمنين من غير قرابة كذلك . ولما كان المعنى : أولى<sup>٣</sup> في كل تقع ، استثنى منه على قاعدة الاستثناء من أعم العام قوله ، لافتا النظم إلى أسلوب الخطاب ليأخذ المخاطبون منه أنهم متصفون بالرسوخ في الإيمان الذي مضى ما دل عليه في آية الأولوية من التعبير بالوصف ، فيحثهم ذلك على فعل المعروف : (الآن تفعلوا) [أي - ٢] حال كونكم موصلين و مسندين ١٠ (إلى أوليائكم) بالرق أو التبن<sup>٤</sup> أو الحلاف في الصحة مطلقا وفي المرض من الثلث تنجيها أو وصية (معروفا) تنفعونهم<sup>٥</sup> به ، فيكون حيثئذ ذلك الولي مستحقا لذلك ، ولا يكون ذو الرحم أولى منه ، بل لا وصية لو ارث .

ولما أخبر أن هذا الحكم في كتاب الله ، أعاد التنبيه على ذلك تأكيداً قلما لهذا الحكم الذي تقرر في الأذهان بتقريره سبحانه فيما مضى فقال مستأنفا : (كان ذلك) [أي - ٢] الحكم العظيم (في الكتب)

(١) زيد في الأصل : أي ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد حذفناها (٢) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ وم ومد حذفناها (٣) زيد من ظ وم ومد . (٤) زيد في ظ : المهاجرين (٥) من إظ وم ومد ، وفي الأصل : أدل . (٦) سقط من ظ (٧) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بالتبني (٨) في ظ : ينفعونكم .



أى القرآن فى آخر سورة الأنفال ( مسطوراً ) بعبارة تعمه ، قال الأصمهانى<sup>١</sup> : وقيل : فى التوراة ، لأن فى التوراة : إذا نزل رجل بقوم من أهل دينه فعليهم أن يكرموه ويواسوه ، وميراثه لذوى قرابته ، فالآية من الاحتباك : أثبت وصف الإيمان أولاً دليلاً على حذفه ثانياً ، و<sup>٢</sup> وصف الهجرة ثانياً دليلاً على حذف النصرة أولاً .

٥

ولما كان نقض العوائد و تغيير المألفات مما يشق / كثيراً على النفوس ، ويفرق المجتمعين ، ويقطع بين المتواصلين ، ويباعد بين المتقاربين ، قال مذكراً له صلى الله عليه وسلم بما أخذ على من قبله من نسخ أديانهم بدينه ، و تغيير مألفاتهم بالفه ، و من نصيحة قومهم بأبلاغهم كل ما أرسلوا به ، صارفا القول إلى مظهر العظمة لأنه ادعى إلى قبول ١٠ الأوامر : ( واذ ) فلم أن التقدير : اذكر ذلك - أى ما سطرناه [ لك - <sup>٣</sup> ] قبل هذا فى كتابك ، و اذكر إذ ( اخذنا ) بعظمتنا ( من النبيين ميثاقهم ) فى تبليغ الرسالة فى المنشط و المكروه ، و فى تصديق بعضهم لبعض ، و فى اتباعك فيما أخبرناك به فى قولنا ولما أتيتكم من كتب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ١٥ ولتصرنن ، و قولهم : أقرنا .

ولما ذكره ما أخذ على جميع الأنبياء من العهد فى تغيير مألفاتهم إلى ما يأمرهم سبحانه به<sup>٤</sup> من إبلاغ ما يوحى إليهم و العمل بمقتضاه ،

(١) فى ظ : الأصمهانى (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ و مد .

نظم الدرر (سورة الأحزاب ٣٣ : ٧-٩) ج - ١٥

ذكره ما أخذ عليه من العهد في التبليغ فقال: ﴿وَمِنْكَ﴾ أى في قولنا  
في هذه السورة "أتق الله واتبع ما يوحى إليك" وفي المائدة "يا أيها  
الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته  
والله يعصمك من الناس" فلا تهتم بمراعاة عدو ولا خليل حقيق  
ولا جليل، ولما أتم المراد إجمالاً وعموماً، وخصه صلى الله عليه وسلم  
من ذلك العموم مبتدئاً به بياناً لتشريفه ولأنه المقصود بالذات بالأمر  
بالتقوى واتباع الوحي لأجل الثبني وغيره، أتبعه بقية أولى العزم الذين  
هم أصحاب الكتب ومشاهير أرباب الشرائع. تأكيداً للأمر وتعظيماً  
للقام، لأن من علم له شريكاً في أمر اجتهد في سبقه فيه، ورتبهم على  
١٠ ترتيبهم في الزمان لأنه لم يقصد المفاضلة بينهم، بل التأسية بالمقدمين  
والتأخيرين فقال: ﴿وَمِنْ نُوحٍ﴾ أول الرسل إلى المخالفين  
﴿وَأِبْرَاهِيمَ﴾ أبى الأنبياء ﴿وَمُوسَى﴾ أول أصحاب الكتب من أنبياء  
بنى إسرائيل ﴿وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ختامهم، نسبته إلى أمه مناداة على  
من ضل فيه بالتوبيخ والتسجيل بالفضيحة؛ ثم زاد في تأكيد الأمر  
١٥ وتعظيمه تعظيماً للوثق فيه، وإشارة إلى مشقته، فقال مؤكداً باعادة  
العامل ومظهر العظمة لصعوبة الرجوع عن المألوف: ﴿وَإِذَا خَرَبْتُمْ عَنْهَا  
أَيُّ بَعْظُمْتُمْ فِي ذَلِكَ﴾ استعارة من وصف الأجرام العظام

(١) من مد، وفي الأصل وظ وم: لا (٢) زيد في ظ: من (٣) من ظ  
وم ومد، وفي الأصل: المقابلة (٤) من م ومد، وفي الأصل: نسبته،  
وفي ظ: نسبهم (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لسهولة.

كناية عن<sup>١</sup> أنه لا يمكن قطعه لمن أراد الوصلة بنا .

ولما كان الأخذ على التبيين فى ذلك أخذاً على أنهم ، وكان الكفر معذبا عليه من غير شرط ، والطاعة مثابا عليها بشرط الإخلاص لله ،

معبرا بما هو مقصود السورة فقال ملتفتا إلى مقام الغيبة لتعظيم الهية لأن الخطاب إذا طال استأنس المخاطب : ( ليسئل ) أى يوم القيامة هـ

(الصدقين) أى فى الوفاء بالعهد (عن صدقهم ج) هل هو [الله - ٢] خالصا أو لا ، تشريفا لهم وإهانة وتبكيتا للكاذبين<sup>٣</sup> ، ويسأل الكافرين عن كفرهم ما الذى حملهم عليه ، والحال أنه أعد للصادقين ثوابا عظيما (واعد للكافرين) أى الساترين لإشراق أنوار الميثاق (عذابا الياء) فالآية

من محاسن / رياض الاحتباك ، وإنما صرح بسؤال الصادق بشارة له<sup>٤</sup> ١٠ / ٢١٥

بتشريفه فى ذلك الموقف العظيم ، وطوى سؤال الكفار إشارة إلى استهانتهم بفضيحة الكذب [”ويحلفون على الكذب - ٨“] وهم يعلمون<sup>٥</sup>

”فيحلفون له كما يحلفون لكم“<sup>٦</sup> وذكر ما هو أنكا لهم .

ولما أكد سبحانه وجوب الصدع بكل أمره وإن عظمت مشقته

وزادت حرقة من غير وكون إلى مؤالف<sup>٧</sup> موافق ، ولا اهتمام بمخالف ١٥

- (١) من ظ وم د ، وفى الأصل وم : على (٢) فى ظ : عليه (٣) زيد من ظ وم وم د (٤) من ظ وم وم د ، وفى الأصل : خالص (٥) من ظ وم وم د ، وفى الأصل : له (٦) من ظ وم وم د ، وفى الأصل : للكافرين . (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ وم وم د والقرآن الكريم سورة ٨ آية ١٤ (٩) سورة ٨ آية ١٨ (١٠) من ظ وم وم د ، وفى الأصل : مالوف .

نظم الدرر (سورة الأحزاب ٢٣: ٩٠) ج - ٥٤

مشاقق<sup>١</sup>، اعتمادا على تدييره، وعظيم أمره في تقديره، ذكرهم بدليل  
شهودي هو أعظم وقائمهم في حروبهم، وأشد ما دهمهم من كروبهم<sup>٢</sup>،  
فقال معلما أن المقصود بالذات بما مضى [من -<sup>٣</sup>] الأوامر الأمة.  
وإنما وجه الأمر إلى الإمام<sup>٤</sup> ليكون أدعى لهم إلى الامتثال، فإن الأمر  
لنبي<sup>٥</sup> صلى الله عليه وسلم تكويفي بمنزلة ما يقول الله تعالى له "كن"  
فحقيقته الإرادة لا الأمر، والأمر للذين آمنوا تكليفي<sup>٦</sup>، وقد يراد  
[منهم -<sup>٧</sup>] ما يؤمرون<sup>٨</sup> به وقد لا يراد، وللناس احتجاجي أي تقام<sup>٩</sup>  
به عليهم الحجة، ومن المحقق أن بعضهم يراد منه<sup>١٠</sup> خلاف المأمور به:  
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أي أقروا بالإيمان، عبر به ليعم المنافقين  
١٠ (اذكروا) وروغهم في الشكر بذكر الإحسان والتصريح بالاسم الأعظم  
فقال: (نعمة الله) عبر بها لأنها المقصودة بالذات والمراد إنعام الملك  
الأعلى الذي لا كفوء له (عليكم) أي لشكروه عليها بالنفوذ لأمره غير  
ملتفتين إلى خلاف أحد كائنا من كان، فإن الله كافيكم كل<sup>١١</sup> ما تخافون<sup>١٢</sup>  
ثم ذكر لهم وقت تلك النعمة زيادة في تصويرها ليذكر لهم ما كان فيه  
١٥ منها فقال: (اذ) أي حين (جاءتكم) [أي -<sup>١٣</sup>] في غزوة الخندق

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: متشاقق (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل:  
ركوبهم (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل:  
إمام (٥) في ظ و مد: إلى النبي (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: تكليفا  
(٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ: يأمرون (٨) من م ومد، وفي الأصل  
و ظ: مقام (٩) في ظ: منهم (١٠) سقط من ظ و مد.

حين اجتمعت عليكم الاحزاب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ضربه حين سمع بهم بمشورة سلمان الفارسي رضى الله عنه على جانبى سلع من شماليه، وخطه وقطع لكل عشرة رجال أربعين ذراعا، وكانوا ثلاثة آلاف، فكان الخندق اثني عشر ألف ذراع (جنود) وهم الاحزاب من قريش ومن انضم إليهم من <sup>٢</sup>الاحابيش في أربعة آلاف يقودهم أبو سفيان بن حرب، ومن انضم من <sup>٣</sup>قبائل العرب من بنى سليم يقودهم أبو الأعور، ومن بنى عامر يقودهم عامر بن الطفيل، ومن غطفان يقودهم عبيدة بن حصن، ومن بنى أسد يقودهم طلحة بن خويلد، ومن أسباط بنى إسرائيل من اليهود ومن بنى النضير رؤسائهم حمى بن أخطيم وابنا أبي الحقيق، وهم الذين جمعوا الاحزاب بسبب إجلاله <sup>١٠</sup> النبي صلى الله عليه وسلم لبنى النضير من المدينة الشريفة، وأفسدوا أيضا بنى قريظة، وكانوا بالمدينة الشريفة وسيدهم كعب بن أسد، فكان الجميع اثني عشر ألفا، وكانوا واثقين في زعمهم بأنهم لا يرجعون وقد بقى للاسلام باقية، ولا يكون لاحد من أهله [منهم - ] واقية .

ولما كان مجيء الجنود مرهبا، سبب عنه عوده إلى مظهر العظمة <sup>١٥</sup>

فقال: (فارسلنا) أى تسبب عن ذلك أنا لما رأينا عجزكم عن مقابلتهم ومقاومتهم في مقاتلتهم ألهمناكم عمل الخندق ليمنعهم من سهولة الوصول

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: عن (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: أربعون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ ومد (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ: انهم (هـ) زيد من ظ و م ومد (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: ليمنعكم .

إليكم، ثم لما طال مقامهم أرسلنا بما لنا من العظمة (عليهم) أي خاصة  
(ربحاً) وهي ربح<sup>١</sup> الصبا، فأطفاة نيرانهم، وأكفأت قدورهم  
/ وجفانهم، وسفت التراب في وجوههم، ورمتهم بالحجارة وهدت<sup>٢</sup>  
خيامهم، وأوهنت ببردتها عظامهم، وأجالت خيلهم (وجنودهم تروها)<sup>٣</sup>

٥. يصح أن تكون الرؤية بصرية وقلبية، منها من البشر نعيم بن مسعود  
الغطفاني رضى الله عنه هداه الله الاسلام، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم  
وقال: إنه لم يعلم أحد<sup>٤</sup> باسلامي، فمرني يا رسول الله بأمرك! فقال:  
إنما أنت فينا رجل واحد. والحرب خدعة، نخذل عنا<sup>٥</sup> منها استطعت.  
فأخف<sup>٦</sup> بين اليهود وبين العرب بأن قال لليهود وكانوا أصحابه: إن  
١٠ هؤلاء - يعني العرب - إن رأوا فرصة انتهزوها وإلا انشمروا إلى بلادهم

راجعين، وليس حالكم كحالهم، البلد بلكم وبه أموالكم ونساؤكم  
وأبناؤكم، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشrafهم ليكونوا  
عندكم<sup>٧</sup> حتى تاجزوا الرجل، فانه ليس لكم به طاقة إذا انفرد بكم، فقالوا:  
أشرت بالرأى، فقال: فاكتموا عني، وقال لقريش: قد علمت صحتي  
١٥ لكم وفراقى لمحمد، وقد سمعت أمراً ما أظن<sup>٨</sup> أنكم تهمونني<sup>٩</sup> فيه، فقالوا:  
ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني<sup>١٠</sup>، قالوا: نفعل، قال: إن اليهود

(١) سقط من ظ (٢) من م ومد، وفي الأصل و ظ: هدمت (٣) من ظ وم  
ومد وفي الأصل: احدا (٤) في ظ: عنها (٥) زيد في الأصل: بيتك، ولم  
تكن الزيادة في ظ وم ومد لخدفتها (٦) في ظ: عندك (٧-٨) من ظ وم  
ومد، وفي الأصل: ان تهمونني (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: على،

قد ندموا على تقض ما بينهم وبين محمد و أرسلوا إليه : إنا قد ندعنا  
 فهل يفتنا [ عندك - ١ ] أن نأخذ لك من القوم جماعة من أشرفهم  
 يضرب أعناقهم ، ونكون معك على بقيتهم ، حتى تفرغ [ منهم - ١ ]  
 لتكف عنا . وتعيد لنا الأمان ، قال : نعم ، فان أرسلوا إليكم فلا  
 تدفعوا إليهم رجلا واحدا ، ثم أتى غطفان فقال : إنكم أضل و عشيرتى  
 و أحب الناس إلى ، قالوا : صدقت ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش .  
 واستنكتمهم ، فأرسلت إليهم قريظة يطلبون منهم رهنا فقالوا : صدق  
 نعم ، و أبو أن يدفعوا إليهم أحدا ، فقالت قريظة : صدق نعم ، فتخاذلوا  
 و اختلقت كلمتهم ، فانكسرت شوكتهم ، و بردت حديثهم ، و منها  
 من الملائكة جبريل عليه السلام و من أراد الله منهم - على جميعهم ١٠  
 أفضل الصلاة و السلام ، و التحية و الإكرام ، فكبروا فى نواحي عسكرهم ،  
 و زلزلوا [ بهم - ١ ] ، و بثوا الرعب فى قلوبهم ، فاجت خيولهم ، و اضمحل  
 قاهم و قيلهم ، فكان فى ذلك رحيلهم ، بعد نحو أربعين يوما أو بضع  
 و عشرين - على ما قيل .

ولما أجل سبحانه القصة على طولها فى بعض هذه الآية ، فصلها ١٥  
 فقال ٢ [ ذاكرا الاسم الأعظم إشارة إلى أن ما وقع فيها كان معنى به  
 (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : و تكف .  
 (٣) فى ظ و مد ؛ لا (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فقال (٥) من ظ  
 و م و مد ، وفى الأصل : رجلا واحدا (٦) فى ظ ؛ منهم (٧) من ظ و م  
 و مد ، وفى الأصل : و قال .

اعتناء من بذل جميع الجهد وإن كان الكل عليه سبطاه يسيرا - [ ١ ] :  
 ﴿وكان الله﴾ الذى له جميع صفات الكمال والجلال والجمال ﴿بما يعملون﴾  
 أى الأحزاب من التحزب والتجمع والتألب والمكر والقصد البى  
 - على قراءة البصرى<sup>٢</sup>، وأنتم أيها المسلمون من حفر الخندق وغيره من  
 الصدق فى الإيمان [ وغيره - ١ ] - على قراءة الباقرين ﴿بصيراء﴾ بالغ  
 الإبصار والعلم، فذكر فى هذه الحرب ما كان المسلمون به الاعلين،  
 ولم ينفع أهل الشرك قوتهم، ولا أغنت عنهم كثرتهم، ولا ضير المؤمنين  
 قتلهم، وجعلنا ذلك سببا لإغنائهم<sup>٣</sup> بأموال بنى قريظة ونسائهم وأبنائهم  
 وشفاء لأدوائهم بارافقه دمائهم - كما سيأتى؛ ثم ذكرهم الشدة التى  
 ١٠ حصلت بتماثلهم فقال مبدلا من "اذ" الأولى: ﴿اذ جآؤكم﴾ أى  
 الجنود المذكورون بادئا بالأقرب إليهم، لأن الأقرب أبصر بالمعركة  
 وأخبر بالمضرة.

ولما كان من المعلوم أنهم لم يطبقوا ما علا وما سفل، أدخل  
 أداة التبعض فقال: ﴿من فوقكم﴾ يعنى بنى قريظة وأسد / وغطفان  
 ١٥ من ناحية مصب السيول من المشرق، وأضاف الفوق إلى ضميرهم لأن العيال  
 كانوا فى الآكام<sup>٤</sup>، وهى بين بنى قريظة وبين من فى الخندق، فصاروا  
 (١) زيد من ظ و م ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد -  
 (٣) راجع نثر المرحان ٣٧٩/٤ و ٣٨٠ (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل :  
 لافنائهم (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل : اللام (٦) فى الأصل يفاض  
 ملأناه من ظ و م ومد .



فوق العيال و الرجال .

ولما كان المراد القوية<sup>١</sup> من جهة علو الارض، أوضحها بقوله :  
 ﴿ ومن أسفل منكم ﴾ دون أن يقول : أسفلكم، وأفاد ذلك أيضا أن  
 من فى الأسفل إنما أحاطوا ببعض جهة الرجال [ فقط -<sup>٢</sup> ]، ولم يقل  
 : ﴿ و-<sup>٣</sup> ﴾ من تحتكم لئلا يظن أنه فوق الرأس وتحت الأرجل، ولم يقل هـ  
 فى الاول : من أعلا منكم، لئلا يكون فيه وصف للكفرة بالعلو، وأسفل  
 الارض<sup>٤</sup> المدينة من ناحية المغرب يعنى قريشا، ومن لاقها من كنانة  
 فان طريقهم من تلك الجهة .

ولما ذكرهم بالحجى الذى هو سبب الخوف، ذكرهم بالخوف [ بذكر -<sup>٥</sup> ]  
 طرفة أيضا مقنعا لامره بالعطف فقال : ﴿ واذ ﴾ أى واذكروا حين، ١٠  
 وأنت الفعل وما عطف عليه لأن التذكير الذى يدور معناه على القوة  
 والعلو والصلابة يناقى الزيغ<sup>٦</sup> فقال<sup>٧</sup> : ﴿ زاغت الابصار ﴾ أى مالت  
 عن سداد القصد<sup>٨</sup> فعل الواله الجزع بما حصل من الغفلة الناشئة عن  
 الدهشة الحاصلة من الرعب، وقطع ذلك عن الإضافة إلى كاف الخطاب  
 إبقاء عليهم وتعليل للأدب فى المخاطبة، وكذا ﴿ وبلغت القلوب ﴾ ١٥  
 كناية عن شدة الرعب والخفقان، ويجوز - وهو الأقرب - أن يكون ذلك

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : القوية (٢) زيد من ظ و م و مد.  
 (٣) فى ظ و مد : ارض (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : طرفة (هـ) فى  
 م : بأن (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل : الغيظ (٧) سقط من م (٨) زيدت  
 الواو فى الأصل، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها.

نظم الدرر (سورة الأحزاب ٣٣ : ١٠ و ١١) ج - ١٥

حقيقة يجذب الطحال و الرئة لها عند ذلك بانتفاخها إلى أعلا الصدر ،  
ومنه قولهم للجبان : انتفخ منخره أى رتمته ﴿ الحناجر ﴾ جمع حنجرة ،  
وهى منتهى الحلقوم ، و من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه  
أحمد و أبو داود<sup>١</sup> عن أبي هريرة رضى الله عنه « شر ما فى الإنسان جنب  
ه خالع ، أى يخلع القلب من مكانه ، و جمع الكثرة إشارة إلى أن ذلك  
عمهم أو كاد .

و لما كانت هذه حالة عرضت ، ثم كان من أمرها أنها إما زالت  
و ثبتت إلى انقضاء الامر ، عبر عنها بالماضى لذلك و تحقيقا لها و لما  
نشأ عنها تقلب القلوب و تجدد ذهاب الأفكار كل مذهب ، عبر بالمضارع  
١٠ الدال على دوام التجدد فقال : ﴿ و تظنون بالله ﴾ الذى له صفات  
الكمال فلا يلم نقص ما بساحة عظمته ، و لا يدنو شئ من شين إلى جنب  
عزته ﴿ الظنوناه ﴾ أى أنواع الظن إما بالنسبة إلى [ الأشخاص فواضح ،  
و ذلك بحسب قوة الإيمان وضعفه ، و أما بالنسبة إلى -<sup>٢</sup> ] الشخص  
الواحد فيحسب تغير الأحوال ، فتارة يظن الهلاك للضعف ، و تارة النجاة  
١٥ لأن الله قادر على ذلك ، و يظن المنافقون و من قاربهم<sup>٣</sup> من ضعفاء القلوب  
ما حكى [ الله -<sup>٤</sup> ] عنهم ؛ قال الرازى فى اللوامع : [ و -<sup>٥</sup> ] يروى  
أن المسلمين قالوا : بلغت [ القلوب -<sup>٤</sup> ] الحناجر ، فهل من شئ نقول ؟

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٣/٢ و سنن أبى داود - أبواب الجهاد (٢) زيد  
من م (٣-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لظن المنافقين و من قال  
بهم (٤) زيد من ظ و م و مد .

فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا .  
وزيادة الألف في قراءة من أثبتها في الحالين وهم المدنيان وابن عامر  
وشعبة<sup>١</sup> إشارة إلى اتساع هذه الأفكار، وتشعب تلك الخواطر، وعند  
من أثبتها في الوقف / دون الوصل وهم ابن كثير والكسائي وحفص<sup>٢</sup>

٢١٨ /

إشارة إلى اختلاف الحال تارة بالقوة وتارة بالضعف .

ولما كانت الشدة في الحقيقة إنما هي للثابت لأنه ما عنده إلا  
الهلاك أو النصر، وأما المناق فيلقى السلم<sup>٣</sup> ويدخل داره الذل بالمواقفة  
على جميع ما يرد منه، ترجم حال المؤمنين قاصرا الخطاب على الرأس  
ثلاثا يدخل في مضمون الخبر إعلاما بأن منصبه الشريف أجل من أن  
يتلى فقال تعالى: ﴿هنالك﴾ أى في [ذلك -<sup>٤</sup>] الوقت العظيم البعيد الرتبة ١٠

﴿ابتلى المؤمنين﴾ أى خولط<sup>٥</sup> الراسخون في الإيمان بما شأنه أن يحيل  
ما خالطه ويميله، وبناه للجهول لما كان المقصود إنما هو معرفة المخلص  
من غيره<sup>٦</sup>، مع العلم بأن فاعل ذلك هو الذى له الأمر كله، ولم يؤكد  
الابتلاء بالشدة لدلالة الاعتعال عليها، وصرف الكلام عن الخطاب مع

ما تقدم من فوائده، وعبر بالوصف ليخص الراسخين فقال: ﴿وزلزلوا﴾ ١٥  
أى حركوا ودفعوا واقلقوا وأزعجوا بمباريون من الأهوال بتظافر  
الأعداء مع الكثرة، وتطايير الأراجيف ﴿زلزلا شديدا﴾ فثبتوا

(١) راجع نثر المرجان ٣٨١/هـ و ٣٨٢ (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: جعفر.

(٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: السلام (٤) زيد من ظ وم ومد.

(٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ وم مد (٦) من ظ وم ومد، وفي

الأصل: الامل .

بثبیت الله لهم على عهدهم .

ولما علم بهذا أن الحال المزلزل لهم كان في غاية الهول ، أشار<sup>١</sup> إلى أنهم لم يزل لهم بأن حكى أقوال المزلولين ، ولم يذكر أقوالهم وسيدكرها بعد ليكون الثناء عليهم بالثبات مع عظيم الزلزال المذكور مرتين إشارة • وعبرة ، فقال : ﴿ واذ ﴾ وأشار إلى تكريرهم لدليل النفاق بالمضارع فقال : ﴿ يقول ﴾ أى مرة بعد أخرى ﴿ المنفقون ﴾ أى الراسخون في النفاق ، لأن قلوبهم مريضة ملآى مرضا ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾ أى من أمراض الاعتقاد بحيث أضعفها في الاعتقاد والثبات في مواطن اللقاء وفي كل معنى جليل ، فهم بحيث لم يصلوا إلى الجزم بالنفاق ١٠ ولا الإخلاص في الإيمان ، بل هم على حرف فعندهم نوع نفاق ، فالآية من الاحتباك : ذكر النفاق أولا دال<sup>٢</sup> عليه ثانيا ، وذكر المرض ثانيا دليل<sup>٣</sup> عليه أولا ، [ ٥ - ] وهذا الذى قلته في القلوب موافق لما ذكره الإمام السهروردي في الباب السادس والخمسين من عوارفه عن حذيفة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : القلوب أربعة : قلب ١٥ أجرد فيه سراج يزهر ، فذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس ، فذلك قلب الكافر ، وقلب مربوط على غلاف ، فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق ، فثلث الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء

---

(١) في ظ : إشارة (٢) ليس في الأصل فقط (٣) من م ومد ، وفي الأصل وظ : دالا (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : دليلا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد .

الطيب ، و مثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القبح و الصديد ، فأى المدين<sup>١</sup> غلبت عليه حكم له بها - و روى هذا الحديث الغزالى فى أواخر كتاب قواعد العقائد من الإحياء<sup>٢</sup> عن أبى سعيد الخدرى ، وقال الشيخ زين الدين العراقى : أخرجه أحمد<sup>٣</sup> .

و لما كان المكذب لهم بتصدق وعد الله - والله الحمد - كثيرا ، ه  
أكدوا قولهم و ذكروا الاسم [الأعظم -<sup>٤</sup>] و أضافوا الرسول إليه فقالوا :  
( ما وعدنا الله ) الذى ذكر [ لنا -<sup>٥</sup> ] أنه محيط الجلال و الجلال  
( ورسوله ) أى<sup>٦</sup> الذى قال من قال من قومنا : إنه رسول ، استهزاء  
منهم ، و إقامة للدليل فى زعمهم لهذا البلاء على بطلان تلك الدعوى  
( الاغوراء ) أى باطلا استدراجنا<sup>٧</sup> به إلى الانسلاخ عما كنا عليه من ١٠  
دين آبائنا و إلى الثبات على ما صرنا إليه بعد ذلك الانسلاخ بما وعدنا  
به من ظهور [ هذا الدين على -<sup>٨</sup> ] الدين كله ، و التمكن فى البلاد  
حتى فى حفر الخندق ، فانه قال : إنه أبصر بما برق له فى ضربه لصخرة  
سلمان<sup>٩</sup> مدينة صنعاء من اليمن و قصور كسرى بالحيرة من أرض فارس ،  
و قصور الشام من أرض الروم ، و إن تابعيه سيظهرون على ذلك كله ١٥  
و قد صدق الله وعده فى جميع ذلك حتى فى لبس سراقة بن مالك بن

(١) كذا فى مستند الإمام أحمد ، و فى ظ و إحياء العلوم : المادتين (٢) راجع  
١٠ / ١ (٣) راجع مستنده ٣ / ١٧ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من  
ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استدراجا (٧) زيد من م و مد .  
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سليمان .

جعثم سوارى كسرى بن هرمز كما هو مذكور مستوفى فى دلائل<sup>١</sup>  
 النبوة للبيهقى / ، و كذبوا فى شكهم . ففاز المصدقون ، و خاب الذين هم  
 فى ريهم يترددون .

/٢١٩

و لما ذكر ما هو الأصل فى نفاقهم و هو التكذيب ، أتبعه ما تفرع  
 ه عليه ، و لما كان تخذيلهم بالترجيع مرة ، عبر [ عنه -<sup>٢</sup> ] بالماضى فقال :  
 ﴿ واذ قالت ﴾ أنت الفعل إشارة إلى رخاوتهم و تأنثهم فى الأقوال  
 و الأفعال ﴿ طائفة منهم ﴾ أى قوم كثير من موتى القلوب و مرضاها  
<sup>٣</sup> يطوف بعضهم<sup>٤</sup> ببعض : ﴿ يا اهل يثرب ﴾ عدلوا عن الاسم - الذى  
 وسمها به النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة و طيبة مع حسنه - إلى الاسم  
 ١٠ الذى كانت تدعى به قديما مع احتمال قبحه باشتقاقه من الثرب الذى هو  
 اللوم و التعنيف ، إظهارا للعدول عن الإسلام ، قال فى الجمع بين العباب  
 و المحكم : ثرب عليه ثريا و أثرب ، بمعنى ثرب ثريا - إذا لامه و غيره  
 بذنبه و ذكره به . و أكدوا بنى الجنس لكثرة مخالفتهم فى ذلك فقالوا :  
 ﴿ لا مقام لكم ﴾ أى قياما أو موضع قيام يقومون به - على قراءة الجماعة<sup>٥</sup>  
 ١٥ بالفتح<sup>٦</sup> ، و على قراءة حفص بالضم المعنى : لا إقامة أو موضع إقامة<sup>٧</sup> فى  
 مكان<sup>٨</sup> القتال و مقارعة الأبطال ﴿ فارجعوا ج ﴾ إلى منازلكم هرابا ، و كونوا

- (١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دابل (٢) زيد من ظ و م و مد .  
 (٣ - ٢) من مد ، و فى الأصل و م : يطرف بعض ، و فى ظ : يطوف بعض .  
 (٤) راجع نثر المرجان ٥ / ٣٨٣ (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد ، و فى  
 الأصل : قيام ، و الكلمة مع « أو موضع » - ساقطة من ظ (٧) فى مد : موضع .

مع نسائكم [أذنا ١] ، أو إلى دينكم الأول على وجه المصارحة لتكون لكم<sup>٢</sup> عند هذه الجنود [يد - ٢] .

ولما ذكر هؤلاء الذين متكوا الستر، وبينوا ما هم فيه من سفول الأمر، أتبعهم آخري تستروا بعض التستر<sup>٣</sup> تمسكا بأذيال النفاق، خوفا من أهوال الشقاق، فقال: ﴿ ويستاذن ﴾ أى يحدد كل وقت طلب ه الإذن لأجل<sup>٤</sup> الرجوع إلى البيوت و الكون مع النساء ﴿فريق منهم﴾ أى طائفة شأبها الفرقة ﴿النبي﴾ وقد رأوا ما حواه من علو المقدار بما له من حسن الخلق و الخلق، و ما لديه من جلالة الشئائل و كريم الخصائل، ولم يخشوا من إنبائنا له بالأخبار، و إظهارنا له الخب<sup>٥</sup> من مكنون الضمائر و خفي الأسرار، حال كونهم ﴿يقولون﴾ [أى - ٢] ١٠ فى كل قليل، مؤكدين لعلهم بكذبهم و تكذيب المؤمنين لهم [قولهم - ٢]: ﴿ان يوتنا﴾ أتوا بجمع الكثرة إشارة إلى كثرة أصحابهم من المنافقين ﴿عودة<sup>٦</sup>﴾ أى [بها - ٦] خلل كثير<sup>٧</sup> يمكن من أراد من الأحزاب أن يدخلها منه، فاذا ذهبنا إليها حفظنا ما منهم و كفيينا من يأتى إلينا من مفسديهم<sup>٨</sup> حاية للدين، و ذبا عن الأهلين .

١٥

ولما قالوا ذلك مؤكدين له، رده الله تعالى موكدًا لرده مبينا لما

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد: لهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الستر (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: إلى . (٦) زيد من م و مد (٧) فى ظ و مد: كبير (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مفسدهم .

أرادوا فقال: ﴿وما﴾ أي والحال أنها ما ﴿هي﴾ [في ذلك الوقت الذي قالوا هذا فيه، وأكد النفي فقال -١]: ﴿بعورة ج﴾ ولا يريدون [بذهابهم حمايتها ﴿ان﴾ أي ما ﴿يريدون﴾ -١] باستئذانهم ﴿الافراء﴾ ولما كانت<sup>٢</sup> عنايتهم [مشتدة -١] بملازمة دورهم، فآظفروا اشتداد العناية بحمايتها زورا، بين الله ذلك ودل عليه بالإسناد إلى الدور [نتيها -١] ٥

على أنها ربة الحماية والعمدة فقال: ﴿ولو دخلت﴾ أي يوتهم من أي داخل كان من هؤلاء الأحزاب<sup>٣</sup> أو غيرهم، وأنث الفعل نصا على المراد وإشارة إلى [أن -٥] ما ينسب<sup>٤</sup> إليهم جدير بالضعف، وعبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهم﴾ إشارة إلى أنه دخول غلبة<sup>٥</sup>

١٠ ﴿من أقطارها﴾ أي جوانبها كلها بحيث لا يكون لهم مكان للهروب<sup>٦</sup>.

ولما كان قصد الفرار مع الإحاطة بالدار، من جميع الأقطار، دون الاستئصال<sup>٧</sup> للدفع عن الأهل والمال، بعيدا عن أفعال الرجال؛ عبر<sup>٨</sup> بأداة التراخي فقال: ﴿ثم سئلوا﴾ أي<sup>٩</sup> من أي سائل [كان -١] ﴿الفتة﴾ أي الخروج منها فازين، وكأنه سماه بها لأنه لما / كان أشد الفتة<sup>١٠</sup>

/ ٢٢٠

- (١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كان (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الخراب (٤) في ظ وم (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد، وفي الأصل: يتسبب، وفي ظ: بنت - كذا (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: عليه (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: للرب (٩) من ظ وم، وفي الأصل ومد: الاستقبال (١٠) زيد في ظ: عنه (١١) سقط من ظ.



من حيث أنه لا يخرج الإنسان من بيته إلا الموت أو ما يقاربه كان كأنه لا فتنه سواه (لأنهما) أى الفتنة بالخروج فرارا، إجابة لسؤال من سألهم مع غلبة الظن بالدخول على صفة الإحاطة أن لا نجاة، فهم أبدا يعولون على الفرار من غير قتال حماية لذمار<sup>٢</sup> أو دفعا لعار، أو ذبا عن أهل أو جار، وهذا<sup>٣</sup> المعنى ينظم قراءة [أهل -<sup>٤</sup>] الحجاز بالقصر هـ وغيرهم<sup>٥</sup> بالمد<sup>٦</sup>، فإن من أجاب إلى الفرار فقد أعطى ما كأنه كان فى يده منه غلبة وجنا وقد جاءه وفعله .

ولما كان هذا عند العرب - مع ما لهم من النجدة والخوف من السبة<sup>٧</sup> - لا يكاد يصدق، أشار إلى ذلك بتأكيد في زيادة تصويره فقال: (وما تلبثوا بها) [أى -<sup>٨</sup>] البيوت (اليسيرة) فصح ١٠ بهذا أنهم لا يقصدون إلا الفرار، لا حفظ البيوت من المضار، ويدل على هذا المعنى اتباعه بقوله مؤكدا لأجل ما لهم من الإنكار والخلف بالكذب<sup>٩</sup>: (ولقد كانوا) أى هؤلاء الذين أسرعوا الإجابة إلى الفرار مع الدخول عليهم على تلك الصفة من سبى حريمهم واحتياج<sup>١٠</sup> يضتهم (عاهدوا الله) أى الذى لا أجل منه . ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ارماد .  
(٣) العبارة من « الفرار » إلى هنا ساقطة من مد (٤) زيد من ظ و م و مد .  
(٥) فى ظ : غيره (٦) راجع نثر الرجان ٢٨٥/٥ (٧) من م و مد ، وفى الأصل وظ : الشبه (٨) فى ظ و م و مد : فى الكذب (٩) من مد ، وفى الأصل وظ و م : احتياج .

ولما كان العهد ربما طال زمنه ففسى، فكان ذلك عذرا لصاحبه،  
بين قرب زمنه بعد<sup>١</sup> بيان عظمة المعاهد اللازم منه ذكره، فقال مثبتا  
الجار: ﴿من قبل﴾ أى قبل هذه الحالة وهذه الغزوة حين أعجبهم المواعيد  
الصادقة بالفتوحات التى سموها الآن عند ما جد الجد بما هى مشروطة به  
هـ من الجهاد غرورا ﴿لا يولون﴾ أى يقربون عدوهم ﴿الادبار﴾ أى  
أدبارهم<sup>٢</sup> أبدا لشيء من الأشياء، ولا يكون لهم عمل إذا حمى البأس،  
وتخالط الناس، واحمرت الخدق وتداعس الرجال، وتناقى الحماة  
الابطال إلى<sup>٣</sup> الظفر أو الموت .

ولما كان الإنسان قد يتهاون بالعهد لإعراض المعاهد عنه قال :  
١٠ ﴿وكان عهد الله﴾ أى الوفاء بعهد من هو محيط بصفات الكمال .  
ولما كان العهد فضلة فى الكلام لكونه مفعولا، واشتدت العناية به هنا،  
بين ذلك بتقديمه أولا<sup>٤</sup>، ثم يجعله العمدة، وإسناد الفعل إليه ثانيا فقال :  
﴿مستولا﴾، أى فى<sup>٥</sup> أن يوفى<sup>٦</sup> به ذلك الذى وقع منه .

ولما أتم سبحانه ما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم كما دل  
١٥ عليه التعبير بالنبي، استأنف أمره بجوابهم جوابا لمن كأنه قال : ما ذا  
يقال لهم ؟ وإجراء النصيحة على لسانه<sup>٧</sup> لما هو مجبول عليه من الشفقة،  
﴿قل﴾ أى لهم، وأكد لظنهم نفع الفرار : ﴿لن ينفعكم﴾ أى<sup>٨</sup> فى

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل : مع (٢) فى ظ : ديارهم (٣) فى الأصول :  
الا (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل : اوبا (٥) سقط من ظ و م ومد .  
(٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل : يؤتى (٧) من ظ و م ومد، وفى  
الأصل : لسانهم (٨) سقط من ظ .

تأخير آجالكم فى وقت من الاوقات ﴿الفرار﴾ أى الذى ما كان  
استئذانكم إلا بسببه ﴿ان فررتم من الموت﴾ أى بغير عدو ﴿او القتل﴾  
لأن الاجل إن كان [قد - ١] حضر، لم يتأخر بالفرار وإلا لم يقصره  
الثبات كما كان على رضى الله عنه يقول: إذا دم الأمر،<sup>١</sup> أو توقد الجمر،<sup>٢</sup>  
واشتد من الحرب الحر،<sup>٣</sup> أى يومى<sup>٤</sup> من الموت أفر؟ يوم لا يقدر، أو يوم  
قدر، وذلك أن اجل الله الذى أجله محيط بالإنسان لا يقدر أن يتعداه  
أصلا ﴿وإذا﴾ أى وإذا فررتم .

ولما كانوا لا يقصدون بالعيش إلا التمتع، بين ذلك بالبناء للجهول  
فقال: ﴿لا تتمون﴾ / أى تمتعا مبالغا فيه كما تريدون بما بقى من  
أعماركم إن كان بقى منها شيء ﴿الا قليلا﴾ بل يتمكن العدو منكم بأدباركم،<sup>١٠</sup>  
ومن أموالكم وأحسابكم ودياركم، فيفسد مهما<sup>٥</sup> قدر عليه من ذلك  
فلا تقدرتون على تداركه إلا بعد زمان طويل و تعب كبير، بخلاف ما إذا  
تبتم وفاء بالعهد و حفظا للثناء فلاقتم الأقران، وقارعتم الفرسان،  
اعتمادا على ربكم وطاعة لنيكم، فان [كان - ١] الأجل قد أتى لم ينقصكم  
ذلك شيئا، و متم أعزة كراما، وإلا فزتم بالنصر، وحزتم الأجر،<sup>١٥</sup>  
وعشتم بآتم نعمة إلى تمام العمر، فاثبات أبقي للهج، وأحفظ للعيش البهيج<sup>٦</sup>.

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣-٣) من ظ و م  
ومد، وفي الأصل: اتومن (٤) من ظ و مد، وفي الأصل و م: لا قدر.  
(٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فيها (٦) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل: البهيج .

نظم الدرر (سورة الاحزاب ٣٣: ١٧ و ١٨) ج - ١٥

ولما كانوا لما عندهم من التقيد<sup>١</sup> بالوهم، والدوران مع الحس  
 دأب البهم<sup>٢</sup>، جديرين بأن يقولوا: بلى ينفعنا لانا ظالما رأينا من هرب  
 فسلم، ومن ثبت فاصطم، أمره بالجواب عن هذا بقوله: (قل) أي  
 لهم منكرا عليهم: (من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم (من الله)  
 المحيط بكل شيء قدرة وعلما قبل الفرار وفي حال الفرار وبعده  
 (ان اراد بكم سوءا) فاناخ بكم نقمه فيرد ذلك السوء عنكم (او)  
 يهينكم ويقبح<sup>٣</sup> جانبكم ويمتنعه بأن يصيبكم بسوءه إن (اراد بكم رحمة)  
 فأفادكم نعمه<sup>٤</sup>، والرحمة النفع سماه بها لأنه أثرها، قيسوا هذا المعنى على  
 مقاييس عقولكم معتبرين له بما وجدتم من الشقين في جميع أعماركم،  
 ١٠ هل احترزتم عن سوء إرادة فنفعكم الاحتراز،<sup>٥</sup> أو اجتهد<sup>٦</sup> غيره في منعكم  
 رحمة منه فتم له أمره أو أوقع الله بكم شيئا من ذلك فقدر أحد مع بذل  
 الجهد على كشفه بدون إذنه؟ ويمكن أن تكون الآية من الاحتباك:  
 ذكر السوء أولا دليلا على حذف ضده ثانيا، وذكر الرحمة ثانيا دليلا  
 على حذف ضدها<sup>٧</sup> أولا.

١٥ ولما كانوا أجد الناس، أشار سبحانه<sup>٨</sup> بكونهم لم يبادروهم<sup>٩</sup> بأنفسهم

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: التقيد (٢) في الأصل: البهم، وفي  
 ظ و م و مد: البهايم (٣-٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ: يمينكم قبيح.  
 (٤) زيد في ظ: فيرد ذلك السوء (ه-ه) من ظ و م و مد، وفي الأصل:  
 فاجتهد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل و م: ضده (٧) العبارة من هنا إلى  
 «التاب» ساقطة من م (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: لم يبادروهم.

الجواب

(٧٨)

٣١٢

الجواب بما يدل على المتاب إلى جودهم بالعطف<sup>١</sup> على ما علم أن تقديره جواباً من كل ذى بصيرة: لا يعصمهم أحد من دونه من شيء من ذلك، ولا يصيهم شيء منه، فقال: ﴿ولا يحدون﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿لهم﴾ ونه على أنه لا شيء إلا وهو فى قبضته سبحانه، وأنه لا إحاطة لشيء غيره بشيء حتى ولا بالرتب التى دون رتبته<sup>٢</sup> بقوله، مثبتا الجار: هـ ﴿من دون الله﴾ وعبر بالاسم العلم إشارة إلى إحاطته بكل وصف جميل، فمن أين يكون لغيره الإلمام بشيء منها إلا بأذنه ﴿وليا﴾ بواليهم فينفعهم<sup>٣</sup> بنوع تقع ﴿ولا نصيراه﴾ بنصرهم من أمره فيرد ما أرادته بهم من السوء عنهم.

ولما أخبرهم سبحانه بما علم مما أوقعوه من أصرارهم، وأمره ١٠ صلى الله عليه وسلم بوعظهم، حذرهم بدوام عليه لمن يخون منهم<sup>٤</sup>، فقال محققاً مقرباً من الماضى ومؤذناً بدوام هذا الوصف له<sup>٥</sup>: ﴿قد يعلم﴾ ولعله<sup>٦</sup> عبر به قد، التى ربما أفهمت فى هذه العبارة التقليل، إشارة إلى أنه يكفى من له أدنى عقل فى الخوف<sup>٧</sup> من سطوة المتهدد<sup>٨</sup> احتمال عليه<sup>٩</sup>، وعبر بالاسم الأعظم فقال: ﴿الله﴾ إشارة إلى إحاطة الجلال ١٥

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: بالعطف (٢) من ظ و مد، وفى الأصل و م: رتبته (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: وينفعهم (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: أراه (٥) فى ظ: منكم (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى ظ: قد (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الوصف (٩-٩) من ظ و م ومد، وفى الأصل: احتمال عقله.

نظم الدرر ( سورة الأحزاب ٣٣ : ١٨ و ١٩ ) ج - ١٥

و الجمال ( المعوقين ) أى المثبتين<sup>١</sup> تثيط تكرية و عقوق، يسرعون  
فيه لإسراع الواقع بغير اختياره ( منكم ) أى أيها الذين أقروا / بالإيمان / ٢٢٢  
للناس قاطبة عن إتيان حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم  
( والقائلين لاخوانهم هلم ) أى اتوا وأقبلوا ( اليانح ) موهمين أن ناحيتهم  
هـ بما يقام فيه القتال، و يواظب على صالح الأعمال ( ولا ) أى و الحال  
أنهم لا ( ياتون الباس ) أى الحرب أو مكانها ( الا قليلا ) للرياء  
و السمعة بقدر ما يراهم المخلصون، فاذا اشتغلوا بالمعاركة و كفى<sup>٢</sup> كل  
منهم<sup>٣</sup> ما إليه تسلوا عنهم لو اذا، و عاذوا بمن لا ينفعهم من الخلق عيادا .  
ولما كانوا يوجهون لكل من أفعالهم هذه وجهها صالحا، بين فساد  
١٠ قصدم بقوله ذاما غاية الذم بالتعبير بلفظ الشح الذى هو التهاى فى  
البخل، فهو بخل بما فى اليد و أمر للغيب بالبخل فهو بخل إلى بخل<sup>٤</sup>  
حيث قدر متماذى فيه مسارع إليه ( اشمة ) أى يفعلون ما تقدم و الحال  
أن<sup>٥</sup> كلا منهم شحيح ( عليكم ) أى بحصول نفع منهم أو من غيرهم  
بنفس أو مال .

١٥ ولما كان التقدير : فى حال الأمن، أتبعه بيان حالهم فى الخوف  
فقال : ( فاذا جاء الخوف ) أى ليجئ أسبابه من الحرب و مقدماتها  
( رايتهم ) أى أيها المخاطب ( ينظرون ) و بين بعدهم حسا و معنى  
بحرف الغاية فقال : ( اليك ) أى حال كونهم ( تدور ) بينا و شمالا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المثبتين (٢ - ٣) فى ظ : كلهم .  
(٢ - ٣) سقط ما بين الرقعين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انهم .

بإدارة الطرف (اعينهم) أى زائفة<sup>١</sup> رعبا و خورا ؛ ثم شبهها فى سرعة قلبها لغير قصد صحيح فقال : ( كالذى ) أى كدوران عين الذى ، وبين شدة العناية بتصوير<sup>٢</sup> ذلك يجعل المفعول عمدة ببناء الفعل له فقال : ( يغشى عليه ) مبتدئا غشيانه ( من الموت ج ) سنة الله فى أن كل من عامل الناس بالخداع ، كان قليل الثبات عند القراع<sup>٣</sup> ؛ ثم ذكر خاصة ه أخرى لبيان جنبهم فقال : ( فاذا ذهب الخوف ) أى بذهاب أسبابه ( سلطوكم ) أى تناولوكم تناولا صعبا جراءة و وقاحة ، ناسين ما وقع منهم عن قرب من الجبن والخور<sup>٤</sup> ( بالسنة حداد ) ذربة قاطعة فصيحة بعد أن كانت عند الخوف فى غاية اللجلجة<sup>٥</sup> لا تقدر على الحركة من قلة الريق و ييس الشفاه ، وهذا [ لطلب - ٧ ] العرض القانى من الغنيمة ١٠ أو غيرها ؛ ثم بين المراد بقوله : ( اشحة ) أى شحا مستعليا ( على الخير ) أى المال الذى عندهم ، وفى اعتقادهم أنه لاخير غيره ، شحا لا يريدون أن يصل شىء منه<sup>٦</sup> إليكم ولا يفوتهم<sup>٧</sup> شىء منه ، وهذه [ سنة - ٩ ] أخرى فى أن من كان صلبا فى الرخاء كان رخوا حال الشدة وعند اللقاء ، وإنما فترت الشح بهذا لأن مادته بترتيبها تدور على الجمع الذى انتهى ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : راعيه (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بتصور (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : النزاع (٤) ليس فى الأصل فقط (٥) فى ظ : الخوف (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اللجلجة . (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) زيد من ظ و م و مد .

فاشرف على الفساد<sup>١</sup>، من الحشيش والمحشة، وهى الدبر، فهو جمع  
 يتبعه فى الأغلب نكد وأذى، ومن لوازم مطلق الجمع القوة فتبعها  
 الصلابة، فربما نشأت القساوة، وربما نشأت<sup>٢</sup> عن الجمع الفرقة فلزمتها  
 الرخاوة، فمن الجمع النكد الشح وهو البخل والحرص، وشح النفس  
 • حرصها على ما ملكت، قال القزاز: وجمع الشحيح فى أقل العدد  
 أشحج. ولم اسمع غيره، وحكى أبو يوسف: أشحج - بالمد فى الكثير،  
 والرجلان يتشاحان عن الأمر / - إذا كان كل<sup>٣</sup> منهما يريد أن<sup>٤</sup> لا يفوته،  
 / ٢٢٣ وزند شحاح: لا يورى، وماه شحاح: نكد غير غمر - لأنه اشتد اجتماعه  
 فى مكانه، واشتدت أرضه بإجتماع أجزائها فصلبت جدا فضنت به .  
 ١٠ وأرض شحاح: صلبة . قال القزاز: وبه شبه الزند، والشحشاح:  
 الحاد والسيء الخلق والماضى فى كلام أو سير، والمواظب على الشيء .  
 لأن ذلك من لوازم الحدة الناشئة عن القوة الناشئة عن الجمع، ومن  
 هنا قيل للخطيب البليغ والشجاع والغيور: "شحشح وشحشاح، والشحشح"  
 من الغربان: الكثير الصوت، ومن الحمير: الخفيف، ومن القطا:  
 ١٥ السريعة، والشحشاح: الطويل - كأنه جمع طويلين، وشحشح البعير  
 (١) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م ومد فخذناها (٢) فى ظ  
 و م ومد: نشأ (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: كلا (٤) من ظ و م  
 ومد، وفى الأصل: أنه (هـ-هـ) من ظ و م ومد والقاموس، وفى الأصل:  
 شحيح وشحاح والشحيح (٦-٦) من ظ و م ومد والقاموس، وفى الأصل:  
 الشريعة والشحاح .



فى الهدير - إذا لم يخلصه، كأنه [جمع -<sup>١</sup>] إلى الهدير ما ليس بهدير،  
 و الشحشة: صوت الصرد - لكثرة اتصالها، فهى ترجع إلى الحدة  
 التى ترجع إلى القوة الناشئة عن الجمع، و ترديد البعير فى الهدير و الطيران  
 السريع و الحذر، فانه يدل على اجتماع اقلب و ثقبوب الذهن، و امرأة  
 شحاش - كأنها رجل فى قوتها، و المشحش -<sup>٢</sup> كسلسل: القليل الخير،<sup>٣</sup>  
 و إبل شمانح: قليلة الدر، و ذلك من الجمع و الصلابة الناشئة عن القساوة  
 و النكد،<sup>٤</sup> و الشحج من الأرض ما يسيل من أدنى مطر، لصلابتها  
 و شدة اجتماع بعضها إلى<sup>٥</sup> بعض، و الشحشح أيضا من الأرض ما  
 لا يسيل إلا من مطر كثير ضد الأول، و ذلك ناظر إلى جمعها لاظر لغوره<sup>٦</sup>  
 فيها لما فى أجزائها من التفرق الذى تقدم أنه من لوازم الجمع، و من<sup>٧</sup>  
 مطلق الجمع: الفلاة الواسعة - لأنها جامعة لما يراد جمعه، و الشحاش:  
 شعاب صغار تدفع الماء إلى الوادى، فهى بمدها جامعة، و بكونها صغارا  
 نكدية و مجمعة فى نفسها، و من الجمع: الحشيش، و هو اليابس من  
 العشب، و أصله ما جمع منه. و المحش<sup>٨</sup>: الموضع<sup>٩</sup> الكثير الحشيش  
 و الخير، لأن الجمع ربما نشأ عنه رفق، و كثرة الحشيش يلزمها الرفق<sup>١٠</sup>  
 بلفظه للدواب، و يكون أرضه طيبة، و منه<sup>١١</sup> حش الحشيش: قطعه،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) من ظ و م  
 و مد، و فى الأصل: لفورة (٤) من ظ و م و مد و القاموس، و فى  
 الأصل: المحسن (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الموضع (٦) من ظ و م  
 و مد، و فى الأصل: منها.

وفلانا: أصلح من حاله، والمال: كثره، وزيدا بغيرا أو بغير: أعطاه  
إياه، والحش - بالفتح: المخرج، والمحشة: الدبر، والحش: البستان  
ذو النخل المجتمع، سمي الخلاء به لأن العرب كانت تقضى الحاجة فيه،  
وحش طلحة وحش كوكب: موضعان بالمدينة، وحش<sup>١</sup> الولد في البطن:  
ه ييس، وأحشت المرأة فهي محش - إذا بيس الولد في جوفها، والحش -  
بالضم: الولد الهالك في البطن، وحششت<sup>٢</sup> الفرس: جمعت له الحشيش،  
[وأحششت الرجل: أعنته على جمع الحشيش، والحشاش: الجوالق  
فيه الحشيش -<sup>٣</sup>]، وأحش الكلا: أمكن لأن يُحشش، والمستحشة من النوق  
التي دقت أروظفتها<sup>٤</sup>، أى ما فوق رصغها إلى ساقها، وذلك من عظمها  
١٠ وكثرة شحمها، واستحش الغصن: طال - كأنه جمع طولين، أو صار  
بحيث يجمع ورقا كثيرا، واستحش ساعدها كفها أى<sup>٥</sup> عظم حتى  
صغرت الكف عنده، وألحق الحش بالإش أى الشيء بالشيء، وحش  
الودى من النخل<sup>٦</sup>: ييس، ومن الجمع: حش الصيد: جمعه من جانبيه،  
والفرس: ألقى له حشيشا، قال القزاز: وهو ييس الكلا<sup>٧</sup>، وأصله  
١٥ ما جمع، ومنه: أحشك وتروثنى<sup>٨</sup> - يضرب لمن أساء إلى من أحسن إليه،

(١) من ظ و م ومد والقاموس، وفي الأصل: الحش (٢) من م ومد،  
وفي الأصل و ظ: حشت - خطأ (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ و م  
ومد والقاموس، وفي الأصل: أوطيتها (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل:  
إلى (٦) زيد في الأصل: أى . ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد والقاموس  
فقدناها (٧) من القاموس، وفي الأصول: تروثنى .

و مرت الإبل تحش الأرض: أى تجمع الحشيش، وقيل: هو من سرعة مرها، وفيه مع كثرة الجمع للخطى بتقاربها معنى الحدة، ومنه حش الفرس: أسرع، ومن الإشراف على الفساد: الحش - بالفتح وهو النخل الناقص القصير ليس بمسقى ولا معمور، والحشاشة: رمق النفس، يقال: ما بقي من فلان إلا حشاشة أى رمق يسير يحى به، و عبارة القاموس، ٥  
و الحشاش والحشاشة: بقية الروح فى المريض والجريح، فهذا بين فى الإشراف على الفساد كما تقدم، وهو أيضا من الفرقة التى قد تلزم الجمع ومنه تحششوا أى تفرقوا، ومنه قلة الاستحشاش<sup>١</sup>، وهو قلة القوم، ومن الحدة الناشئة عن القوة الناشئة: عن الجمع حششت النار أى أوقدتها و جمعت الحطب إليها، وكل ما قوى<sup>٢</sup> بشيء فقد حش به، والمحش: حديدة ١٠  
يوقد بها النار أى تحرك، والشجاع، قال القراز، وهو محش حرب - إذا كان يسعها بشجاعته، وحش فلان الحرب - إذا هيجها، ومنه تحششوا<sup>٣</sup> أى تحركوا، ومن مطلق الحدة: أحششته عن حاجته: أعجلته عنها، ومن الجمع والقوة: حش سهمه بالقذذ - إذا رآه فالزقها من نواحيه، وحشاشاك أن تفعل كذا أى قصارك أى نهاية جمحك<sup>٤</sup> لكل ما تقوى ١٥  
به، وحشاشا كل شيء: جانباه، والحشة - بالضم: القبة العظيمة، لكثرة

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الاحتشاش (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: حشش (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: تحششوا (٤) زيد فى الأصل: إذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد والقاموس لحذفناها (هـ) من ظ و م ومد، وفى الأصل: جعل الكل ما يقوى (٦) من ظ و م ومد والقاموس، وفى الأصل: القمة .

جمعها و قوة تراصها .

و لما وصفهم سبحانه بهذه الدنيا، أخبر بأن أساسها وأصلها الذى نشأت عنه<sup>١</sup> عدم الوثوق بالله لعدم الإيمان فقال : ﴿اولئك﴾ أى البغضاء البعداء الذين محط أمرهم الدنيا ﴿لم يؤمنوا﴾ أى لم يوجد منهم إيمان ه بقلوبهم وإن أقرت به ألسنتهم .

و لما كان العمل لا يصح بدون الإيمان ، سبب عن ذلك قوله : ﴿فاحبط الله﴾ أى بجلاله و تفردته فى كبريائه و كماله ﴿اعمالهم﴾ أى أبطل أرواحها ، فصارت أجسادا لا أرواح لها ، فلا تنفع لهم بشىء منها لأنها كانت فى الدنيا صورا مجردة عن الأرواح التى هى القصور الصالحة ، فانهم لا قصد لهم بها إلا التوصل إلى الأعراض الدنيوية ، و هذا إعلام بأن من كانت الدنيا أكبر همه فهو غير مؤمن ، وأنه يكون خوارا<sup>٢</sup> عند الهزاهز ، ميالا إلى دنايا الشجايا و الغرائز .

و لما كان من عمل عملا لم يقدر غيره وإن كان أعظم منه ان يبطل نفعه به إلا بعسر شديد ، قال تعالى : ﴿وكان ذلك﴾ أى الإحباط ١٥ العظيم مع ما لهم من الجرأة فى الطلب و الإلحاف [عند السؤال -<sup>٣</sup>] و قلة الأدب ﴿على الله﴾ بما له من صفات العظمة التى تخشع لها الأصوات ، و تخرس الألسن الذربات ﴿يسيرا﴾ لأنه لا نفع [إلا منه -<sup>٤</sup>]

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عليه (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وفى (٣) من م و مد ، وفى الأصل : وفى (٤) زيد من ظ و م و مد .

و هو الواحد القهار ، وأما غيره فأنما عسر عليه ذلك ، لأن النفع من غيره - وإن كان منه حقيقة<sup>١</sup> - قهره غيره بالشفاعات ووجوه<sup>٢</sup> النكد أو غيرها عليه ، و كأنهم لما ذهب استمروا خاضعين لم يطلقوا ألسنتهم ولا أعلوا كلمتهم ، فأخبر تعالى تحقيقاً لقوله الماضى فى جنتهم / أن المانع الذى ذكره لم يزل من عدم لقرط جنتهم ، فقال تحقيقاً لذلك وجواباً<sup>٣</sup> لمن ربما قال : قد ذهب الخوف فإلهم ما سلقوا<sup>٤</sup> : ( يحسبون ) أى يظنون لضعف عقولهم فى هذا الحال ، وقد ذهب الخوف ، لشدة جنتهم وما رسخ عندهم من الخوف ( الاحزاب ) وقد علمت أنهم ذهبوا ( لم يذهبوا ) بل غابوا خداعاً ، وعبر بالحسبان لأنه - كما مضى عن الحرالى فى البقرة<sup>٥</sup> - ما تقع غلبته فيما هو من نوع ما فطر الإنسان عليه . واستقر عادة له ، والظن فيما هو من المعلوم المأخوذ بالدليل والعلم ، قال : فكان ضعف علم العالم ظن ، وضعف عقل العاقل حسيان . ولا أخبر عن حالهم فى ذهابهم ، أخبر عن حالهم لو وقع ما يتخوفونه من رجوعهم ، فقال معبراً بأداة التوكيد لآهل البصائر أنه فى عداد المحال : ( وإن يأت الاحزاب ) أى بعد ما ذهبوا ( يودوا )<sup>٦</sup> أى يتجدد لهم غاية الرغبة من الجن وشدة الخوف ( لو<sup>٧</sup> أنهم بادون ) أى فاعلون اليدى وهو الإقامة فى البادية على حالة الحل والارتحال

---

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : هو .  
(٣) زبدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفنا (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ضعيف (٥) ليس فى الأصل فقط .

نظم الدرر ( سورة الأحزاب ٣٣ : ٢٠ و ٢١ ) ج - ١٥

{ في الاعراب } الذين هم عديم في محل النقص<sup>١</sup>، ومن تكره مخالطته ولو كان تمنيه في ذلك الحين محالا؛ ثم ذكر حال فاعل "بادون" فقال: { يسألون } كل وقت { عن انبائكم<sup>٢</sup> } العظيمة معهم جريا على ما هم عليه من النفاق ليقوا لهم عندكم وجها كأنهم مهتمون بكم، يظهرون بذلك تحرقا على غيبتهم عن هذه الحرب [ أو ليخفوا غيبتهم و يظهروا أنهم كانوا ينكم في الحرب بأمانة أنه وقع لكم في وقت كذا أو مكان كذا. كذا، و يكابروا على ذلك من غير استحياء -<sup>٣</sup> ] لأن النفاق صار لهم خلقا لا يقدرّون على الاتفكاك عنه، و يرشد إلى هذا المعنى قراءة يعقوب<sup>٤</sup> "يسألون" بالتشديد { ولو } أى و الحال أنهم لو { كانوا فيكم } ١٠ أى حاضرين لحريهم { ما قتلوا } أى معكم { الا قليلا } نفاقا كما فعلوا قبل ذهاب الأحزاب من حضورهم معكم تارة و استئذانهم في الرجوع إلى منازلهم أخرى، و التعويق لغيرهم بالفعل كره، و التصريح بالقول أخرى .

ولما أخبر تعالى عنهم بهذه الأحوال التي هي غاية [ في -<sup>٥</sup> ] ١٥ الدناءة، اقبل عليهم إقبالا يدلهم على تناهى الغضب، فقال مؤكدا محققا لأجل إنكارهم: { لقد كان لكم } أيها الناس كافة الذين المناقون في غمارهم { في رسول الله } الذي جاء عنه لإنقاذكم من كل ما يسوءكم.

(١) في ظ و م و مد : نقص (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع نثر المرجان ٣٩٣/٥ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل : بهم (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل : في (٧) زيد من ظ و م و مد .

و جلاله

## ظلم الدرر ( الجزء الحادى والعشرون ) ج - ١٥

و جلاله من ' جلاله المحيط بكل جلال، و كماله من كماله العالى على كل كمال، و هو أشرف الخلائق، فرضيتم مغالطة الأجلاف بدل الكون معه (أسوة) أى قدوة<sup>٢</sup> عظيمة - على قراءة عاصم<sup>٣</sup> بضم الهمزة، و فى أدنى المراتب - على قراءة الباقيين بالكسر، تساوون أنفسكم به و هو أعلى الناس قدرا يجب على كل أحد أن يفتدى ظفقه الشريف و لو بعينه ه فضلا عن أن يسوى نفسه بنفسه، فيكون معه فى كل أمر يكون فيه، لا يتخلف عنه أصلا (حسنة) على قراءة الجماعة بمطلق الصبر فى البأساء و أحسنه - على قراءة عاصم بالصبر على الجراح فى نفسه و الإصابة فى عمه<sup>٤</sup> و أعزّ أهله و جميع ما [ كان - ٦ ] يفعل فى مقاساة الشدائد، و لقاء الأقران، و النصيحة لله و لنفسه و للمؤمنين، و عبر عنه بوصف ١٠ الرسالة لأنه حظ الخلق منه ليقصدوا بأفعاله و أقواله، و يتخلقوا بأخلاقه ٢٢٦ / و أحواله، و نبه على أن الذى يحمل على التأسى به صلى الله عليه و سلم إنما هو الصدق فى الإيمان و لاسيما الإيمان بالقيامة، و أن الموجب<sup>٥</sup> للرضا بالدنيا<sup>٦</sup> هو التكذيب بالآخرة فقال مبدلا من "لكم" : ( لمن كان ) أى كونا كأنه جبلته له (يرجوا الله) أى فى جبلته أنه يحدد الرجاء ١٥ مستمرا للذى لا عظيم فى الحقيقة سواء فى أمل<sup>٧</sup> إبعاده و يخشى إبعاده

- (١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قدرة (٣) راجع نثر المرجان ٢٩٤/٥ (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : أى . (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عمد (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧ - ٧) من ظ و م و مد . و فى الأصل : بالرضا للدنيا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م : فيومل .

نظم الدرر ( سورة الأحزاب ٢٣ : ٢١ و ٢٢ ) ج - ١٥

(و اليوم الآخر) الذى لابد من إيجاده و مجازاة الخلائق فيه بأعمالهم ،  
فمن كان كذلك حمله رجاؤه على كل خير ، ومنعه عن كل شر ، فانه  
يوم التغابن ، لأن الحياة فيه دائمة ، و السكر فيه لا يجبر .  
و لما عبر بالمضارع المتقضى لدوام التجدد اللازم منه دوام الاتصاف  
ه الناشئ عن المراقبة لأنه فى جبلته <sup>١</sup> ، أتج أن يقال : فأسى رسول الله  
صلى الله عليه و سلم فى كل شئ تصديقا لما فى جبلته من الرجاء ، فعطف  
عليه ، أو على "كان" المقتضية للرسوخ<sup>٢</sup> قوله : (و ذكر الله )<sup>٣</sup> الذى  
له صفات الكمال ، وقيد بقلوه : ( كثيرا <sup>٤</sup> ) تحقيقا لما ذكر من معنى  
الرجاء الذى به الفلاح و أن المراد منه : الدائم فى حالى السراء و الضراء .  
١٠ و لما أخبر عما حصل فى هذه الواقعة<sup>٥</sup> من الشدائد الناشئة عن الرعب  
لعامة الناس ، و خص من بينهم المنافقين بما ختمه بالملامة فى ترك التأسى  
بمن<sup>٦</sup> أعطاه الله قيادهم ، و أعلاه عليهم فى الثبات و الذكر ، و ختم هذا  
الختم بما يشر الرسوخ فى الدين ، ذكر حال الراسخين فى اوصاف الكمال  
المتأسين بالداعى ، المقتفين للهادى ، فقال عاطفا على "هنالك ابتلى المؤمنون" :  
١٥ ( و لما رآ المؤمنون ) أى الكاملون فى الإيمان ( الأحزاب <sup>٧</sup> ) الذين<sup>٨</sup>

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : حياته (٢) زيد فى الأصل : فى ، ولم  
تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٣) زيد فى ظ : أى (٤) سقط من ظ .  
(٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الواقع (٦) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : بما (٧) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها .  
(٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الذى .



أدبشت رؤيتهم القلوب' ( قالوا ) أى مع ما حصل لهم من الزلزال  
و تعاظم الأحوال : ( هذا ) أى الذى نراه من الهول ( ما وعدنا )  
[ من تصديق دعوانا الإيمان بالبلاء والامتحان - ٢ ] ( الله ) الذى له  
الامر كله ( ورسوله ) المبلغ عنه فى [ نحو - ٢ ] قوله " ام حسبتم ان  
تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين دخلوا من قبلكم " " احسب الناس  
ان يتركوا " " ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم "  
وأما ذلك ، فسموا المس بالباساء والضراء ، والابتلاء بالزلزال والاعداء ،  
[ وعدا - ٢ ] لعلهم بما لهم عليه عند الله ، ولا سيما فى يوم الجزاء ، وما  
يعقبه من النصر ، عند اشتداد الأمر .

ولما كان هذا معناه التصديق ، أزالوا عنه احتمال أن يكون أمرا ١٠  
اتفاقيا ، و صرحوا به على وجه يفهم الدعاء بالنصر الموعود به فى قولهم  
عظما على هذا : ( وصدق ) [ مطلقا لا بالنسبة إلى مفعول معين - ٢ ]  
( الله ) الذى له صفات الكمال ( ورسوله ) الذى كماله من كماله ،  
أى ظهر صدقهما فى عالم الشهادة فى كل ما وعدا به من السراء والضراء  
بما رأياه . وهما صادقان فيما غاب عنا بما وعدا به من نصر وغيره ، ١٥  
و إظهار الاسمين للتعظيم والتيمن بذكرهما .

ولما كان هذا قولاً يمكن أن يكون لسانياً فقط كقول المنافقين ،

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الع قول (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد  
من ظ و م و مد (٤-٤) -قط ما بين الرقین من ظ (٥) من ظ و م و مد ،  
وفى الأصل : بالسراء (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لساناً .

أكده لظن المناقين ذلك ، فقال سبحانه شاهدا لهم : ﴿ وما زادهم ﴾  
 أى ما رآه من أمرهم المرعب ﴿ إلا إيمانا ﴾ أى بالله ورسوله بقلوبهم ،  
 وأبلغ سبحانه<sup>١</sup> في وصفهم بالإسلام ، فعبر بصيغة التفعيل فقال :  
 ﴿ وتسلما ﴾<sup>٢</sup> أى لهما بجميع جوارحهم<sup>٣</sup> في جميع القضاء والقدر ،  
 ٢٢٧ / ٥ / وقد تقدم في قوله تعالى في سورة الفرقان " ويجعل لك قصورا " ،  
 ما هو من شرح هذا . ولما كان كل [ من - ] آمن بآثام نفسه وماله لله ،  
 لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وكان بعض الراشدين  
 في الإيمان لم يعط الإيمان حقه في القتال في نفسه وماله ، كما فعل  
 أبو بكر رضى الله عنه ، أما في ماله فبالخروج عنه كله ، وأما في نفسه  
 ١٠ . فيما كان يقحمها من الأهوال ، حتى كان النبی صلى الله عليه وسلم يقول  
 له في بعض المواطن : الزم مكانك وأمتعنا بنفسك ، ويقول له ولعمري  
 رضى الله عنهما أنهما من الدين بمنزلة السمع والبصر ، وكان أبو بكر  
 رضى الله عنه في ليلة الغار يذكر الطلب فيتأخر ، والرصد فيتقدم ، وما  
 عن الجواب<sup>٤</sup> فيصير إليها ؛ ومنهم من وفى في هذه الغزوة وما قبلها  
 ١٥ فأراد الله التوبة بذكرهم والثناء عليهم توفية لما يفضل به من حقهم ،  
 وترغيبا لغيرهم<sup>٥</sup> فأظهر ولم يضر لثلا يتقيد بالذكورين سابقا فيخص

(١) في ظ و مد : المرغب (٢) زيد في ظ : شاهدا (٣ - ٢) سقط ما بين  
 الرقین من ظ (٤) آية ١٠ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و مد ، وفى  
 الأصل و م : بايغ (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الجواب (٨) من ظ  
 و م و مد ، وفى الأصل : نصرهم .

هذه الغزوة فقال: ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الكل ﴿ رجال ﴾ أى فى غاية العظمة عندنا، ثم وصفهم بقوله: ﴿ صدقوا ﴾ .

ولما كان العهد عند ذوى الهمم العلية، والأخلاق الزكية، لشدة ذكرهم [له - ١] و محافظتهم على الوفاء به، و تصوره<sup>٢</sup> لهم حتى كأنه رجل عظيم قائم تجاههم بتقاضاهم الصدق، عدى الفعل إليه فقال: ﴿ ما عاهدوا الله ﴾<sup>٣</sup> المحيط علما و قدرة و جلالة عظمة ﴿ عليه ﴾ أى من<sup>٤</sup> بيع أنفسهم وأموالهم له بدخولهم فى هذا الدين الذى بنى على ذلك فوفوا به أتم وفاء، و فى هذا إشارة إلى أبى لبابة [بن - ١] المذخر رضى الله عنه، وكان من أكابر المؤمنين الراشخين فى صفة الإيمان حيث زل فى إشارته إلى بنى قريظة بأن المراد بهم الذبح، كما تقدم فى الأنفال فى قوله تعالى ١٠ "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أنفسكم" فذهب من حينه و ربط نفسه تصديقا لصدقه<sup>٥</sup> فى سارية من سواري المسجد حتى تاب الله عليه و حله رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده الشريفة .

ولما ذكر الصادقين، و كان ربما فهم<sup>٦</sup> أن الصدق لا يكون إلا بالقتل، قسمهم [قسمين - ١] مشيرا إلى خلاف ذلك بقوله: ١٥ ﴿ فمنهم من قضى ﴾ أى أعطى ﴿ نجه ﴾ [أى نذره - ١] فى معاهدته أنه ينصر رسول الله صلى الله عليه و سلم و يموت دونه، و فرغ من

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تصويره .

(٣) فى ظ: منه (٤) آية ٢٧ (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لصدقه .

(٦) من مد، وفى الأصل و ظ و م: فيهم (٧) من مد، وفى الأصل

و ظ و م: او .

ذلك و خرج من عهده بأن قتل شهيدا ، فلم يبق عليه نذر كحمزة بن عبد المطلب و مصعب بن عمير و عبد الله بن جحش و سعد بن الربيع و أنس بن النضر<sup>١</sup> الذي غاب عن<sup>٢</sup> غزوة بدر فقال : غبت عن أول قتال قاتل فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع ، فلما انهزم [ من انهزم -<sup>٣</sup> ] في غزوة أحد قال : اللهم إني أبرأ إليك عما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - و عما صنع هؤلاء - يعني المهزومين من المسلمين . و قاتل حتى قتل بعد بضعة و ثمانين جراحة<sup>٤</sup> من ضربة بسيف ، و طعنة برمح ، و رمية بسهم ، و روى [ البخاري -<sup>٥</sup> ] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : نرى<sup>٦</sup> هذه الآيات / نزلت في أنس ١٠ ابن النضر "من المؤمنين رجال" - انتهى ، و غير هؤلاء ممن قتل قبل هذا في غزوة أحد و غيرها . و سعد بن معاذ ممن جرح في هذه الغزوة و حكم في بني قريظة بالقتل و السبي<sup>٧</sup> ، و لم يرع لهم حلفهم لقومه ، و لا أطاع قومه في الإشارة عليه باستبقائهم كما استبقى عبد الله بن أبي المنافق بني قينقاع و لا أخذته بهم رافة غضبا لله و لرسوله<sup>٨</sup> رضي الله عنه ، و ممن ١٥ لم يقتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن<sup>٩</sup> عبيد الله أحد<sup>١٠</sup> العشرة

/ ٢٢٨

(١) في ظ : أبي النضر (٢) من ظ و مد ، و في الأصل و م : في (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : جراحة (٥) من ظ و م و مد و صحيح البخاري ٢ / ٥٠ ، و في الأصل : ترى (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالسبي (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : رسوله (٨-٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عبد الله إحدى .

رضى الله عنهم ثبت<sup>١</sup> فى احد و قتل ما لم يفعله غيره ، لزم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه ، و ذب عنه و وقاه<sup>٢</sup> يده حتى شلت إصبعه فشهد النبي صلى الله عليه وسلم أنه ممن قضى نحبه ، فالمراد بالنجب هنا العهد الذى هو كالنذر المفضى إلى الموت ، و أصل النجب الاجتهاد فى العمل ، و من هنا<sup>٣</sup> استعمل فى النذر لانه الحامل على ذلك ( و منهم ) أى الصادقين ( من ينتظر<sup>٤</sup> ) قضاء النجب إما بالنصرة ، أو الموت على الشهادة ، أو مطلق المتابعة الكاملة .

و لما كان<sup>٥</sup> المنافقون ينكرون أن يكون أحد صادقا فيما يظهر من الإيمان ، أكد قوله تعريضا بهم : ( و ما بدلوا تبديلا<sup>٦</sup> ) أى و ما أوفعوا شيئا من تبديل بفترة أو توان ، فهذا تصريح بمدح أهل الصدق ، و تلويح<sup>٧</sup> بدم أهل النفاق عكس ما تقدم ، و روى البخارى<sup>٨</sup> [ عن زيد بن ثابت - ]<sup>٩</sup> رضى الله عنه قال : لما نسخنا الصحف بالمصاحف<sup>١٠</sup> فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصارى - رضى الله عنه - الذى جعل<sup>١١</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين<sup>١٢</sup> من المؤمنين رجال صدقوا<sup>١٣</sup>

(١) - قط من ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : رقه (٣) من م و مد ، و فى الأصل وظ : هذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كانوا المتناو (٥) - كذا (٦) راجع صحيحه ٧٠٥/٢ (٧) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٨) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : المصحف (٩) فى الصحيح : فى المصاحف (١٠) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : جعله .

نظم الدرر ( سورة الأحزاب ٢٣: ٢٤ و ٢٥ ) ج - ١٥

ما عاهدوا الله عليه<sup>١٠</sup> . و قوله : « نسخنا الصحف ، التي كانت عند حصه  
رضي الله عنها بعد موت عمر رضي الله عنه » في المصاحف ، التي أمر  
بها عثمان رضي الله عنه ، و قوله : « لم أجدها ، أي مكتوبة بدليل حفظه  
لها ، و هذا يدل على أنه لما نسخ المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه  
لم يقتنعوا بالصحف . بل ضموا إليها ما هو مفرق عند الناس عما كتب  
بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم و بحضرة كما فعلوا حين جمعوا  
الصحف على عهد أبي بكر رضي الله عنهم [أجمعين - ٢] .

و لما كان كأنه قيل : قد فهم من سياق هذه القصة  
أن القصد الإقبال عليه سبحانه ، و قطع جميع العلائق من غيره . لأنه  
١٠ غادر على كل شيء . فهو يكتفي<sup>٢</sup> من أقبل عليه كل مهم و إن كان في  
غاية العجز عنه ، تارة بسبب ظاهر ، و تارة بغيره ، فما له لم يحكم بالاتفاق  
على كلمة الإسلام ، لتحصل الراحة من هذا الفناء كله ، فاجب بأن هذا  
تظهر<sup>٣</sup> صفة العز و العظمة و العدل و غيرها ظهوراً تاماً - إلى غير ذلك  
من حكم ينكشف عنها الحجاب . و ترفع لتجليها غاية التجلي ستور  
١٥ الأسباب ، فقال تعالى معاً بقوله " جاءكم جنود " : ( ليجزى الله ) أي  
الذي يريد إظهار جميع صفاته يوم البعث للخاص و العام ظهوراً تاماً  
( الصديقين ) في ادعاء أنهم آمنوا به ( بصدقهم ) / فيلبي أمرهم في

/ ٢٢٩

- (١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ضموا (٢) زيد من ظ و م و مد .  
(٣) زيد في الأصل : كل (٤-٥) من ظ و م و مد . وفي الأصل : لهم يحكم .  
(٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل و م : يظهر .

الدنيا و ينعمهم فى الأخرى، فالصدق سبب وإن كان فضلا منه لأنه الموفق له ﴿و يعذب المنافقين﴾ فى الدارين بكذبهم فى دعواهم الإيمان المقتضى [بيع - ٢] النفس و المال ﴿إن شاء﴾ يعذبهم بموتهم على الزناق ﴿أو يتوب عليهم﴾ أى بما يرون من صدقه سبحانه فى إعزاز أوليائه و إذلال أعدائه بقدرته التامة حيث كانوا قاطعين بخلاف ذلك . ٥

و لما كانت توبة المنافقين مستبعدة لما يرون<sup>٢</sup> من صلابتهم فى الخداع و خبت سرائرهم، قال معللا ذلك كله على وجه التاكيد : ﴿إن الله﴾ أى بما له من الجلال و الجلال ﴿كان﴾ أزلا و أبدا ﴿غفورا رحيمًا﴾ يستر الذنب و ينعم على صاحبه بالكرامة، أما فى الإنابة لكل فالرحمة عامة، و أما فى تعذيب المنافق فيخص الصادقين، لأن عذاب أعدائهم من أعظم ١٠ نعيمهم، و فى حكمه بالمدل عموم الرحمة أيضا، فهو لا يعذب أحدا فوق ما يستحق .

و لما ذكرهم سبحانه نعمته بما أرسل على أعدائهم من جنوده، و بين أحوال المنافقين و الصادقين و ما له فى ذلك من الأسرار، و ختم بهاتين الصفتين، قال مذكرا باثرهما فيما خرقة من العادة بصرف الأعداء ١٥ على كثرتهم و قوتهم على حالة لإرضاء نفسه عاقل، عاطفا على قوله فى أول السورة و "للقصة" فارسلنا : ﴿ورد الله﴾ أى بما له من

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : دعوى (٢) زيد من ظ و م و مد .

(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ و مد : لرحمة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين

من ظ و م و مد .

صفات الكمال ﴿الذين كفروا﴾ أى سترُوا ما دلت عليه شمس عقولهم  
من أدلة الوحدةانية وحقية الرسالة، وهم من تحزب من العرب وغيرهم  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بلادهم عن المدينة<sup>١</sup> ومضايقه<sup>٢</sup>  
المؤمنين، حال كونهم ﴿بغيطهم﴾ الذى أوجب لهم التحزب [ثم الذى  
٥ أوجب لهم التفرق عن غير طائل<sup>٣</sup> -] حال كونهم ﴿لم يبالوا خيراً<sup>٤</sup>﴾  
لأمن الدين ولأمن الدنيا، بل خذلهم بكل اعتبار.

ولما كان الرد قد يكون بسبب من عدوهم، بين أن الأمر ليس  
كذلك فقال: ﴿وكفى الله﴾ أى العظيم بقوته وعزته عباده، وودل<sup>٥</sup>  
على أنه<sup>٦</sup> ما فعل ذلك إلا لأجل أهل الإخلاص<sup>٧</sup> فقال:  
١٠ ﴿المؤمنين القتال﴾ بما ألقى في قلوبهم من الداعية للانصراف بالرجح  
والجنود من الملائكة وغيرهم منهم نعيم [بن -] مسعود كما تقدم.  
ولما كان هذا أمراً باهراً، أتبعه ما يدل على أنه عنده يسير  
فقال: ﴿وكان الله﴾ أى الذى له كل<sup>٨</sup> صفة كمال دائماً أزلاً وأبداً  
﴿قويًا﴾ لا يعجزه شيء، ﴿عزيراً<sup>٩</sup>﴾ يغلب كل شيء.

١٥ ولما أتم<sup>١٠</sup> أمر الأحزاب، أتبعه حال الدين البؤم<sup>١١</sup>، وكانوا سبباً

(١) من ظ ومد، وفى الأصل وم: حقيقة (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ.  
(٢) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: ما (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل:  
الإخلاص (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) فى ظ: بما (٨) سقط من ظ (٩) تقدم  
فى ظ على لا يعجزه (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تم (١١) فى الأصل:  
ابوهم، وفى ظ وم ومد: البؤم - كذا فى الإدغام.



فى إتيانهم كحى بن اخطب والذين مالادهم على ذلك، و تقضوا ما كان لهم من عهد، فقال: ﴿ وانزل الذين ظاهروهم ﴾ أى عاونوا الأحزاب، ثم بينهم بقوله مبعضاً<sup>١</sup>: ﴿من اهل الكنب﴾ وهم بنو قريظة ومن دخل معهم فى حصنهم من بنى النصير كحى، وكان ذلك بعد إخراج بنى قينقاع و بنى النصير ﴿من صاصيهم﴾ أى حصونهم العالية، م جمع صيصية وهى كل ما يتمنع به من قرون البقر وغيرها بما شبه بها من الحصون.

ولما كان الإنزال من محل التمتع<sup>٢</sup> عجبا، وكان على وجوه شتى، فلم يكن صريحا فى الإذلال، فتشوفت النفس إلى بيان حاله، بين أنه الذل فقال / عاطفا بالواو ليصلح لما قبل ولما<sup>٣</sup> بعد: ﴿وقذف فى قلوبهم الرعب﴾ ١٠ / ٢٣٠ أى بعد الإنزال كما كان قذفه قبل الإنزال، فلو قدم القذف على الإنزال لما أفاد هذه الفوائد، ولا اشتدت ملائمة<sup>٤</sup> ما بعده للإنزال.

ولما ذكر ما أذلهم به، ذكر ما تأثر<sup>٥</sup> عنه مقسماله فقال: ﴿فريقا﴾ فذكره بلفظ الفرقة ونصبه ليدل بادئ بدء على أنه طوع لا يبدى الفاعلين: ﴿تقتلون﴾ وهم الرجال، وكان نحو سبعمائة. ولما بدا بما دل على ١٥ التقسيم<sup>٦</sup> بما منه الفرقة، وقدم أعظم الأثرين الناشئين عن الرعب، أولاه الأثر الآخر ليصير الأثران المحبوبان محتوشين بما يدل على الفرقة

(١) سقط من مد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: التمتع (٣) فى ظ ومد: ما (٤-٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: اشتد ملا - كذا (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تؤثر (٦) من ظ دم ومد، وفى الأصل: التقيم.

نظم الدرر (سورة الأحزاب ٢٣: ٢٦-٢٨) ج - ١٥

فقال: ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهم الذراري والنساء، ولعله آخر الفريق  
 هنا ليفيد التخيير في أمرهم، وقدم في الرجال لتحتم القتل فيهم .  
 ولما ذكر الناطق بقسميه، ذكر الصامت فقال: ﴿وَأُورِثُكُمْ أَرْضَهُمْ﴾  
 من الخدائق وغيرها؛ ولما عم خص بقوله: ﴿وَدِيَارَهُمْ﴾ لأنه يحامى  
 ٥ عليها ما لا يحامى على غيرها، ثم عم بقوله: ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بما تقدم ومن  
 غيره من التقدر الماشية والسلاح والأثاث وغيرها، فقسم ذلك  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين للفارس ثلاثة أسهم: للفارس<sup>١</sup>  
 ستهان وللفارسه<sup>٢</sup> سهم كما للراجل من ليس له فارس، وأخرج منها  
 الخمس، فعلى ستهان وقعت المقاسم ومضت السنة في المغازي<sup>٣</sup>، واصطفى  
 ١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سباياهم ربحانة بنت عمرو بن خنافة.  
 إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فلبثت قليلا، ثم أسلمت، فلأراد  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب  
 فقالت: يا رسول الله! بل تركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك،  
 فتركها حتى توفي عنها وهي [ في <sup>٤</sup> ] ملكه رضى الله عنها .

١٥ ولما كانت هذه غزوة طار رعبها في الآفاق، وأذلت أهل الشرك  
 من الأميين وغيرهم على الإطلاق، ونشرت ألوية النصر فحققت  
 أعلامها في جميع الآفاق، وأغمدت سيف الكفر وملت صارم الإيمان

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لفارس (٢) من ظ و م و مد، وفي  
 الأصل: لفارسه (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: العلوي (٤) زيد من  
 ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: دعوة .

للرؤس و الاعتاق، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبصر الناس بالحروب، وأنقذهم رأيا لما له من الثبات عند اشتداد الكرب: الآن نفروم ولا يغزونا، قال تعالى: ﴿ وارضاً لم تطوها ﴾ أى تغلوا عليها بتهيئكم<sup>١</sup> [ للغة - ٢ ] عليها وإعطائكم القوة القريبة من فتحها، وهى أرض خير أولا، ثم أرض مكة ثانيا ثم أرض فارس و الروم وغيرهما<sup>٥</sup> بما فتحه الله بعد ذلك، وكان قد حكم به فى هذه الغزوة حين أبرق تلك البرقات<sup>٦</sup> للنبي صلى الله عليه وسلم فى حفر الخندق، فأراه فى الأولى اليمن، وفى الأخرى فارس، وفى الأخرى الروم.

ولما كان ذلك أمرا باهرا، سهله بقوله: ﴿ وكان الله ﴾ أى أزلا وأبدا بما له من صفات الكمال ﴿ على كل شيء ﴾ هذا وغيره ﴿ قدرا ﴾ ١٠ أى شامل القدرة.

ولما تقرر بهذه الوقائع - التى نصر<sup>٧</sup> فيها سبحانه وحده بأسباب باطنة سببها، وأمور خفية رتبها، تعجز عنها الجيوش المتخيرة المستكبرة، والملوك المتجبرة<sup>٨</sup> المستكبرة - ما قدم من أنه كافى من توكل عليه، وأقبل بكميته إليه، وختم بصفة القدرة العامة الدائمة، تحرر<sup>٩</sup> أنه قادر على ١٥

(١) من ظ ومد، وفى الأصل وم: بتهيئكم (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ ومد، وفى الأصل وم: ارضى (٤) من م ومد، وفى الأصل و ظ: غيرها (٥) من ظ ومد، وفى الأصل وم: تلك (٦-٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ملك البرقات (٧) من م ومد، وفى الأصل و ظ: بصر (٨) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ وم، ومد فخذتها (٩) زيد فى ظ: على.

كل ما بريده، وأنه لو شاء أجرى مع وليه كنوز الأرض، وأنه لا يجوز  
 لاحد أن / براعى غيره ولا [ أن - ' ] يرمى بوجه ما سواه، وعلم  
 أن من أقبل إلى هذا الدين فأنما تقع نفسه والفضل لصاحب الدين عليه،  
 ومن أعرض [ عنه - ' ] فأنما وبال إعراضه على نفسه، ولا ضرر على  
 ٥ الدين بأعراض هذا المعرض، كما أنه لا تقع له <sup>٢</sup> بأقبال ذلك <sup>٢</sup> المقبل،  
 وكان قد فضى سبحانه أن من انقطع إليه حماء من الدنيا إكراما له  
 ورفعاً لمنزله عن خسيسها إلى قيس ما عنده، لأن كل أمرها إلى 'زواله  
 وتلاش <sup>٤</sup> واضمحلال، ولا يعلق <sup>٥</sup> همته بذلك إلا قاصر ضال، فأخذ  
 سبحانه يأمر أحب الخلق إليه، وأعزهم منزلة لديه، المعلوم امتثاله للأمر  
 ١٠ بالتوكل والإعراض عن كل ما سواه [ سبحانه - ' ] وأنه لا يختار من  
 الدنيا غير الكفاف، والقناعة والعفاف، بتخير الصق <sup>٦</sup> الناس به تأديا  
 لكافة الناس، فقال على طريق الاستنتاج عما تقدم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ذَاكِرَا  
 صفة رفعة واتصاله به سبحانه والاعلام بأسرار القلوب، وخفايا  
 الغيوب، المقنضية لأن، بفرغ فكره لما يتلقاه من المعارف. ولا يعاق <sup>٧</sup>  
 ١٥ عن شيء من ذلك بشيء من أذى: ﴿قل لا زواجك﴾ أى نساتك:  
 ﴿ان كنتن﴾ أى كونا راسطا ﴿تردن﴾ أى اختيارا على ﴿الحياة﴾

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لا (٣) من  
 ظ و م ومد، وفي الأصل: هذا (٤-٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ:  
 تلاش وزوال (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لاتعاق (٦) من ظ و م  
 ومد، وفي الأصل: الضيق (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل وم: لايعاف -

و وصفها بما يزهد فيها ذوى الهمم و يذكر من له عقل بالآخرة فقال :  
 ﴿ الدنيا ﴾ أى ما<sup>١</sup> فيها من السعة و الرفاهية<sup>٢</sup> و النعمة ﴿ و زينتها ﴾ أى  
 المنافية لما أمرنى [ به - ٢ ] ربى<sup>٣</sup> من الإعراض<sup>٤</sup> عنه و احتقاره من أمرها  
 لأنها أبغض<sup>٥</sup> خلقه إليه ، لأنها قاطعة عنه ﴿ فتعالين ﴾ أصله أن الأمر يكون  
 أعلى من المأمور ، فيدعوه أن يرفع نفسه إليه ثم كثر حتى صار معناه : ه  
 أقبل ، و هو هنا كناية عن الإخبار و الإرادة بعلاقة أن المخبر يدنو إلى من  
 يخبره ﴿ امتعكن ﴾ أى بما أحسن [ به - ٢ ] إليكن ﴿ و اسرحكن ﴾ أى  
 من حباله تصمتى ﴿ سراحا جميلا ﴾ أى ليس فيه مضارة ، و لا نوع حقد  
 و لا مفاخرة ﴿ و ان كنتن ﴾ بما لكن من الجبلة ﴿ تردن الله ﴾ أى  
 الأمر بالإعراض عن الدنيا للآلاء علاء إلى ما له من رتب الكمال ﴿ و رسوله ﴾ ١٠  
 المؤتمر بما أمره به من الانسلاخ عنها المبلغ للعباد جميع ما أرسله به  
 من أمر الدنيا و الدين لا يدع منه شيئا ، لما له عليكن و على سائر  
 الناس من الحق بما يبلغهم عن الله ﴿ و الدار الآخرة ﴾ التى هى  
 الحيوان بما<sup>٦</sup> لها من البقاء ، و العلو و الارتقاء .

و لما كان ما كل من أظهر شيئا كان على الرتبة فيه ، قال مؤكدا ١٥  
 تنبيها على أن ما يقوله مما يقطع به و ينبغى تأكيده دفعا لظن من  
 يغلب عليه حال البشر فيظن فيه الظنون من أهل النفاق و غيرهم ، أو يعمل  
 عمل من يظن ذلك أو يستبعد وقوعه في الدنيا أو<sup>٧</sup> الآخرة : ﴿ فان الله ﴾  
 (١) سقط من ظ (٢) في م و مد : الرفاهة (٣) زيد من ظ و م و مد .  
 (٤-٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالإعراض (هـ) من م و مد ، و في  
 الأصل و ظ : اتقضى (٦) في م و مد : لا (٧) في ظ و م و مد .

أى ' بما له من جميع صفات الكمال ' ( اعد ) فى الدنيا والآخرة  
 ( للحسنت منكن ) أى اللاتى يفعلن ذلك ومن ' فى مقام المشاهدة وهو  
 يعلم المحسن من غيره ( اجرا عظيما ) أى تحقروا له الدنيا و [ كل - ]  
 ما فيها من زينة و نعمة .

٥ ولما أتى سبحانه بهذه العبارة الحكيمة الصالحة مع البيان للتبويض  
 ترهيبا فى ترغيب ، أحسن كلهن و حقق / بما تخلقن به أن ' من '  
 للبيان ، فان النبى صلى الله عليه وسلم عرض عليهن رضى الله عنهن ذلك ،  
 وبدأ بعائشة رضى الله عنها رأس المحسنات إذ ذاك رضى الله عنها  
 " وعن أبيها " و قال لها : إني قاتل لك أمرا فلا عليك أن لاتعجل حتى  
 ١٠ تستأمرى أبوك ، فلما تلاها عليها قالت منكورة لتوقفها [ فى الخبر - ] :  
 أفى هذا أستأمر أبوى ، فأتى أختار الله و رسوله والدار الآخرة . ثم  
 عرض ذلك على جميع أزواجه فافقدين كلهن " بعائشة رضى الله عنهن  
 فكانت لهن إماما فالت إلى أجرتها مثل أجورهن " - روى ذلك البخارى '  
 وغيره عن عائشة رضى الله عنها ، وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم  
 ١٥ وجد على نسائه رضى الله عنهن فآلى منهن شهرا ، فلما انقضى الشهر نزل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الاحسان ، و الكلمة ساقطة  
 من ظ (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : هى (٤) من ظ و م و مد ، وفى  
 الأصل : يحقر (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :  
 النعمة (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٨) تأخر فى م و مد عن  
 " رضى الله عنهن " (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اجرهن (١٠) اراجع

صحيحه ٧٠٥ / ٢

١ 'إليه من' غرفة كان اعتزل فيها وقد أنزل [الله - ٢] عليه الآيات،  
 فغيرهم. فاخترته رضى الله عنهم، و سبب ذلك أن منهم من سأل  
 التوسع في النفقة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحب التوسع  
 في الدنيا، روى الشيخان<sup>٢</sup> رضى الله عنهما عن عائشة رضى الله عنها  
 قالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم، من خبز شعير يومين ٥  
 متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، و روى الحديث  
 البيهقي و لفظه: قالت: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام  
 متوالية و لو شئنا لشعنا، ولكنه كان يؤثر على نفسه، و روى الطبراني  
 في الأوسط عنها<sup>٣</sup> أيضا رضى الله عنها<sup>٤</sup> قالت: قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم: من سأل عني أو سره أن<sup>٥</sup> ينظر إلى فلينظر إلى أشعث ١٠  
 صاحب مشعر لم يضع<sup>٦</sup> لبتة على لبتة ولا قصبة على قصبة، رفع له علم  
 فشم إليه، [اليوم - ٢] المضار و غدا السباق. والغاية الجنة أو النار.  
 ولما كان الله سبحانه قد أمضى حكمته في هذه الدار في [أنه - ٣] لا يقبل  
 قول<sup>٧</sup> إلا ببيان، قال سبحانه متهددا<sup>٨</sup> على ما قد أعادهن الله منه. فالمراد  
 منه بيان أنه رفع مقاديرهن، ولذلك ذكر الأفعال المستندة إليهن اعتبارا ١٥

(١ - ١) من م و مد، وفي الأصل و ظ: التمين عن (٢) زيد من ظ و م  
 و مد (٣) البخاري في أبواب الأطعمة و مسلم في أبواب الزهد (٤ - ٤) سقط  
 بين ما الرقين من ظ (٥) من ظ و م و مد. وفي الأصل و و (٦) من ظ  
 و م و مد، وفي الأصل: لم يصنع (٧) من م و مد. وفي الأصل و ظ: قولاً.  
 (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ممتدداً.

نظم الدرر (سورة الاحزاب ٢٣ : ٣١ و ٣٠) ج - ١٥

بلفظ "من" و التنيه على غلط من جعل صحة الاشراف دافعة للعقاب  
على الإسراف، و معلية بانها إنما تكون سببا للاضعاف : ﴿يَأْسَاءُ النَّبِيُّ﴾  
[أى - ' ] المختارات له لما بينه و بين الله بما يظهر شرفه ﴿من يات﴾  
قراءة يعقوب على ما نقله البغوى<sup>٢</sup> بالمشقة الفوقاية على معنى 'من'  
دون لفظها، و هى قراءة شاذة نقلها الأهوازى فى كتاب الشواذ عن  
ابن مسلم عنه : وقرأ<sup>١</sup> الجماعة بالتحانية على اللفظ و كذا "يقنت"  
﴿مكن بفاحشة﴾ أى من قول أو فعل كالنشوز و سوء الخلق باختيار  
الحياة الدنيا و زيتها على الله و رسوله أو غير ذلك ﴿مينة﴾ أى واضحة  
ظاهرة فى نفسها تكاد تنادى بذلك من سوء خلق و نشوز أو غير ذلك  
﴿يضعف لها العذاب﴾ أى بسبب ذلك . و لما<sup>٢</sup> هول الأمر بالمفاعلة  
فى قراءة نافع<sup>١</sup> المفهمة<sup>١١</sup> لاكثر من اثنين كما مضى فى البقرة، سهله  
بقوله<sup>١٢</sup> : ﴿ضعفين﴾ أى بالنسبة إلى ما غيرها لأن مقدارها لا يعشره مقدار  
غيرها كما جعل حد الحر ضعفى<sup>١٣</sup> ما للعبد، و كما جعل أجرهن مرتين،  
واشتد العتاب فيما بين الأحباب، و على قدر علو المقام يكون الملام.

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م  
و مد لحذفها (٣) فى معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ٢١٢ (٤) من ظ و م  
و مد، و فى الأصل : الفوقية (٥) زيد فى الأصل : ما، و لم تكن الزيادة فى  
ظ و م و مد لحذفها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قراة (٧) سقط  
من م (٨) العبارة من هنا إلى «سهله» - اقطعة من م (٩) سقط من ظ، و راجع  
نثر الرجان ٥ / ٤٠٣ (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل : المنعة (١١) فى م و  
فقال (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ضعف .



[و-<sup>١</sup>] بقدر النعمة تكون النعمة. وكل من بناء يضاعف للجهول من باب المفاعلة أو<sup>٢</sup> التفعيل<sup>٣</sup> لآبى جعفر والبصريين<sup>٤</sup> أو للفاعل بالنون عند ابن كثير وابن عامر<sup>٥</sup> يدل على عظمته سبحانه، و البناء للجهول يدل على العناية بالتهويل / بالعذاب بجعله<sup>٦</sup> عمدة الكلام و صاحب<sup>٧</sup> الجملة ٢٢٣ /  
باسناد الفعل إليه، وذلك كله إشارة إلى أن الأمور الكبار صغيرة عنده<sup>٨</sup> سبحانه لأنه لا يضره شيء ولا ينفعه شيء ولا يوجب شيء من الأشياء له حدوث شيء<sup>٩</sup> لم يكن، ولذلك قال: ﴿وكان ذلك﴾ أى مع كونه عظيما عندهم ﴿على الله يسيرا﴾ فهذا ناظر إلى مقام الجلال والكبرياء والعظمة.

و لما قدم دره المفسد الذى هو من<sup>١٠</sup> باب التخلي، أتبعه جلب المصالح ١٠  
الذى هو [من -<sup>١١</sup>] طراز التحلى فقال: ﴿و من يقنت﴾ أى يخلص الطاعة، و تقدم توجيه قراءة يعقوب بالفوقانية على ما حكاه البغوى و الأهوازى فى الشواذ عن ابن مسلم ﴿مكن الله﴾ الذى هو أهل لئلا يلتفت إلى غيره لأنه [لا -<sup>١٢</sup>] أعظم منه بادامة الطاعة فلا يخرج عن مراقبته أصلا ﴿ورسوله﴾ فلا تغاضبه ولا تطلب منه شيئا، ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد (هـ) سقط ما بين الرقين من م (٤) فى ظ و مد: لعله (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مصاحب (٦) زيد فى الأصل: لو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٧) سقط من ظ. (٨) زيد من م و مد (٩) و من هنا يبتدى الجزء الثانى والعشرون من القرآن الكريم (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لا تغضب.

نظم الدرر (سورة الأحزاب ٣٣: ٣١ و ٣٢) ج - ١٥

ولا تختار عيشا غير عيشه، فانه يجب علي كل<sup>١</sup> أحد تصفية فكره،  
و تهدئة باله و سره، ليتمكن غاية التمكن من إنفاذ أوامرنا و القيام بما  
أرسلناه بسببه من رحمة العباد، بانقادهم بما هم فيه من الانكاد.

ولما كان ذلك قد يفهم الاقتصار على [عمل - ٢] القلب قال:

٥ (و تعمل) قرأها حمزة و الكسائي<sup>٢</sup> بالتحانية ردا على لفظ "من"

حاشا لمن على منازل الرجال، و قراءة الجماعة بالفوقانية على معناها على  
الأصل مشيرة إلى الرفق بهن في عمل الجوارح و الرضا بالمستطاع كما  
قال عليه أفضل الصلاة و السلام<sup>٣</sup>: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم.  
و أما عمل القلب فلا رضى فيه بدون الغاية، فلذا كان<sup>٤</sup> "يقنت"

١٠ مذكرا لا على شذوذ (صالحا) أى في<sup>٥</sup> جميع ما أمر به سبحانه أو<sup>٦</sup>

نهى عنه (نوتها) أى بما لنا من العظمة على قراءة الجماعة بالنون<sup>٧</sup>،

و قراءة حمزة و الكسائي بالتحانية على أن الضمير لله (أجرها مرتين<sup>٨</sup>)

أى بالنسبة إلى أجر غيرها من نساء بقية<sup>٩</sup> الناس (و اعتدنا) أى هيأنا

بما لنا من العظمة و أحضرنا (لها) بسبب قناعتها مع النبي صلى الله

١٥ عليه و سلم المرید للتخلي من الدنيا التى يبغضها الله مع ما فى ذلك

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) راجع نثر الرجاء ٤/٤٠٤.

(٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مناز (٥) من ظ و م و مد، وفى

الأصل: قرأ (٦) أخرجه البخارى فى أبواب الاعتصام و مسلم فى أبواب

الفضائل (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كانت (٨) من ظ و م و مد،

وفى الأصل: من (٩) فى ظ و م و م (١٠) فى الأصل يابض، ملأناه من

ظ و م و مد.

من توفير الحظ في الآخرة ( رزقا كريما ) أى في الدنيا والآخرة ،  
فلا شيء أكرم منه لأن ما في الدنيا منه يوفق<sup>١</sup> لصرفه على وجه يكون  
فيه أعظم الثواب ، ولا يخشى من أجله نوع عتاب فضلا عن عقاب ،  
وما في الآخرة منه لا يوصف ولا يحمد ، ولا نكد فيه بوجه  
أصلا ولا كد<sup>٢</sup> .

و لما كان لكل حق حقيقة ، ولكل قول صادق بيان ، قال مؤذنا  
بفضلهم : ( ينسأ النبي ) أى<sup>٣</sup> الذى أنتن من أعلم<sup>٤</sup> الناس بما بينه  
وبين الله من الإنباء بدقائق الأمور وخفايا<sup>٥</sup> الأسرار وما له من الزلفى  
لديه ( لستن كأحد ) قال البغوى<sup>٦</sup> : ولم يقل : كواحدة<sup>٧</sup> ، لأن الواحد عام  
يصلح للواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث - انتهى ، فالمنى كجماعات<sup>٨</sup> .  
من جماعات النساء إذا تقصت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد فيهن جماعة  
تساويكن في الفضل لما خصكن الله<sup>٩</sup> به من قربة بقرب رسول الله  
/ صلى الله عليه وسلم ، وتزول الوحي الذى بينه وبين الله فى بيوتكن .  
و لما كان المعنى : بل أنتن أعلى النساء ، ذكر<sup>١٠</sup> : شرط ذلك فقال :

٢٣٤ /

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : موفق (٢) من ظ و م ومد ، وفى  
الأصل : كدر (٣) زيد فى ظ : من (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل :  
اعظم (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : خفيات (٦) راجع معالم التنزيل  
بهاشم الباب ٢١٢/٥ (٧) من ظ و م ومد والعالم ، وفى الأصل : كوحدة (٨) من  
ظ و م ومد ، وفى الأصل : جماعة (٩) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : له .  
(١٠) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : ذكر .

نظم الدرر ( سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٢ و ٣٣ ) ج - ١٥

( ان اتقيتن ) أى جعلتن يئسكن و بين غضب الله و غضب رسوله وقاية ، ثم سبب عن هذا النفي قوله : ( فلا تخضعن ) أى إذا تكلمتن بحضرة أجنبي ( بالقول ) أى بأن يكون [لينا -<sup>١</sup>] عذبا رخما ، و الخضوع التظامن و التواضع و اللين و الدعوة إلى السوء ؛ ثم سبب عن الخضوع : قوله : ( فيطمع ) أى فى الخيانة ( الذى فى قلبه مرض ) أى فساد و رية ، و التعبير بالطمع للدلالة على [أن -<sup>٢</sup>] أمنيته لاسبب لها فى الحقيقة ، لأن اللين فى كلام النساء خلق لهن لا تكلف فيه ، فأريد من نساء النبي صلى الله عليه و سلم التكلف للآتيان بضده .

و لما نهاهن عن الاسترسال مع سجية النساء فى رخامة الصوت ، ١٠ أمرهن بضده فقال : ( و قلن قولا معروفا ) أى<sup>٢</sup> يعرف أنه بعيد عن محل الطمع .

و لما تقدم إليهن فى القول و قدمه لعمومه<sup>٤</sup> ، أتبعه الفعل فقال : ( و قرن ) أى اسكنن و امكنن دائما ( فى بيوتكن ) فن كسر القاف و هم غير<sup>٥</sup> المدنين<sup>٦</sup> و عاصم<sup>٧</sup> جعل الماضى قررا<sup>٨</sup> بفتح العين ، و من فتحه ١٥ فهو عنده قررا<sup>٩</sup> بكسرهما ، و هما لغتان .

و لما أمرهن بالقرار ، نهاهن عن ضده مبشعاً له ، فقال : ( ولا تبرجن )

(١) زيد من ظ و م و مده (٢) زيد من م و مده (٣) من م و مده ، و فى الأصل و ظ : انه (٤) من ظ و م و مده ، و فى الأصل : بعمومه (٥) سقط من ظ و م و مده (٦) من ظ و مده ، و فى الأصل : المدنيون ، و فى م : المدنيان . (٧) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٠٦ (٨) من م و مده ، و فى الأصل و ظ : قرن .

أى تظاهرن من البيوت بغير حاجة محوجة ، [فهو<sup>١</sup>] من وادى أمر  
النبي صلى الله عليه وسلم لمن بعد حجة الوداع بلزوم ظهور الحصر  
(تبرج الجاهلية الاولى) أى المتقدمة على الإسلام وعلى ما قبل الأمر  
بالحجاب ، بالخروج<sup>٢</sup> من بيت والدخول فى آخر ، والاولى لا تقتضى  
أخرى كما ذكره البغوى<sup>٣</sup> ، وعن ابن عباس<sup>٤</sup> رضى الله عنهما أنها ما بين ٥  
نوح وإدريس عليهما السلام ، تبرج [فيها-<sup>٥</sup>] نساء السهول - وكن  
صباحا و [فى-<sup>٦</sup>] رجالهن دمامة - لرجال الجبال وكانوا صباحا وفى  
نسائهن دمامة ، فكثرت الفساد ، وعلى هذا فلها ثانية .  
ولما أمرهن بلزوم البيوت للتخلى عن<sup>٧</sup> الشوائب ، أرشدن إلى  
التحلى بالרגائب ، فقال : (واقن الصلوة) أى فرضا وتقلا ، صلة ١٠  
لما يمكن وبين الخالق لأن<sup>٨</sup> الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر  
(واثنين الزكوة) إحسانا إلى الخلاق ، وفى هذا بشارة بالفتوح  
وتوسيع الدنيا عليهن ، فان العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوت  
فضلا عن الزكاة .

ولما أمرهن بخصوص ما تقدم لأنهما أصل الطاعات البدنية والمالية ، ١٥  
ومن اعتنى بهما حق الاعتناء جرتاه إلى ما وراءهما ، عم وجمع فى قوله :  
(واطن الله) أى ذاكرات ماله<sup>٩</sup> من صفات الكمال (ورسوله<sup>١٠</sup>)  
(١) زيد من ظ و م ومد (٢) فى ظ : من الخروج (٣) راجع معالم التنزيل  
بهاشم الباب ٥ / ٢١٣ (٤) زيد من ظ ومد (٥) زيد من م ومد (٦) من  
ظ و م ومد ، وفى الأصل : من (٧) فى ظ و م ومد : ان (٨) ومن هنا  
تنقطع نسخة م إلى ما سنبه عليه .

نظم الدرر (سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣ و ٣٤) ج - ١٥

في جميع ما يأمران به فانه لم يرسل إلا للأمر والنهي تخلصا للخلاق  
من أسر الهوى .

و لما كانت هذه الآيات قد نهت عن الرذائل ، فكانت عنها أشرف  
الفضائل ، قال مينا أن ذلك إنما هو لتشريف أهل النبي صلى الله عليه  
وسلم لتزيد الرغبة في ذلك مؤكدا دفعا لوم من يتوهم أن ذلك لهوان  
أو غير ذلك من نقصان و حرمان : ﴿ إنما يريد الله ﴾ أى وهو ذو الجلال  
والجمال بما أمركم به ونهاكم عنه من الإعراض عن الزينة وما تبعها ،  
والإقبال عليه ، عزوفكم عن الدنيا و كل ما تكون سبيله ﴿ ليذهب ﴾  
[ أى - ' ] لأجل أن يذهب ﴿ عنكم الرجس ﴾ أى الأمر الذى يلزمه  
١٠ / ٢٣٥ دائما الاستقذار و الاضطراب من مذام / الأخلاق كلها ﴿ أهل ﴾  
يا أهل ﴿ البيت ﴾ أى من كل من تكون من إلزام النبي صلى الله عليه  
وسلم من الرجال و النساء من الأزواج و الإماء و الأقارب ، وكلما كان  
الإنسان منهم أقرب و بالنبي صلى الله عليه وسلم أخص و ألزم ، كان  
بالإرادة<sup>٢</sup> أحق و أجدر .

١٥ و لما استعار للمعصية الرجس ، استعار للطاعة الطهر ، ترغيا لأصحاب

الطباع السليمة و العقول المستقيمة ، في الطاعة ، و تفيرا لهم عن المعصية  
فقال<sup>٤</sup> : ﴿ و يطهركم ﴾ أى يفعل في طهركم بالصيانة<sup>٥</sup> عن جميع القاذورات

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيدت الواو في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد  
لحذفها (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : بالاراءة (٤) من مد ، و في الأصل  
و ظ : قال (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : الصيانة .

الحسية و المعنوية فعل المبالغ فيه ، و زاد ذلك عظما بالمصدر فقال :  
( تطهيرا ٤ ) .

و لما ذكر ذلك إلى أن ختم بالتطهير ، أتبعه التذكير بما أنعم سبحانه  
به عما أثره التطهير من التأهيل لمشاهدة ' ما يتكرر من تردد ' الملائكة  
بنزول الوحي الذي هو السبب في كل طهر ظاهر و باطن ، فقال خصصا ه  
[ من - ٢ ] السياق لأجلهن رضى الله عنهن ، منها لمن على أن يوتهن  
مهابط الوحي و معادن الأسرار : ( و اذكرن ) أى فى أنفسكن ذكرا  
دائما ، و اذكرنه لغيركن على جهة الوعظ و التعليم .

و لما كانت العناية بالمتلو ، بينها باسناد الفعل إليه لبيان انه عمدة  
الجملة فقال بانبا للفعول : ( ما يتلى ) أى يتابع و يوالى ذكره و التخلق ١٠  
به ، و أشار لمن إلى ما خصهن منه من الشرف فقال : ( فى يوتكن )  
أى بواسطة النبي صلى الله عليه و سلم الذى خيركن ( من أينت الله )  
الذى لا أعظم منه .

و لما كان المراد بذلك القرآن ، عطف عليه ما هو أعم منه ،  
فقال \* مبينا لشدة الاهتمام به بادخاله فى جملة المتلو اعتمادا على أن ١٥  
العامل فيه معروف لأن ٦ التلاوة لا يقال فى غير الكتاب : ( و الحكمة ٧ )

( ١ ) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمشاهدة ( ٢ ) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
ترداد ( ٣ ) زيد من ظ و مد ( ٤ ) سقط من ظ ( ٥ ) تأخر فى الأصل عن  
\* غير الكتاب ، و الترتيب من ظ و مد ( ٦ ) من ظ و مد ، و فى  
الأصل : و ان .

أى و يث و ينشر من العلم المزين بالعمل و العمل المتقن بالعلم ، و لاتنسين شيئا من ذلك .

و لما كان السياق للاعراض عن الدنيا ، وكانت<sup>١</sup> الحكمة منفرة عنها ، أشار بختام الآية إلى أنها مع كونها محصلة لفوز الأخرى جالبة لخير الدنيا ، فقال مؤكدا ردعا لمن يشك في أن الرفعة يوصل إليها بضدها و نحو ذلك مما تضمنه الخبر من جليل العبر : ( ان الله ) أى الذى له جميع العظمة ( كان ) أى لم يزل ( لطيفا ) أى يوصل إلى المقاصد بوسائل الاضداد ( خيرا ) أى يدق علمه عن إدراك الأفكار ، فهو يحمل الإعراض عن الدنيا جالبا [ لها - ٢ ] على أجمل الطرائق و أكل الخلاق و إن رغمت أنوف جميع الخلاق ، و يعلم من يصلح لبيت النبى صلى الله عليه وسلم و من لا يصلح<sup>٢</sup> ، و ما يصلح الناس دنيا و دينا و ما لا يصلحهم ، و الطرق الموصلة إلى كل ما قضاه و قدره و إن كانت<sup>١</sup> على غير ما بألفه الناس د من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة<sup>٤</sup> و رزقه<sup>٤</sup> من حيث لا يحتسب ، رواه الطبرانى فى الصغير و ابن أبى الدنيا و البيهقى ١٥ فى الشعب عن عمران بن حصين رضى الله عنه د من توكل على الله كفاه ، و من انقطع إلى الدنيا و كله الله إليهما - رواه صاحب الفردوس و أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الثواب عن عمران رضى الله عنه أيضا ، و لقد صدق الله سبحانه وعده فى لطفه و حقق بره فى خبره بأن فتح (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤-١) تكرر فى ظ و مد .



على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك خير، فأفاض بها ما شاء من<sup>١</sup>  
 رزقه الواسع، ثم لما توفي نبيه صلى الله عليه وسلم ليحميه من زهرة  
 الحياة الدنيا فتح الفتوحات الكبار من بلاد / فارس و الروم و مصر  
 و ما بقي من اليمن، فعم الفتح جميع الأقطار<sup>٢</sup>: الشرق و الغرب و الجنوب  
 و الشمال، و مكن أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من كنوز جميع<sup>٣</sup>  
 [تلك - ٢] البلاد و ذخائر أولئك الملوك حتى صار الصحابة رضوان الله  
 عليهم يكيلون المال كيلا، و زاد الأمر حتى دون عمر الدواوين و فرض  
 للناس [عام - ٢] أرزاقهم حتى للرضعاء، و كان أولا لا يفرض للولود  
 حتى يفطم، فكانوا يستعجلون بالفطام فنادى مناديه: لاتعجلوا أولادكم  
 بالفطام فانا نقرض لكل مولود في الإسلام، و فاوت بين الناس في العطاء<sup>١٠</sup>  
 بحسب القرب من النبي صلى الله عليه وسلم و البعد منه، و بحسب السابقة  
 في الإسلام و الهجرة، و نزل الناس منازلهم "بحيث أَرْضَى" جميع الناس  
 حتى قدم عليه خالد بن عرفطة فسأله عما وراءه فقال: تركتهم يسألون  
 الله لك أن يزيد في عمرك من أعمارهم، فقال<sup>١</sup> عمر رضى الله عنه: إنما  
 هو حقهم و أنا أسعد بأدائه إليهم، لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه،<sup>١٥</sup>  
 ولكن قد علمت أن فيه فضلا، فلو أنه إذا خرج عطاء أحدهم ابتاع منه

---

(١) زيد في ظ: بها (٢) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ و مد  
 فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: السابقة.  
 (هـ) من ظ و مد، وفي الأصل: بحسب أراضى (٦) في ظ و مد: قال.

نظم الدرر (سورة الاحزاب ٣٣: ٢٤ و ٢٥) ج - ١٥

غما، فجعلها بسوادكم، فاذا خرج عطاؤه ثانية<sup>١</sup> ابتاع الرأس و الرأسين  
 فجعله فيها، فان بقي أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه، فاني  
 لا أدري ما يكون بعدى، وإني لأعم بنصيحتي كل من طوقى الله أمره،  
 فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من مات غائباً لرعيته لم يرح  
 ٥ ربح الجنة<sup>٢</sup>، فكان فرضه لآل زواج النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر  
 ألفاً لكل واحدة وهي نحو ألف دينار في كل سنة، وأعطى عائشة  
 رضى الله عنها خمسة<sup>٣</sup> وعشرين ألفاً لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 إياها، فأبت أن تأخذ إلا ما يأخذه صواجاتها، وروى عن برزة بنت  
 رافع قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر رضى الله عنه إلى زينب بنت  
 ١٠ جحش رضى الله عنها بالذى لها فلما أدخل إليها قالت: غفر الله لعمر! غيرى<sup>٤</sup>  
 من أخواني أقوى على قسم هذا منى، قالوا: هذا كله لك يا أم المؤمنين،  
 قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب، ثم قالت: صبوه واطرحوا  
 عليه ثوبا، ثم قالت لى: "أدخل يدك" وأقبضى منه قبضة فاذهبى بها  
 إلى بنى فلان وبنى فلان من ذوى رحها وأيتام لها، فقسمته حتى بقيت  
 ١٥ منه بقية تحت الثوب، قالت برزة بنت رافع: فقلت: غفر الله لك يا أم  
 المؤمنين، والله لقد كان لنا فى هذا المال حق، قالت: فلكم ما تحت الثوب،

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: ثانيا (٢) أخرج نحوه الإمام أحمد فى مسنده  
 ٥ / ٢٥ عن معقل بن يسار (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: خمساً (٤) من ظ  
 و مد، وفى الأصل: عرقى - كذا (هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد.  
 (٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل: ادخل (٧) من ظ و مد، وفى  
 الأصل: امير.

فوجدنا تحته خمسمائة و ثمانين درهما ، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت :  
اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا ، فماتت - ذكر ذلك البلاذرى  
فى كتاب فتوح البلاد .

و لما حث سبحانه على المكارم و الأخلاق الزاكية ، و ختم بالتذكير  
بالآيات و الحكمة ، أتبعه ما لمن تلبس من أهل البيت بما يدعو إليه .  
ذلك من صفات الكمال ، ولكنه ذكره على وجه يعم غيرهم من ذكر  
و أتى مشاكلة لعموم الدعوة و شمول الرسالة ، فقال جوابا لقول النساء :  
يا رسول الله ! ذكر الله الرجال و لم يذكر النساء بخير فما خیر نذكر به ،  
إننا نخاف أن لا يقبل منا طاعة ، بادئا بالوصف الأول الأعم الأشهر من  
أوصاف أهل هذا الدين مؤكدا لأجل كثرة المنافقين المكذبين بمضمون ١٥

٢٣٧ /

هذا الخبر و غيرهم / من المصالحين : ( ان المسلمين ) و لما كان اختلاف  
النوع موجبا للمطف ، قال معلما بالتشريك فى الحكم : ( و المسلمت ) .  
و لما كان الإسلام مع كونه أكل الأوصاف و أعلاها يمكن  
[ أن يكون - ' ] بالظاهر فقط ، أتبعه المحقق له و هو إسلام الباطن

بالصدق التام بغاية الإذعان ، فقال عاطفا له و لما بعده من الأوصاف ١٥  
التي يمكن اجتماعها بالوارى للدلالة على تمكن الجامعين لهذه الأوصاف من  
كل وصف منها : ( و المؤمنين و المؤمنت ) و لما كان [ المؤمن - ' ] المسلم  
قد لا يكون فى أعماله مخلصا قال : ( و الفقتين ) أى المخلصين فى إيمانهم

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : لها (٣) فى  
ظ و مد : فى .

وإسلامهم ﴿وَالْقَنُوتُ﴾ ولما كان القنوت كما يطلق على الإخلاص المقضى  
للدائمة قد يطلق على مطلق الطاعة قال : ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في ذلك كله  
﴿وَالصَّدَقَاتِ﴾ أى في إخلاصهم في الطاعة، وذلك يقتضى الدوام .

ولما كان الصديق - وهو إخلاص القول والعمل عن شوب يلحقه  
أو شيء يدينه - قد لا يكون دائما، قال مشيرا إلى أن ما لا يكون دائما  
لا يكون صدقا في الواقع : ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ ولما كان الصبر  
قد يكون بحجة، دل على صرفه إلى الله بقوله : ﴿وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ﴾  
ولما كان الخشوع - وهو الخضوع والإخبات والسكون - لا يصح

مع توفير المال فانه سيكون إليه، قال معلما إنه إذ ذاك لا يكون على  
١٠ حقيقة : ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ أى المتقين أموالهم في رضى الله بغاية الجهد

من نفوسهم [بما أشار إليه إظهار التاء - ٢] فرضا وتطوعا سرا وعلانية<sup>١</sup>  
بما أرشد إليه الإظهار [أيضا - ٢] تصديقا لخشوعهم ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ .

ولما كان بذل المال قد لا يكون مع الإيتار، أتبعه ما يعين عليه  
فقال : ﴿وَالصَّائِمِينَ﴾ أى تطوعا للإيتار بالقنوت وغير ذلك

١٥ ﴿وَالصَّائِمَاتِ﴾ ولما كان الصوم يكسر شهوة الفرج وقد يثيرها، قال :

﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ أى عما لا يحل لهم بالصوم وما<sup>٢</sup> أثاره الصوم<sup>٣</sup>  
﴿وَالْحَافِظَاتِ﴾ ولما كان حفظ الفروج<sup>٤</sup> وسائر الأعمال لا تكاد توجد

(١-٢) من ظ و مد، وفي الأصل : فلا (٢) من ظ و مد، وفي الأصل :

قال الله سبحانه (٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ و مد : علنا (٥) في ظ و مد :

عما (٦) زيد في الأصل : منه ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفنا (٧) في ظ

و مد : الفرج .

إلا بالذكر . وهو الذى فيه ' المراقبة الموصلة إلى المحاضرة المحققة للشاهدة المحيية بالفناء قال : ( والذكرين الله ) أى مع [ استحضار - ٢ ] ما له من الكمال بصفات الجلال والجمال ( كثيرا ) بالقلب و اللسان فى كل حالة ( والذكرت لا ) ومن علامات الإكثار من الذكر اللهب به عند الاستيقاظ من النوم .

و لما كان المطيع وإن جاوز الحد فى الاجتهاد مقصرا عن بلوغ ما يحق له ، أشار إلى ذلك سبحانه بقوله مكررا الاسم الأعظم إشارة إلى ذلك وإلى صغر الذنوب إذا نسبت إلى عفوه : ( اعد الله ) أى الذى لا يقدر أحد أن يقدره حق قدره مع أنه لا يتعاضده شئ . ( لهم مغفرة ) أى لغفواتهم وما أتوه من سيئاتهم بحيث يمحو عنه ١٠ وأثره ، فلا عتاب ولا عقاب ، ولا ذكر له بسبب من الأسباب .

و لما ذكر الفضل بالتجاوز ، أتبعه التفضل<sup>٢</sup> بالكرم والرحمة فقال : ( واجرا عظيماء ) وإعداد الأجر يدل على أن المراد بهذه الأوصاف [ اجتماعها لأن مظهر الإسلام نفاقا كافر ، وتارك شئ من الأوصاف - ٢ ] متصف بضده ، وحيث يكون مخلا بالباقي ، وأن المراد بالعطف التمكن ١٥

و الرسوخ فى كل وصف منها زيادة على التمكن الذى أفاده / التعبير ٢٣٨ / بالوصف دون الفعل ، وحيث تعدد الكبار فيتأتى ' تكفير الصغار ، فتأتى المغفرة والأجر ، وأما آية التحريم<sup>٣</sup> فلم تعطف لثلاثين لأنهن (١) فى ظ : عنه ، والكلمة ساقطة من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : التفضيل (٤) فى ظ و مد : فيأتى (٥) راجع آية .

أنواع كل نوع يتفرد بوصف، وإفادة الرسوخ هنا<sup>١</sup> في الأوصاف من سياق الامتنان والمدح بكونهن خيرا .

ولما كان الله سبحانه قد قدم<sup>٢</sup> قوله ” النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم “ - الآية، فعلم<sup>٣</sup> قطعاً أنه تسبب عنها ما تقديره: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له ولي غير النبي صلى الله عليه وسلم، فطوى ذلك للعلم به، واستدل على مضمون الآية وما قبلها بقصة الأحزاب، وأتبعها نتيجة ذلك بما ذكر في تأديب الأزواج له صلى الله عليه وسلم وتهذيبهن لأجله وتطهير أهل بيته وتكريمهم حتى ختم سبحانه بالصفات<sup>٤</sup> العشر التي بدأها بالإسلام الذي ليس معه شيء من الإباء<sup>٥</sup>، وختمها بأن ذكر الله يكون ملىء القلب والفم وهو داع إلى مثل<sup>٦</sup> ذلك لأنه سبب الإسلام، عطف على مسبب<sup>٧</sup> آية الولاية ما يقتضيه كثرة الذكر من قوله: ﴿ وما كان ﴾ .

ولما كان الإيمان قد يدعى<sup>٨</sup> كذباً لحفاء به<sup>٩</sup>، قال: ﴿ لمؤمن ﴾ أى من عبد الله بن جحش وزيد وغيرهما ﴿ ولا مؤمنة ﴾ أى من زينب<sup>١٠</sup> وغيرها، فعلق الأمر بالإيمان إعلالاً بأن من اعترض غير مؤمن وإن أظهر الإيمان بلسانه ﴿ إذا قضى الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ينبغي

(١) فى ظ و مد: هناك (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: قوم (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: نعظم (٤) فى ظ: بالصافات - خطأ (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الأياد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: ميل (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: سبب (٨-٨) من ظ و مد، وفى الأصل: كذا بالخفية .

لعاقل التوقف في أمره ( ورسولة ) الذي لا يعرف قضاؤه إلا به  
( امرا ) أى أى أمر كان .

ولما كان المراد كل مؤمن، والعبارة صالحة له<sup>١</sup>، وكان النفي عن  
المجموع كله نفياً عما قل عنه من باب الأولى، قال : ( ان تكون ) أى  
كونا راسخا على قراءة الجماعة بالفوقانية<sup>٢</sup>، وفي غاية الرسوخ على<sup>٣</sup> قراءة هـ  
الكوفيين<sup>٤</sup> بالتحنانية ( لهم ) أى خاصة ( الخيرة ) مصدر من تخير  
كالطيرة<sup>٥</sup> من تطير على غير قياس ( من امرهم ) أى الخاص بهم باستخارة  
الله ولا يغيرها ليفعلوا خلاف ذلك القضاء، فان المراد بالاستخارة ظن  
ما اختاره الله، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم قطعى الدلالة على  
[ ما - ١ ]<sup>٦</sup> اختاره الله تعالى، وفي هذا عتاب لزيب رضى الله عنها على تعليق ١٠  
الإجابة للنبي صلى الله عليه وسلم عند ما خطبها لنفسه الشريفة على  
الاستخارة، وعلى كراحتها عند ما خطبها لزيب مولاه، ولكنها<sup>٧</sup> لما  
قدمت بعد نزول الآية خيرته صلى الله عليه وسلم في تزويجها من زيد  
رضى الله عنهما على خيرتها، عوضها الله أن صيرها لنبيه صلى الله عليه  
وسلم ومعها في الجنة في أعلى الدرجات، فالخيرة للنبي صلى الله عليه وسلم ١٥  
لأنه لا ينطق عن الهوى، فمن فعل غير ذلك فقد عصى النبي صلى الله

(١) سقط من ظ (٢) راجع نثر المرجان ٥/ ٤١١ (٣) من ظ و مد، وفي  
الأصل : في (٤) من ظ و مد، وفي الأصل : الكوفيون (٥) من ظ و مد،  
وفي الأصل : كالنظير (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفي  
الأصل : لكنه .

عليه وسلم، ومن عصاه عصى الله لانه لا ينطق إلا عنه ﴿ومن يعص الله﴾  
 أى الذى لا أمر لاحد معه ﴿ورسوله﴾ أى [الذى - ١] معصيته  
 معصيته لكونه بينه وبين الخلق فى بيان ما أرسل به إليهم ﴿فقد ضل﴾  
 وأكدته بالمصدر فقال: ﴿ضللاً﴾ وزاده بقوله: ﴿مبيناً﴾ أى لا خفاء  
 به، فالواجب على كل أحد أن يكون معه صلى الله عليه وسلم فى كل  
 ما يختاره وإن كان فيه أعظم المشقات عليه تخلفاً بقول الشاعر  
 حيث قال<sup>٢</sup>:

٢٣٩ / وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم  
 وأهنتى فأهنت نفسى عامداً ما من يهون عليك من يكرم  
 ١٠ ولما كان قد أخبره<sup>٣</sup> سبحانه - كما رواه البغوى<sup>٤</sup> وغيره عن  
 سفيان بن عيينة عن على بن<sup>٥</sup> جدعان عن زين العابدين على<sup>٦</sup> بن الحسين بن  
 على بن أبى طالب - أن زينب رضى الله عنها ستكون من أزواجه وأن  
 زيدا سيطلقها، وأخفى<sup>٧</sup> فى نفسه ذلك<sup>٨</sup> تكريماً وخشية من قالة الناس أنه  
 يريد نكاح زوجة ابنه، وكان فى إظهار ذلك أعلام من أعلام النبوة،  
 ١٥ وكان مبنى أمر الرسالة على إبلاغ الناس<sup>٩</sup> ما أعلم [الله - ١] به أحبوه

(١) زيد من ظ ومد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣ - ٣) سقط ما  
 بين الرقين من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: أخبر (٥) راجع  
 معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٢١٥/٥ (٦) زيد فى العالم: زيد بن (٧) من  
 ظ ومد، وفى العالم وفى الأصل: عن (٨ - ٨) فى ظ ومد؛ ذلك فى نفسه .  
 (٩) سقط من ظ .



أو كرهوه، وأن لا يراعى غيره، ولا يلتفت إلى سواء وإن كان  
 في ذلك خوف ذهاب النفس، فإنه كافٍ من أراد بعزته، ومتقن ما  
 أراد بحكمته، كما أخذ الله الميثاق [١-٢] من النبيين كلهم ومن محمد  
 ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم صلى الله عليهم وسلم، فكان  
 من<sup>٣</sup> المعلوم [أن التقدير - ٢]: اذكر ما أخذنا منك ومن النبيين من ٥  
 الميثاق على إبلاغ كل شيء أخبرناكم به ولم تنهكم من إفشائه وما أخذنا  
 على الخلق في كل من طاعتك ومعصيتك، عطف عليه قوله: (واذ تقول)  
 وذلك لأن الأكل يعاتب على بعض الكجالات لعلو درجته عنها وتحليه  
 بأكل منها من باب «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، وبين شرفه  
 بقوله: (للذي أنعم الله) أي الملك الذي له كل كمال (عليه) أي ١٠  
 بالإسلام وتولى نبيه صلى الله عليه وسلم إياه بعد الإجماد والتربة،  
 وبين منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (وانعمت عليه)  
 أي بالعتق والتبني حين استشارك في فراق زوجه الذي أخبرك الله أنه  
 يفارقها وتصور زوجتك: (امسك عليك زوجك) أي زينب  
 (واتق الله) [أي - ٢] الذي له جميع العظمة في جميع أمرك ١٥  
 ولا سيما ما يتعلق بحقوقها ولا تغبها بقواك: إنها ترفع على - ونحو  
 ذلك (وتخفى) أي والحال أنك تخفى، أي تقول له مخفياً  
 (في نفسك) أي بما أخبرك الله من أنها ستصير إحدى زوجاتك عن

---

(١) من مد، وفي الأصل و ظ: كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط  
 من ظ (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: استشاك .

طلاق زيد ( ما الله مبديه ) أى يحمل زيد على تطليقها وإن أمرته أنت بامساكها وتزويجك بها وأمرك بالدخول عليها، وهو دليل على أنه ما أخفى<sup>١</sup> غير ما أعلمه الله تعالى من أنها ستصير زوجته عن طلاق زيد لأن الله تعالى ما أبدى غير ذلك ولو أخفى<sup>٢</sup> غيره لأبداه سبحانه . لأنه لا يبدل القول لديه ، روى البخارى<sup>٣</sup> عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن هذه الآية نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما .

ولما ذكر إخفاءه ذلك ، ذكر علته فقال عاطفا على "تخفى" :  
( ونخشى الناس ج ) أى [ من -<sup>٤</sup> ] أن تخبر بما أخبرك الله به فيصوبوا<sup>٥</sup> .  
١٠ إليك مرجعات الظنون لاسيما اليهود والمنافقون ( والله ) أى والحال أن<sup>٦</sup> الذى لا شئ أعظم منه ( احق ان تخشيه<sup>٧</sup> ) أى وحده ولا تجمع خشية الناس مع خشيته فى أن تؤخر شيئا أخبرك به لشيء يشق عليك حتى يفرق لك فيه أمر ، قالت عائشة رضى الله عنها<sup>٨</sup> : لو كنتم النبى صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه لكنتم هذه الآية .

١٥ ولما علم من هذا انه سبحانه أخبره بأن زيدا سيطلقها وأنها ستصير زوجها له من طلاق زيد إياها ، سبب عنه قوله عاطفا عليه :  
( فلما قضى زيد منها وطرا ) أى حاجة من زواجها والدخول بها ،

(١) فى ظ و مد : هذا (٢-٢) سقط ما بين الرقین من مد (٣) راجع ٧٠٦/٢ .  
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيصوبوا (٦) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٧) راجع جامع الترمذى - التفسير .  
وذلك

٢٤٠ /

وذلك بانقضاء عدتها منه لأنه به<sup>١</sup> يعرف أنه لا حاجة له فيها /، وأنه قد تقاصرت عنها همته، وطابت عنها نفسه، وإلا لراجعها (زوجنكها) ولم نحوجك إلى ولي من الخلق يعقد لك عليها، تشريفاً لك ولها، بما لنا من العظمة التي خرقنا بها عوائد الخلق حتى أذعن لذلك كل من علم به، وسرت به جميع النفوس، ولم يقدر منافق ولا غيره على الخوض ه في ذلك بينت شفة<sup>٢</sup> بما يوهنه ويؤثر فيه، روى مسلم في صحيحه<sup>٣</sup> عن أنس رضي الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لزيد -<sup>٤</sup>]: اذهب فاذكرها علي، فانطلق زيد رضي الله عنه حتى أتاها وهي تخمر عجبها، قال: فلما رأيته عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله صلى الله عليه ١٠ وسلم ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت: يا زينب! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك، قالت<sup>٥</sup>: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدتها ونزل القرآن،<sup>٦</sup> وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن، قال: ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى<sup>٨</sup> امتد النهار، ١٥ فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون - فذكره، وسيأتي . وقال البغوي<sup>٩</sup>:

- (١) سقط من ظ (٢) من مد، وفي الأصل و ظ: شعه - كذا (٣) راجع ٤٦٠/١ (٤) زيد من ظ و م والصحيح (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ . (٦) من ظ ومد والصحيح، وفي الأصل: فقالت (٧-٧) من ظ والصحيح، وفي الأصل ومد: فجاء (٨) في الصحيح: حين (٩) في معالم التنزيل بهامش باب التأويل ٥ / ٢١٦ .

قال الشعبي: كانت رقيب رضى الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم: إنى لأدل عليك بثلاث ما من نساءك امرأة تدل بهن: جدى وجدك واحد، وأنى أنكحنك الله فى السماء، وأن السفير لجبريل عليه السلام.

٥ ولما ذكر سبحانه التزويج على ما له من العظمة، ذكر علة [دالا على أن الأصل مشاركة الأمة للنبي صلى الله عليه وسلم فى الأحكام وأن لخصوصية (إلا بدليل - ٢) فقال: (لكى لا يكون على المؤمنين) أى الذين أزال عراقتهم فى الإيمان حظوظهم (خرج) أى ضيق (فى أزواج ادعيائهم) أى الذين تبنا بهم وأجروهم فى تحريم أزواجهم ١٠ مجرى أزواج البنين [على الحقيقة - ٢] (إذا: قضوا منهم وطرا) أى حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق و انقضاء العدة.

ولما علم سبحانه أن ناسا يقولون فى هذه الواقعة أقوالا شتى، دل على ما قاله زين العابدين بقوله: (وكان امر الله) أى [من - ٢] الحكم بتزويجها وإن كرهت وترك إظهار ما أخبرك الله به كراهية ١٥ لسوء القالة واستحياء من ذلك، وكذا كل أمر يريد سبحانه (مفعولا) لأنه سبحانه له الأمر كله لا راد لأمره ولا معقب لحكمه.

(١) فى العالم: تدلى (٢) من م والمعلم، وفى الأصل وظ: السعير (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: أجرهم (٥) ساقط من الأصل نقط (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: المقابلة.

ولما انتج هذا التسهيل لما كان استصعبه صلى الله عليه وسلم  
والتأمين بما كان<sup>١</sup> خافه، عبر عن ذلك بقوله مؤكدا ردا على من يظن  
خلاف ذلك: (ما كان على النبي) أى الذى منزلته من الله الاطلاع  
على ما لم يطلع عليه غيره من الخلق (من حرج فيما فرض) أى قدر  
(الله) بما له من صفات الكمال وأوجه<sup>٢</sup> (له<sup>٣</sup>) لانه لم يكن على  
المؤمنين مطلقا حرج فى ذلك، فكيف برأس المؤمنين، فصار منفيا عنه  
الحرج<sup>٤</sup> مرتين خصوصا بعد عموم تشريفا له وتوحيها بشأنه.

ولما كان مما يهون الأمور الصعاب المشاركة فيها [فكيف-<sup>٥</sup>]  
إذا كانت المشاركة من الأكابر، قال واضعا الاسم موضع مصدره:  
(سنة الله) أى سن الملك<sup>٦</sup> الذى إذا سن شيئا أتقنه بما له من العزة<sup>٧</sup>  
والحكمة فلم يقدر أحد أن يغير شيئا منه (فى الذين خلوا)<sup>٨</sup> وكأنه  
أراد أن يكون أنبياء بنى إسماعيل عليهم السلام<sup>٩</sup> أولى مراد<sup>١٠</sup> بهذا، تبيتنا  
للبسى أتباعهم، فأدخل الجار فقال: (من قبل<sup>١١</sup>) أى من الأنبياء  
الأقدمين فى إباحة التوسع فى النكاح لهم، وهو تكذيب لليهود الذين  
أنكروا ذلك، وإظهار لتلييسهم.

١٥

ولما كان المراد بالسنة الطريق<sup>١٢</sup> التى قضاها وشرعها<sup>١٣</sup>، قال معلما

- (١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: اواجه (٣) فى  
ظ: الحراج (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الله.  
(٦) العبارة من هنا إلى «لبس» ساقطة من ظ (٧-٨) فى مد: فراد (٨) فى  
ظ و مد: الطريقة (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: شرحها.

نظم الدرر ( سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٨ - ٤٠ ) ج - ١٥

بأن هذا الزواج كان أمرا لا بد من وقوعه لإرادته له في الأزل  
فلا يعترض فيه معترض بينت شفة يحل به ما يحل بمن اعترض على أوامر  
الملك، ولأجل الاهتمام بهذا الإعلام [ اعترض به بين الصفة - ١ ]  
والموصوف فقال: ﴿ و كان امر الله ﴾ أى قضاء الملك الأعظم في  
ذلك وغيره من كل ما يستحق أن يأمر به ويهدى إليه ويبحث عليه،  
وعبر عن السنة بالامر تأكيدا لأنه لا بد منه ﴿ قدرا ﴾ وأكده بقوله:  
﴿ مقدورا لأن ﴾ أى لاخلف فيه، ولا بد من وقوعه في حينه الذى حكم  
بكونه فيه، وهو مؤيد أيضا لقول زين العابدين وكذا قوله تعالى واصفا  
للذين خلوا: ﴿ الذين يلبغون ﴾ أى إلى أهمهم ﴿ رسلت الله ﴾ أى الملك  
١٠ الأعظم سواء كانت<sup>٢</sup> في نكاح أو غيره شقت أولا ﴿ ويخشونه ﴾ أى  
فيخبرون بكل ما أخبرهم به ولم يمنعه من إفشائه، ولوح بعد التصريح  
في قوله ” وتخشى الناس “: ﴿ ولا يخشون احدا ﴾ قل أو جل  
﴿ الا الله ﴾ لأنه ذو الجلال والإكرام .

ولما كان الخوف من الملك العدل إنما هو من حسابه كان التقدير:  
١٥ فيخافون حسابه، أتبعه قوله: ﴿ وكفى بالله ﴾ أى المحيط بجميع صفات  
الكمال ﴿ حسياء ﴾ أى مجازيا لكل أحد بما عمل وبالغا في حسابه الغاية  
القصوى، وكافيا من أراد كفايته كل من أرادته بسوء .

(١) من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل: يجب (٣) من مد ، وفي  
الأصل و ظ : كان (٤) في ظ : كافيا .

ولا

ولما أفاد هذا كله أن الدعي<sup>١</sup> ليس ابناً، وكانوا قد قالوا لما تزوج زينب كما رواه الترمذى<sup>٢</sup> عن عائشة رضى الله عنها : تزوج حليمة ابنه، أخبر به سبحانه على وجه هو من أعلام النبوة وأعظم دلائل الرسالة فقال : ( ما كان ) أى بوجه من الوجوه مطلق كون ( محمد ) أى على كثرة نسائه وأولاده ( أباً أحد من رجالكم ) لا مجازاً بالتنى<sup>٥</sup> ولا حقيقة بالولادة، ليثبت بذلك أن تحرم عليه زوجة الابن، ولم يقل : من بنيكم، وإن لم يكن له فى ذلك الوقت - وهو ستة خمس وما داناها - ابن، ذكر إعلمه سبحانه أنه سيولد له ابنه إبراهيم عليه السلام، مع ما كان له قبله من البنين الذين لم يبلغ أحد منهم<sup>٢</sup> الحلم - على جميعهم الصلاة والسلام .

١٠

ولما [ كان - <sup>١</sup> ] بين كونه صلى الله عليه وسلم أباً لأحد من الرجال<sup>٥</sup> حقيقة وبين كونه خاتماً منفاة<sup>٦</sup> قال : ( ولكن ) كان فى علم الله غيباً وشهادة أنه<sup>٧</sup> ( رسول الله ) الملك الأعظم الذى كل من<sup>٨</sup> سواه عبده، فينكم وبين رسوله من جهة مطلق الرسالة أبوة وبنوة مجازية، إما<sup>٩</sup> من جهته<sup>١</sup> فبالرأفة والرحمة والتربة والنصيحة من غير أن تحرم<sup>١٥</sup>

- (١) من ظ ومد، وفى الأصل : الداعى (٢) راجع جامع ١٥٢/٢ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : رجال . (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : مساواة (٧) سقط من ظ ومد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : ما (٩) من ظ ومد، وفى الأصل : أباً (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل : جهة .

عليه تلك النبوة شيئا من نساتكم وإلا لم يكن لمنصب النبوة منزلة، وأما  
من جهتم فبوجوب<sup>١</sup> التعظيم والتوقير والطاعة وحرمة الأزواج، وأما  
كون الرسالة عن الله الذي لا أعظم [ منه -<sup>٢</sup> ] فهو مقتض لأن يبلغ  
الناس عنه جميع ما أمره به، وقد بلغكم قوله تعالى ” ادعوم لأبائهم“  
ووظيفته الشريفة مقتضية لأن يكون أول مؤتمر بهذا الأمر، فهو لا يدعو  
أحدا من رجالكم بعد هذا ابنه .

ولما لم يكن / مطلق النبوة ولا مطلق الرسالة منافيا لأبوة الرجال  
قال : ( وخاتم النبيين<sup>٣</sup> ) أى لأن رسالته عامة ونبوته معها إعجاز القرآن،  
فلا حاجة مع ذلك إلى استثناء ولا إرسال، فلا يولد بعده<sup>٤</sup> من يكون نبيا،  
١٠ وذلك مقتض لئلا يبلغ له ولد [ يولد منه -<sup>٥</sup> ] مبلغ الرجال، ولو قضى  
أن يكون بعده نبي لما كان إلا من نسله إكراما له [ لأنه أعلى النبيين  
رتبة وأعظم شرفا، وليس لاحد من الانبياء كرامة إلا وله مثلها أو أعظم  
منها، ولو صار أحد من ولده رجلا لكان نبيا بعد ظهور نبوته، وقد  
قضى الله ألا يكون بعده نبي إكراما له -<sup>٦</sup> ]، روى أحمد<sup>٧</sup> وابن ماجه<sup>٨</sup>  
١٥ عن أنس وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال<sup>٩</sup> في ابنه إبراهيم : لو عاش لكان صديقا نبيا، وللبخارى نحوه عن

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل : بنوجرت - كذا مصحفا (٢) زيد من ظ ومد.  
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل : بعد (٤) راجع مسنده ٣ / ١٣٨ و ٢٨١ -  
(٥) راجع أبواب الجنائز من سننه (٦) من ظ ومد، وفي الأصل : قاله .  
(٧) راجع أبواب الجنائز من سننه (٨) راجع مسنده ٣ / ١٣٨ و ٢٨١ -  
(٩) راجع مسنده ٣ / ١٣٨ و ٢٨١ -



البراء بن عازب رضى الله عنه ، و للبخارى<sup>١</sup> من حديث<sup>٢</sup> ابن أبي أوفى رضى الله عنه : لو قضى أن يكون بعد<sup>٣</sup> محمد صلى الله عليه و سلم نبى لعاش ابنه ، ولكن لا نبى بعده . و الحاصل أنه لا يأتى بعده نبى بشرع<sup>٤</sup> جديد مطلقا<sup>٥</sup> و لا يتجدد بعده أيضا<sup>٦</sup> استثناء نبى مطلقا<sup>٧</sup> ، فقد آل الأمر إلى [ أن - <sup>٨</sup> ] التقدير : ما كان محمد بحيث يتجدد بعده نبوة برسالة و لا غيرها ه و لكنه [ كان - <sup>٩</sup> ] - مع أنه رسول الله - خاتما للنبوة<sup>٩</sup> غير أنه سبق على الوجه المعجز لما تقدم من النكت و غيرها ، و هذه الآية مثبتة لكونه خاتما على أبلغ وجه و أعظمه ، و ذلك أنها فى سياق الإنكار لأن يكون بنى أحد من رجالهم<sup>١٠</sup> نبوة حقيقية أو مجازية بغير جهة [ الإدلاء بأشئ أو - <sup>١١</sup> ] كونه رسولا و خاتما ، صونا لمقام النبوة أن يتجدد بعده ١٠ لاحد لأنه لو كان [ ذلك - <sup>١٢</sup> ] بشر لم يكن إلا ولدا له ، وإنما أوثرت إمامته أولاده عليه الصلاة و السلام و تأثير قلبه الشريف [ بها - <sup>١٣</sup> ] إعلاء لمقامه أن يتسمنه أحد كائنا من كان ، و ذلك لأن فائدة إتيان النبى تنعيم<sup>١٤</sup> شئ لم يأت به من قبله ، و قد حصل به صلى الله عليه و سلم التمام فلم يبق بعد ذلك مرام<sup>١٥</sup> د بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . و أما ١٥

(١) راجع من صحيحه ٩١٤/٢ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : طريق (٣) فى ظ : من (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : شرع (٥) تقدم فى ظ و مد على : نبى بشرع (٦) سقط من ظ و مد (٧) تقدم فى ظ على « أيضا » (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى ظ و مد : للنبوات (١٠) فى ظ : رجالكم (١١) فى ظ : أتمام .

تجديد ما وهى بما أحدثه بعض الفسقة فالعلماء كافون فيه لوجود ما  
 خص به صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن المعجز الذى من سمعه  
 فكأنما سمعه من الله ، لوقوع التحقق والقطع بأنه لا يقدر غيره أن  
 يقول شيئاً منه ، فهما حصل ذهول<sup>١</sup> عن ذلك قرره<sup>٢</sup> من يريد الله من  
 العلماء ، فيعود الاستبصار [ كما روى فى بعض الآثار - ٣ ] و علماء أمتي  
 كأنبياء بنى إسرائيل<sup>٤</sup> ، و أما إتيان عيسى عليه الصلاة والسلام بعد تجديد  
 المهدي رضى الله عنه لجميع ما وهى<sup>٥</sup> من أركان المكارم فلاجل فتنه  
 الدجال ثم طامة ياجوج و ماجوج ونحو ذلك مما لا يستقل بأعبائه  
 غير نبى ، و ما أحسن ما نقل عن حسان بن ثابت رضى الله عنه فى  
 ١٠ مرثيته لإبراهيم ابن النبی صلى الله عليه وسلم حيث قال :

مضى ابنك محمود العواقب لم يشب بعب و لم يذمم بقول و لافعل  
 رأى أنه إن عاش ساواك فى العلا فأثر أن يبقى وحيداً بلا مثل

و قال الغزالي رحمه الله فى آخر كتابه الاقصاد : إن الأمة فهمت من  
 هذا للفظ - أى لفظ هذه الآية - و من قرائن أحواله صلى الله عليه وسلم  
 ١٥ / ٢٤٣ أنه أفهم عدم نبى بعده أبداً ، و عدم رسول بعده أبداً ، و أنه ليس  
 فيه تأويل و لا تخصيص ، و قال : إن من أوله بتخصيص النبيين

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : وهون (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :  
 قدره (٣) زيد من ظ و مد (٤) و الحديث من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى  
 التعليق (٥) فى مد : وهى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما .

بأولى العزم من الرسل ونحو هذا فكلامه من أنواع الهذيان ، لا يمنع الحكم بتكفيره ، لأنه مكذب بهذا النص الذي أجمع الأمة على أنه غير مأول ولا مخصوص هذا كلامه في كتاب الاقتصاد ، نقلته منه بغير واسطة ولا تقليد ، فأياك أن تصنى إلى من نقل عنه غير هذا ، فانه تحريف يحاشي حجة الإسلام عنه :

٥

وكم من عائب قولا صحيحا و آفته من الفهم السقيم  
وقد بان بهذا أن إتيان عيسى عليه الصلاة والسلام [ غير - ' ]  
قادح في هذا النص ، فانه من أمته صلى الله عليه وسلم المقرين  
لشريعته ، وهو قد كان نيا قبله لم يستجد له شيء لم يكن ، [ فلم يكن - ' ]  
ذلك قادحا في الحتم ، وهو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم ، ١٠  
لولا هو لما وجد ، وذلك أنه لم يكن لنبى من الأنبياء شرف إلا وله  
صلى الله عليه وسلم مثله أو أعلى منه ، وقد كانت الأنبياء تأتي مقررة  
لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام مجددة لها ، فكان المقرر لشريعة نبينا  
صلى الله عليه وسلم المتبع لملته من كان ناسخا لشريعة موسى عليه  
الصلاة والسلام .

١٥

ولما كان المقام في هذا البت <sup>٢</sup> بأنه لا يكون له ولد يصير رجلا  
مقام إحاطة العلم ، كان التقدير : لأنه سبحانه أحاط علما بأنه على كثرة  
نسائه وتعدد أولاده لا يولد له ولد ذكر فيصير رجلا ( و كان الله )  
[ أي - ' ] الذي له ' كل صفة ' كال أزلا وأبدا ( بكل شيء . )

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : لشيء (٣) من ظ ومد ،  
وفي الأصل : البيت (٤ - ٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : صفة كل .  
(٥ - ٥) تكرر في الأصل فقط بعده وكان الله .

من ذلك وغيره (عليه السلام) فيعلم من يليق بالحتم ومن يليق بالبدء<sup>١</sup>، قال  
الاستاذ ولي الدين الملوي<sup>٢</sup> في كتابه حصن النفوس في سؤال القبر:  
واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالأحادية والمحمدية علما وصفة برهان<sup>٣</sup>  
جلى على ختمه إذ الحمد مقرون بانقضاء الامور مشروع [عنده - <sup>٤</sup>]  
و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، وقد بين السهيلي هذا في سورة  
الحواريين من كتاب الإعلام - انتهى . وقد بينت في سورة النحل  
أن [مدار - <sup>٥</sup>] مادة الحمد على بلوغ الغاية وامتضاء النهاية .

ولما كان ما أثبتته لنفسه سبحانه من إحاطة العلم مستلزما<sup>٦</sup>  
للاحاطة بأرصاف الكمال، وكان قد وعد من توكل عليه بأن<sup>٦</sup> يكفيه  
١٠ كل مهم، ودل على ذلك بقصة الأحزاب وغيرها وأمر بطاعة نبيه  
صلى الله عليه وسلم وتقديم بالوضعية التامة في تعظيمه إلى أن أنهى  
الأمر في إجلاله، وكانت طاعة العبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
من كل وجه حتى يكون مسلوب الاختيار معه، فيكون بذلك مسلما  
لا يحمل عليها<sup>٧</sup> إلا طاعة الله، وكانت طاعة الله كذلك لا يحمل عليها  
١٥ إلا درام ذكره، قال بعد تأكيد زواجه صلى الله عليه وسلم لزينب

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: بالبداة (٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان العثماني  
الديباجي الملوي ولي الدين أبو عبد الله المتوفى ٥٧٧هـ - معجم المؤلفين ٢٨٩/٨  
(٣) زيد في الأصل: الدين، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٤) زيد  
من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: مستترمه (٦) من ظ و مد، وفي  
الأصل: ان (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: عليه، والكلمة ساقطة من ظ و مد.

رضى الله عنها بأنه هو سبحانه زوجه إياها لأنه قضى أن لا بنوة بينه وبين  
أحد من رجال أمته توجب حرمة زوج الولد: (يأياها الذين آمنوا)  
أى / ادعوا ذلك بأنفسهم (اذكروا) أى تصديقا لدعواكم ذلك  
٢٤٤ / (الله) الذى هو أعظم من كل شيء (ذكرنا كثيرا لا) أى بان تعقدوا  
له سبحانه صفات الكمال وتثنوا عليه بها بالستكم فلا تنسوه فى حال ه  
من الأحوال ليحملكم ذلك على تعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم حق  
تعظيمه، واعتقاد كماله فى كل حال، وأنه لا ينطق عن الهوى، لتحوزوا  
مغفرة وأجرا عظيما، كما تقدم الوعد به .

ولما كان ثبوت النبوة بينه وبين [ أحد من -<sup>٢</sup> ] الرجال خارما  
لإحاطة العلم، وجب تنزيهه سبحانه عن ذلك فقال: (وسبحوه) ١٠  
أى<sup>٢</sup> عن أن يكون شيء على خلاف ما أخبر به، وعن كل صفة  
نقص بعد ما أثبت له \* كل صفة كال (بكرة واصيلا) أى فى أول  
النهار و آخره أى دائما لأن هذين الوقتين إما للشغل الشاغل ابتداء  
أو انتهاء أو للراحة، فوجوب الذكر فيها وجوب له فى غيرهما من  
باب الأولى، قال ابن عباس رضى الله عنهما: لم يفرض الله على عباده ١٥  
فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر  
فانه تعالى لم يحمل له حدا ينتهى إليه، ولم يعذر أحدا فى تركه إلا مغلوبا

(١) فى ظ و مد: انه (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من مد،  
وفى الأصل وظ: امر (٥-٥) من ظ و مد، وفى الأصل: صفة كل (٦) من  
ظ و مد، وفى الأصل « و » (٧) فى ظ و مد: لم يقدر .

على عقله . وهما أيضا مشهودان بالملائكة ودالان على الساعة : الثاني  
 قربها بزوال الدنيا كلها ، و الأول على البعث بعد الموت ، ويجوز أن  
 يكون ذلك إشارة إلى صلاتي الصبح و العصر ، لأن المواظبة عليهما - لما  
 أشير إليه من صعوبتهما بما يعترى في وقتيهما من الشغل بالراحة و غيرها -  
 دالة على غاية المحبة للثول<sup>١</sup> بالحضرات الربانية حاملة على المواظبة على  
 غيرهما من الصلوات و جميع الطاعات بطريق الأولى ، ويؤكد هذا  
 الثاني - تعبيره بلفظ الصلاة في تعليل ذلك بدوام ذكره لنا سبحانه بقوله :  
 ﴿ هو الذي صلى عليكم ﴾ أى بصفة الرحمانية متحننا ، لأن المصلى منا يتعطف<sup>٢</sup>  
 في الأركان ﴿ و ملتكم ﴾ أى كلمهم بالاستغفار لكم و حفظكم من  
 ١٠ كثير من المعاصي و الآفات و يتردد بعضهم بينه سبحانه و بين الأنبياء  
 بما ينزك إليهم من الذكر الحافظ من كل سوء فقد اشتركت الصلاتان  
 في إظهار شرف المخاطبين .

ولما كان فعل الملائكة [ منسوباً إليه -<sup>٣</sup> ] لأنه مع كونه الخالق  
 له الأمر به قال : ﴿ ليخرجكم ﴾ أى بذلك ﴿ من الظلمات ﴾ [ أى -<sup>٤</sup> ]  
 ١٥ الكائنات من الجهل الموجب للضلال<sup>٥</sup> ﴿ الى النور<sup>٦</sup> ﴾ [ أى -<sup>٧</sup> ] الناشئة  
 من العلم المشر للهدى ، فيخرج بعضهم بالفعل من ظلمات المعاصي  
 المقضية للرين على القلب إلى نور الطاعات ، فتكونوا بذلك مؤمنين  
 ﴿ و كان ﴾ أى أزلا و أبدا ﴿ بالمؤمنين ﴾ أى الذين صار الإيمان لهم ثابتا

(١) في ظ : ' او (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : للهول (٣) من ظ و مد ،  
 وفي الأصل : متعطف (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ و مد : ضلال .

[ خاصة - ' ] (رحيماء) أى بليغ الرحمة بتوفيقهم لفعل ما ترضاه الإلهية، فانهم<sup>٢</sup> أهل خاصته فيحملهم<sup>٣</sup> على الإخلاص في الطاعات، فيرفع لهم<sup>٤</sup> الدرجات في روضات الجنات .

ولما كان أظهر الاوقات في ثمرة هذا الوصف ما بعد الموت، قال

تعالى مينا لرحمتهم: (تحتهم يوم يلقونه) أى بالموت أو البعث ه  
(سلم عليه) أى يقولون له ذلك، أنت السلام ومنك السلام فجئنا ربنا بالسلام، [ كما يقوله المحرم المشبه لحال من هو في الحشر فيجابون بالسلام - ' ] الذى فيه إظهار شرفهم ويأمنون معه / من كل عطب (واعد) أى والحال أنه أعد (لهم) أى بعد السلامة الدائمة (اجرا كريماء) أى غدا دائما لا كدر في شيء منه . ١٠

ولما وعظ المؤمنين فيه صلى الله عليه وسلم وهذبهم له بما أقبل بأسماعهم وقلوبهم إليه، وختم بما يوجب لهم الفوز بما عنده سبحانه، وكان معظم ذلك له صلى الله عليه وسلم فانه رأس المؤمنين، أقبل بالخطاب عليه ووجهه إليه فقال منها من<sup>١</sup> ذكره ومشيدا من قدره بما يتظم بقوله<sup>٢</sup> "الذين يبلغون رسالت الله" الآية وما جرها من ١٥ العتاب: (يا أيها النبي) [ أى - ' ] الذى مخبره<sup>٣</sup> بما لا طلع عليه غيره .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: فانهم (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فيحمد (٤) -قط من ظ (٥) في ظ و مد: بالعبث . (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: عن (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: من قوله (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: تجرد .

و لما كان الكافرون - المجاهرون منهم و المستترون - ينكرون الرسالة و ما تبعها، أكد قوله في أمرها و نغمه فقال: ﴿ انا أرسلنك ﴾ أى بعظمتنا بما ننبئك به إلى سائر خلقنا ﴿ شاهدنا ﴾ أى عليهم و لهم مطلق شهادة، لأنه لا يعلم البواطن إلا الله، و أنت مقبول الشهادة، فأبلغهم جميع الرسالة سرهم ذلك أو ساءهم سرك فعلمهم أو ساءك .

و لما كان المراد الإعلام برسوخ قدمه في كل من هذه الأوصاف، عطفها بالواو فقال: ﴿ و مبشرا ﴾ أى لمن شهدت لهم ' بخير بما يسم، و أشار إلى المبالغة في البشارة بالتضعيف<sup>١</sup> لما لها من حسن الأثر في إقبال المدعو [و للتضعيف من الدلالة على كثرة الفعل و المفعول بشارقة ١٠ بكثرة التابع و هو السبب لمقصود السورة -<sup>٢</sup> ]، و كانت المبالغة في النذارة أزيد لأنها أبلغ في رد المخالف و هي المقصود بالذات من الرسالة لصعوبة الاجترار عليها فقال: ﴿ و نذيرا ﴾ [ أى -<sup>٣</sup> ] لمن شهدت عليهم [ بشر -<sup>٤</sup> ] بما يسوؤهم ﴿ و داعيا ﴾ أى للفريقين ﴿ الى الله ﴾ أى إلى ما رضى الذى لا أعظم منه بالقول و الفعل، و أعرى الدعاء عن المبالغة ١٥ لأنه شامل للبشارة و النذارة و الإخبار بالقصص و الأمثال و نصب الأحكام و الحدود، و المأمور به في كل ذلك الإبلاغ بقدر الحاجة بمبالغة أو غيرها<sup>٥</sup>

(١) من ظ و مد، و في الأصل: ' (٢) من ظ، و في الأصل: بالصيغة، و العبارة من هنا إلى « إقبال المدعو » ساقطة من مد (٣) زيد من ظ و مد إلا أن العبارة في ظ وقعت بعد « بمبالغة أو غيرها » (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين (٥) زيد من ظ و مد من مد (٦ - ٦) وقع ما بين الرقنين في ظ بعد « إقبال المدعو » .



فمن لم ترده عن غيه النذارة، و تقبل به إلى رشده<sup>١</sup> البشارة، حل على ذلك بالسيف .

و لما كان ذلك في غاية الصعوبة ، لا يقوم به أحد إلا بمعونة من الله عظيمة ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿باذنه﴾ أى بتمكينه لك من الدعاء بتيسير أسبابه ، و تحمل أعبائه ، وللدعو من الإقبال و الاتباع إن أراد له الخير . ٥  
ولما كان الداعى إلى الله يلزمه النور لظهور الأدلة قال : ﴿وسراجا﴾ يمد البصائر فيجلى ظلمات الجهل بالعلم المبصر لمواقع الزلل كما يمد النور الحسى نور الأبصار . و لما كان المقام مرشدا إلى إنارته ، و كان من السراج ما لا يضىء ، [ و - ٢ ] كان للتصریح و التأكيد شأن عظيم قال : ﴿منيرا﴾ أى ينير على من اتبعه ليسير في أعظم ضياء ، و من تخاف ١٠  
عنه كان في أشد ظلام ، [ ٣ فعرف من التقيد بالنور أنه محط الشبه ، و عبر به دون الشمس<sup>٢</sup> لأنه يقتبس منه و لا ينقص مع أنه من أسماء الشمس - ٢ ] .  
و لما<sup>٣</sup> تقدمت هذه الأوصاف الحسنى ، و كان تطبيق ثمراتها عليها في الذروة من العلو ، و كان الشاهد هو البيئة ، فكان كانه قيل : فأقم الأدلة النيرة . و ادع و أنذر [ كل - ٢ ] من خالف أمرك ، و كان المقام ١٥  
لخطاب المقبلين ، طوى هذا المقدر لأنه للعرضين ، و دل عليه بقوله عاطفا

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الرشد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد في الأصل : كان قد ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ ، و في الأصل : الخمس ، و القياس يقتضى : الخمسة ، و الكلمة ليست واضحة في مد .

[عليه - ١]: ﴿و بشر المؤمنين﴾ أى الذين صح لهم هذا الوصف،  
فانك مبشر ﴿بان لهم﴾ و بين عظمة هذه البشرى بقوله: ﴿من الله﴾  
أى الذى له جميع صفات العظمة ﴿فضلا كبيرا﴾ أى من جهة النفاسة  
و من جهة التضعيف من عشرة أمثال الحسنة إلى ما لا يعلمه / إلا الله . / ٢٤٦

و لما أمره سبحانه بما يسر<sup>٢</sup> نهاه عما يضر، فقال ذاكرا ثمرة النذارة:  
﴿ولا تطع الكافرين﴾ أى المشاققين ﴿و المنفقين﴾ أى لا تترك إبلاغ  
شئ [بما أنزلته إليك من الإنزال و غيره كراهة شئ - ١] من مقامهم  
أو فعالهم فى أمر زينب أو غيرها، فانك نذير لهم، و زاد على ما فى أول  
السورة محط الفائدة فى قوله مصرحا بما اقتضاه ما قبله: ﴿و دع﴾ أى  
١٠ أترك على حالة حسنة بك<sup>٣</sup> و أمر جميل لك ﴿اذنهم﴾ فلا تراقبه فى  
شئ، و لا تحسب له حسابا أصلا، و اصبر عليه فانه غير ضارك<sup>٤</sup> لأن الله  
دافع عنك لأنك داع بآذنه .

و لما كان ترك المؤذى و الإعراض عنه استسلاما فى غاية المشقة،  
ذكره بالدواء فقال: ﴿و توكل على الله﴾ أى الملك الأعلى فى الانتصار  
١٥ لك منهم [و - ١] إبلاغ جميع ما يأمر بك به و فى جميع أمرك لأن<sup>٥</sup>  
الله مأم نورك و مظهر دينك و الاكتفاء به من ثمرات إنارته لك بجعلك  
مرجا . و لما كان الوكيل قد لا ينهض بجميع الأمور، فال معلما بأن  
كفايته محيطة: ﴿و كفى﴾ و أكد أمر الكفاية بإيجاد أنباء فى الفاعل

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ليس (٣) فى ظ :  
لك (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ضايل بك (٥) فى ظ و مد: فان .

تحقيقا

تحقيقاً لكونه فاعلاً كما مضى في آخر سورة الرعد فقال : ﴿ بالله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ، و ميز النسبة بالفاعل فى الأصل لزيادة التأكيد فى تحقيق معنى الفاعل فقال : ﴿ وكيلاه ﴾ فمن اكتفى به أنار له جميع أمره .

ولما أمر سبحانه بإبلاغ أوامره من غير التفات إلى أحد غيره ، هـ  
وكان من المعلوم أنه لا بد فى ذلك من محاولات و مناوعات ، لا يقوم بها إلا من أعرض عن الخلائق ، لما هو مشاهد له من عظمة الخالق ، أمر سبحانه بالتوكل عليه ، و أقام الدليل الشهودى بقصة الأحزاب و قرينة على كفاية لمن أخلاص له ، فلما تم الدليل رجع إلى بيان ما اقتنع به السورة من الأحكام بعد إعادة الأمر بالتوكل ، فقد ذكر أقرب ١٠  
الطلاق إلى معنى المظاهرة المذكورة أول السورة بعد الأمر بالتوكل التى محط قصدها عدم قربان المظاهر عنها بعد أن كان أبطل المظاهرة . فقال  
[ ناهيا لمن هو فى أدنى أسنان الإيمان بعد بشارة المؤمنين - ] قاطعاً لهم عما كانوا يشتدّون به فى التحجر على المرأة المطلقة لقصد مضاجرتها  
أو تمام النكح من التحكم فيها : ﴿ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى ادعوا ذلك ١٥  
﴿ إذا نكحتم ﴾ أى عاقدتم ، أطلق اسم المسبب على السبب فقد صار فيه حقيقة شرعية ﴿ المؤمنت ﴾ أى الموصوفات بهذا الوصف الشريف  
المقتضى لغاية الرغبة فيهن و أتم الوصلة بينكم و بينهن .

(١) زيد من ظ و مد .

نظم الذرر (سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٩ و ٥٠) ج - ١٥

ولما كان طول مدة الحبس بالعقد من غير جماع لا يغير الحكم في العدة وإن غيرها في النسب بمجرد إمكان الوطى، وكان الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح<sup>١</sup> [و بعد حل الوطى بالنكاح -<sup>١</sup>]، أشار إليه بحرف التراخي فقال: ﴿ثم طلقتموهن﴾ أى بحكم التوزيع، وقيل لابن عباس: إن ابن مسعود رضى الله عنهم يقول بصفة تعليق الطلاق قبل النكاح فقال: زلة علم - وتلا هذه الآية .

ولما كان المقصود نفى المسيس في هذا النكاح لا مطلقا، وكانت العبرة في إيجاب المهر بنفس الوطى لا بامكانه<sup>٢</sup> وإن حصلت الخلوة، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل ان تمسوهن﴾ أى تجمعهن، أطلق المس على الجماع / لأنه طريق له كما سمي الخمر إثما لأنها سيئة . ولما كانت العدة حقا للرجال قال: ﴿فألكم﴾ ولما كانت العدة واجبة، عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهن﴾ وأكد النفي باثبات الجار في قوله: ﴿من عدة﴾ ودل على اعتيادهم ذلك ومبالغتهم فيه والمضاجرة به كما في الظهار بالافتعال فقال: ﴿تعتدونها﴾ أى تتكلفون عدها<sup>٣</sup> ١٥ و تراعونه، [و-<sup>١</sup>] روى عن ابن كثير<sup>٤</sup> من طريق البزى شاذًا بتخفيف<sup>٤</sup> الدال بمعنى تتكلفون الاعتداء بها على المطلقة .

ولما كان هذا الحكم - الذى معناه الانفصال\* - للزومات اللاحقة

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م . وفى الأصل : مكانه (٣) راجع نمر المرجان ٥ / ٤٢١ (٤) من ظ و مد . وفى الأصل : تخفيف (٥) من ظ و مد . وفى الأصل : لاتصال .

لهن صفات تقتضى دوام العشرة و تمام الاتصال، كان<sup>١</sup> ذلك للكتابات  
 من باب الأولى، و فائدة التقييد الإرشاد إلى أنه لا ينبغي العدول عن  
 المؤمنات، بل ولا عن الصالحات من المؤمنات . و لما كان الكلام كما  
 أشير إليه فى امرأة قرية من المظاهر<sup>٢</sup> عنها، و كان ما خلا من الغرض  
 للصدوق أقرب إلى ذلك، سبب عما مضى قوله : ( فتعوهن ) هـ  
 و لم يصرح بأن ذلك لغير من سمى لها<sup>٣</sup> لتدخل المسمى لها فى الكلام على طريق  
 اللتب مع ما لها من نصف [ المسمى - ' ] كما دخلت الأولى وجوبا  
 ( و مرحوهن ) أى أطلقوهن<sup>٤</sup> ليخرجن من منازلكن و لاتعتلوا عليهن  
 بيلة<sup>٥</sup> ( سراحا جيلا هـ ) بالإحسان قولاً و فعلاً من غير ضرار بوجه  
 [ أصلاً - ' ] ليتزوجهن من شاء .

١٠

و لما كان النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، و كان المراد الأعظم  
 فى هذه الآيات بيان ما شرفه الله به من<sup>٦</sup> ذلك، أتبع ما بين أنه<sup>٧</sup> لا عدة  
 فيه من نكاح المؤمنين [ و ما حرمه عليهم من التضييق على الزوجات  
 المطلقات -<sup>٨</sup> ] بعض ما شرفه الله تعالى به و خصه من أمر [ التوسعة فى -<sup>٩</sup> ]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : و كان (٢) و من هنا نستأنف نسخة م .  
 (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ  
 و مد، و فى الأصل و م : طلقوهن (٦) العبارة من هنا إلى « أمر التوسعة فى »  
 ساقطة من مد (٧) العبارة من « كان المراد » إلى هنا ساقطة من ظ (٨) زيد  
 من ظ (٩) زيد من ظ و م .

النكاح، و ختمه بأن أزواجه لا تحل بعده، فهن كمن عدتهن<sup>١</sup> ثابتة  
لا تنقض<sup>٢</sup> أبداً، أو كمن زوجها غائب عنها وهو حي، لأنه صلى الله  
عليه وسلم حي في قبره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ذاكراً سبحانه الوصف الذي  
هو مبدأ القرب و مقصوده و منبع<sup>٣</sup> الكمال و مداره .

و لما كان الذين في قلوبهم مرض ينكرون خصائص النبي صلى الله  
عليه وسلم أكد قوله: ﴿أَنَا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ أى نكاحهن، قال  
الحارلى فى كتابه فى أصول الفقه: تعليق الحكم بالأعيان مختص بخاص  
مدلولها نحو حرمت أو حللت المرأة أى نكاحها، و الفرس أى ركوبه،  
و الخمر أى شربها، و لحم الخنزير أى أكله، و البحر أى ركوبه، و الثور  
أى الحرث به، و كذلك كل شئ يختص بخاص مدلوله، و لا يصرف  
عنه إلا بمشعر، و لا إجمال فيه لترجح الاختصاص - انتهى .

و لما كان المقصود من هذه السورة بيان مناقبه صلى الله عليه وسلم  
و ما خصه الله به مما قد يطعن فيه المنافقون من كونه أولى من كل  
أحد بنفسه و ماله، بين أنه مع ذلك لا يرضى إلا بالأاكل، فبين أنه  
١٥ كان 'يمجّل المهور، و يوفى الأجور، فقال: ﴿الَّتِي أَتَيْتَ﴾ أى  
بالإعطاء الذى هو الحقيقة، وهى 'به صلى الله عليه وسلم أولى 'أو بالتسمية

(١) فى ظ و مد: عدتها (٢) من ظ و مد، وفى الأصل و م: لا تنقض .  
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مبلغ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل  
و م: كما (٥) - فقط من ظ (٦ - ٦) فى الأصل بياض ملائمة من ظ و م مد .  
فى

في العقد، قال الكشاف: وكان التعجيل ديدن السلف و سنتهم و ما لا يعرف بينهم غيره (اجورهن) أى مهورهن لأنها عوض عن منفعة البضع، و أصل الاجر الجزاء<sup>٢</sup> على العمل (و ما ملكت يمينك ) .

و لما كان حوز<sup>٣</sup> الإنسان لما سباه أطيب لنفسه و أعلى لقدره و أحل

بما اشتراه قال: (عَمَّا آفَاةً) / أى رد (الله) الذى له الأمر كله ٥ / ٢٤٨

(عليك) مثل صفية بنت حيي النضرية و ربحانة القرظية<sup>٤</sup> و جويرية بنت الحارث الخزاعية رضى الله عنهم عما كان فى أيدي الكفار، أسنده إليه سبحانه إفهاما لأنه فى على وجهه الذى أحله الله لا خيانة فيه، و عبر بالفاء<sup>٥</sup> الذى معناه الرجوع إفهاما لأن ما فى يد الكافر ليس له،

و إنما هو لمن<sup>٦</sup> يستلبه منه من المؤمنين يد<sup>٧</sup> القهر أو لمن يعطيه الكافر ١٠

منهم عن طيب نفس، و من هنا كان يعطى النبي صلى الله عليه و سلم ما يطلب منه من بلاد الكفار أو نسائهم، و ما أعطى أحدا شيئا إلا وصل إليه كتيم الدارى و شويل رضى الله عنهما، و قيد بذلك تنبيها على فضله صلى الله عليه و سلم و وقوعه من كل شيء على أفضله كما تقدمت الإشارة

إليه، و إشارة إلى أنه سبق فى علم الله أنه لا يصل إليه من ملك اليمين<sup>٨</sup> ١٥

إلا ما كان هذا سيله، و دخل فيه ما أهدى له<sup>٩</sup> من الكفار<sup>٩</sup> مثل مارية

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لأنه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جور (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل و م: القرظية.

(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالنفى (٦) من ظ و م و مد، و فى

الأصل: بمن ليس (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يد (٨) من ظ و م

و مد، و فى الأصل: اليمين (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ .

القبضية أم ولده إبراهيم عليه السلام ، وفي ذلك أيضا إشارة إلى ما  
خضع به من تحليل ما كان حظره على من كان قبله من الغنائم  
(وبنت عمك) الشقيق وغيره من باب الأولى ، فإن النسب كلما بعد  
كان أجدر بالحل .

٥ ولما كان قد أفرد العم لأن واحد الذكور يجمع من غيره لشرفه  
وقوته وكونه الأصل الذي تفرع منه هذا النوع ، عرف بجمع الإناث  
أن المراد به الجنس لئلا يتوهم أن المراد بإباحة الأخوات مجتمعات فقال :  
(وبنت عمك) من نساء بني عبد المطلب .

ولما بدأ بالعمومة لشرفها ، أتبعها قوله : (وبنت خلك) جاريا  
١٠ أيضا في الأفراد والجمع على ذلك النحو (وبنت خلتك) أي  
من نساء بني زهرة [ ويمكن أن يكون في ذلك احتباك عجيب وهو :  
بنات عمك وبنات أعمامك ، وبنات عماتك وبنات عمك ، وبنات خالك  
وبنات أخوالك ، وبنات خالاتك وبنات خالتك ، وسره ما  
أشير إليه - ° ]

١٥ ولما بين شرف أزواجه من جهة النسب لما علم واشتهر أن نسبه  
صلى الله عليه وسلم من جهة الرجال والنساء أشرف<sup>١</sup> الأنساب بحيث  
لم يختلف في ذلك اثنان من العرب ، بين شرفهن من جهة الأعمال فقال :  
(١) من م ومد ، وفي الأصل - وظ : بجميع (٢) من ظ وم ومد ، وفي  
الأصل : لأن (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : اتبعه (٤) سقط من ظ  
وم ومد (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) تكرر في ظ .



(الذى هاجرن) وأشار بقوله : (مكذ) إلى أن الهجرة قبل الفتح  
 "أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا" ولم يرد بذلك  
 التقييد بل التنيه على الشرف، وإشارة إلى أنه سبق في علمه سبحانه أنه  
 لا يقع له أن يتزوج من هي خارجة عن هذه الأوصاف، وقد ورد  
 أن هذا على سبيل التقييد؛ روى الترمذى<sup>١</sup> والحاكم وابن أبي شيبة<sup>٥</sup>  
 وإسحاق بن راهويه والطبرانى والطبرى<sup>٢</sup> وابن أبي حاتم كلهم من رواية  
 السدى عن أبي صالح عن أم هانئ<sup>٣</sup> بنت أبي طالب رضى الله عنها<sup>٤</sup> قالت :  
 خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت [إليه -<sup>٦</sup>] فعدرنى ثم  
 أنزل الله تعالى "أنا أحلنا لك أزواجك" - الآية، فلم أكن لأحل له  
 لأنى لم أهاجر. كنت من الطلقاء - قال الترمذى : حديث حسن لا نعرفه<sup>١٠</sup>  
 إلا من هذا الوجه من حديث السدى .

ولما بين ما هو الأشرف من النكاح لكونه<sup>٥</sup> الأصل، [و -<sup>٦</sup>] أتبعه  
 سبحانه ما خص به شرعه صلى الله عليه وسلم من المغنم الذى تولى سبحانه  
 إباحته، أتبعه ما جاءت إباحته من جهة المسيح إعلاما بأنه ليس من نوع  
 الصدقة التى نزه عنها قدره / فقال : (واختصاف) أى وأحللنا لك امرأة ١٥ / ٢٤٩  
 (مؤمنة) أى هذا الصنف حرة كانت أو رقيقة (إن وهب نفسها للذى) .  
 ولما ذكر وصف النبوة لأنه مدار الإكرام من الخالق والمجبة من

(١) راجع جامع ٢ / ١٥٠ (-) سقط من ظ (م) من م ومد . وفى الأصل  
 وظ : عنهم (٤) زيد من ظ ومد والجامع (٥) من مد . وفى الأصل وظ  
 وم : بكونه (٦) زيد من ظ وم ومد .

الخلائق تشريفا له به و تعليقا للحكم بالوصف، لأنه لو قال " لك " كان ربما وقع في بعض الأوهام - كما قال الزجاج - أنه غير خاص به صلى الله عليه وسلم، كرهه بيانا لمزيد شرفه في سياق رافع لما ربما يتوهم من أنه يجب عليه القبول<sup>١</sup> فقال: ﴿ ان اراد النبي ﴾ أى الذى أعلينا قدره بما اختصاصه به من الإنباء بالأمور العظيمة من عالم الغيب و الشهادة ﴿ ان يستنكحها ﴾ أى يوجد نكاحه لها<sup>٢</sup> يجعلها من منكوحاته بعقد أو ملك يمين، فتصير له<sup>٣</sup> بمجرد ذلك بلا مهر<sup>٤</sup> ولا ولى ولا شهود . و لما كان ربما فهم ان غيره يشاركه في هذا المعنى، قال مبينا لخصوصيته<sup>٥</sup> واصفا لمصدر " احلنا " مفتحا للأمر بهاء المبالغة ملتفتا إلى الخطاب لأنه معين لاراد رافع الارتياح: ﴿ خالصة لك ﴾ وزاد المعنى بيانا بقوله: ﴿ من دون المؤمنين ﴾ أى من الأنبياء وغيرهم، و أطلق الوصف المفهم للرسوخ فشمع من قيد بالإحسان والإيقان، و غير ذلك من الألوان، دخل من نزل عن رتبهم من الذين يؤمنون والذين آمنوا و سائر الناس من باب الأولى مفهوما موافقة، وقد كان الواهبات عدة ولم [يكن -<sup>٦</sup>] عنده منهن شيء<sup>٧</sup>. روى البخارى<sup>٨</sup> عن عائشة وصى الله عنها انها قالت: كنت أغار على الآتى وهبن أنفسهن لرسول الله

---

(١) من ظ و م و مد . وفى الأصل: العقول (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بها (٣) من ظ و م و مد . وفى الأصل: لك (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يميز (٥) فى ظ و م و مد: للخصوصية (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) راجع ٢ / ٧٠٦ .

صلى الله عليه وسلم و أقول : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها، فلما نزلت " رَجِيْ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ " قلت : يا رسول الله، ما أرى ربك ألا يسارع في هواك .

ولما كان التخصيص لا يصح ولا يتصور إلا من محيط العلم بأن هذا الأمر ما كان لغير المخصوص تام القدرة . ليمنع غيره من ذلك، هـ  
ع الله بقوله : ﴿ قد ﴾ أى ' اخبرناك بأن هذا أمر يخصك دونهم لأننا ' قد ﴿ علمنا ما فِضنا ﴾ أى قدرنا بعظمتنا .

ولما كان ما قدره للانسان عطاء . و منعا لا بد له منه، عبر فيه بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم ﴾ أى المؤمنين ﴿ فى أزواجهم ﴾ أى من أنه لا تحل لهم امرأة بلفظ الهمزة منها ولا بدون مهر ولا بدون ولى ١٠ و شهود، و هذا عام لجميع المؤمنين المتقدمين و المتأخرين . و لما كان هذا عاما للحررة و الرقيقة قال : ﴿ و ما ملكت إيمانهم ﴾ أى ' من [أن - ٢] أحدا غيرك لا يملك رقيقة بهبتها لنفسها منه، فيكون أحق من سيدها . و لما فرغ من تعليل الدونية، علل التخصيص لفا و نشرا مشوشا بقوله : ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ٣ ﴾ أى ضيق فى شيء من أمر ١٥ النساء حيث أحللنا لك أنواع المنكوحات و زدناك الواهة . و لما ذكر سبحانه ما فرض فى الأزواج و الإمامة الشامل للعدل فى عشرين، و كان النبى صلى الله عليه وسلم أعلى الناس فهما و أشدهم [ الله - ٢ ] خشية،

(١) - سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لا (٣) زيد من ظ و م و مد .

وكان يعدل بينهما ، و يعتذر مع ذلك من ميل القلب الذى هو خارج  
 عن طوق البشر بقوله « اللهم / هذا قسمى<sup>١</sup> فيما أملك فلا تلنى فيما  
 لا أملك ، خفف عنه سبحانه بقوله : ﴿ وكان الله ﴾ أى المتصف بصفات  
 الكمال من الحلم<sup>٢</sup> و الأناة و القدرة و غيرها<sup>٣</sup> أزلا و أبدا ﴿ غفورا رحيماء ﴾  
 ٥ أى بليغ السر فهو إن شاء يترك المؤاخذه فيما له أن يؤاخذه به ، و يجعل  
 مكان المؤاخذه الإكرام العظيم متصفا بذلك أزلا و أبدا .

ولما ذكر هاتين الصفتين ، اتبعهما ما خففه عنه من أمرهن لإكراما  
 له صلى الله عليه وسلم بما<sup>٤</sup> كان من شأنه أن يتحمل فيه و يتخرج عن  
 فعله ، فقال فى موضع الاستئناف ، أو الحال من معنى التخفيف فى الجمل  
 ١٠ السابقة : ﴿ رجى ﴾ بالهمز على قراءة الجماعة أى تؤخر ﴿ من تشاء منهن ﴾  
 أى من الواهبات فلا تقبل هتها أو من نساك بالطلاق أو غيره مع ما  
 يؤنسها من أن تؤوبها ، و بغير همز عند حمزة و الكسائي و حفص<sup>٥</sup> من  
 الرجاء أى تؤخرها مع أفعال يكون بها راجية<sup>٦</sup> لعطمتك ﴿ و تؤى ﴾  
 أى تضم و تقرب<sup>٧</sup> بقبول الهبة أو بالإبقاء فى العصمة بقسم و بغير قسم  
 ١٥ بجماع و بغير جماع تخصيصا له بذلك عن<sup>٨</sup> سائر الرجال ﴿ اليك من تشاء ﴾

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قسم (٢) من ظ و م و مد ، وفى  
 الأصل : الحكم (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : غيرها (٤) فى ظ : بما .  
 (٥) راجع ثمر المرجان ٤٢٤/٥ (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : واجبة .  
 (٧) زيد فى الأصل و م : أى . ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٨) من  
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : من .

و سيب نزول هذه الآية<sup>١</sup> أنه لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقهن  
فقلن: يا نبي الله! اجعل لنا من مالك و نفسك ما شئت، و دعنا على  
حالتنا، فنزلت .

و لما كان ربما مال إلى من فارقها، بين تعالى حكمها فقال :  
(و من ابتغيت) أى مالت نفسك إلى طلبها (من عزلت) أى أوقعت هـ  
عزلها بطلاق أو رد هبة (فلا جناح عليك) أى فى إيوائها بعد ذلك  
بقبول هبتها أو بردها إلى ما كانت عليه من المنزلة عندك من قيد<sup>٢</sup>  
النكاح أو القسم .

و لما كانت المفارقة من حيث هى - و لا سيما إن كان فراقها لما فهم  
منها من كراهية يظن بها - أنها تكره الرجعة، أخبر سبحانه أن نساءه ١٠  
صلى الله عليه وسلم على [ غير -<sup>٣</sup> ] ذلك فقال: (ذلك) أى الإذن  
لك من الله و الإيواء العظيم الرتبة، لما لك من الشرف (اذنى<sup>٤</sup>) أى  
أقرب من الإرجاء و من عدم التصريح بالإذن فى القرآن المعجز، إلى  
(ان تقر اعينهن) أى بما حصل لهن من عشرتك الكريمة، و هو  
كناية عن السرور و الطمأنينة يلوغ المراد، لأن من كان كذلك كانت ١٥  
عينه قارة، و من كان مهموما كانت عينه كثيرة الثقل لما يخشاه - هذا  
إن كان من القرار بمعنى السكون، و يجوز أن يكون من القمر الذى هو  
(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآيات (٢) فى ظ: قبل (٣) زيد من  
ظ و م و مد (٤) فى ظ و م .

ضد الحر. لأن المسرور [ تكون - ١ ] عينه باردة، والمهموم تكون  
 عينه حارة، فلذلك يقال للصديق: اقر الله عينك، وللعدو: أسخن الله  
 عينك<sup>٢</sup> ( ولا يحزن ) أى بالفراق وغيره مما يحزن من ذلك  
 ( ويرضين ) لعلهن أن ذلك من الله لما للكلام من الإعجاز  
 ( بما آتينهن ) أى من الأجور وغيرها من نفقة وقسم وإيثار وغيرها<sup>٣</sup>.  
 ولما كان التأكيد أوقع في النفس واثق للبس، وكان هذا أمرا  
 غريبا لبعده عن الطباع أكد فقال: ( كلهن<sup>٤</sup> ) أى ليس<sup>٥</sup> منهن واحدة  
 إلا هى كذلك راغبة فيك راضية بصحبك<sup>٦</sup> إن آويتها أو<sup>٧</sup> أرجأتها  
 / لما لك من حسن العشرة وكرم الأخلاق ومحاسن الشئال وجميل  
 ١٠ الصفة، وإن اخترت فراقها علمت أن هذا أمر من الله جازم، فكان  
 ذلك [ أقل - ١ ] لحزنها فهو أقرب إلى قرار عينها بهذا الاعتبار، وزاد  
 ذلك تأكيدا لما له من الغرابة التى لا تكاد تصدق بقوله [ عطفًا على  
 نحو "فالله يعلم ما فى قلوبهن" - ٧ ]: ( والله ) أى بما له من الإحاطة  
 بصفات الكمال ( يعلم ) أى علما مستمرا لتعلق ( ما فى قلوبكم ) [ أى - ١ ]  
 ١٥ أيها الخلائق كلكم، فلا بدع إن علم ما فى قلوب هؤلاء.

ولما رغبه سبحانه فى الإحسان إليهن بادامة الصفة بما أخبره من

- 
- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : عينه (٣) فى ظ و م و مد : غيرها .  
 (٤) من ظ و م و مد . وفى الأصل : ليس (٥) زيدت الواو فى الأصل ،  
 ولم تكن فى ظ و م و مد لحذفها (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل «و» .  
 (٧) زيد من ظ و مد .

ودهن لذلك، لكونه صلى الله عليه وسلم شديد المحبة لإدخال السرور على القلوب، زاده ترغيباً بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أى أزلاً وأبداً ﴿عَلَيْهَا﴾ أى بكل شئ. ممن بطيعه ومن يعصيه ﴿حُلِيَّاهُ﴾ لا يعاجل من عصاه، بل يديم إحسانه إليه في الدنيا فيجب أن يتقى لعلله وحله، فعليه موجب للخوف منه، وحله مقتضى للاستحياء منه. وأخذ الحليم شديد، فينبغى له لبعده المحب له أن يحلم عن يعلم تقصيره في حقه، فانه سبحانه يأجره على ذلك بأن يحلم عنه فيما عليه<sup>٢</sup> منه. وأن يرفع قدره ويعلى ذكره، روى البخارى في التفسير عن معاذة<sup>٣</sup> عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاذن في يوم المرأة منا<sup>٤</sup> بعد أن أنزلت هذه الآية "ترجى من تشاء منهم" الآية، قلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن<sup>٥</sup> [كان -<sup>٦</sup>] ذاك إلى فاني لا أريد بإرسول الله أن أوثر عليك أحداً.

ولما أمره بما يشق من تغيير العوائد في أمر العدة، ثم بما قد يشق عليه صلى الله عليه وسلم من تخصيصه بما ذكر خشية من طعن بعض من لم يرسخ إيمانه، وختم ذلك بما بسر أزواجه، وصل به ما يزيد سرورهن من تحريم غيرهن عليه شكراً لهن على إعراضهن عن الدنيا

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: يبقى (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل موجب (٣) في ظ: علم (٤) راجع صحيحه ٧٠٦/٢ (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: معارة (٦) من ظ وم ومد والصحيح، وفي الأصل: ما (٧) في ظ: اذ (٨) زيد من ظ وم ومد والصحيح.

واختيارهن الله ورسوله فقال: ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ ﴾ و لما كان تعالى شديد العناية به<sup>١</sup> صلى الله عليه وسلم ، لَوَح له في آية التحريم إلى أنه ينسخه عنه ، فأثبت الجار فقال: ﴿ (من بعد) ﴾ أى من<sup>٢</sup> بعد من معك من هؤلاء التسع - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما<sup>٣</sup> في رواية عنه ، شكرًا من الله لهن لكونهن لما نزلت آية التخيير اخترن الله ورسوله ، فتكون الآية منسوخة بما تقدم عليها في النظم و تأخر عنها في الإنزال من آية ” انا احللنا لك ازواجك “ و في رواية<sup>٤</sup> أخرى عنه من بعد ” ائتي احللنا لك “ بالصفة المتقدمة من بنات العم وما معهن ، و يؤيدها ما تقدمت روايته<sup>٥</sup> عن أم هانئ رضى الله عنها .

١٠ و لما كان ربما فهم أن المراد الحصر في عدد التسع ، لا بقيد المعينات ، قال: ﴿ (و لا ان تبدل بهن) ﴾ أى هؤلاء التسع ، و أعرق في النفي بقوله: ﴿ (من) ﴾ أى شيئًا من ' ﴿ (ازواج) ﴾ أى بأن تطلق بعض هؤلاء المعينات ، و تأخذ بدلها من غيرهن بعقد النكاح بحيث لا يزيد العدد على تسع ، فعلم بهذا أن الممنوع [ منه - ] نكاح غيرهن مع طلاق واحدة منهن ١٥ أولاً ، و هو يؤيد الرواية الأولى عن ابن عباس رضى الله عنهما لأن المتبدل بها لا تكون إلا معلومة العين ، و الجواب عن قول أم هانئ

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٢٢٢/٥ (٤) زيد في ظ : الى (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : آية (٦ - ٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تقدم من روايتها (٧) زيد من ظ و م و مد .



٢٥٢ /

رضى الله عنها أنه 'فهم منها' / لارواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ،  
 وأما عند موت واحدة منهم فلا حرج في نكاح واحدة بدلها .  
 ولما علم من هذا المنع من كل زوجة بأى<sup>٢</sup> صفة كانت ، أكد  
 المعنى وحققه ، وصرح به في قوله حالا من فاعل "تبدل" :  
 (ولو اعجبك حسنهن) أى النساء المغايرات لمن معك ، وفي هذا إباحة .  
 النظر إلى من يراد نكاحها لأن النظرة الأولى لا تكاد تثبت ما عليه المرنى  
 من حاق الوصف ؛ ولما كان لفظ النساء شاملا للأزواج والإماء ، بين  
 أن المراد الأزواج [ فقط - ٣ ] بقوله : (الاما ملكت يمينك<sup>١</sup>) أى  
 فيحل لك منهن ما شئت ، وقد ملك 'رسول الله' صلى الله عليه وسلم  
 ريحانة رضى الله عنها من سبي بنى قريظة ، واستمرت في ملكه مدة لا يقربها ١٠  
 حتى أسلمت ، ثم ملك بعد عام الحديبية مارية رضى الله عنها أم ولده  
 إبراهيم عليه السلام .

ولما تقدم سبجانه في هذه الآيات فأمر ونهى وحد حدودا<sup>١</sup> ،  
 حذر من التهاون بشيء منها ولو بنوع تأويل فقال : (وكان الله )  
 أى الذى لا شيء أعظم منه ، وهو المحيط بجميع صفات الكمال ١٥  
 (على كل شيء رقيباً) أى يفعل فعل المراعى لما يتوقع منه من خلل  
 على أقرب قرب منه بحيث لا يفوت مع رعايته فائت من أمر المرعى ،

(١-١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : وهم (٢) في ظ : من اى (٣) زيد  
 من ظ و م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٥) من ظ و م و مد ،  
 وفي الأصل : قدم (٦) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و م و مد  
 فحذفناها .

و لا يكون الرقيب إلا قريبا، و لا أقرب من قرب<sup>١</sup> الحق سبحانه . فلا  
أرعى من رقبته، و هو من أشد الأسماء وعيدا .  
و لما كان القرب و الإحاطة لله، كان بالحقيقة لا رقيب إلا هو،  
و الآية على كل حال منسوخة إن قلنا بالاحتمال<sup>٢</sup> الأول أو الثاني، فقد  
ه روى الترمذى فى التفسير<sup>٣</sup> عن عائشة رضى الله عنها و ناهيك بها و لاسيما  
فى هذا الباب أنها قالت : ما مات رسول الله صلى الله عليه و سلم حق.  
أحل له النساء، و قال : هذا حديث حسن صحيح - انتهى . و نقل ابن  
الجوزى عنها رضى الله عنها أن الناسخ [آية -<sup>٤</sup>] "أنا أحللت لك أزواجك"  
و كذا [عن -<sup>٥</sup>] جماعة منهم على و ابن عباس و أم سلمة رضى الله  
عنه<sup>١٠</sup>، و لكنه صلى الله عليه و سلم ترك ذلك أدبا مع الله تعالى حيث  
عبر فى المنع بصيغة الخبر و الفعل المضارع، و رعاية لما أشار الله إليه  
من رعاية حقهن فى<sup>٥</sup> اختيارهن الدار الآخرة .

و لما قصره صلى الله عليه و سلم عليهن<sup>٦</sup>، و كان قد تقدم إليهن<sup>٧</sup>  
بلزوم البيوت و ترك ما كان<sup>٨</sup> عليه الجاهلية<sup>٩</sup> من التبرج، أرخى عليهن  
١٥ الحجاب فى البيوت و منع غيره صلى الله عليه و سلم مما كانت العرب  
عليه من الدخول على النساء لما عندهم من الأمانة فى ذلك، فقال

(١) فى ظ : قريب (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : باحتمال (٣) راجع  
من جامعه ٢ / ١٥٣ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى  
لأصل و « (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : إليهن .  
(٨ ٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الجاهلية عليه .

مخاطبا لأذن أسنان أهل هذا الدين لما ذكر في سبب نزولها، ولأن المؤمنين كانوا متهمين [ عن ذلك - ١ ] بغير ناه كما يدل عليه ما يأتي من قول عمر رضى الله عنه في الحجاب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى ادعوا الإيمان صدقوا دعواكم فيه<sup>٢</sup> بأن ﴿ لَا تَدْخُلُوا ﴾ مع الاجتماع<sup>٣</sup>، قالواحد من باب الأولى .

٥

و لما كان تشويش الفكر ربما كان شاغلا عن شئ، مما ينبئ الله به كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم: «يفت لى ليلة القدر قتلحا فلان و فلان فأنسيتهما» - أو كما قال صلى الله عليه وسلم، عبر بصفة النبوة / فى قوله: ﴿ يَبُوتُ النَّبِيُّ ﴾ أى الذى يأتيه الإنباء من علام الغيوب بما فيه غاية رفعة. فى حال من الأحوال أصلا ﴿ الْآ ﴾ فى حال ١٠ ﴿ اِنْ يُوْذَنَ لَكُمْ ﴾ أى بمن له الإذن فى بيوتته صلى الله عليه وسلم منه أو بمن يأذن له<sup>٤</sup> فى ذلك، متهمين ﴿ اِلَى طَعَامٍ ﴾ أى أكله، حال كونكم ﴿ غَيْرَ نَظْرِينَ اِنَّهٗ لَا ﴾ أى وقت ذلك الطعام و بلوغه و استواءه للأكل، فنع بهذا من كان يتحين طعام النبى صلى الله عليه وسلم، لأن فى ذلك تكليفا له صلى الله عليه وسلم بما يشق عليه جدا، فانه ربما كان ثم من ١٥ هو أخرج إلى ذلك الطعام من المتحين أو غير ذلك من الأعذار، فلا يتوجه

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: به  
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الاتباع (٤) زيد فى الأصل: الا .  
ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كاه (٦) سقط من ظ .

الخطاب إلى غير أهل هذا السن السافل، ومن<sup>١</sup> وقعت له فلتة  
من فوق رتبته دخل في خطابهم بما أنزل من رتبته، والتعبير باسم  
الفاعل المجرد في "نظيرين" أبلغ في النهي .

ولما كان هذا الدخول بالإذن مطلقا، وكان يراد تقييده، وكان  
هـ الأصل في ذلك: فاذا دعيتم - إلى آخره، ولكن لما كان المقام للخنم بالجزم  
فيما يذكر، وكان الاستدراك أمر عظيم من روعة النفس وهزها للعلم  
بأن ما بعده مضاد لما قبله قال: (ولكن اذا دعيتم) أى من له الدعوة  
(فادخلوا) أى لاجل ما دعاكم له<sup>٢</sup>؛ ثم سبب عنه قوله: (فاذا طعمتم)  
أى أكلتم طعاما أو شربتم شرابا (فانتشروا) أى اذهبوا حيث شئتم  
١٠ في الحال، ولا تتركوا بعد الأكل لاستريحين لقرار الطعام<sup>٣</sup> في بطونكم  
(ولامستأنسين لحديث<sup>٤</sup>) أى طالبين الانس لاجله، قال حمزة بن نصر  
الكرمانى في كتابه جوامع التفسير: قال الحسن: حبك<sup>٥</sup> في الثقلاء<sup>٦</sup>  
أن الله لم يتجاوز في أمرهم - انتهى، وعن عائشة رضى الله عنها أنها  
قالت: حبك بالثقلاء<sup>٧</sup> أن الله لم يحتملهم . ثم علل ذلك بقوله مصوبا  
١٥ الخطاب إلى جميعه . معظما له بأداة البعد: (ان ذلكم) أى الأمر الشديد<sup>٨</sup>

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: من (٢) من م و مد، وفي الأصل  
و ظ : (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الاكل (٤ - ٤) في ظ و م  
و مد الثقلاء (٥) في ظ و م و مد: من الثقلاء، وفي روح المعاني ٨٩/٧  
حيث ذكر قول عائشة رضى الله عنها: في الثقلاء (٦) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل البشرية .

و هو المكث بعد الفراغ 'من الأكل و الشرب' ﴿ كان يؤذى النى ﴾  
 أى الذى هبأناه لسماع ما تنبئه به بما يكون سبب شرفكم و علومكم فى  
 الدارين ، فاحذروا أن تشغلوه عن شئ منه فتنبئه بشئ تهايكون فيه .  
 ثم سبب عن ذلك المانع له من مواجهتهم بما يزيل أذاة فقال : ﴿ فيستحي ﴾  
 أى يوجد الحياء ، و أصله إيجاد الحياة . كأن من لاجيء له جماد لاجياة ه  
 له ﴿ منكم ذ ﴾ أى أن يأمركم بالانصراف ﴿ والله ﴾ أى الذى له جميع  
 الأمر ﴿ لا يستحي من الحق ﴾ أى لا يفعل فعل المستحي فيؤديه ذلك  
 إلى ترك الأمر به .

و لما كان البيت يطلق على المرأة لملازمتها له عادة ، أعاد الضمير  
 عليه مراداً به النساء استخداماً فقال : ﴿ و اذا سألتموهن ﴾ أى الأزواج ١٠  
 ﴿ متاعا ﴾ أى شيئاً من آلات البيت ﴿ فسلوهن ﴾ أى ذلك المتاع ،  
 كاتنين و كائنات ﴿ من وراء حجاب ﴾ أى ستر يستركم عنهن و يسترهن  
 عنكم ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العالى الرتبة الذى أدبتكم<sup>٢</sup> جميعكم به من السؤال من  
 وراء حجاب و غيره ﴿ اطهر لقلوبكم و قلوبهن ﴾ أى [ من - ]<sup>٣</sup> و ساوس<sup>٤</sup>  
 الشيطان<sup>٥</sup> التى كان يوسوس بها فى أيام الجاهلية قناعة منه بما كانوا فى ١٥  
 حباله من الشرك ﴿ و ما كان لكم ﴾<sup>٦</sup> أى و ما صح و ما استقام فى  
 حال من الأحوال ﴿ ان تؤذوا ﴾ و ذكرهم<sup>٧</sup> بالوصف الذى هو سبب

( ١ - ) سقط ما بين الرقین من ظ و م و مد ( ٢ ) من ظ و م و مد ، و فى  
 الأصل : يهلكونه ( ٣ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أدبكم ( ٤ ) زيد من  
 مد ( ٥ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دسائس ( ٦ - ٧ ) سقط ما بين الرقین  
 من ظ ( ٧ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكر .

لسعادتهم<sup>١</sup> واستحق به<sup>٢</sup> عليهم من / الحق ما لا يقدرُونَ على القيام بشكره  
فقال: ﴿ رسول الله ﴾ صلى الله عليه وسلم، أى الذى له جميع الكمال  
فله إليكم من الإحسان ما يستوجب [منكم -<sup>٣</sup>] به غاية الإكرام والإجلال،  
فضلا عن الكف عن الأذى، فلا تؤذوه بالدخول إلى شئ من بيوته  
بغير إذنه أو المكث بعد فراغ الحاجة ولا بغير ذلك .

و لما كان قد قصره [صلى الله عليه وسلم عليهن، و لزم ذلك بعد  
أن أحل له غيرهن قصرهن عليه بعد -<sup>٤</sup>] الموت زيادة لشرفه وإظهارا  
لمزيته فقال: ﴿ و لا أن تنكحوا ﴾ أى فيما يستقبل من<sup>٥</sup> الزمان  
﴿ازواجه من بعده﴾ أى بعد فراقه لمن دخل بها منهن بموت أو طلاق  
١٠. لما تقدم أنه حتى لم يمت<sup>٦</sup> ﴿ابدا﴾ فان العدة [منه -<sup>٧</sup>] ينبغي أن لا تنقضى  
لما له من الجلال والعظمة والكمال، وهو حتى فى قبره لا يزال، [و ثم علة  
أعم من هذه لمسها فى الميراث، و هى قطع الأطاع عن امتدادها إلى شئ  
من الدنيا بعده لئلا يتمنى أحد موته صلى الله عليه وسلم ليأخذ ذلك  
فيكفر لأنه لا إيمان لمن لا يقدمه على نفسه -<sup>٨</sup>]، و أما العالية بنت ظبيان  
١١. التى طلقها النبى صلى الله عليه وسلم و تزوجت غيره فكان أمرها قبل  
نزول هذه الآية - ذكره البغوى<sup>٩</sup> عن معمر عن الزهري . ثم علل ذلك  
بقوله: ﴿ان ذلكم﴾ أى الإيذاء بالنكاح وغيره الذى<sup>١٠</sup> ينبغي أن يكون

(١) فى ظ و م و مد : سعادتهم (٢) فى ظ : بهم (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى  
ظ و ، (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) سقط ما بين  
الرفيعين من ظ و م و مد (٨) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٢٢٥/٥ .  
(٩) فى ظ : اى .

على غاية البعد ﴿ كان عند الله ﴾ أى الفادر على كل شيء (عظيما) وقد ورد في سبب زول هذه الآية أشياء، روى أبو يعلى الموصلى في مسنده عن أنس رضى الله عنه قال: بعثتني أم سليم رضى الله عنها برطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على طبق في أرل ما أينع ثمر النخل قال: فدخلت عليه فوضعت بين يديه فاصاب منه ثم أخذ يدي فخرجنا<sup>١٠</sup> وكان حديث عهد بعمرس زينب<sup>١</sup> بنت جحش رضى الله عنها، قال: فر بنساء من نسائه و عندهن رجال يتحدثون فهأنه وهأنه الناس فقالوا: الحمد لله الذى<sup>٢</sup> أقر بعينك يا رسول الله، فضى حتى أتى عائشة رضى الله عنها، فاذا عندها رجال، قال: فكره ذلك. وكان إذا كره الشيء عرف في وجهه، قال: فأنت أم سليم فأخبرتها، فقال أبو طلحة رضى الله عنه: ١٠. لئن كان ما قال ابنك [حقا -<sup>٣</sup>] ليحدثن أمر، قال: فلما كان من العشي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم تلا هذه الآية "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ" الآية، قال: وأمر بالحجاب، وأصله في التفسير من جامع الترمذى<sup>٤</sup>، وروى البخارى<sup>٥</sup> وغيره<sup>٦</sup> عنه رضى الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا ١٥ بزینب رضى الله عنها، فقالت لى أم سليم: لو أهدينا للنبي صلى الله عليه وسلم

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: مجرحيا - كذا مصحفا (٢) فم: بزینب.  
(٣) سقط من ظ و م ومد (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) راجع ٢ / ١٥٣  
من جامعه (٦) راجع كتاب النكاح من صحيفه ٢ / ٧٧٥ (٧) راجع مثلا جامع الترمذى ٢ / ١٥٣.

و سلم هدية فقلت لها : افعلی ، فعمدت إلى تمر و أقط و سمن ، فاتخذت  
حیسة فی برمة ، فارسلت بها معی إليه<sup>١</sup> ، فقال لی<sup>٢</sup> : ضعها ، ثم أمرنی  
فقال لی : ادع [ لی - ٢ ] رجالا - سماهم - و ادع لی من لقیته ،  
ففعلت الذي أمرنی ، فرجعت فاذا البيت غاص بأهله - و فی رواية الترمذی  
ه أن الراوی قال : [ قلت - ١ ] لأنس : كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة - فرأيت

النبي صلى الله عليه و سلم وضع يده على تلك الحیسة و تكلم بما شاء الله  
ثم جعل يدعو عشرة عشرة / يأكلون منه ، و يقول لهم : اذكروا  
اسم الله ، و ليأكل كل رجل مما يليه ، حتى تصدعوا كلهم عنها ، قال  
الترمذی : فقال [ لی - ٦ ] : يا أنس ، ارفع ، فرفعت فما أدري حين

١٠ وضعت كان أكثر أو حين رفعت - فخرج منهم من خرج و بقي نفر  
يتحدثون ، قال : و جعلت أغتم - قال الترمذی : و رسول الله صلى الله  
عليه و سلم جالس و زوجته مولىة وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله  
صلى الله عليه و سلم ؛ و قال عبد الرزاق فی تفسيره : فجعل رسول الله  
صلى الله عليه و سلم يستجی منهم أن يقول لهم شيئا - ثم خرج النبي  
١٥ صلى الله عليه و سلم نحو الحجرات و خرجت فی أثره ، فقلت : إنهم قد  
ذهبوا ، فرجع فدخل البيت و أرخى الستر و إنى لفي الحجره و هو

(١) زيد فی الصحيح : فانطلقت بها إليه (٢) ليس فی ظ و م و مد (٣) زيد  
من ظ و م و مد و الصحيح (٤) زيد من ظ و م و مد و الجامع (٥) من  
ظ و م و مد و الجامع ، و فی الأصل : بثلاثمائة (٦) زيد من م  
و مد و الجامع .



يقول " يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم " الآية ، وفي رواية الترمذى : ثم رجع ، فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع ظنوا انهم قد ثقلوا عليه ، فابتدروا الباب ، فخرجوا كلهم ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل وأنا جالس في الحجرة ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى خرج على - وأنزلت هذه الآيات ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأهن على الناس " يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي " الآية ، [ و - ٢ ] روى الشيخان<sup>١</sup> وغيرهما عن أنس رضى الله عنه - وهذا لفظ البخارى - في روايات قال : نبى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بنحز ولحم . فأرسلت على الطعام داعيا ، فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجىء ١٠ قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو ، فقلت : يا نبى الله ! ما أجد أحدا أدعو ، قال : ارفعوا طعامكم ، فجلسوا يتحدثون في البيت فاذا هو كأنه يتهاى للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، " فلما قام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر . وفي رواية : ثلاثة رهط ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال : ١٥ السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ، فقالت : و عليك السلام ورحمة الله ،

- (١) من ظ و م ومد والجامع ، وفي الأصل : فقرا هو (٢) زيد من ظ و م .  
 (٣) راجع من صحيح البخارى ٢ / ٧٠٦ و ٧٠٧ ومن صحيح مسلم ١ / ٤٦١ .  
 (٤) من ظ و م ومد و صحيح البخارى ، وفي الأصل : تهاى (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ .

كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك ! فقرى حجر نسانه<sup>١</sup> كلهن يقول  
لهن كما يقول لعائشة رضى الله عنها . و يقلن له كما قالت عائشة - رضى الله  
عنهن ، ثم<sup>٢</sup> رجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا القوم جلوس ، و كان  
[ النبي -<sup>٣</sup> ] صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة  
عائشة رضى الله عنها ، و فى رواية<sup>٤</sup> : أولم رسول<sup>٥</sup> الله صلى الله عليه وسلم  
حين بنى بزيب بنت جحش رضى الله عنها فأشبع الناس خبزا و لحما ،  
ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه ، فيسلم  
عليهن و يدعو لهن ، و يسلن عليه و يدعون له ، فلما رجع إلى بيته رأى  
رجلين جرى بها الحديث ، فلما رآهما رجع عن بيته ، فلما رأى الرجلان<sup>٦</sup>  
١٠ / نبى الله صلى الله عليه وسلم رجع عن بيته وثبا<sup>٧</sup> مسرعين ، فإدري أنا  
أخبرته بخروجهما أو أخبر أن القوم خرجوا ، فرجع حتى إذا وضع  
رجله فى أسكفة الباب داخلة و أخرى خارجة أرخى الستر ، و فى رواية<sup>٨</sup> :  
فذهبت أدخل فألقى الحجاب بينى و بينه ، و أنزلت آية الحجاب " يا أيها  
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي " الآية<sup>٩</sup> ، و للبخارى<sup>١٠</sup> عن عائشة رضى الله عنها

(١) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : نسائك (٢) سقط  
من ظ (ب) زيد من م و مد و صحيح البخارى (٤) راجع ٧٠٧/٢ من صحيح  
البخارى (٥) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : لرسول .  
(٦) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : الرجلين (٧) من ظ  
و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : دنيا - كذا (٨) راجع ٧٠٦/٢  
من صحيح البخارى (٩) سقط من ظ و مد (١٠) راجع ٩٢٢/٢ من صحيحه .

قالت: <sup>١</sup> كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: احجب نساءك، قالت: فلم يفعل <sup>١</sup>، وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن ليلاً إلى ليل قبل المناصع، خرجت سودة بنت زمعة وكانت امرأة طويلة رضى الله عنها، فرآها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو في المجلس فقال: عرفتك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، ه قالت: فأزل الله عز وجل الحجاب، و للبخارى <sup>٢</sup> عن أنس رضى الله عنه ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما كلاهما عن عمر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إن نساءك يدخل <sup>٣</sup> عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحجن، فزلت آية الحجاب، و روى في السبب أشياء غير هذه، وقد تقدم أنه ليس يبدع أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب مستوية ١٠ الدرجة، أو بعضها أقرب من بعض، على أنه قد روى البخارى في التفسير في سياق هذه الآية ما هو صريح في أن قصة سودة بعد الحجاب <sup>٤</sup> عن عائشة رضى الله عنها، قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها <sup>٥</sup> وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: <sup>٦</sup> يا سودة! أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف ١٥ تخرجين، قالت: فانكفات راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي <sup>٧</sup> وإنه يتعشى <sup>٨</sup> وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله! إني

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) راجع ٢ / ٧٠٦ من صحيحه (٣) من ظ وم ومد و صحيح البخارى، وفي الأصل: يدخلن (٤) راجع ٢ / ٧٠٧ من الصحيح (٥) زيد في ظ: لها (٦) من ظ وم ومد و الصحيح، وفي الأصل: تا (٧-٧) في الأصل بياض، ملأناه من ظ وم ومد و الصحيح.

خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت : فأوحى الله<sup>١</sup>  
إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال : قد أذن لكن  
أن تخرجن لحاجتك . وهؤلاء الذين<sup>٢</sup> جلسوا - والنبي صلى الله عليه  
وسلم على ما هو عليه<sup>٣</sup> من الكراهة لجلوسهم<sup>٤</sup> بما ذكر من هيئته في  
٥ حياته وتهيؤه للقيام ونحو ذلك - لم يستثمروا الفقه من أحواله ، بل كانوا  
واقفين عند ما يسمعون<sup>٥</sup> من مقاله ، وطريقة الكمل<sup>٥</sup> الاستبصار برسمه  
وحاله كما يستبصرون من قاله وفعاله ، قال الحرالي : الحال كل هيئة  
[تظهر<sup>٦</sup>] عن انفعال باطن ، ويختص بفهمها المشاهد المتوسم ، وذلك  
كضحكه<sup>٧</sup> صلى الله عليه وسلم للذي رآه يوم خير وقد أخذ<sup>٨</sup> جراب شحم<sup>٨</sup>  
١٠ من في يهود وهو يقول : لا أعطى اليوم من هذا أحدا شيئا ،  
وكتفير وجهه لعمر رضى الله عنه لما أخذ يقرأ عليه صحيفة من حكم  
الاولين حتى نبه عمر رضى الله عنه من توسم في وجهه صلى الله عليه  
وسلم الكراهة لفعل / عمر ، وإنباء كل [حال<sup>٩</sup>] منها بحسب ما يفيد  
الانفعال من الانبساط و الانقباض [ والإعراض<sup>٩</sup> ] ونحو ذلك  
١٥ مما يتوسمه المتفطن ، ويقطع بمقتضاه المتفهم . وأما الرسم<sup>٩</sup> فهو كل ما

/ ٢٥٧

(١) - قط من ظ و م و مد ونسخة البخارى (٢) زيد في الأصل : قد ،  
ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣ - ٢) في ظ : كراهة جلوسهم .  
(٤) العبارة من هنا إلى « كما يستبصرون » ساقطة من ظ (٥) من م و مد ،  
وفي الأصل : الكل (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ،  
وفي الأصل : اضحكه (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : جرات لحم -  
(٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الوسم .

شأنه البقاء بعد غيبته ووفاته، فيفهم منه المعتبر حكم وضعه ومقصد رسمه، كالذى يشاهد من هيئة بنائه مسجده على حال اجتزاء بأيسر ممكن وكبنائه<sup>١</sup> بيوته على هيئة لا تكلف فيها، ولا مزيد<sup>٢</sup> على مقدار الحاجة، وكمثل الكساء الملبد الذى تركه، وفراشه ونحو ذلك من متاع بيوته، وكما يفهم<sup>٣</sup> من احتفاله فى أداة سلاحه مثل كون سيفه محلى بالفضة<sup>٤</sup> وقبضته فضة، ومثل احتفاله بالتطيب حتى [كان -<sup>٥</sup>] يرى فى ثوبه وزره، فيتعرف<sup>٦</sup> من رسومه أحكامه، كما يتعرف من أحواله وأفعاله وأقواله، وذلك لأن جميع هذه الإبانات كلها هى حقيقة ما هو الكلام - انتهى .  
وبرهان ذلك أن الأصل فى الكل الكلام النفس<sup>٧</sup> الذى هو المنشأ، والقول والفعل<sup>٨</sup> والحال والرسم مترجمة عنه، وليس بعضها أحق بالترجمة من ١٠ بعض، نعم بعضها أدل من بعض وأنص وأصرح، فهو النبى<sup>٩</sup> صلى الله عليه وسلم للقيام من بيته مثل ما لو قال: أريد أن تذهبوا، فانه يلزم من قيام الرجل من بيته الذى هو محل ما يستره عن غيره أن يريد ذهاب غيره منه لئلا يطلع على ما لا يجب أن يطلع<sup>١٠</sup> عليه أحد<sup>١١</sup>، وإتيانه ليدخل فاذا راحم رجع مثل ما لو قال: إنما يمنعنى من الدخول إلى محل راحتى جلوسكم ١٥

- (١) فى مد: لبنائه (٢) فى مد: مرة (٣) من ظ و مد، وفى الأصل و م: التلبه (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يتوهم (٥) زيد من ظ و م و مد، (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فيعرف (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الأصل (٨) من م و مد، وفى الأصل و ظ: للنبي (٩) فى ظ و م و مد: يطلعه (١٠) سقط من ظ و م و مد.

فيه لثقل جلوسكم على<sup>١</sup>، وكذا الأحوال و الرسوم - والله الهادي .  
 ولما كان بعض الدال على الكلام - كما مر - أصرح من بعض ،  
 فكان الإنسان قد يضمن أن يفعل ما يؤدي إذا تمكن ، وقد يؤدي  
 بفعل يفعله ، ويدعى أنه قصد شيئاً آخر مما لا يؤدي ، قال تعالى حاملاً  
 ٥ لهم على التفطن والتنبه<sup>١</sup> في الأقوال وغيرها والمقاصد الحسنة ظاهراً  
 وباطناً ، على طريق الاستئناف في جواب من ربما انتهى بظاهره ، وهو  
 عازم على أن يفعل الأذى عند التمكن : ( ان تبدوا ) أى بألسنتكم  
 او غيرها ( شيئاً ) [ أى - ٢ ] من ذلك وغيره ( او تخفوه ) أى  
 في صدوركم .

١٠ ولما كان فعل من يخفى أمراً عن<sup>٢</sup> الناس فعل من يظن أنه يخفى  
 على ربه ، قال مؤكداً تنبيهاً لفاعل ذلك على هذا اللازم لفعله ترهيباً له :  
 ( فان الله ) أى الذى له جميع صفات الكمال ( كان ) أزلاً وأبداً  
 به ، هكذا كان الأصل ولكنه أتى بما يعمه وغيره فقال : ( بكل شيء )  
 [ أى - ٣ ] من ذلك وغيره ( عليهما ) فهو يعلم ما أسررتن وما أعلنتن  
 ١٥ وإن بالغم في كتمه ، فيجازى عليه من ثواب أو عقاب .

ولما كان المقصود كما تقدم تغليظ الحجاب على ذوات الخدور ،  
 وكان قد ذكر في هذه السورة خصائص و تغيير أحكام للنبي صلى الله

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : التنبيه (٢) زيد من ظ و م و مد .  
 (٣) من م و مد . وفي الأصل : على ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة  
 ساقطة في ظ إلى « اللازم لفعله » (٤) زيد من م و مد .

٢٥٨ /

عليه وسلم ولازواجه رضى الله عنهن ولغيرهم، كان ربما ظن أن الحجاب  
تغير أو شيء منه بالنسبة إلى الدخول أو غيره، فاستثنى من عمه النهى  
السابق عن الدخول على وجه يعم جميع النساء / على نحو ما تقدم في سورة  
النور فقال: ﴿ لا جناح ﴾ أى إثم ﴿ عليهن فى البأتنهن ﴾ دخولا وخلوة  
من غير حجاب، والعم والخال وأبو الزوج بمصير الزوجين كالشيء ٥  
الواحد بمنزلة الوالد ﴿ ولا آبأتنهن ﴾ أى من البطن أو الرضاعة، وابن  
الزوج بمنزلة الولد، وترك ذكرهم يفهم أن الورع الحجاب عنهم  
﴿ ولا اخواتهن ﴾ لأن عارهن عارهم ﴿ ولا آبآء اخواتهن ﴾ فانهن  
بمنزلة آبائهن ﴿ ولا آبآء اخواتهن ﴾ فانهن بمنزلة أمهاتهن ﴿ ولا نسآتنهن ﴾  
أى المسلمات القرين منهن والبعدي بمنزلة واحدة، وأما الكافرات فهن ١٠  
بمنزلة الأجانب من الرجال ﴿ ولا ما ملكت إيمانهن ﴾ لأنهم لما لم  
عليهم من السلطان تبعده منهم الريبة هية لمن مع مشقة  
الاحتجاب عنهم ٥.

ولما كانت الريبة ليست مقطوعا بنفيها، وكانت من جهة النساء  
أكثر، لأنه لا يكاد رجل يتعرض إلا لمن<sup>٤</sup> ظن بها الإجابة لما يرى من ١٥

- 
- (١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الواد (٢) سقط من ظ (٣) من م  
ومد: وفي الأصل وظ: فانهم (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فانهم.  
(٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: اخواتهن (٦) من م، وفي الأصل وظ  
ومد: لانهن (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عنهن (٨) من ظ وم  
ومد، وفي الأصل: من.

مخايلها أو مخايل اشكالها، أقبل عليهن بالخطاب لأنه أوقع في النفس، فقال  
 أمرا عاطفا على ما تقديره: فأظهرن على من شئن من هؤلاء:  
 ﴿واقتن الله﴾ أي الذي لا أعظم منه، فلا تقرن شيئا بما يكرهه،  
 وطوى ما عطف عليه الأمر بالتقوى بعد أن ساق نفي الجناح في أسلوب  
 ٥ الغيبة، وأبرز الأمر بها وجعله في أسلوب الخطاب إيدانا بأن الورع  
 ترك الظهور على أحد غير من يملك التمتع، فان دعت حاجة كان مع  
 الظهور حجاب كشف من الاحتشام والادب التام.

ولما كان الخوف لا يعظم إلا بمن كان حاضرا مطلقا، قال معللا  
 مؤكدا تنبيها على أن فعل من يتهاون<sup>١</sup> في شيء من أوامره فعل من  
 ١٠ لا يتق، ومن لا يتق كمن يظن أنه سبحانه غير مطلع عليه: ﴿ان الله﴾  
 أي العظيم الشأن ﴿كان﴾ ازلا و ابدا ﴿على كل شيء﴾ من أفعالكن  
 وغيرها، ولزيد الاحتياط و الورع في ذلك [عبر - ٢] بقوله:  
 ﴿شهيداه﴾ أي لا يغيب عنه شيء. وإن دق، فهو مطلع عليكن حال  
 الخلوة بمن ذكر، كما هو مطلع على [غير - ٢] ذلك فليحذره كل  
 ١٥ أحد [في - ٢] حال الخلوة كما يحذره في حال الجلوة<sup>٢</sup>. فبالها من عظمة  
 باهرة، سطوة ظاهرة قاهرة، يحق لكل أحد أن يبكي منها الدماء فضلا  
 عن الدموع، وإن تمدد مريح القرار و أزيد الهجوع، روى البخاري<sup>٣</sup>

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: كشف (٢) من ظ و م و مد، وفي  
 الأصل: تهان (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، وفي الأصل وظ:  
 الخلوة (هـ) راجع من صحيحه ٧ / ٧ .



عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن على أفلح أخو أبى القعيس رضى الله عنه بعد ما أنزل الحجاب ، فقلت : لا آذن له حتى استأذن فيه النبى صلى الله عليه وسلم فان أخاه [ أباً -<sup>١</sup> ] القعيس ليس هو أرضعنى [ و -<sup>٢</sup> ] لكن أرضعنى امرأة أبى القعيس ، [ فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ! إن أفلح أخا أبى القعيس -<sup>٣</sup> ] استأذن ه فأيت أن آذن له حتى استأذنتك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يمنعك ؟<sup>٤</sup> قلت : يا رسول الله ! إن الرجل ليس هو أرضعنى ، ولكن أرضعنى امرأة أبى القعيس ، فقال : ائذنى له فإنه عمك تربت يمينك ، قال عروة : فلذلك كانت عائشة رضى الله عنها تقول : حرموا من الرضاعة ما تحرموا من النسب .

١٠

ولما كانت هذه الآيات وما قبلها وما بعدها فى إظهار شرف النبى صلى الله عليه وسلم و بيان مناقبه ، علل الأوامر فيها والنواهى وغيرها بقوله ، مؤكداً لاقتضاء الحال ذلك إما بمن<sup>١</sup> آذاه بالجلوس<sup>٢</sup> / فى غير حينه فواضح ، وأما غيره فكان من حقهم أن لا يفارقوا المجلس حتى يعلموا من لا يعرف الأدب ، فكان تهاونهم فى ذلك فعل [ من -<sup>٣</sup> ]<sup>١٥</sup> لا يريد إظهار شرفه صلى الله عليه وسلم فهو تأديب و ترهيب : ( إن الله )

(١) من ظ و م و مد والصحيح ، وفى الأصل : فانا (٢) زيد من ظ و م و مد والصحيح (٣) زيد فى الصحيح : أن تأذنين عمك (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الرضاع (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : غيرهما (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٧) فى ظ : فى الجلوس (٨) زيد من ظ و م و مد .

أى و عليكم محيط بأن له مجامع الكبر و العظمة و العز ( و ملثكته )  
أى<sup>١</sup> و هم أهل النزاهة و القرب و العصمة .

و لما كان سبحانه قد قدم قوله " هو الذى صلى عايكم و ملثكته "  
فأفرد كلا بخبر، و كان النبي صلى الله عليه و سلم أعلى المخاطبين حظاً من  
ذلك، فإنه رأس المؤمنين، أفرد ههنا بهذه الصلاة التى جمع فيها الملائكة  
الكرام معه سبحانه و جعل الخبر<sup>٢</sup> عنهم خبراً<sup>٣</sup> واحداً<sup>٤</sup> ليكون أتم،  
فإن قولك: فلان و فلان ينصران فلانا، أضخم من قولك: فلان ينصره  
[ و -<sup>٥</sup> ] فلان، فقال تعالى: ﴿ يصلون على النبي ﴾<sup>٦</sup> أى<sup>٧</sup> يظهرون شرفه  
و ما له من الوصلة بالملك الأعظم بما يوحى الله إليه من عجائب الخلق  
١٠ و الأمر من عالم الغيب و الشهادة، و هو معنى قول ابن عباس رضى الله  
عنهما كما رواه البخارى<sup>٨</sup>: يبركون .

و لما كانت ثمرة المراد بهذا الإعلام التأسى، علم بآخر الكلام أن المعنى:  
و يصلون [ و -<sup>٩</sup> عليه<sup>١٠</sup> لأن ذلك من تمام الوصلة التى يدور عليها معنى الصلاة<sup>١١</sup> ]  
فأتبع ذلك قطعاً [ تفسير المراد يصلون -<sup>١٢</sup> ]: ﴿ يأتونها الذين آمنوا ﴾ [ أى ]  
١ ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿ صلوا عليه ﴾ بعدم<sup>١٣</sup> الغفلة عن المبادرة إلى إظهار<sup>١٤</sup>

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الخبر (٣) سقط من  
مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: من واحد (٥) زيد من ظ و م  
و مد (٦) راجع من صحيحه ٧/٢ ٧-٧ ليس ما بين الرقيين فى م (٨) زيد  
من مد (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بعد (١٠) من ظ و م  
و مد، وفى الأصل: اظهر .

شرفه في حين من الأحيان تصديقا لدعواكم، و لأن الكبير إذا فعل شيئا بادر كل محب لله معتقدا لعظمته إلى فعله (وسلبوا) .

ولما كان المراد بكل من الصلاة والسلام إظهار الشرف، وكان السلام أظهر معنى في ذلك، و كان تحيته عند اللقاء واجبا في التشهد بلاخلاف، ودالا على الإذعان بجميع أوامره الذي لا يحصل الإيمان إلا به، و هو من المسلم نفسه، و أما الصلاة فانها يطلبها المصلي من الله، أكدهما به فقال: (تسليما) أى فأظهروا شرفه بكل ما تصل قدرتكم إليه من حسن متابعته وكثرة الثناء الحسن عليه و الانقياد لأمره في كل ما يأمر به، و منه الصلاة و السلام عليه بألسنتكم على [ نحو - ٤ ] ما علمكم في التشهد وغيره مما ورد في الأحاديث عن أبي سعيد الخدري ١٠ و كعب بن عجرة وغيرهما رضى الله عنهم بيان التقاء الصلاة و السلام في إظهار الشرف فان الصلاة - كما [ قال - ٤ ] في القاموس - الدعاء والرحمة و الاستغفار و حسن الثناء من الله عز وجل و عبادة فيها ركوع و سجود - انتهى . و السلام هو التحية [ و التحية - ٤ ] - كما قال البيضاوى في تفسير سورة النساء - في الأصل مصدر حيأك الله على الإخبار من الحياة، ثم استعمل للحكم و الدعاء بذلك، ثم قيل لكل دعاء، فغلب في السلام، و في القاموس: التحية: السلام و البقاء و الملك، و حيأك الله:

---

(١-١) من ظ و م و مد، و في الأصل: مصفه - كذا (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: عن (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: شرفكم (٤) زيد من ظ و م و مد.

أبقاك أو<sup>١</sup> ملكك . وقال الإمام أبو عبد الله القزاز في جامعه : السلام  
اسم من أسماء الله . والسلام ههنا بمعنى السلامة ، كما يقال<sup>٢</sup> الرضاع والرضاعة ،  
واللذاذ واللذاذة ، قالوا : ومعنى قول القائل لصاحبه : سلام عليك  
[ أى - ٢ ] قد سلمت منى<sup>٣</sup> لا أنا لك<sup>٤</sup> يد ولا لسان ، وقيل : معناه السلامة  
من الله عليكم ، وقيل : هو الرحمة ، وقيل<sup>٥</sup> : الأمان ، والسلامة هي<sup>٦</sup> / النجاة  
من الآفات - انتهى . فقد ظهر أن معنى الكل كما ترى ينظر إلى إظهار  
الشرف نظر الملزوم إلى اللازم ، ولذلك فسر البيضاوى يصلون بقوله :  
يعتنون<sup>٧</sup> باظهار شرفه وتعظيم شأنه ، وسلموا بقوله : قولوا السلام عليك ،  
أو انقادوا لأوامره ، فلما تأخيا في هذا المعنى ، وكان هو المراد أكد  
١٠ بلفظ السلام تحصيلا لتمام المقصود بدلالته على الانقياد ، فهو مؤكد  
لصلوا بمعناه وسلموا بلفظه ، استعمالا للشيء<sup>٨</sup> في حقيقته<sup>٩</sup> و مجازه كما  
هو مذهب إمامنا الشافعى رضى الله عنه ، ومثل بآية النساء " لا تقربوا  
الصلوة وانتم سكارى ، و بقوله " أو المسم النساء " وغير ذلك ، وقد  
بينت في سورة<sup>١٠</sup> الرعد أن مادة " صلوا " بجميع تراكيبها تدور على  
١٥ الوصلة وهي لازمة لكل ما ذكر من تفسيرها ، هذا ولك أن تجعله من

(١) من ظ و م ومد والقاموس ، وفي الأصل « و » (٢) من ظ و م  
ومد ، في الأصل : يقاع (٣) زيد من ظ و م ومد (٤-٥) من م ومد ، وفي  
الأصل و ظ ، لأنالك (٥) زيد في الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة في ظ و م  
ومد لحدوثها (٦-٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : السلام (٧) من ظ  
ومد ، وفي الأصل و م : يعينون (٨-٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :  
بحقيقته (٩) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : آية .

الاحتباك فتقول: حذف التأكيد أولاً لفعل<sup>١</sup> الصلاة لما دل عليه من التأكيد بمصدر السلام، ويرجح إظهار مصدر السلام بما تقدم ذكره، وحذف متعلق السلام لدلالة متعلق الصلاة عليه على الله عليه وسلم ويصلح أن يكون عليه وأن يكون له، فيصلح أن يجعل التسليم بمعنى الإذعان - والله<sup>٢</sup> هو الموفق للصواب<sup>٣</sup>.

ولما نهى سبحانه عن أذاه صلى الله عليه وسلم، وحض على إدخال السرور عليه، توعده على أذاه، فقال على طريق الاستئناف أو التعليل، إشارة إلى أن التهاون بشيء من الصلاة<sup>٤</sup> والسلام من الأذى، وأكد ذلك إظهاراً لأنه مما يحق له أن يؤكد، وأن يكون لكل من يتكلم به غاية الرغبة في تقريره: (ان الذين يؤذون) أى يفعلون فعل المؤذى<sup>٥</sup> بارتكاب ما يدل على التهاون من كل ما يخالف (الله) أى الذى لا أعظم منه ولا نعمة عندهم إلا من فضله (ورسوله) أى الذى استحق عليهم بما يخبرهم<sup>٦</sup> به عن الله مما يتقدم به من شقاوة الدارين ويوجب لهم سعادتهما ما<sup>٧</sup> لا يقدرُونَ على القيام بشكره بأى أذى كان حتى في التقصير بالصلاة عليه باللسان (لنعمهم) أى أبدهم وطردهم وأبغضهم (الله)<sup>٨</sup> أى الذى لا عظيم غيره (في الدنيا) بالحل على ما يوجب السخط

- (١) من ظ م ومد، وفي الأصل: لتأكيد (٢-٢) في ظ وم ومد: الموفق.  
(٢) من ظ م ومد، وفي الأصل: «او» (٤) سقط من ظ وم ومد.  
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: يخيبرهم (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بما.

( و الآخرة ) بادخال دار الإهانة .

و لما كان الحامل على الأذى الاستهانة قال :

( و اعد لهم عذابا مهينا ) .

و لما كان من أعظم أذاه صلى الله عليه وسلم أذى من تابعه ،

هـ وكان الاتباع لكونهم غير معصومين يتصور أن يؤذوا بالحق ، قال مقيدا

لل كلام ' بما يفهم ' : ( و الذين يؤذون المؤمنين ) أى الراشدين فى [ صفة - ٢ ]

الإيمان ( و المؤمنت ) كذلك . و لما كان الأذى بالكذب أشد [ فى - ٢ ]

الفساد و أعظم فى الأذى قال : ( بغير ما اكتسبوا ) أى بغير شيء

واقصوه متعمدين له حتى أباح أذاهم ( فقد احتملوا ) أى كلفوا أنفسهم

١٠ أن حملوا ( بهتاناً ) أى كذبا و فجورا زائدا على الحد موجبا للخرى<sup>٢</sup>

فى الدنيا ، و لما كان / من الناس من لا يؤثر فيه العار ، وكان الأذى / ٢٦١

قد يكون بغير القول ، قال : ( و اثما مينا ) أى ذنبا ظاهرا جدا موجبا

للعذاب فى الآخرة .

و لما نهى سبحانه عن أذى المؤمنات ، وكانت الحرائر بعيدات عن<sup>٣</sup>

١٥ طمع المفسدين لما هن فى أنفسهن من الصيانة و للرجال بهن من العناية ،

وكان جماعة من أهل الرية يتبعون الإمام إذا خرجن يتعرضون لهن

للفساد ، وكان الحرائر يخرجن لحاجتهن ليلا ، فكان ربما تبع المرأة منهن

( ١ - ١ ) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد ( ٢ ) زيد من ظ و م و مد .

( ٣ ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : للجزاء ( ٤ - ٤ ) سقط ما بين الرقين من ظ .

( ٥ ) فى ظ و م و مد : كان ( ٦ ) فى ظ و م و مد : من .

أحد من أهل الريب يظنها أمة أو يعرف أنها حرة و يعتل بأنه ظنها أمة  
 فيعرض<sup>١</sup> لها، وربما رجع فقال لأصحابه: فعلت بها - وهو كاذب، وفي  
 القوم من يعرف أنها فلاة، فيحصل بذلك من الأذى ما يقصر عنه  
 الوصف، ولم يكن إذ ذاك كما نقل عن مقاتل فرق بين الحرة و الأمة  
 كن يخرجن في درع وخمار، وكان اتسام<sup>٢</sup> الحرائر بأمارة يعرفن<sup>٣</sup>  
 [بها -<sup>٢</sup>] ليهن<sup>٤</sup> و يحتشمن يخفف<sup>٥</sup> هذا الشر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾  
 فذكره بالوصف الذي هو منبع المعرفة و الحكمة، لأن السياق لحكمة  
 يذب بها عن الحريم لئلا يشتغل فكره صلى الله عليه وسلم بما يحصل  
 لمن من الأذى عن [تلقى شيء من -<sup>٢</sup>] الواردات الربانية  
 ﴿قل لازواجك﴾ بدأ بهن لما لهن به من الوصلة بالنكاح ﴿و بنثك﴾<sup>١٠</sup>  
 ثم بهن لما لهن به من الوصلة و لهن في أنفسهن من الشرف، وأخرهن  
 عن الأزواج لأن أزواجه يكفونه أمرهن ﴿ونساء المؤمنين يدين﴾  
 أى يقربن ﴿عليهن﴾ أى على وجوههن و جميع أبدانهن، فلا يدعن  
 شيئاً منها مكشوفاً ﴿من جلايبهن<sup>٦</sup>﴾ ولا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا  
 خرجن لحاجتهن بكشف الشعور<sup>٦</sup> و محوها ظناً أن ذلك أخفى لهن<sup>١٥</sup>  
 وأستر، والجلباب القميص، و ثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة،  
 (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فيعرض (٢) من مد، وفي الأصل وظ  
 و م: اقسام (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل:  
 لينهن (٥) في الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد،  
 وفي الأصل: الشمعور .

نظم الدرر (سورة الأحزاب ٣٣ : ٥٩ و ٦٠) ج - ١٥

و الملقحة ما ستر اللباس، أو الخمار وهو كل ما غطى الرأس، وقال  
البغوى<sup>١</sup>: الجلباب: الملاية التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع و الخمار،  
و قال حمزة الكرماني: قال الخليل: كل ما تستتر به من دثار و شعار  
و كساء فهو جلباب، و الكل يصح إرادته هنا، فإن كان المراد القميص  
٥ فادناؤه إسباغه حتى يغطي يديها و رجليها، و إن كان ما يغطي الرأس  
فادناؤه ستر وجهها و عنقها، و إن كان المراد ما يغطي الثياب فادناؤه  
تطويله و توسيعه بحيث يستر جميع بدنها و ثيابها، و إن كان المراد ما  
دون الملقحة فالمراد ستر الوجه و اليدين.

و لما أمر بذلك علله بقوله: ﴿ ذاك ﴾ أى الستر ﴿ ادنى ﴾ أى  
١٠ أقرب من تركه فى ﴿ ان يعرف ﴾ أنهم حرائر بما يميزهن عن الإمام  
﴿ فلا ﴾ أى فيقتسب عن معرفتهن أن لا ﴿ يؤذين ﴾ ممن يتعرض  
للإساءة، فلا يشتغل قلبك عن تلقى ما يرد عليك من الأنباء الإلهية. و لما  
رقاهم سبحانه بهذا الأمر فى حضرات الرضوان، خافوا عاقبة ما كانوا  
فيه من الغلط بالتشبه بالإمام، فأخبرهم سبحانه أنه فى محل الجود و الإحسان،  
١٥ فقال: ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى له الكمال المطلق، أزلا و أبدا ﴿ غفورا ﴾

أى محاء للذنوب عينا و أثرا ﴿ رحيما ﴾ مكرما لمن يقبل عليه / ويمثل  
أو امره و يحتجب مناهيه، قال البغوى<sup>٢</sup>: قال أنس رضى الله عنه: مرت<sup>٣</sup>

٢٦٢ /

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ٢٢٧ (٢) من ظ و م و مد، و فى  
الأصل: من (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد و العالم، و فى  
الأصل: مر.



بمعمر بن الخطاب رضى الله عنه جارية متقنة فعلاها بالدرة وقال :  
يا لكاع ! أنتشبهين بالحرائر؟ ألقى القناع .

ولما كان المؤذون<sup>١</sup> بما مضى وغيره أهل النفاق و من دانايم ،  
حذرهم بقوله مؤكدا دفعا لظنهم دوام الحلم عنهم : ( لئن لم ينته ) أى  
عن الأذى ( المتفقون ) أى<sup>٢</sup> الذين يظنون<sup>٣</sup> الكفر و يظهرون الإسلام ه  
( و الذين فى قلوبهم مرض ) أى<sup>٤</sup> مقرب من النفاق حامل على  
المعاصى ( و المرجفون فى المدينة ) وهم الذين يشيعون الأخبار المخيفة  
لأهل الإسلام التى تضطرب لها<sup>٥</sup> القلوب سواء كانوا من القسمين الأولين  
أم<sup>٦</sup> لا ( لنغرينك بهم ) بأن نحملك على أن تواقع [ بهم -<sup>٧</sup> ] بأن  
نأمرك باهانتهم و نزيل الموانع من ذلك ، وثبتت الأسباب الموصلة إليه ١٠  
حتى تصير لاصقا بجميع أموالهم لصوق الشيء الذى يلحم بالفراة  
فلا يقدرُوا على الانفكاك عن شيء مما تفعله بهم إلا بالبعد من المدينة بالموت  
أو الرحيل إلى غيرها ، و هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما كما  
رواه عنه البخارى<sup>٨</sup> : لنسلطنك .

ولما كان نزوحهم عن المدينة مستبعدا عندهم جدا ، و كان أعظم ١٥  
رتبة فى أذايم من غيره ، لأن الإخراج من الأوطان من أعظم الهوان ،  
(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الماذون (٢-٢) من م ومد ، وفى الأصل  
وظ : الذى يظنون (٣) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م  
ومد فخذناها (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اليها (٤) من ظ و م ومد ،  
وفى الأصل : او (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) راجع الصحيح ٢ / ٧٠٧ .

أشار إليه بأداة التراخي فقال : ﴿ثم لا يحاورونك فيها﴾ أى بعد محاولتك لهم ﴿الا قليلا﴾ أى من الزمان بقدر ما يمكن لك المضارب فتعظم عليهم المصائب .

و لما كان معنى الكلام أنهم ينفون لأنه صلى الله عليه وسلم يؤمر بنفيهم وإبعادهم وقتلهم ، بين حالهم في نفيهم أو نصبه على الشتم [فقال - ١] : ﴿ملعونين ج﴾ أى ينفون نفي بعد من الرحمة و طرد عن أبواب القبول . و لما كان المطرود قد يترك و بعده ، بين أنهم على غير ذلك فقال مستأنفا : ﴿إنيما ثقفوا﴾ أى وجدوا و واجدهم ، أحذق منهم و أفطن و أكيس و أصنع ﴿اخذوا﴾ أى أخذهم ذلك الواجد لهم ﴿و قتلوا﴾ ١٠ أى أكثر قتلهم و بولغ فيه ؛ ثم أكد به بالمصدر بغضا فيهم و إرهابا لهم فقال : ﴿تفتيلا ه﴾ و لما سن لهم هذا العذاب الهائل في الدنيا ، بين أن تلك عادته في أوليائه و أعدائه ، فقال مؤكدا بالإقامة في موضع المصدر ، لما لهم من استبعاد ذلك لكونهم لم يهدوا مثله مع ما لهم من الاشتباك [بالأهل - ٢] و العشائر فقال : ﴿سنة الله﴾ أى طرقت [لك - ٣] المحيط ١٥ بجميع العظمة هذه الطريقة كطريقته ﴿في الذين خلوا﴾ أى مضت أيامهم و أخبارهم ، و انقضت وقائعهم و أعمارهم . من الذين كانوا يناقون على الأنبياء كقارون و أشياعه ، و بين قتلهم بكونهم في بعض

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من و مد ، و في الأصل و ظ : يبعد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : و جدهم . (٥) في ظ : أكثروا (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عظمة .

الآزمته فقال : ﴿ من قبل ع ﴾ و أعظم التأكيد لما لهم من الاستبعاد الذى جراهم على النفاق فقال : ﴿ ولن تجد ﴾ أى أزلا<sup>١</sup> و أبدا ﴿ استه الله ﴾ أى طريقة الملك الأعظم ﴿ تبديلاه ﴾ كما تبدل سنن الملوك ، لأنه لا يبدلها ، و لا مدانى له فى العظمة ليقدر على تبدليها<sup>٢</sup> .

و لما بين تعالى ما أعد<sup>٣</sup> لأعداء دينه<sup>٤</sup> فى الدنيا ، و بين أن طريقته ه جادة لا تنخرم ، لما لها من قوانين الحكمة و أفاين الإتقان<sup>٥</sup> و العظمة ، و كان من اعظم الطرق الحكيمية / و المغيات العلية الساعه ، و كان قد [ قدم ٢٦٣ / ما يحرك إلى السؤال عنها فى قوله ” لعنهم الله فى الدنيا و الآخرة “ و كان قد ° ] مضى آخر السجدة أنهم سألوا استهزاء و تكذيبا عن تعيين وقتها ، و مهدم سبحانه على هذا السؤال ، قال تعالى مهتدا أيضا<sup>٦</sup> على ١٠ ذلك ميئا ما<sup>٧</sup> لأعداء الدين المستهزين فى الآخرة : ﴿ يستك الناس ﴾ أى المشركون استهزاء منهم ، و عبر بذلك إشارة إلى أنهم بعد فى نوسهم لم يصلوا إلى أدنى أسنان أهل الإيمان ، فكان<sup>٨</sup> المترددون فى آرائهم لا يكادون ينفكون عن النوس و هو الاضطراب ﴿ عن الساعه<sup>٩</sup> ﴾ أى فى تعيين وقتها .

١٥

(١) فى ظ و م و مد : اصلا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبدلها (٣-٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا عدايه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاتفاق (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهم نصا (٧) من م و مد ، و فى الأصل : لهم اى ، و الكلمة ساقطة من ظ (٨) فى ظ و م و مد : فكانه قال .

ولما كانت إدامتهم السؤال عنها فعل من يظن أن غيره سبحانه يعلمها، أكد فقال: ﴿قل﴾ أى فى جوابهم: ﴿انما عليها عند الله﴾ أى الذى أحاط علما بجميع الخلال<sup>١</sup>، وله جميع أوصاف الجمال والجلال، فهو يعلم ما عند كل أحد ولا يعلم أحد شيئا<sup>٢</sup> مما عنده إلا بأذنه.

ولما كان من فوائد العلم بوقت الشيء التحرز عنه أو مدافعتة، قال مشيرا إلى شدة خفائها باخفائها عن أكل خلقه مرجيا تقربها تهديدا لهم: ﴿وما يدريك﴾ أى أى شيء يعلمك بوقتها؟ ثم استأنف قوله: ﴿لعل الساعة﴾ أى التى لاساعة فى الحقيقة غيرها<sup>٣</sup> لما لها من العجائب ﴿تكون﴾ أى توجد وتحدث على وجه مهول عجيب ﴿قريبا﴾ أى فى زمن قريب، ويجوز أن يكون التذكير لأجل الوقت لأن السؤال عنها إنما هو سؤال عن تعيين وقتها، قال البخارى فى الصحيح: إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قرية، وإذا جعلته ظرفا وبدلا ولم ترد الصفة نزعته الهاء من المؤنث، وكذلك لفظها فى [الواحد - ٦] الاثنين والجمع للذكر والأنثى. والمراد بالتعبير بلعل أنها بحيث يرجو قربها من يرجوه ويخشاه. ١٥ [من يخشاه - ٧]، فهل أعد من يخشاه شيئا للدافعة إذا جاءت أو النجاة منها إذا أقبلت؟ ثم استأنف الإخبار بحال السائلين عنها بقوله مؤكدا فى مقابلة إنكار الكفار أن يكون فى حالهم شيء من نقص: ﴿ان الله﴾

(١) سقط من ظ و م (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الحلال (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: شيء (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: غيره (٥) راجع ٧٠٦/٢ (٦) زيد من الصحيح (٧) زيد من ظ و م و مد.

أى الملك الأعظم 'الذى لا أعظم منه' (لن) أى أبعد إبعادا عظيما  
عن رحمته (الكافرين) أى الساترين لا من شأنه أن يظهر بما دلت  
عليه العقول السليمة من أمرها سواء كانوا مشاققين أو منافقين (واعد لهم)  
أى أوجد وها من الآن لتكذيبهم بها وبغيرها مما أوضح لهم أدلته  
(سعيوا) أى نارا شديدة الاضطرام والتوقد .

ولما كان العذاب ربما استهان به بعض الناس إذا كان ينقطع  
ولو كان شديدا ، قال ميينا لحاهم : (تخلدين فيها) ولما كان الشيء  
قد يطلق على ما شابهه بوجه مجازا وعلى سبيل المبالغة ، [قال - ٢] مؤكدا  
لإرادة الحقيقة : (إبداع) ولما كان الشيء قد يراد ثم يمنع منه مانع ،  
قال ميينا لحاهم فى هذه الحال : (لا يحدون ولبا) [أى - ٢] يتولى ١٠  
أمرأ بما يهمهم بشفاعته أو غيرها (ولا نصيرا) ينصرهم .

ولما ذكر حالهم هذين ، أتبعه حالا لهم قوليا على وجه بين حالا  
فعليا فقال : (يوم) أى مقدار خلودهم فيها على تلك الحالة يوم  
(تقلب) أى تقلبا كثيرا شديدا (وجوههم) كما يقلب اللحم المشوى  
و كما ترى البضعة فى القدر يتراقى بها الغليان من جهة إلى جهة ، ومن ١٥  
حال إلى حال ، وذكر ذلك وإن كانت تلك النار غنية عنه لإحاطتها لأن  
/ ذكروا هول لما فيه من التصوير ، وخص الوجوه لأنها أشرف ، والحديث

٢٦٤ /

- (١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ و م ومد (٢) ليس فى الأصل فقط .  
(٣) زيد من ظ و م ومد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و م ومد : الحال .  
(٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : تقلبا (٧) من م ومد ، وفى الأصل  
و ظ : لاحاطته (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الحديث .

فيها أنكأ .

ولما كان للاظهار مزيد بيان و هول مع إفادته استقلال ما هو فيه من الكلام بنفسه ، قال : ( في النار ) أى المسعرة حال كونهم ( يقولون ) وهم في محل الجزاء و قد فات المحل القابل للعمل ، متمنين  
ه لما لا يدركون تلافيه لأنهم لا يجحدون ما يقدرُونَ أنه يبرد غلثهم من دلي ولا نصير ولا غيرهما سوى هذا التنى : ( يلبتياً اطعنا ) أى في الدنيا ( الله ) أى الذى علنا ' الآن أنه الملك الذى لا أمر لأحد معه .

ولما كان المقام للبالغة في الإذعان والخضوع ، أعادوا العامل فقالوا :  
١٠ ( و اطعنا الرسول ) أى الذى بلغنا عنه حتى نعاذ من هذا العذاب ، وزيادة الآنف في قراءة ٢ من أثبتنا إشارة إلى إيدانهم بأنهم يتلذذون بذكره و يعتقدون أن عظمته لا تنحصر ( وقالوا ) لما لم ينفهم شيء متبردين من الدعاء على من أضلهم بما لا يبرئ [ غليلا - ٦ ] ولا يشقى غليلا : ( ربنا ) أى أيها المحسن إلينا ، وأسقطوا أداة النداء على عادة  
١٥ أهل الخصوص بالحضرة ٥ زيادة في الترقق باظهار أنه لا واسطة لهم

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اعلمنا (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : للقابله (٣) راجع نثر المرجان ه/٤٤٠ (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : مستردين (ه) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : احلهم - كذا .  
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و م و مد فحذفناها .

إلا ذلهم و انكسارهم الذى عهد فى الدنيا أنه الموجب الأعظم لإقبال الله على عبده كما ان المثبت لأداة البعد بقوله « يا الله » مشير<sup>١</sup> إلى سفول منزله و بعده بكثرة ذنوبه و غفلة تواضعا منه لربه لعله يرفع ذلك البعد عنه<sup>٢</sup> .

ولما كانوا يظنون [ أن -<sup>٣</sup> ] اتباعهم للكبراء غير ضلال ، فإن ه لهم خلاف ذلك ، أكدوا قولهم لذلك و الاعلام بأنهم بذلوا ما كان عندهم من الجهل فصاروا الآن على بصيرة من أمرهم : ﴿ انا اطعنا سادتنا ﴾ و قرئ بالجمع بالآلف<sup>٤</sup> و التاء جمعا سالما للجمع المكسر ﴿ و كبرآءنا فاضلونا ﴾ أى قسب عن ذلك ، أنهم أضلونا بما<sup>٥</sup> كان لهم من نفوذ الكلمة ﴿ السيلاه ﴾ كما هى عادة المخطئ فى الإجابة على غيره بما لا ينفعه ، و قراءة من أثبت ١٠ الآلف<sup>٦</sup> مشيرة إلى أنه سبيل واسع جدا واضح ، وأنه<sup>٧</sup> مما يتلذذ بذكره و يجب تفخيمه .

ولما كان كانه قيل : فإريدون<sup>٨</sup> لهم ؟ قالوا مبالغين فى الرقة و الاستعطاف<sup>٩</sup> باعادة الرب : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ انهم ضعفين ﴾ [ أى -<sup>٣</sup> ] مثل عذابنا من وهن قوتنا و شدة المؤثر لذلك مضاعفا أضعافا<sup>١٠</sup> ١٥

(١) من م و مد ، وفى الأصل وظ : مشيرا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : و التاء - كذا (٥) فى مد : لا (٦) راجع نثر الرجان ه ٤٤١/ (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انما هو . (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ترون (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الاستعطاف (١٠) من م و مد ، وفى الأصل وظ : اضعفا .

كثيرة ﴿ من العذاب ﴾ ضعفا بضالهم . و آخر باضلالهم ، و إذا  
راجعت ما في أواخر سبحان من معنى الضعف وضع لك هذا ، و يؤيده  
قوله : ﴿ و العنهم لعنا كثيرا ﴾ أى اطردهم عن محال الرحمة طردا  
متناهيا في العدد . و المعنى على قراءة عاصم<sup>٢</sup> بالوحدة : عظيما شديدا غليظا .  
و لما كان السبب في هذا التهديد كله ما كانوا يتعمدونه من أذى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم : تزوج امرأة ابنه . و غير ذلك  
إلى [ أن - ١ ] ختمه<sup>٣</sup> بما يكون سببا لتعنيم طاعته / ، و كان سماع هذا  
لطفًا لمن صدق به ، أتبعه ما هو كالنتيجة له فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾  
أى صدقوا بما تلى عليهم ﴿ لا تكونوا ﴾ بأذاكم للرسول صلى الله عليه  
عليه وسلم بأمر زينب رضى الله عنها أو غيره كونا هو كالطبع لكم  
﴿ كالذين آذوا موسى ﴾ من قومه بنى إسرائيل آذوه بأنواع الأذى كما  
قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قسم قسما فتكلم فيه بعضهم فقال : لقد  
أذى موسى بأكثر من هذا فصبر ، و أنسب الأشياء للإرادة هنا أذى  
قرون<sup>٤</sup> له بالزانية التى استأجرها<sup>٥</sup> لتقذفه بنفسها [ فبرأه الله من ذلك ،  
و كان سبب الخسف بقرون و من معه - ١ ] ﴿ فبرأه ﴾ أى قسب عن  
أذاهم له أن برأه ﴿ الله ﴾ أى الذى له صفات الجلال و الجمال و القدرة  
(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آخر (٢) سقط من ظ (٣) راجع نبر  
الرجال ٥ / ٤٤ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى  
الأصل : ختم (٦) فى ظ : قارون (٧) من ظ و م و مد ، و فى  
الأصل : استأجره .



على كل شيء والكالم، [وأفهم التعبير بالفعيل أن البراءة كانت بالتدرج بالخشف وموت الفجاءة وإبراق عصي هارون كما مضى في آخر القصص .  
ولما نهى عن التشبه بالمؤذين أعم من أن يكون أذاهم قولاً أو فعلاً،  
أشار إلى أن الأذى المراد هنا قولي مثله في أمر زينب رضى الله عنها  
فقال -<sup>١</sup>]: (بما قالوا<sup>٢</sup>) [دون أن يقول: بما آذوا، وذلك -<sup>١</sup>] بما أظهره ه  
من البرهان على صدقه بخشف بمن آذاه كما مضى في القصص فإياكم  
ثم إياكم .

ولما كان قصدهم بهذا الأذى إسقاط وجهته قال: (وكان)  
أى موسى عليه السلام، كونا راسخا (عند الله) أى الذى لا يذل من  
والى (وجيها<sup>٣</sup>) أى 'معظما رفيع' القدر إذا سأله أعطاه، وإذا كان ١٠  
عند الله بهذه المنزلة كان عند الناس بها، لما يرون من إكرام الله له،  
[والجمل كالتعليل للتبرئة لأنه لا يبرى الشخص إلا من كان وجيها  
عنده -<sup>٣</sup>] .

ولما نهام عن الأذى، أمر بالنفع ليصيروا<sup>٤</sup> وجهاء عنده سبحانه مكررا  
للسداء استعطافا وإظهارا للاهتمام فقال: (يأيها الذين آمنوا) أى ١٥  
ادعوا ذلك . ولما كان قد خص النبي عليه وسلم في أول السورة  
بالأمر بالتقوى، عم في آخرها بالأمر بها مردفا لتهنئتهم بأمر يتضمن  
الوعيد ليقوى الصارف عن الأذى والداعى إلى تركه<sup>٥</sup> فقال: (اتقوا الله)  
أى صدقوا دعواكم بمخافة من له جميع العظمة، فاجعلوا لكم وقاية من

- (١) زيد من ظ وم مد (٢-٢) من ظ وم وم مد، وفي الأصل: عظيم .  
(٣) زيد من ظ وم وم مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ وم وم مد، وفي  
الأصل: تركها .

نظم الدرر (سورة الاحزاب ٣٣ : ٦٩ - ٧٢) ج - ١٥

سخطه بان تبدلوا له جميع ما أودعكم من الأمانة ﴿وقولوا﴾ في حق  
النبي صلى الله عليه وسلم في امر زينب رضى الله عنها و غيرها و في حق  
بناته و نساته رضى الله عنهن و في حق المؤمنين و نساتهم و غير ذلك  
﴿قولا سيدا لا﴾ اى قاصدا إلى الحق ذا صواب له ﴿يصلح لكم اعمالكم﴾  
ه اى بان يدخلكم في العمل الصالح و أنتم لاتعلمون ما ينبغي من كيفيته  
فيصركم بها شيئا فشيئا و يوفقكم 'للعمل بما' جلاه لكم حتى تكونوا على  
أتم وجه و اعظمه و ارضاء و أقومه ببركة' قولكم الحق على الوجه  
الحسن الجميل .

و لما كان الإنسان و إن اجتهد مقصرا ، قال مشيرا إلى ذلك حتى  
١٠ لا يزال مقصرا بالعجز : ﴿و يغفر لكم ذنوبكم﴾ اى يمحوها عينا و أثرا  
فلا يعاقب عليها و لا يعاتب ، و لما كان ربما توهم أن هذا خاص بمن  
أمن ، و أن تجديد الإيمان غير نافع ، أزال هذا الوهم بقوله :  
﴿و من يطع الله﴾ اى الذى لا أعظم منه ﴿و رسوله﴾ اى الذى  
عظمته من عظمته بان يحدد لها 'الطاعة بالإيمان و ثمراته في كل وقت ،  
١٥ فيكون 'وديا للأمانة إلى أهلها ﴿فقد فاز﴾ و أكد ذلك بقوله :  
﴿فوزا عظيما﴾ اى ظفروا بجميع مراداته في الدنيا و الآخرة .

و لما كان التقدير : و من لم يطع فقد خسر خسرانا ميئا ، و كان كل  
شيء عرض على شيء ، فالمعرض عليه متمكن من المعرض قادر عليه ،

(١ - ١) في ظ و م و مد : لعمل ما (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل :  
يتركه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لهم (ه) زيد  
في ظ و مد : كل .

٢٦٦ /

وكان كل شيء أودعه / الله شيئا لحفظه ورعاه وبذله لأهله وآتاه  
بأدلا للامانة غير حامل لها . وكل من أودعه شيئا فضيعه وضم به  
عن أهله ومنعه عن مستحقه خائن فيه <sup>١</sup> حامل له ، وكان الله تعالى قد  
أودع الناس من العقول ما يميزون به بين الصحيح والفساد ، ومن القوى  
الظاهرة ما يصرفونه فيما أرادوا من المعصية والطاعة ، ففهم من استدله  
بعقله على كل من الحق والمبطل فبذل له من قواه ما يستحقه ، فكان  
بأدلا للامانة غير حامل لها ، ومنهم من عكس ذلك وهم الأكثر فكان  
حاملا [ لها - <sup>٢</sup> ] خائنا فيما أمر به من بذلها ، وأودع سبحانه الأكوام  
ما فيها من المنافع من المياه والمعادن والنباتات فبذله ولم تمنعه من  
أحد طلبه مع أن منعها له في حيز الإمكان ، قال تعالى معللا للأمر <sup>١٠</sup>  
بالتقوى ، أو مستأنفا مؤكدا تنبيها على أن هذا الأمر [ بما - <sup>٢</sup> ] يحق أن  
يؤكد تنبيها على دقته ، وأنه بما لا يكاد أن يفتن له كثير من الناس  
فضلا عن أن يصدقوه [ لافتا القول إلى مظهر العظمة دلالة على عظيم  
جراة الإنسان - <sup>٣</sup> ] : ( انا عرضنا الامانة ) أى أداها أو حملها أو منعها  
أهلها ، وهى طاعته سبحانه فيما أمر به العاقل ، وفيما أراد من غيره ، <sup>١٥</sup>  
ولم يذكر المياه والرياح لأنها من جملة ما فى الكونين من الامانات  
اللاقى يؤديانها على حسب الأمر ( على السموات ) بما فيها من المنافع

---

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : له (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من  
ظ و م ومد ، وفى الأصل : « و » (٤) فى ظ و م ومد : انبثات (٥) زيد  
من ظ و م .

(و الأرض) بما فيها من المرافق والمعادن . ولما أريد التصريح بالتعميم قال : (و الجبال) [و - ١] لأن أكثر المنافع فيها (فابين) على عظم أجرامها وقوة أركانها وسعة أرجائها (ان يحملنها) فيمنعها ويحبسها عن أهلها ، قال الزمخشري<sup>٢</sup> : من قواك : فلان حامل للأمانة .  
 ٥ . ومحتمل لها ، أى لا يؤديها إلى صاحبها حتى يزول عن ذمته ويخرج عن عهدها ، لأن الأمانة كأنها راكبة للؤمن عليها وهو حاملها ، ألا زام<sup>١</sup> يقولون : ركبته الدين ، ولى عليه حق ، فإذا أداها لم تبق<sup>٢</sup> راكبة له ولا هو حاملها (واشفقن منها) فبذل كل [منهن - ١] ما أودعه الله فيه فى وقته كما أراد الله ، وهو معنى : أتينا طائعين ،  
 ١٠ . والحاصل أنه جمعت الإرادة وهى<sup>١</sup> الأمر التكويني فى حق الأكوان لكونها لاتعقل كالأمر التكليفي التكويني فى حقنا لأننا نعقل<sup>٢</sup> نميزا بين من يعقل ومن لايعقل فى الحكم ، كما ميز بينهما فى النهم إعطاء لكل منهما ما يستحقه رتبته - وهذا هو معنى ما نقله البغوى<sup>٣</sup> عن الزجاج وغيره من أهل المعاني ، وما أحسن ما قال النابغة زياد بن معاوية  
 ١٥ الذبياني<sup>٤</sup> حيث قال<sup>٥</sup> :

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اعظم .  
 (٣) راجع الكشف تفسير الآية المتعلقة (٤) العبارة من هنا إلى «حاملها»  
 ساقطة من ظ (٥ - ٥) من م ومد ، وفى الأصل : ادهاس (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : هو (٧) من م ومد ، وفى الأصل : تعقل (٨) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ٢٣٠ ، (٩ - ٩) سقط ما بين الرتين من ظ و م ومد .

أنتك عاريا خلقا ثيابي<sup>١</sup> على خوف تظن بني الظنون  
فألفيت<sup>٢</sup> الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون  
قال ابن الفرات: إن عمر رضى الله عنه قال لما قيل له إن النابتة قاتلها:  
هو أشعر شعرائكم.

و لما كان الختان أكثر من الأمين أضعافا مضاعفة، وكانت النفس ه  
بما أودع فيها من الشهوات والحظوظ محل النقائص، قال تعالى:  
(وحملها الإنسان) أي أكثر / الناس والجن، فإن الإنسان الأنس، والإنس  
والأناس<sup>١</sup> الناس. وقد تقدم في "ولا تبخسوا الناس أشياءهم" في الأعراف<sup>٢</sup>  
أن الناس يكون من الإنس ومن الجن، وأنه جمع إنس، وأصله  
أناس، والإسناد إلى الجنس لا يلزم منه أن يكون كل فرد منه كذلك، ١٠  
فهو هنا باعتبار الأغلب، وفي التعبير به إشارة إلى أنه لا يخون إلا من  
[ هو في -<sup>١</sup> ] أسفل الرتب<sup>٢</sup> لم يصل إلى حد النوس.

و لما كان الإنسان - لما له بنفسه [ من الأنس -<sup>١</sup> ] وفي صفاته  
[ من -<sup>٢</sup> ] العشق، وله من<sup>٣</sup> العقل والفهم<sup>٤</sup> - يظن أنه لا نقص فيه، عل  
ذلك بقوله مؤكدا: ( أنه ) على ضعف قوته<sup>٥</sup> و قلة حيلته ( كان ) ١٥

- (١) من ظ و م ومد والأغنى ١١ / ٢٢، وفي الأصل: باني (٢) من مد  
والأغنى، وفي الأصل و م؛ فأنفقت (٣) في م؛ فأنفقت (٤) من ظ و م  
ومد، وفي الأصل: الناس (٥-٥) سقط ما بين الرتيين من ظ (٦) زيد من  
ظ و م ومد (٧-٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل: أسفل الترتيب.  
(٨-٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: الفهم والعقل (٩) سقط من ظ.

نظم الدرر (سورة الأحزاب ٣٣ : ٧٢ و ٧٣) ج - ١٥

أى فى جبلته ' إلا من عصم الله (ظلوما) يضع الشيء فى غير محله  
كالذى فى الظلام لما غطى من شهواته على عقله ، ولذلك قال : (جهولا)<sup>١</sup>  
أى لجهله يغلب على حلمه<sup>٢</sup> فيوقعه فى الظلم ، فجعل كل من ظهور ما  
أودعه الله فى الأكوان وكونه فى حيز الإمكان كأنه عرض عليها كل  
من محله وبذله كما أنه جعل تمكين الإنسان من كل من<sup>٣</sup> إبداء ما أوتى  
عليه وإخفائه كذلك .

ولما كان الحكم فى الظاهر على جميع الإنسان ، وفى الحقيقة - لكون  
القضية الخالية عن السور فى قوة الجزئية<sup>٤</sup> - على بعضه ، لكنه لما  
أطلق إطلاق الكلى فهم أن المراد الأكثر ، قال مينا أن "ال" ليست  
١٠ سورا معللا لحله لها مقدما التعذيب إشارة إلى أن الخوة أكثر ، لاقتا  
العبارة إلى الاسم الأعظم لتوسع المقال إلى جلال و جمال -<sup>٥</sup> :  
(ليعذب الله) أى الملك الأعظم بسبب الحياة فى الأمانة . وقدم [من  
الخوة -<sup>٦</sup>] أجدرهم بذلك فقال : (المتقين والمتفقت) أى الذين  
يظهرون بذل الأمانة كذبا وزورا وهم حاملون لها عريقون فى النفاق  
١٥ (والمشركين والمشركت) أى الذين يصارحون بحملها ومنعها عن  
أهلها [وهم عريقون فى الشرك فلا يتوبون منه -<sup>٧</sup>] .

ولما كان تقديم<sup>٨</sup> التعذيب مفهما أن الخوة أكثر ، أشار إلى أن

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : حبة (٢) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : حمله (٣) من مد ، وفى الأصل : ظ و م : ما (٤) من ظ و م و مد ،  
وفى الأصل : الجذبة (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من ظ و م و مد .  
(٧) من م و مد ، وفى الأصل : ظ : تقدم .

المخلص نادر جدا بقوله : ﴿ و يتوب الله ﴾ أى بما له من العظمة  
 ﴿ على المؤمنين ﴾ أى ' العريقين فى وصف الإيمان وهم الثابتون عليه  
 إلى الموت ﴾ (و المؤمنت<sup>١</sup>) العصاة وغيرهم فوقهم لبذلها بعد حملها  
 [فآلية من الاحتباك: ذكر العذاب أولا دليلا على النعم ثانيا، و التوبة  
 ثانيا دليلا على منعها أولا -<sup>٢</sup>] أى عرض<sup>٣</sup> هذا العرض و حكم هذا  
 [الحكم -<sup>٤</sup>] ليعذب و ينعم بحجة يتعارفها الناس فيما بينهم<sup>٥</sup>.

و لما كان هذا مؤذنا بأنه ما من أحد إلا و قد حملها وقتا ما، فكان  
 مرغبا للقلوب مرهبا للنفوس. قال مؤنسا لها مرغبا: ﴿وكان الله ﴾ أى  
 على ما له من الكبر و العظمة و الانتقام و الملك و السطوة ﴿غفورا﴾  
 أى محام لذنوب التائبين الفعلية<sup>٦</sup> و الإمكانية عينا و أثرا ﴿رحيما﴾ أى ١٠  
 مكرما لهم بأنواع الإكرام بعد الرجوع عن الإجرام، و لما أمر النبي  
 صلى الله عليه و سلم فى مطلعها بالتقوى أمر فى مقطعها بذلك على وجه  
 عام، و توعد المنافقين و المشاغبين الذين نهى فى أولها عن طاعتهم،  
 و ختم بصفتى المغفرة و الرحمة كما ختم فى أولها بهما آية الخطأ و التعمد.  
 فقد تلاقيا و تعانقا و توافقا و تطابقا - والله<sup>٧</sup> يقول الحق و [هو -<sup>٨</sup>] ١٥  
 يهذى السيل،<sup>٩</sup> و هو اعلم بالصواب<sup>١٠</sup>.

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل :  
 هو من (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى ظ و مد : و بنعمهم (٦) زيد  
 فى الأصل : و التمكينية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخصفها (٧) من  
 ظ و مد، و فى الأصل : أنه سبحانه (٨ - ٨) - سقط ما بين الرقيين من ظ  
 و م و مد.

## سورة سبأ

٢٦٨ / مقصودها أن الدار الآخرة - التي أشار إليها آخر تلك بالعذاب  
والمغفرة بعد أن أعلم أن الناس يسألون عنها - كائنه لا ريب فيها، لما في  
ذلك من الحكمة، وله عليه من القدرة. وفي تركها من عدم الحكمة  
والتصوير بصورة الظلم، ولقصة سبأ التي سميت بها السورة مناسبة كبيرة  
لهذا المقصد كما يأتي بيانه ولذلك سميت بها ﴿بسم الله﴾ الذي من  
شمول قدرته إقامة الحساب ﴿الرحمن﴾ الذي من عموم رحمته ترتيب  
الثواب والعقاب ﴿الرحيم﴾ الذي يمن على أهل كرامته بطاعته حتى  
لا عقاب يلحقهم ولا عتاب.

١٠. لما ختمت سورة الأحزاب بأنه سبحانه عرض أداء الأمانة وحملها  
- وهي جميع ما في الوجود من المنافع - على السموات والأرض  
والجبال، فأشفق منها وحملها الإنسان الذي هو الإنسان والجنان، وأن  
نتيجة العرض والأداء [ والحمل - ١ ] العذاب والثواب، فلم أن الكل  
ملكه وفي ملكه، خائفون من عظمتهم مشفقون من قهره سطوته وقاهر  
١٥ جبروته، و<sup>٢</sup> أنه المالك<sup>١</sup> التام الملك والمليك المطاع المتصرف في كل شيء.

(١) الرابعة والثلاثون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها خمس  
ونخسون في الشامي وأربع وخمسون في الباقي - راجع روح المعاني ١١٣/٧.  
(٢ - ٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ : بهذا القصد (٣) زيد في ظ : هو.  
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في م و مد : قاهر (٦ - ٦) سقط ما بين الرقنين  
من ظ و م و مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل : أن الملك.



من غير دفاع، وختم ذلك بصفى المغفرة والرحمة، دل على ذلك كله بأن ابتداء هذه بقوله: ( الحمد ) أى الإحاطة بأوصاف الكمال من الخلق والأمر كله مطلقاً فى الأولى والأخرى وغيرهما بما يمكن أن يكون ويحيط به علمه سبحانه ( لله ) ذى الجلال والجمال .

ولما كان هذا [ هو - ' ] المراد، وصفه بما يفيد ذلك، فقال هـ  
منبها على نعمة الإبداء<sup>١</sup> والإبقاء أولاً: ( الذى له ) أى وحده ملكا  
وملكا وإن نسبتم إلى غيره ملكا وملكاً ظاهرياً ( ما فى السنوات )  
أى بأسرها ( وما فى الأرض ) أى كما ترون أنه لا متصرف فى شيء  
من ذلك كمال التصرف<sup>٢</sup> غيره، وقد علم فى غير موضع وتقرر فى كل  
فطرة أنه ذو العرش العظيم، فأتبع ذلك أن<sup>٣</sup> له ما يحويه عرشه من  
السموات والأرض<sup>٤</sup> وما فيها، لأن من المعلوم أن العرش محيط بالكل،  
فالكل فيه، وكل سماء فى التى فوقها، وكذا الأرض<sup>٥</sup>، وقد تقرر أن  
له ما<sup>٦</sup> فى الكل، فأتبع ذلك أن له الكل بهذا البرهان الصحيح، وهو  
أبلغ مما لو عبر عن ذلك على وجه التصريح، وإذ قد<sup>٧</sup> كان له ذلك  
كله فلا نعمة على شيء إلا منه، فكل شيء يحمد به عليه من نعمة ١٥  
بلسان قاله، فإن لم يكن فبلسان حاله .

(١) زيد من ظ وم ومد، وفى الأصل: الإبدان .  
(٢) من م ومد، وفى الأصل و ظ: التصريف (٣) من ظ وم ومد،  
وفى الأصل: أنه (٤) من م ومد، وفى الأصل و ظ: الأرض (٥) فى ظ:  
الأرض (٦) سقط من ظ (٧-٨) من م ومد، وفى الأصل و ظ: إذا .

و لما أفاد ذلك أن له الدنيا و ما فيها، و قد علم في آخر الأحزاب  
 أن نتيجة الوجود العذاب و المغفرة، و نحن نرى أكثر الظلمة و المناقين  
 يموتون من غير عذاب، و أكثر المؤمنين يموتون لم يوفوا ما وعدوه  
 من الثواب، و نعلم قطعاً أنه لا يجوز على حكيم أن يترك عبيده سدى ينفى  
 بعضهم على بعض و هو لا يغير عليهم، فأفاد ذلك أن له داراً أخرى<sup>٥</sup>  
 يظهر فيها العدل و ينشر الكرم و الفضل، فلذلك قال عاطفاً على ما  
 سببه الكلام الأول من نحو: فله الحمد في الأولى، و طواه لأجل خفائه  
 على أكثر الخلق، و أظهر ما في الآخرة لظهوره لأنها دار كشف الغطاء،  
 فقال منها على نعمة الإعادة<sup>٢</sup> و الإبقاء ثانياً: ﴿وله﴾ أى وجهه  
 ١٠ ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بالكمال ﴿في الآخرة﴾ ظاهراً لكل من يجمعه  
 الحشر، وله كل ما فيها. لا يدعى ذلك أحد<sup>١</sup> فى شيء منه<sup>٢</sup> لا ظاهراً  
 و لا باطناً، فكل شيء فيها لظهور الحمد إذ ذاك بحمده كما ينبغي لجلاله  
 بما له عليه من نعمة أولها نعمة الإيجاد، حتى أهل النار فانهم يحمدهونه  
 بما يحب إليهم في الدنيا من إسباغ نعمه ظاهرة و باطنة، و منها إنزال  
 ١٥ الكتب و إرسال الرسل على وجه ما أتى فيه للتجيب موضعاً فى دعائهم  
 إليه و إقبالهم عليه، و بذل النصيحة على وجوه من اللطف كما هو معروف  
 عند من عاناه. فعملوا أنهم هم المفرطون حيث أبوا في الأولى حيث ينفع

/ ٢٦٩

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اخراو - كذا (٢) في ظ : لأن .

(٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من م .

الإيمان ، و اعترفوا في الآخرة حيث فات الأوان ” و قالوا 'أنا به و اني  
لهم التناوش' - الآيات ، و أيضا فهم يحمدينه في الآخرة لعلهم أنه  
لا يعذب ' أحدا منهم فوق ما يستحق و هو قادر على ذلك ، و لذلك  
جعل النار طبقات ، و رتبها دركات ، فكانوا في الأولى حامدين على غير  
وجهه ، فلم يفهمهم حمدهم لبنائه على غير أساس ، و حمدوا في الآخرة على ه  
وجهه فآغى عنهم لكونها ليست دار العمل لقوات شرطه ، و هو  
الإيمان بالغيب ، و الآية من الاحتباك : حذف أولا ه له الحمد في الأولى ،  
لما دل عليه ثانيا ، و ثانيا و له كل ما في الآخرة ، لما دل عليه أولا ،  
و قد علم بهذا و بما قدمته في التحل و الفاتحة أن الحمد تارة يكون بالنظر  
إلى الحامد ه و تارة بالنظر إلى المحمود ، فالثاني اتصاف المحمود بالجمل ، ١٠  
و الأول وصف الحامد له بالجمل ، فحمد الله تعالى اتصافه بكل وصف  
جميل ، و حمد الحامد له وصفه بذلك ، فكل الأكوان ناطقة بألسن أحوالها  
بحمده سواء ه انطق لسان قال بذلك أم لا ، و هو محمود قبل تكوينها ،  
و ذلك هو معنى قولي ه الإحاطة بأوصاف الكمال . و حمد غيره له تارة

- (١) في ظ و مد : لم يعذب (٢) من ظ و مد ، و في الأصل و م : لبنائهم .  
(٣) زيد في الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٤) في  
ظ : بغوات (٥) ريدت الواو في الأصل ، و لم تكن في ظ و م و مد فخذناها .  
(٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الأرض (٧) من ظ و مد ، و في الأصل  
و م : ما (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الحامل (٩) من م و مد ،  
و في الأصل و ظ : و الثاني (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : سرا .  
(١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بلسان (١٢) في ظ و مد : قول .

يطلق بالمدلول اللغوى، و تارة بالمدلول العرفى، و تحقيق ما قال العلماء  
فى ذلك فى نفسه و بالنسبة بينه و بين الشكر أن الحمد فى اللغة هو  
الوصف بالجميل الاختيارى على جهة التعظيم، و مورده اللسان وحده فهو  
مختص بالظاهر<sup>١</sup> و متعلقه النعمة و غيرها، فورده خاص و متعلقه عام،  
هـ و الشكر لغة على العكس من ذلك متعلقه خاص و مورده عام .  
لأنه فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب إنعامه فورده<sup>٢</sup> الظاهر و الباطن لأنه  
يعم اللسان و الجنان و الأركان . و متعلقه النعمة الواصلة إلى الشاكر،  
و من موارده القلب و هو أشرف الموارد كلها، لأن فعله و إن كان  
خفيا يستقل بكونه شكرا من غير أن ينضم إليه فعل غيره بخلاف الموردين  
١٠ الآخرين، إذ لا يكون فعل شئ منهما<sup>٣</sup> حمدا و لا شكرا حقيقة ما لم ينضم  
إليه فعل القلب .

و لما كان تعاكس<sup>٤</sup> الموردين و المتعلقين ظاهر الدلالة على النسبة  
بين الحمد و الشكر اللغويين، علم أن بينهما عموما و خصوصا وجهيا . لأن  
الحمد قد يترتب على الفضائل المجردة، و الشكر قد يختص بالفواضل،  
١٥ / ٢٧٠ فينفرد الحمد من هذه الجهة، و ينفرد الشكر بالفعل / الظاهر و الاعتقاد  
الباطن على<sup>٥</sup> الفواضل من غير قول، و يجتمعان فى الوصف<sup>٦</sup> الجنائى  
و اللسانى<sup>٧</sup> على الفواضل، ففعل القلب اعتقاد اتصاف المشكور بصفات

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بالظاهر (٢) من ظ و م و مد و م  
الأصل : فورده (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل : منها (٤) من ظ و م  
و مد، وفى الأصل : مما (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : مذكر (٦) قد  
ظ : عن (٧-٧) فى م و مد : اللسانى و الجنائى .

الكمال من الجلال والجمال ، وفعل اللسان ذكر ما يدل على ذلك ، وفعل  
الأركان الإتيان بأفعال دالة على ذلك .

ولما كان هذا حقيقة الحمد والشكر لغة لا عرفاً ، وكانت الأوهام  
تسبق 'إلى أن' الحمد ما يشتمل على لفظ ح م د ، قال القطب الرازى  
فى شرح المطالع : وليس الحمد عبارة عن خصوص قول القائل [«الحمد لله» ٥  
وإن كان هذا القول فرداً من أفراد الماهية ، وكذا ليس ماهية الشكر  
عبارة عن خصوص قول القائل - ٢ ] «الشكر لله» ، ولا القول المطلق  
الدال على تعظيم الله وإن كان الثانى جزءاً منه والأول فرد من هذا  
الجزء ، و حقيقة الحمد فى العرف ما يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً ،  
وحقيقة الشكر العرفى هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من القوى ١٠  
إلى ما خلق له كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته الاعتبار إلى على  
حضراته ، وإلقاء السمع إلى تلقى ما ينبىء عن مرضاته ، والاجتناب عن  
منهياتة ، فذكر الوصف فى اللغوى يفهم الكلام سواء كان نفسانياً أو لسانياً  
فيشمل حمد الله تعالى نفسه وحمدنا له . والجمل متناول للأنعام وغيره  
من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، وعدم تقييد الوصف بكونه فى ١٥  
مقابلة نعمه مظهر لأن الحمد قد يكون واقعاً بأزاء النعمة وقد لا يكون ،  
واشتراط التعظيم يفهم تطابق الظاهر والباطن ، فإن عرى قول اللسان

( ١ - ١ ) سقط ما بين الرقيين من ظ ( ٢ ) زيد من ظ و م و مد ( ٣ ) من ظ  
و م و مد ، وفى الأصل : القول ( ٤ ) فى مد : القوى .

عن مطابقة الاعتقاد أو خالفه فعل الجوارح لم يكن حمدا حقيقة، بل استهزاء و سخرية، و مطابقة الجنان و الأركان شرط في الحمد لا شطر، فلا يتداخل التعريفان. و لا يخرج بالاختيار صفات الله القديمة، فانها من حيث قدرته على تعليقها بالاشياء تكون داخلة فيكون الحمد على الوصف الاختياري، و كذا إذا مدح الشجاع بشجاعته و القدرة على تعليق الوصف بما يتحقق به كانت الشجاعة بمدوحا بها، و بما حصل من آثارها من النعمة محمودا عليه، و إذا وصف بالشجاعة خاصة لم يكن هناك محمود عليه، فقد علم من هذا أنه إذا كان هناك اختيار في الآثار كان الحمد عليه و إلا فلا، فلا يسمى وصف اللؤلؤة بصفاء الجوهر و بهجة المنظر حمدا ١٠ بل مدحا، و يسمى الوصف بالشجاعة للاختيار في إظهار آثارها حمدا، فاختص الحمد بالفاعل المختار دون المدح، و علم أيضا أن القول المخصوص و هو « الحمد لله » ليس حمدا لمخصوصه، بل لأنه دال على صفة الكمال و مظهر لها، فيشاركه في « تسمية كل ما دل على ذلك من الوصف، و لذلك قال بعض المحققين من الصوفية: حقيقة الحمد إظهار الصفات الكمالية، و ذلك قد يكون بالقول كما عرف، و قد يكون بالفعل و هو أقوى، لأن الأفعال التي هي آثار الأوصاف تدل عليها دلالة / عقلية / ٢٧١ قطعية، لا يتصور فيها خلف بخلاف الأقوال، فان دلالتها عليها وضعية، و قد يتخلف عنها مدلولها، و قد حمد الله تعالى نفسه بما يقطع به من (١) من ظ و م و مد، و في الأصل: بل (٢) في ظ و م و مد: أن (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: عليه.

القول والفعل ، أما الفعل فانه بسط بساط الوجود<sup>١</sup> على إمكانات لا تحصى  
 ووضع عليه موائد كرمه التي لا تنهاى ، فكشف ذلك عن صفات كماله  
 وأظهرها بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية ، فان كل ذرة من ذرات  
 الوجود تدل عليها ، ولا يتصور في عبارات المخلوق مثل هذه الدلالات ،  
 ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت<sup>٥</sup>  
 على نفسك » ، ولا بد للنبه لما قاله الأستاذ أبو الحسن " انتجبي المغربي " <sup>٢</sup>  
 الحرالي في تفسيره بان حمدة الفاحشة تتضمن من حيث ظاهرها المدح  
 التام الكامل بمن " يرى المدحة " سارية في كل ما أبدعه الله وما أحكمه  
 من الأسباب التي احتواها الكون كله ، وعلم أن كلنا يدى ربه " يمين  
 مباركة ، وهو معنى ما يظهره إحاطة العلم بإبداء الله حكمته على وجه ١٠  
 لا إنكارة فيه منه ، ولا يمن هو في أمره خليفته ، وليس من معنى ما بين  
 العبد وربه من وجه إهداء النعم وهو أمر يحده القلب علما ، لا أمر يوافق  
 النفس غرضا . فمن لم يكمل بعلم ذلك كان تاليا على أثر من علمه ، واجدا  
 بركة تلاوته - انتهى . وأما القول فانه سبحانه لما علم أن لسان الحال  
 إنما يرمر رمزا خفيا لا يفهمه إلا الأفراد وإن كان بعد التحقيق جليا ، ١٥  
 أنزل علينا كتابا مفصحا بالمراد أثنى فيه على نفسه ، وبين صفات كماله

(١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : الوجوه (٢-٢) من ظ و م ومد ،  
 وفي الأصل : اسعوى المعرى - كذا (٣-٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :  
 من المدحة له (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : به (٥) من ظ و م ومد ،  
 وفي الأصل : حمده - كذا (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بمن .

بالبیان الذی یعجز عنه القوى، ثم جعل الإعجاز دلالة قطعية على كماله،  
وعلى 'كل ما له من جلاله وجماله، وقد علم من هذه التعاريف أن  
بين 'الحمد والشكر اللغويين عموما وخصوصا من وجه، لأن الحمد قد  
يترتب على الفضائل [وهي الصفات ٢] الجميلة التي لا يتجاوز منها أثر  
٥ ومنفعة إلى غير المدح كالتشجاعة، والشكر يختص بالفواضل وهي  
النعم وهي الصفات\* والمزايا المتعدية التي يحصل منها منفعة لغير المدح  
كالإحسان والمواهب والعطايا كما مضى، وبين الحمد والشكر العرفين\*  
عموما وخصوصا مطلقا، فالحمد أعم مطلقا لعنوم النعم الواصلة إلى الحامد  
وغيره، واختصاص الشكر بما يصل إلى الشاكر، وذلك لأن المنعم  
١٠ المذكور في التعريف مطلق لم يقيد بكونه منعا على الحامد أو على غيره.  
فتناولهما بخلاف الشكر وقد اعتبر فيه منعم مخصوص\* وهو الله تعالى،  
ونعم واصله منه إلى الشاكر، ولعموم هذا الحمد مطلقا وخصوص  
هذا الشكر مطلقا وجه ثان، وهو أن فعل القلب واللسان مثلا قد  
يكون حمدا وليس شكرا أصلا، إذ قد اعتبر فيه شمول الآلات، ووجه  
١٥ ثالث وهو أن الشكر بهذا المعنى لا يتعلق بغيره تعالى بخلاف الحمد،

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: من .  
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الجميلة .  
(٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: للصفات (٦) سقط من ظ (٧) من ظ  
و م و مد، وفي الأصل: اللغويين (٨) في ظ و م و مد: تناولهما (٩) من  
ظ و م و مد، وفي الأصل: بخصوص .



وما يقال من أن النسبة بالعموم المطلق، بين العرفين إنما تصح بحسب الوجود دون الحمل<sup>١</sup> الذي كلامنا فيه، لأن الحمد بصرف<sup>٢</sup> القلب مثلاً فيما خلق لأجله جزء من صرف الجميع غير محمول عليه لامتياز في الوجود / ٢٧٢  
إعن سائر أجزائه، وأما في الحمل فلا يمتاز المحمول عن<sup>٣</sup> الموضوع في الوجود الخارجى، فقلط من باب اشتباه الشيء بما صدق هو عليه، فإن هـ ما ليس محمولا على ذلك الصرف<sup>٤</sup> هو ما صدق عليه الحمد، اعنى صرف القلب وحده لا مفهومه المذكور، وهو فعل يشعر بتعظيم النعم بسبب كونه منعماً. وهذا المفهوم يحمل على صرف الجميع، وما يقال إن صرف الجميع أفعال متعددة، فلا يصدق عليه أنه فعل واحد، جوابه أنه فعل واحد تعدد متعلقه، فلا ينافى وصفه<sup>٥</sup> بالوحدة كما يقال: صدر عن ١٠ زيد فعل واحد هو إكرام جميع القوم مثلاً، وتحقيقه أن المركب قد يوصف بالوحدة الحقيقية<sup>٦</sup> كبذل واحد، والاعتبارية كعسكر واحد، وصدق الجميع من قبيل الثانى كما لا يرتاب فيه ذو مسكة<sup>٧</sup>. والنسبة بين الحمدین اللغوى والعرفى عموم وخصوص من وجه، لأن الحمد العرفى هو الشكر اللغوى، وقد مضى بيان ذلك فيهما،<sup>٨</sup> وبين الشكر العرفى<sup>٩</sup> ١٥

- 
- (١) من م ومد، وفى الأصل وظ: الحمد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: تصرف (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: من (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: انصرف (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: وضعه. (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الحقيقة (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: مسكة (٨-٨) سقط ما بين الرقین من ظ.

أو اللغوى عموم مطلق لأن الشكر اللغوى يعم النعمة إلى الغير دون العرفى فهو أعم، والعرفى أخص مطلقا، وكذا بين الشكر العرفى والحمد اللغوى لأن الأول مخصوص بالنعمة على الشاكر سواء كان باللسان أولا، والثانى وإن خص باللسان فهو مشروط فيه مطابقة الأركان والجنان، ليكون على وجه التبجيل، وقد لا يكون فى مقابلة نعمة فهو أعم مطلقا ٥

فكل شكر عرفى حمد لغوى، ولا ينعكس وهذا بحسب الوجود، وكذا بين الحمد العرفى والشكر اللغوى عموم مطلق أيضا إذا قيدت النعمة فى اللغوى بوصولها إلى الشاكر كما مر، وأما إذا لم تقيد فهما متحدان، وأما الشكر المطلق فهو على قياس ما مضى تعظيم المنعم بصرف نعمته ١٠ إلى ما يرضيه، ولا يخفى أنه إذا كان نفس الحمد والشكر من النعم لم يمكن احداً الإتيان بهما على التام والكمال لاستلزامه تسلسل الأفعال إلى ما لا يتناهى، وهذا التحقيق منقول عن إمام الحرمين والإمام الرازى - هذا حاصل ما فى شرح المطالع للقطب الرازى وحاشيته للشريف الجرجاني بزيادات، وقد علم صحة ما أسأفته فى شرح الحمد بالنظر إلى ١٥ الحامد والنظر إلى المحمود، وإذا جمعت أطراف ما تقدم فى سورة النحل

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بشرط (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: وجه (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: هو (٥ - ٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: باللغوى بصورها. (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الشكر (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لم يقيد (٨) من م و مد، وفى الأصل و ظ: أحد (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لالتزامه (١٠) - سقط من ظ

و الفاتحة و غيرها من أن المادة تدور على الإحاطة علم أنه بالنظر إلى الحامد و صفة المحمود بالإحاطة بأوصاف الكمال ، و بالنظر إلى المحمود اتصافه بالإحاطة بأوصاف الكمال ، فان الوصف يشترط أن يكون مطابقا و إلا كان مدحا لا حمدا ، كما حققه العلامة قاضى قضاة دمشق شمس الدين أحمد بن خليل الخوي<sup>١</sup> فى كتابه أقاليم التعاليم .

و لما تقرر أن الحكمة لا تتم إلا بإيجاد الآخرة قال : ( و هو الحكيم ) أى الذى ' بلغت حكمته النهاية التى لا مزيد عليها ، و الحكمة هى العلم بالأمور على وجه الصواب متصلا بالعمل على وفقه .

و لما كانت الحكمة لا تنهى إلا بدقيق العلم و صافيه و إبابه و هو الخبرة

قال : ( الخيرة ) أى البليغ الخبر<sup>٢</sup> و هو العلم بظواهر الأمور و بواطنها ١٠

حالا و مالا ، فلا يجوز فى عقل أنه<sup>٣</sup> - و هو المتصف / بهاتين الصفتين ٢٧٣ /

كما هو مشاهد<sup>٤</sup> فى إتقان أفعاله و لإحكام كل شئ سمعناه من أقواله -

يخلق الخلق سدى من غير إعادة لدار الجزاء ، و قد مضى فى الفاتحة

و غيرها عن العلامة سعد الدين التفتازانى أنه قال : التصدير بالحمد إشارة

إلى أمهات النعم الأربع ، و هى الإيجاد الأول ، و الإيجاد الثانى ، و الإبقاء ١٥

الأول ، و الإبقاء الثانى . و أن الفاتحة لكونها أم الكتاب أشير فيها

(١) من ظ و م و مد و معجم المؤلفين ١ / ٢١٦ ، و فى الأصل : الخوف (٢) من

ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : م

متصلا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متعاهد .

(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتقان .

إلى الكل ، ثم أشير في كل سورة صدرت بعدها بالحمد إلى نعمة منها على الترتيب ، وأنه أشير في الأنعام إلى الإيجاد الأول وهو ظاهر ، وفي الكهف إلى الإبقاء الأول ، لأن انتظام البقاء الأول والانتفاع بالإيجاد لا يكون إلا بالكتاب والرسول ، وأنه أشير في هذه السورة إلى الإيجاد الثاني لانسياق الكلام إلى إثبات الحشر والرد على منكرى الساعة ٥ حيث قال سبحانه " وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي " انتهى ، وقد علم مما قررته أنها من أولها مشيرة إلى ذلك على طريق البرهان .

وقال أبو جعفر ابن الزبير : افتتحت بالحمد [ لله - ٢ ] لما أعقب بها ما انطوت عليه سورة الأحزاب من عظيم الآلاء و جليل النعماء حسب ما أبين - آتفا - يعنى فى آخر كلامه على سورة الأحزاب - فكان مظنة الحمد على ما منح عباده المؤمنين وأعطاهم فقال تعالى " الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض " ملكا واختراعا ، وقد أشار هذا إلى إرغام من توقف منقطعا عن فهم تصرفه سبحانه فى عباده بما ١٥ تقدم وتفريقهم بحسب ما شاء . فكان ٢ قد قيل : إذا كانوا له ملكا وعيدا ، فلا يتوقف فى فعله [ بهم - ٤ ] ما فعل من تيسير للحسن ١

(١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : بما (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : وكان (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) العبارة من هنا إلى « شاء وأراد » ص ٤٤١ س ٢ ساقطة من مد (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ليعنى - كذا .

أو لغير ذلك بما شاءه بهم على فهم علته واستطلاع سببه ، بل يفعل بهم ما شاء وأراد من غير حجر ولا منع " وهو الحكيم الخبير " وجه الحكمة في ذلك التي خفيت عنكم ، وأشار قوله " وله الحمد في الآخرة " إلى أنه سيطلع عباده المؤمنين - من موجبات حمده ما يمنحهم أو يضاعف لهم من الجزاء أو عظيم الثواب في الآخرة - على ما لم تبلغه عقولهم في الدنيا و " لا وفّت " به أفكارهم " فلا تعلم نفس ما أخفى " لهم من قوة عين " ثم أتبع سبحانه ما تقدم من حمده على ما هو أهله ببسط شواهد حكمته و عليه فقال تعالى " يعلم ما يلج في الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها " إلى قوله " وهو الرحيم " فبرحمته وغفرانه أنال عباده المؤمنين ما خصهم به و أعطاهم ، فله الحمد الذي ١٠ هو أهله ، ثم أتبع هذا بذكر إيماله من كذب و كفر مع عظيم اجترائهم لتئين سعة رحمته و مغفرته فقال تعالى " وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة " إلى قوله " ان في ذلك لآية لكل عبد منيب " أي إن في إيماله سبحانه لهؤلاء بعد عتوهم و استهزائهم في قولهم " لا تأتينا الساعة " و قوله " هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد " ١٥ و إغصائهم عن الاعتبار بما بين أيديهم من السماء و الأرض و أنهم أخذهم من أي الجهات و في إيمالهم و إدراج أرواقهم مع عظيم مرتكبهم آيات لمن أناب و اعتبر ، ثم بسط لعباده المؤمنين من ذكر الآية / و نعمه

(١) زيد في ظ : غير (٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لاقت (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اخفيت (٤) سقط من ظ .

و تصريفه في مخلوقاته<sup>١</sup> ما يوضح استيلاء قهره و ملكه ، و يشير إلى عظيم ملكه كما أعلم في قوله سبحانه [”الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض“ فقال سبحانه -<sup>٢</sup>] ”و لقد اتينا داود منا فضلا فبنا لى اوى معه و الطير و الناله الحديد“ ثم قال ”و لسليمن الريح“ إلى قوله ”اعملوا ال داود شكرا“ ثم أتبع ذلك<sup>٣</sup> بذكر حال من لم يشكر فذكر قصة سبا إلى آخرها ، ثم ونح تعالى من عبد غيره معه بعد وضوح الامر و يانه فقال ”قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله“ إلى وصفه حالهم الآخرى<sup>٤</sup> و مراجعة متكبريهم ضعفاءهم و ضعفاتهم متكبريهم ”و اسروا الندامة لما راوا العذاب“ ثم التحمت الآى جارية على ما تقدم من لدن ١٠ افتتاح السورة إلى ختمها - انتهى .

و لما ختم بصفة الخبر ، أتبع ذلك ما يدل عليه فقال :  
 ﴿ يعلم ما يلج فى الارض ﴾ أى هذا الجنس من المياه<sup>١</sup> و الأموال<sup>٢</sup> ،  
 و الأموات ، و قدم هذا لأن الشىء يغيب فى التراب أولا ثم يسقى فيخرج  
 ﴿ و ما يخرج منها ﴾ من المياه و المعادن و النبات ﴿ و ما ينزل من السماء ﴾  
 ١٥ أى هذا الجنس من حرارة و برودة<sup>٣</sup> و ماء<sup>٤</sup> و ملك و غير ذلك  
 ﴿ و ما يعرج ﴾ و لما كانت السهوات<sup>٥</sup> أجساما كثيفة متراكية ، لم يعبر

(١) ريد فى الأصل : مع . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخذناها (٢) زيد  
 من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤-٥) من ظ و م و مد و القرآن الكريم ،  
 و فى الأصل : دونه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآخرى (٦-٧) سقط  
 ما بين الرقين من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السياه .

بحرف الغاية كما في قوله تعالى "إليه يصعد الكلم الطيب" بل قال :  
 ﴿ فيها ﴾ أى من الأعمال والملائكة وكل ما يتصاعد من الأرض في  
 جهة العلو وأنتم كما ترونه يميز كل شيء من مشابهه، فيميز ما له أهلية  
 التولد من الماء والتراب في الأرض من النباتات عن بقية الماء والتراب  
 على اختلاف أنواعه يميزا بعضه من بعض، ومن المعادن الذهب والفضة  
 والحديد والنحاس والرصاص إلى غير ذلك، مع أن الكل ما يخالط  
 الزاب، فكيف يستبعد عليه أن يجي الموت لعسر تمييز تراب كل ميت  
 بعد التمزق والاختلاط من تراب آخر .

ولما كان الحاصل من هذا المتقدم أنه رب كل شيء، وكان  
 الرب لا تنتظم ربوبيته إلا بالرفق والإصلاح، وكان ربما ظن جاهل أنه ١٠  
 لا يعلم أعمال الخلائق لأنه لو علمها ما أفر عليها، أعلم أن رحمته سبقت  
 غضبه . ولذلك قدم صفة الرحمة، ولأنه في سياق الحمد، فناسب تقديم  
 الوصف الناظر إلى التكميل على الوصف النافي للنقص فقال : ﴿ وهو ﴾  
 [أى - ٢] والحال أنه وحده مع كثرة نعمه المقيمة للأبدان ﴿ الرحيم ﴾  
 أى المنعم بما ترضاه الإلهية من إزال الكتب وإرسال الرسل لإقامة ١٥  
 الأديان ﴿ الغفور ﴾ أى المحاء للذنوب أما من أتبع ما أنزل من ذلك  
 كما بلغته الرسل فبالمحو عينا وآرا حتى لا يعاقبهم على ما سلف منها

(١) سقط من ظ (٢) في ظ و م و مد : النبات (٣) من ظ و م و مد ، وفي  
 الأصل : انواع (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : التقدم (٥) في ظ :  
 الاصطلاح (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الثماني (٧) زيد من ظ  
 و م و مد .

ولا يعاتبهم، وأما غيره فالتكفير بأنواع المحن أو التأخير إلى يوم الحشر .

ولما ثبتت حكمته بما نشاهد من محكم الأفعال و صائب الأقوال ،  
ثبت بذلك علمه لأن الحكمة لا تكون إلا بالعلم ، وكان الرب الرحيم العليم  
ه لا تكمل ربوبيته إلا بالملك الظاهر والآيالة<sup>١</sup> القاهرة التي لا شوب فيها ،  
ثبت البعث الذي هو محط الحكمة و موضع ظهور العدل ، فكانت نتيجة  
ذلك : فآله يأتي بالساعة لما ثبت من برهانها كما ترون ، فعطف عليه قوله :  
( وقال الذين كفروا ) أى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم<sup>٢</sup> من براهينها  
الظاهرة : ( لاتأتينا الساعة<sup>٣</sup> ) و الإخبار عنها باطل .

١٠ / ٢٧٥ و لما تقدم / من الأدلة ما لا يرتاب معه ، أمره أن يحجيهم برد  
كلامهم مؤكدا بالقسم على أنه لم يخله من دليل ظاهر فقال : ( قل بل ورنى )  
أى المحسن إلى بما عمنى به معكم من النعم ، و بما خصنى به من تنبئى  
و إرسالى إليكم - إلى غير ذلك من أمور لا يحصيها إلا هو سبحانه ، فهو  
أكرم من أن يدعى من غير أن يحشركم لينتقم<sup>٢</sup> لى منكم . و يقر عينى  
د بما يجازيكم به من أذاكم لى و لمن اتبعنى ، فانه لا يكون سيد قط رضى  
أن يبنى بعض عصاة عبيده على بعض . و يدعم سدى من غير تأديب ،  
فكيف إذا كان المبغى عليه مطيعا له ، و الباغى عاصيا عليه ، هذا ما  
لا يرضاه عاقل فكيف بجاكم فكيف بأحكم الحاكمين ؟ ( لاتأتينكم<sup>٣</sup> ) أى

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الاثالة (٢) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : اقوالهم (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : لينقم .



الساعة لتظهر فيها<sup>١</sup> ظهورا تاما الحكمة بالعدل و الفضل ،<sup>٢</sup> و غير ذلك من عجائب الحكم<sup>٣</sup> [ و الفصل - ٢ ] .

و لما كان الحاكم لا يهمل رعيته إلا إذا غابوا عن علمه ، و لا يهمل شيئا من أحوالهم إلا إذا غاب عنه ذلك الشيء ، و كانت الساعة من عالم الغيب ، و كان ما تقدم من إثبات العلم ربما خصه متعنت بعالم الشهادة ، ه وصف ذاته الأقدس سبحانه بما بين<sup>٤</sup> أنه لا فرق عنده بين الغيب الذى الساعة منه و الشهادة ، بل الكل عنده شهادة ، و للعناية بهذا المعنى يقدم<sup>٥</sup> الغيب إذا جمعا فى الذكر ، فقال مينا عظمة المقسم به ليفيد حقيقة<sup>٦</sup> المقسم عليه لأن القسم بمنزلة الاستشهاد على الأمر ، و كلما كان المستشهد به أعلى كعبا و أبين فضلا و أرفع منزلة كان [ فى - ٨ ] الشهادة أقوى ،<sup>٧</sup> و أكد ، و المستشهد عليه أثبت و أرسخ ، و اصفا له على قراءة الجماعة و مستأنفا - و هو أبلغ - على قراءة المدنيين و ابن عامر و رويس عن يعقوب بالرفع<sup>٨</sup> : (علم الغيب) و قراءة حمزة و الكسائي «علام» بصيغة المبالغة كما هو أليق بالموضع .

و لما كنا لقصور علمنا متقدين<sup>٩</sup> بما فى هذا الكون مع أن الكلام فيه ، ١٥

- (١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .  
 (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٥) فى ظ : يبين (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تقدم .  
 (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : حقيقة (٨) زيد من ظ و مد (٩) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٤٨ (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقتدين .

قال مصرحا بالمقصود على آتم وجه : ﴿ لا يعزب ﴾ - أى يغيب و يبعد عزوبا قويا - على قراءة الجماعة بالضم ، و لا ضعيفا - على قراءة الكسائي بالكسر ١ ﴿ عنه مثقال ذرة ﴾ أى من ذات و لا معنى ، و الذرة نملة حمراء صغيرة جدا صارت مثلا فى أقل القليل فهى كناية عنه . و لما ه كان فى هذه السورة السابق للحمد ، و هو الكمال و جهة العلو به أرفق و لأمر الساعة و مبدأه منها بدأ بها .

و لما كان قد بين علمه بأمر السماء ، و كان المراد بها الجنس ، جمع هنا تصریحا بذلك المراد فقال : ﴿ فى السفوات ﴾ و أكد التثنية بتكرير " لا " فقال : ﴿ و لا فى الارض ﴾ و لما كنا مقيدین بالكتاب ، ١٠ ابتداء الخبر بما يهر العقل من أن كل شئ مسطور من قبل كونه ثم يكون على وفق ما سطر ، فاذا كشف لللائكة عن ذلك ازدادوا إيمانا و تسليحا و تحميذا و تقديسا ، فقال - عند جميع القراء عاطفا على الجملة من أصلها [ لا - ° ] على المثقال لأن الاستثناء يمنعه : ﴿ و لا اصغر ﴾ أى و لا يكون شئ أصغر ﴿ من ذلك ﴾ أى المثقال ﴿ و لا اكبر ﴾ ١٥ [ أى - ° ] من المثقال فما فوقه ﴿ الا فى كتب ﴾ و إخبارنا به لما جرت به عوائدنا من تقييد العلم بالكتاب ، و أما هو سبحانه فغنى عن ذلك . و لما كان الإنسان قد يكتب الشئ ثم يغيب عنه و ينسى مكانه

(١) راجع نثر المرجان ٤٤٨/هـ (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : متقيدین .  
(م) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الجر (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : وصف (هـ) زيد من ظ و م و مد .

فيعجز في استخراجها، أخبر أن كتابه على خلاف ذلك، بل هو بحيث لا يكشف من يريد اطلاعه عليه شيئا إلا وجده في الحال / فقال: ٢٧٦ /  
 (مبين ق٢) ويجوز - ولعله أحسن - إذا تأملت هذه مع آية يونس أن يعطف على مثقال، ويكون الاستثناء منقطعا، ولكن على بابها في كونها بين متافين، فإن المعنى أنه لا يغيب ولا يعد عنه شيء من ذلك<sup>٥</sup> لكنه محفوظ أتم حفظ في كتاب لا يراد منه كشف عن شيء إلا<sup>٦</sup> كان له في غاية الإبانة، ولعله عبر بأداة المتصل إشارة إلى أنه إن كان هناك عزوب فهو على هذه الصفة التي هي في غاية البعد عن العزوب<sup>٧</sup>، ثم بين علة ذلك كله دليلا على صدق القسم بما ختمت به الأحزاب من حكمة عرض الأمانة بما لا يمتري<sup>٨</sup> ذو عقل ولو قل في صحته<sup>٩</sup>، وأنه لا يجوز ١٠  
 في الحكمة أن يفعل غيره فقال: (ليجزى الذين آمنوا) أي فانه ما خلق الأكوان إلا لأجل الإنسان، فلا يجوز أن يدعه بغير جزاء: (و عملوا) أي تصديقا لإيمانهم (الصلحت).

ولما التفت السامع إلى معرفة جزائهم، أوردته تعظيما لشأنه، جوابا للسؤال مشيرا<sup>١١</sup> إليه بما دل<sup>١٢</sup> على علو رتبته بعلو رتبة أهله: (أو أشك) ١٥

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لا يغرب (٢) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ و م ومد لحذفها (٣) زيد في ظ: اذا (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ: الضروب (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل: لم يمتري. (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: صحبته (٧) في ظ ومد: مشارا (٨) زيد في الأصل: عليه، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها.

أى العالو الرتبة ( لهم مغفرة ) أى لزلاتهم أو هفواتهم<sup>١</sup> لأن الإنسان  
المبنى على النقصان لا يقدر أن يقدر العظيم السلطان حق قدره  
( ورزق كريم )<sup>٢</sup> أى جليل عزيز دائم لذيد نافع شهى ، لا كدر  
فيه بوجه .

٥ ولما كانت أدلة الساعة قد اتضحت حتى لم يبق<sup>٣</sup> مانع من التصديق  
بها إلا العناد ، وكان السياق لتهديد من جدها<sup>٤</sup> ، قال معبرا بالماضى :  
( والذين سموا ) أى [ فعلوا - ]<sup>٥</sup> فعل الساعى ( فى آيتنا ) [ أى - ]<sup>٦</sup>  
على ما لها من العظمة ( معجزين ) أى مبالغين فى قصد تعجزها بتخلفها<sup>٧</sup>  
عما زيده<sup>٨</sup> من إنقاذها ، وهكذا [ معنى - ]<sup>٩</sup> قراءة المفاعلة<sup>١٠</sup> . ولما كان  
١٠ ذنبهم عظيما ، أشار إليه بابتداء آخر فقال : ( أو أئتاك ) [ أى البعداء  
البغضاء الحقيرين عن أن يلفوا مرادا بما جرتهم - ]<sup>١١</sup> ( لهم عذاب )  
و أى عذاب ( من رجز ) أى شئ كله اضطراب ، فهو موجب لعظيم  
التكد والازعاج ، فهو أسوأ العذاب ( اليم ) أى بليغ الألم - جره  
الجماعة نعتا لرجز ، ورفع ابن كثير وحفص عن عاصم نعتا لعذاب<sup>١٢</sup> .  
١٥ ولما ذم<sup>١٣</sup> الكفرة ، وعجب منهم فى إنكارهم الساعة فى قوله " وقال الذين

(١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : لهفواتهم (٢) فى ظ : لا يبقى (٣) من ظ  
وم ومد ، وفى الأصل : جهلها (٤) زيد فى الأصل وم : فقال ، ولم تكن  
الزيادة فى ظ ومد لخصتها (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من ظ وم ومد ،  
وفى الأصل : بتخلفها (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تريده (٨) راجع  
نثر المرجان ٤٥٠/٥ (٩) فى ظ : ذكر .

كفروا

(١١٢)

٤٤٨

كفروا لا تاتينا الساعة“ [و - ١] اقام الدليل على إثباتها<sup>٢</sup>، وبين أنه لا يجوز في الحكمة غيره ليحصل العدل و الفضل في جزاء اهل الشر و أولى الفضل، عطف على ذلك مدح<sup>٣</sup> المؤمنين فقال واصفا لهم بالعلم، إعلاما بأن الذي أودث الكفرة التكذيب الجهل: ﴿ ويرى الذين ﴾ معبرا بالرؤية و المضارع إشارة [إلى أنهم في علمهم غير شاكين، بل هم كالشاهدين لكل ما أخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم، و بالمضارع -<sup>٤</sup>] إلى تجديد علمهم مترقين في رتبة على الدوام مقابلة لجلالة<sup>٥</sup> أولئك في ثباتهم على الباطل الذي أشار إليه بالماضي، و أشار إلى أن عليهم لدنى بقوله: ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى قذفه الله في قلوبهم فصاروا مشاهدين لمضامينه لو كشف الغطاء ما ازدادوا يقينا سواء كانوا ممن أسلم من العرب أو من أهل الكتاب ﴿ الذى أنزل إليك ﴾ أى كله من أمر الساعة و غيره ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزاله، [و أتى بضمير الفصل تفخيما للأمر و تنصيحا على أن ما بعده مفعول ” اوتوا“ الثانى فقال -<sup>٦</sup>] : ﴿ هو الحق ﴾ أى لا غيره من الكلام ﴿ ويهدى ﴾ أى [يجدد على مدى الزمان هداية -<sup>٧</sup>] من اتبعه ﴿ الى صراط ﴾ أى طريق واضح ١٥ واسع .

ولما كانت هذه السورة مكية، و كان الكفار فيها مستظهرين

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، وفى الأصل وظ : اثباتها (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل : مع (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : واضعا .  
(٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : لجلالة، وفى م : جلالة .

و المؤمنون قليلين خائفين ، و العرب يذمونهم بمخالفة قومهم و دين آبائهم  
 و نحو ذلك من الخرافات التي حصلها الاستدلال / على الحق المزعوم  
 بالرجال قال : ﴿ العزيز الحميد ﴾ أي الذي من سلك طريقه - وهو  
 الإسلام - عز و حمده ربه لحمده كل شيء و إن تمالأ عليه الخلق أجمعون ،  
 ه فانه سبحانه لا بد أن يتجلى للفصل بين العباد ، بالإشقاء و الإسعاد على  
 قدر الاستعداد .

و لما عجب [ سبحانه - ٢ ] من الذين كفروا في قولهم " لا تأتينا  
 الساعة " المتضمن لتكذيبهم ، و ختم بتصدق الذين أوتوا العلم مشيراً  
 إلى أن [ سبب - ٢ ] تكذيب الكفرة الجهل الذي سببه الكبر ، عجب  
 ١٠ منهم تعجيباً آخر أشد من الأول لتصريحهم بالتكذيب [ على وجه  
 عجيب - ١ ] فقال : ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أي الذين تحققوا أمره  
 صلى الله عليه وسلم و أجمعوا خلافه و عتوا على العناد ، لمن يرد عليهم  
 من لا يعرف حقيقة حاله معجبين و منفرين : ﴿ هل ندلكم ﴾ أي أيها  
 المعتقدون أن لا حشر . و لما أخرجوا الكلام مخرج الغرائب [ المضحكة - ٢ ]  
 ١٥ لم يذكروا اسمه مع أنه أشهر الأسماء ، بل قالوا : ﴿ على رجل ﴾ أي  
 ليس هو أصيلاً ولا امرأة حتى تعذروه ٦ ﴿ ينشكم ﴾ أي يجبركم

(١) في ظ و مد : صراطه (٢) ويد من ظ و م و مد (٣) ليس في الأصل  
 فقط (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الفساد (٥) من ظ و م و مد ،  
 وفي الأصل : معبرين - كذا (٦-٦) ما بين الرقين بياض في الأصل ، ملائنه من  
 ظ و م و مد (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : تعذروه .

[ متى شئتم - ١ ] إخبارا لا أعظم منه بما حواه من العجب الخارج عما نعلمه  
[ مجددا لذلك متى شاء المستخبر له - ١ ] .

ولما كان القصد ذكر ما يدل عندهم على استبعاد البعث، قدموا  
المعمول فقالوا: ﴿ اذا ﴾ [ أى إنكم إذا - ١ ] ﴿ مرقم ﴾ أى قطعتم  
وفرقتم بعد موتكم من كل ما من شأنه أن يمزق من التراب والرياح ه  
وطول الزمان ونحو ذلك تمزيقا عظيما، بحيث صرتم ترابا، وذلك  
معنى ﴿ كل ممزق ﴾ أى كل تمزيق، فلم يبق شيء من أجسادكم مع شيء،  
بل صار الكل بحيث لا يميز بين ترابه و تراب الأرض، و ذهبت به  
السيول كل مذهب، فصار مع اختلاطه بتراب الأرض والتباسه متباعدة  
بعضه عن بعض، وكسر معمول " ينشكم " لأجل اللام فقال: ﴿ انكم لنى ﴾ ١٠  
أى تقومون كما كنتم قبل الموت قياما لاشك فيه، والإخبار به مستحق  
لغاية التأكيد ﴿ خلق جديد ﴾ وهذا عامل " إذا " الظرفية .

ولما تفروا عنه بهذا الإخبار المحير في الحامل له عليه، خيلوا بتقسيم  
القول فيه في استفهام مردد " بين الاستعجاب تعجبا والإنكار، فقالوا  
جوابا لمن سأل عن سبب إخباره بأسقاط همزة الوصل، لعدم الإلباس ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقین  
من ظ (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: هذا (٥-٥) من ظ و م  
وم، وفي الأصل: لا يميز ١٦ من ظ و م و مد، وفي الأصل: يستحق .  
(٧) زيد في الاصول: في (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عليل (٩) من  
م و مد، وفي الأصل و ظ: المحبر (١٠) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل: مرددين .

هنا بخلاف ما يصح لأم التعريف فانها لفتحتها تلبس بالخبر: ﴿ افترى ﴾  
 أى تعمد ﴿ على الله ﴾ [أى - ' ] الذى لا أعظم منه ﴿ كذبا ﴾ بالإخبار  
 بخلاف الواقع [ وهو عاقل يصح منه القصد - ' ] . ولما كان يلزم  
 من التعمد العقل ، قالوا : ﴿ ام به جنة <sup>١</sup> ﴾ أى جنون ، فهو يقول الكذب ،  
 ٥ وهو ما لا حقيقة له من غير تعمد ، [ لأنه ليس من أهل القصد ، فالآية  
 من الاحتباك : ذكر الافتراء أولا يدل على ضده ثانيا ، و ذكر الجنون  
 ثانيا يدل على ذكر ضده أولا - ' ] .

ولما كان الجواب : ليس به <sup>٢</sup> شيء من ذلك ، عطف عليه مخبرا  
 عن بعض الذين كسفروا بما يوجب ردع البعض الآخر قوله :  
 ١٠ ﴿ بل الذين لا يؤمنون ﴾ أى [ لا - ' ] يحددون الإيمان لأنهم طبعوا  
 على الكفر ﴿ بالآخرة ﴾ أى الفطرة الآخرة التى أدل شيء عليها الفطرة  
 الأولى . ولما كان هذا القول مسيئا عن ضلالهم ، وكان ضلالهم سببا  
 لعذابهم ، قدم العذاب لأنه المحط و ايرتدع من أراد الله إيمانه فقال :  
 ﴿ فى العذاب ﴾ أى فى الدنيا بمحاولة إبطال ما أراد الله إتمامه ، وفى  
 ١٥ الآخرة بما فيه من المعصية ، وأتبعه سيئه فقال : ﴿ والضلل ﴾ أى عما  
 يلزم من وجوب وحدانيته و شمول قدرته / بسبب أن له ما فى السماوات  
 وما فى الأرض .

/ ٢٧٨

ولما كان قولهم بعيدا من الحق لوصفهم أهدى الناس بالضلال ،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى  
 الأصل و م : فيه .



وكان الضلال يعد 'يعد صاحبه' عن الجادة و توغله في المهامه الوعرة الشاسعة، قال واصفا له بوصف الضال<sup>٢</sup>: (البعيد) فبين بالوصف أنه لا يمكن الانفكاك عنه<sup>٣</sup>، و علم أن من الذين كفروا قسما<sup>٤</sup> لم يطبعوا على الكفر، فضلوا ضللا قريبا يمكن انفكاكهم عنه<sup>٥</sup>، وهم الذين آمنوا منهم بعد، وهو من يديع القول<sup>٦</sup> حيث عبر بهذا الظاهر الذي أفهم هذا ه التفسير موضع الإضمار الذي كان حقه: بل هم في كذا.

ولما كانوا قد أنكروا الساعة لقطعهم بأن من مزق كل ممزق لا يمكن إعادته، قطعوا جهلا بأن الله تعالى لا يقول ذلك، ففسبوا الصادق صلى الله عليه وسلم في الإخبار بذلك إلى أحد أمرين: تعمد الكذب أو الجنون. شرع سبحانه يدل على صدقه في جميع ما أخبر به، فبدأ بآيات قدرته ١٠ على ذلك بما يشاهدون من قدرته على ما هو مثله، أو أعظم منه. مشيرا إلى أن إنكارهم لذلك مستند<sup>٧</sup> إلى ضلالهم بسبب غفلتهم عن تدبر الآيات، فكان المعنى: ضلوا فلم يروا، فدل عليه منكر عليهم مهددا لهم مقررا لذوى العقول من السامعين بقوله: (افلم يروا) ونبه على أنهم في محل بعد عن الإبصار النافع بحرف النهاية فقال: (إلى ما بين أيديهم) أي أمامهم ١٥ (وما خلفهم) وذلك إشارة إلى جميع الجوانب من كل من الخافقين

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بصاحبه (٢) في ظ: الضلال (٣) في ظ و م: منه (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: قسم (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: منه (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: المنقول. (٧) من مد، وفي الأصل و ظ و م: مستندا.

وأنهما قد أحاطا بهم كغيرهم . ولما لم تدع حاجة إلى الجمع أفرد فقال :  
(من السماء والارض) أى اللذين جعلنا مطلع السورة ان لنا كل  
ما فيها .

و لما كان الإنكار لائقاً بمقام العظمة ، فكان المعنى : إنا فعل بها  
هـ وفيها ما نشاء ، عبر عنه بقوله : ( ان نشأ ) أى بما لنا من العظمة -  
على قراءة الجمهور ( تحسف ) أى تغور ( بهم ) [ وأدغم الكسائي  
إلى أنه سبحانه قد يفعل ذلك في أسرع من اللح بحيث يدرك لاكثر  
الناس وقد يفعله على وجه الوضوح وهو أكثر - بما أشارت إليه  
قراءة الإظهار للجمهور . و لما كان الحسف قد يكون لسطح أو سفينة  
١٠ ونحوهما ، خص الأمر بقوله - ] : (الارض) أى كما فعلنا بقارون  
وذريته ' لأنه ليس نفوذ بعض أفعالها بأولى من غيره  
( أو نسقط عليهم كسفا ) بفتح السين على قراءة حفص ' وبأسكانه  
على قراءة غيره أى قطعاً ( من السماء ) كذلك [ ليكون شديد الوقع  
لبعد المدى عن السحاب ونحوه - ] لأن من المعلوم أننا نحن خلقناهما ،  
١٥ ومن أوجد شيئاً قدر على ' هده وهد ' ما أراد منه ، ومن جعل السياق

(١) في ظ : انهم (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : جعلناهما (٣) من م  
و مد ، وفي الأصل و ظ : لا يقام (٤) رجع نثر المرجان ٤٥٣/٥ (٥) زيد ما  
بين الحائزين من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ  
و م : دربه (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : غيرها (٩) راجع نثر المرجان  
٤٥٤/٥ (١٠-١١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : هزه وهدم .

الغيب - وهو حمزة والكسائي - رد الضمير على الاسم الأعظم الذى جعله مطلع السورة .

ولما كان هذا أمراً ظاهراً، أتبع قوله مؤكداً لما لم من إنكار البعث : ( ان فى ذلك ) أى [ فى - ٢ ] قدرتنا على ما نشاء من كل منها والتأمل فى فنون تصاريفها ( الآية ) أى علامة بينة على أنا نعامل من شئنا فيها بالعدل بأى عذاب أردنا، ومن شئنا بالفضل بأى ثواب أردنا، وذلك دال على أنا قادرون على كل ما نشاء من الإمامة والإحياء وغيرهما، فقد خسفنا بقارون وآله وبقوم لوط وأشياهم، وأسقطنا من السماء على أصحاب الأيكة يوم الظلة قطعاً من النار، وعلى قوم لوط حجارة، فأهلكناهم بذلك أجمعين . ولما كانت الآيات لا تنفع من ١٠ طبع على العناد قال تعالى : ( لكل عبد ) أى متحقق أنه \* مريب ضعيف \* مسخر لما يراده ( منيب ) أى فيه قابلية الرجوع عما أبان له الدليل عن أنه / زل فيه .

٢٧٩ /

ولما أشار سبحانه بهذا الكلام الذى دل فيه على نفوذ الأمر إلى أنه تارة يعدل وتارة يفضل، وكان الفضل أكثر استجلاباً لذوى الهمم ١٥ العلية والآنفس الآية، بدأ به فى عبد من رؤس المنيين على وجه دال

- (١) زيد فى الأصل وم : قراءة، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناهما .  
 (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل : الظلمة .  
 (٤) ليس فى ظ وم ومد ( . - . ) من ظ وم ومد، وفى الأصل : مدبوب منتصف .

على البعث بكمال التصرف في الخافقين و ما فيها بأمر شوهدت لبعض  
عيده تارة بالعيان و تارة بالآذان ، أما عند أهل الكتاب فواضح ، و أما  
عند العرب فبتمكينهم<sup>١</sup> من سؤالهم فقد كانوا يسألونهم عنه صلى الله  
عليه وسلم ، و قال أبو حيان<sup>٢</sup> : إن بعض ذلك طفحت به أخبارهم و نظقت  
به أشعارهم<sup>٣</sup> ، فقال تعالى مقسماً تنبيهاً على أن إنكارهم للبعث إنكار لما يخبر  
به من المعجزات ، عاطفاً على ما تقدّمه : فلقد آتينا هذا الرجل الذي  
نسبتموه إلى الكذب أو الجنون منا فضلاً بهذه الأخبار المدلول عليها  
بمعجز القرآن فإيا بعد [ ما بينه و بين -<sup>٤</sup> ] ما نسبتموه إليه : ( ولقد )  
[ أى -<sup>٥</sup> ] و عزتنا و ما ثبت لنا من الإحاطة بصفات الكمال بالاتصاف  
١٠ بالحمد لقد<sup>٦</sup> ( آتينا ) أى أعطينا إعطاء عظيماً دالاً على نهاية المنكحة بما  
لنا من العظمة ( داود ) .

و لما كان الموقن قد تكون واسطة لمن منه الإتياء ، بين أن الأمر  
ليس إلا منه فقال : ( منا فضلاً<sup>٧</sup> ) و دل على أن التنوين للتعظيم<sup>٨</sup> و أنه  
لا يتوقف تكوين<sup>٩</sup> شيء على غير إرادته بقوله ، منزلاً الجبال منزلة العقلاء  
١٥ الذين يبادرون [ إلى -<sup>١٠</sup> ] امتثال أوامره ، تنبيهاً على كمال قدرته و بديع  
تصرفه في الأشياء كلها<sup>١١</sup> جواباً لمن كأنه قال : ما ذلك الفضل ؟ مبدلاً

(١) في ظ و م و مد : فبتمكينهم (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٧ / ٢٦١ .

(٣) في النهر : شعراؤهم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) من

ظ و م و مد ، وفي الأصل : غاية (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :

للعظمة (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تنوين (٩) في ظ : كله .

من "أتينا": (يا) أى قلنا لأشد الأرض: يا (جبال اربى) "أى رجبى" التسبيح و قراءة الزبور وغيرهما من ذكر الله (معه) أى كلما سبح، فهذه آية أرضية بما هو "أشد الأرض" بما هو وظيفة العقلاء، ولذلك عبر فيه بالامر دلالة على عظيم القدرة .

ولما كانت الجبال أغلظ الأرض وأثقلها، وكان المعنى: دعونا ه الجبال للتأويب معه، فبادرت الإجابة لدعائنا، لما تقدم من أنها من جملة من أبى أن يحمل الأمانة، عطف على ذلك أخف الحيوان وأطفه، ليكون آية سماوية، على أنه يفعل في السماء ما يشاء، فانه لو أمات الطائر في جو السماء لسقط، ولا فرق في ذلك بين عال وعال، فقال: (و الطير ج) أى دعوناها أيضا، فكانت ترجع معه الذكر فدلّ قرانها بالطير على ذكرها ١٠ حقيقة كذكر الطير دفعا لتوهم من يظنه رجوع الصدا، وقراءة يعقوب بالرفع [عطف - °] على لفظ "جبال"، وقراءة غيره عطف على موضعه، أو تكون الواو بمعنى مع أو بتقدير فعل من معنى ما مضى كسخرنا، قال وهب بن منبه: كان يقول للجبال: سبحى، وللطير: أجبى، ثم يأخذ هو في تلاوة الزبور بين ذلك بصوته الحسن، فلا يرى الناس ١٥ منظرا أحسن من ذلك، ولا يسمعون شيئا [أطيب - °] منه، وذلك كما كان الحصى يسبح في كف النبي صلى الله عليه وسلم وكف أبى بكر (١-١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ارجعى (٢) سقط من ظ (٣) زيد في ظ: فعل (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: يظن (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: عطا .

و عمر رضى الله عنهما، وكما كان الطعام يسبح في حضرته الشريفة وهو يؤكل، وكما كان الحجر يسلم عليه، وأسكفة الباب وحوائط البيت تؤمن على دعائه، وحنين الجذع مشهور، وكما كان الضب يشهد له والجل يشكو إليه ويسجد بين يديه ونحو ذلك، وكما جاء الطائر الذي يسمى الحجرة تشكو الذي أخذ بيضاها. فأمره النبي صلى الله عليه وسلم برده رحمة لها .

/ ٢٨٠

ولما ذكر طاعة أكشف الأرض والطف الحيوان الذي أنشأه الله منها، ذكر ما أنشأه سبحانه من ذلك الأكشف وهو أصلب الأشياء فقال: ﴿ والناله الحديد ﴾ أى الذى ولداه من الجبال جعلناه فى يده ١٠ كالشمع يعمل منه ما يريد بلا نار ولا مطرقة، ثم ذكر علة الإلانة بصيغة الأمر إشارة إلى أن عمله كان لله فقال: ﴿ ان عمل سبغت ﴾ أى دورعا طويلا واسمة .

ولما كان السرد الخز في الأديم وإدخال الخيط في موضع الخز، شبه إدخال الحلقة في الأخرى بلحمة لا طرف لها بمواضع الخز فقال: ﴿ وتدر في السرد ﴾ أى النسج بأن يكون كل حلقة مساوية لاختها مع كونها ضيقة لئلا يثخن منها سهم ولكن فى تحتها بحيث

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: ياكل (٢) سقط من ظ (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: العنب (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: امره (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: الخرز (٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل و م: متساوية (٧) من ظ و م ومد، وفى الأصل: معهم - كذا .

لا يقامها سيف ولا تنقل على الدارع فتمنعه خفة التصرف وسرعة  
الانتقال في الكر والفر والطنن والضرب في البرد والحر، والظاهر  
أنه لم يكن في حلقتها مسامير<sup>١</sup> لعدم الحاجة بالآلة الحديد إليها، وإلا لم يكن  
بينه وبين غيره فرق، ولا كان للآلة فائدة، وقد أخبر بعض من  
رأى ما نسب إليه بغير<sup>٢</sup> مسامير، قال الزجاج: السرد في اللغة: تقدير  
الشيء إلى الشيء ليتأتى مقسقا بعضه في أثر بعض متباعا، ومنه قولهم:  
سرد فلان الحديث. وهذا كما أن الله تعالى للنبي صلى الله عليه  
وسلم في الخندق تلك الكدية - وفي رواية: الكدانة - وذلك بعد  
أن لم تكن المعاول تعمل فيها وبلغت غاية الجهد منهم فضرها صلى الله  
عليه وسلم ضربة واحدة، وفي رواية: رش عليها ماء - فعادت كثيبا<sup>١٠</sup>  
أهيل لا برد فاسا<sup>١</sup>، وتلك الصخرة التي أخبره سلمان<sup>٦</sup> رضى الله عنه  
أنها كسرت قوسهم ومعاويلهم<sup>٥</sup>، وعجزوا عنها فضرها النبي<sup>٤</sup> صلى الله عليه  
وسلم ثلاث ضربات كسر<sup>٣</sup> في كل ضربة ثلاثا منها وبرقت<sup>٧</sup> مع كل  
ضربة برقة كبر معها تكبيرة، وأضاءت للصحابة رضى الله عنهم ما بين

(١) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ وم ومد لخدفتها (٢) من ظ  
وم ومد، وفي الأصل: بالآلة (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل:  
من غير (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فارسا (٥) من ظ وم ومد،  
وفي الأصل: أخبر بها (٦) من م ومد، وفي الأصل و ظ: سلمان (٧) من  
ظ وم ومد، وفي الأصل: معاويلهم (٨) سقط من م ومد (٩) من ظ  
وم ومد، وفي الأصل: كسرت (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: برق.

لاتبى المدينة بحيث كانت في النهار كأنها مصباح في جوف بيت  
 مظلم، فسألوه<sup>١</sup> عن ذلك فأخبرهم صلى الله عليه وسلم أن إحدى الضربات  
 أضاءت له صنعاء من أرض اليمن حتى رأى أبوابها<sup>٢</sup> من مكانه ذلك،  
 وأخبره جبرئيل عليه السلام أنها ستفتح على أمته، وأضاءت له الأخرى  
 ٥ قصور الحيرة البيض كأنها أنياب الكلاب، وأخبر<sup>٣</sup> أنها مفتوحة لهم،  
 وأضاءت [ له -<sup>٤</sup> ] الأخرى قصور الشام الحمر كأنها أنياب الكلاب،  
 وأخبر<sup>٥</sup> بفتحها عليهم، فصدق الله تعالى في جميع ما قال، وأعظم من  
 ذلك تصليب الخشب له حتى يصير سيفاً قوى المتن جيد الحديد، وذلك  
 أن سيف عبد الله بن جحش رضى الله عنه انقطع يوم أحد، فأعطاه  
 ١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفاً قائمة منه فقاتل  
 به، فكان يسمى العون، ولم يزل بعد يتوارث حتى بيع من بغا التركي  
 بمائتي دينار - ذكره الكلاعي في السيرة عن الزبير بن أبي بكر واليهقي،  
 وقاتل [ عكاشة -<sup>٦</sup> ] ابن محصن يوم بدر فانقطع سيفه، فأتى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلاً من حطب، فلما أخذه هزه / فعاد  
 ٢٨١ /  
 ١٥ في يده سيفاً طويلاً قائمة شديد المتن أيضاً الحديد فقاتل به حتى فتح الله  
 على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى العون، ثم لم يزل عنده يشهد  
 به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده حتى قتل في الردة

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فسألهم (٢) من ظ و م و مد، وفي  
 الأصل: أبوابه (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: أخبره (٤) زيد من ظ  
 و م و مد (٥) زيد من ظ و مد.



و هو عنده، وعن الواقدي أنه انكسر سيف سلة بن أسلم بن الحريش<sup>١</sup> يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيا كان في يده من عراجين ابن طاب فقال: اضرب به، فاذا هو سيف جيد، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد، وإلحامه للحديد ليس بأعجب من إلحام النبي صلى الله عليه وسلم ليد معوذ<sup>٢</sup> بن عفراء لما قطعها أبو جهل يوم بدر فأتى بها يحملها في يده الأخرى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقها فاصقت وصححت مثل أختها - كما نقله البيهقي وغيره .

و لما أتم<sup>٣</sup> سبحانه ما يختص به من الكرامات، عطف عليها ما جمع فيه الضمير لانه يعم غيره فقال: ﴿ واعملوا ﴾ أى أنت ومن أطاعك<sup>١٠</sup> ﴿ صالحا ﴾ أى بما تفضلنا به عليكم من العلم والتوفيق للطاعة، ثم علل هذا الأمر ترغيبا وترهيبا بقوله مؤكدا إشارة إلى أن إنكارهم للقدرة على<sup>٥</sup> البعث إنكار لغيرها من الصفات وإلى [أن -<sup>٦</sup>] المتهاون<sup>٧</sup> في العمل في عداد من ينكر أنه بعين الله: ﴿ انى بما تعملون ﴾ أى كله ﴿ بصير ﴾ أى مبصر وعالم بكل<sup>٨</sup> ظاهر له<sup>٩</sup> وباطن .

١٥

- (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الحرير (٢) سقط من ظ و م و مد .  
 (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: معاذ (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تم (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: « و » (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من مد، وفي الأصل و ظ و م: التهاون (٨-٨) في الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد .

ولما أتم<sup>١</sup> سبحانه ما أراد من آيات داود عليه السلام وختمها  
 بالحديد، أتبعه ابنه سليمان عليه السلام لمشاركته [له - ٢] في الإنابة،  
 وبدأ<sup>٢</sup> من آياته بما هو من أسباب<sup>٣</sup> تكوينه سبحانه<sup>٤</sup> للحديد [فقال - ٣]:  
 ﴿ولسليمن﴾ أي عوضاً من الخيل التي<sup>٥</sup> عقرها الله<sup>٦</sup> ﴿الريح﴾ أي  
 مسخرة على قراءة شعبة، والتقدير على قراءة الجماعة: سخرناها له حال  
 كونها ﴿غدوها شهر﴾ أي تحمله وتذهب به وبجميع عسكره بالغداة  
 وهي من الصباح إلى نصف النهار مسيرة شهر كان يغدو من إيليا  
 فيقبل بأصطخر ﴿ورواحها﴾ [أي - ٤] من الظهر إلى آخر النهار  
 ﴿شهره﴾ أي مسيرته، فهذه آية سماوية دالة على أنه كما رفع بساط  
 ١٠ سليمان عليه السلام بما حمل من جنوده وآلاتهم ثم وضعه قادر على أن  
 يضع ما يشاء من السماء فيهلك من تقع عليه، وهذا كما سخر الله الريح  
 للنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب فكانت تهد<sup>٧</sup> خيامهم وتكفأ  
 طعامهم وتضرب وجوههم<sup>٨</sup> بالحجارة والتراب<sup>٩</sup> وهي لا تجاوز عسكرهم<sup>١٠</sup>  
 إلى أن هزمهم [الله - ٥] بها، وكما حملت شخصين من أصحابه رضي الله

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تم (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م  
 و مد، وفي الأصل: بما (٤) زيد في الأصل: كل، ولم تكن الزيادة في ظ  
 و م و مد لحدفها (٥) في الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٦) زيد من  
 ظ و م و مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عقرها الله (٨) راجع  
 نثر المرجان ٤٥٦/٥ (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تمتد (١٠ - ١٠) في م  
 و مد: بالتراب والحجارة (١١) العبارة من «وتكفأ» إلى هنا ساقطة من ظ.

تعالى عنهم في غزوة تبوك فآلفتها<sup>١</sup> في جلي<sup>٢</sup> طي<sup>٣</sup>، وتحمل من أراد الله من أولياء أمته كما هو في غاية الشهرة ونهاية الكثرة، وأما أمر الإسراء والمراج فهو من الجلالة والعظم بحيث لا يعلمه إلا الله مع أن الله تعالى صرفه في آيات السماء بحبس المطر تارة وإرساله أخرى.

ولما ذكر الريح، أتبعها ما هي<sup>٤</sup> من أسباب تكوينه فقال: هـ

(وإسلناه) أي بعظمتنا<sup>٥</sup> (عين القطر<sup>٦</sup>) أي النحاس أذنبه له حتى

صار كأنه عين ماء، وذلك / دال على أنه [تعالى -<sup>٧</sup>] يفعل في الأرض ما يشاء، فلو أراد لإسالتها<sup>٨</sup> كلها فهلك من عليها، ولو أراد لجعل بدل الإزالة الحسف والإزالة.

ولما ذكر الريح والنحاس الذي لا يذاب عادة إلا بالنار، ذكر ما ١٠  
أغلب عناصره النار، وهو في الخفة والإقذار على الطيران كالريح فقال: (ومن) أي وسحرنا له من<sup>٩</sup> (الجن) أي الذين<sup>١٠</sup> سترناهم عن العيون من الشياطين وغيرهم (من يعمل) ولما كان قد أمكنه الله منهم غاية الإمكان في غيبته وحضوره قال: (بين يديه) ولما كان ربما ظن ظان أن لهم استبدادا بأعمالهم<sup>١١</sup> نقاه بقوله: (بأذن ربه<sup>١٢</sup>) أي ١٥  
بتمكين المحسن إليه له ولهم بما يريد فعله.

- (١-١) في ظ وم ومد: بجلي (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: هو.  
(٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: من عظمتنا (٤) زيد من ظ وم ومد.  
(٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لإسالتها (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الطير (٧) -قط من ظ (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الذي.  
(٩-٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: استبداد أعمالهم.

ولما قرر سبحانه أن ذلك بإرادته فهو في الحقيقة بأمره ، زاد ذلك  
 تقريرا بقوله عاطفا على ما تقديره : فن عمل بأمرنا أثبتناه جنات النعيم :  
 ( و من يزغ ) أى يمل ، من زاغ يزغ و يزوغ ( منهم ) ' مجاوزا  
 و عادلا ( عن أمرنا ) [ أى عن الذى أمرناه به من طاعة سليمان -<sup>١</sup> ]  
 ه. أى أمره الذى هو من أمرنا ( نذقه ) أى<sup>٢</sup> بما لنا من العظمة التى  
 أمكنا سليمان عليه السلام بها بما أمكناه فيه من ذلك ( من عذاب السعير )  
 أى فى الدنيا مجازا وفى الآخرة حقيقة ، وهذا كما أمكن الله نبينا صلى الله  
 عليه وسلم من ذلك الغرير نخفه و هم يربطه حتى يتلعب به صيان  
 المدينة ، ثم تركه تأدبا مع أخيه سليمان عليها الصلاة والسلام فيما  
 ١. سأل الله تعالى فيه ، و أما الأعمال التى تدور عليها إقامة الدين فأغناه الله  
 فيها عن الجن باللائكة الكرام ، و سلط جمعا من صحابته رضى الله عنهم  
 على جماعة من مردة الجان منهم أبو هريرة رضى الله عنه لما وكله النبي  
 صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، و منهم أبى بن كعب رضى الله  
 عنه<sup>٣</sup> قبض على شخص منهم كان يسرق من تمره و قال : لقد علمت الجن  
 ١٥ ما فيهم [ من هو -<sup>٤</sup> ] أشد منى ، و منهم معاذ بن جبل رضى الله عنه  
 لما جعله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقة المسلمين [ فأتاه -<sup>٥</sup> ] شيطان  
 منهم يسرق و تصور له بصور منها صورة قيل فضبطه<sup>٦</sup> به فالتفت يده  
 (١) زيد فى ظ : أى (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ  
 و م و مد ، وفى الأصل : مكنا (٥) زيد فى الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة فى  
 ظ و م و مد لخدفا (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ،  
 وفى الأصل : فضربه .

عليه و قال له<sup>١</sup>: يا عدو الله، فشكا إليه<sup>٢</sup> الفقر وأخبره أنه من جن نصيين وأنهم<sup>٣</sup> كانت لهم المدينة، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أخرجهم [منها -<sup>٤</sup>] وسأله أن يخلى عنه على أن لا يعود، ومنهم بريدة رضى الله عنه، ومنهم أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه، ومنهم زيد بن ثابت رضى الله عنه، ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه<sup>٥</sup> وعنه<sup>٦</sup> أجمعين<sup>٧</sup>.

[صارع الشيطان فصرعه عمر، ومنهم عمار بن ياسر رضى الله عنه -<sup>٨</sup>] قاتل الشيطان فصرعه عمار، وأدى أنف الشيطان بحجر، ولذلك وغيره كان<sup>٩</sup> يقول أبو هريرة: عمار الذى أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم - ذكرهما كلها اليه في الدلائل، وذكرت تخرج أكثرها في كتابي مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، وأما ١٠

عين القطر فهي ما تضمنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: أعطيت مفاتيح خزان الأرض والملك في الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فاخترت أن أكون نيا عبدا أجوع يوما وأشبع يوما - الحديث. فشمّل ذلك من روضة اللؤلؤ الرطب إلى عين الذهب المصق إلى ما دون ذلك، وروى الترمذى<sup>١</sup> - وقال: حسن - عن أبي أمامة رضى الله عنه / عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذمبا، قلت: لا يارب! ولكن<sup>٢</sup> أشبع يوما وأجوع<sup>٣</sup> يوما، أو قال ثلاثا أو نحو

(١) سقط من ظ (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: له (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: أنه (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) سقط ما بين الرقين من م ومد (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كما (٧) راجع من جامعه ٥٨ / ٢ (٨ - ٨) من م ومد والجامع، وفي الأصل و ظ: أجوع يوما وأشبع.

ذلك، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرك، وإذا شبت شكرتك  
وحدثك . وللطبراني<sup>١</sup> بإسناد حسن و البيهقي في الزهد وغيره عن  
ابن عباس رضي الله عنهما أن إسماعيل عليه السلام أتى النبي صلى الله  
عليه وسلم بمفاتيح خزائن الأرض و قال : إن الله أمرني أن أعرض  
عليك أن<sup>٢</sup> أسير معك جبال تهامة زمردا و ياقوتا و ذهباً و فضة، فإن  
شئت نينا ملكا و إن شئت نينا عبدا، فأومأ إليه جبريل عليه السلام  
أن تواضع، فقال: نينا عبدا . و رواه ابن حبان [ في صحيحه - ٢ ]  
مختصرا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و له في الصحيح أيضا  
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : أتيت<sup>٣</sup> بمقاليد الدنيا على فرس أبلق على قطيفة من سندس .  
و في البخاري<sup>٤</sup> في غزوة أحد عن عتبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح  
[ الأرض - ٧ ] - هذا [ ما - ٢ ] يتعلق<sup>٥</sup> بالأرض، و قد زيد صلى الله  
عليه وسلم على ذلك بأن<sup>٦</sup> أيده ربه سبحانه بالتصرف في خزائن السماء

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢١٥ من رواية الطبراني عن ابن عباس .  
(٢) ليس في المجمع (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من مجمع الزوائد ٩ / ٢٠ .  
حيث أورده من رواية الإمام أحمد، و في الأصول : أتيت (٥) راجع من  
صحيحه ٢ / ٨٥٠ (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : عن (٧) زيد من ظ  
و م و مد و الصحيح (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل : سلق - كذا .  
(٩) في ظ : بانه .

تارة بشق القمر، وتارة برجم النجوم، وتارة باختراق السماوات،  
وتارة بحبس المطر وتارة بإرساله - إلى غير ذلك مما أكرمه الله به .  
ولما أخبر تعالى أنه ' سخر له الجن، ذكر حالهم في أعمالهم، دلالة  
على أنه سبحانه يتصرف في السماء والأرض وما فيهما [ ومن فيهما -<sup>٢</sup> ]  
بما يشاء، فقال تعالى: ﴿ يعملون له ﴾ أي في أي وقت شاء ﴿ ما يشاء ﴾ .  
أي عمله ﴿ من محارب ﴾ أي أبنية شريفة من قصور [ ومساكن -<sup>٢</sup> ]  
وغيرها هي أهل لأن يحارب عليها أو مساجد، والمحارب مقدم كل  
مسجد ومجلس وبيت، وكان مما عملوه له بيت المقدس جدرانه بالحجارة  
العجيبة البديعة والرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وعمده بأساطين  
المها الأبيض [ الصافي -<sup>٤</sup> ] مرصعا سقفه وجدرانه بالذهب والفضة .  
والدر والياقوت والمسك والعنبر وسائر الطيب، وبسط أرضه بالوواح  
الفيروزج .<sup>٥</sup> حتى كان أبهى بيت على وجه الأرض ﴿ وتماثيل ﴾ أي  
صورا حسنا على تلك الأبنية فيها أسرار غريبة كما ذكروا أنهم صنعوا<sup>٦</sup>  
له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين في أعلاه، فاذا أراد أن يصعد  
بسطا الأسدان ذراعين، وإذا قعد أظله الفران، ولم تكن<sup>٧</sup>  
التصاویر ممنوعة<sup>٨</sup> .

(١) في ظ: أن الله (٢) زيد من م ومد (٣) زيد من م (٤) زيد من م و م  
ومد (٥-٥) من م و م ومد، وفي الأصل: بالفيروزج (٦) بهامش م: الكشف:  
التمثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين: كانت تعمل في المساجد من نحاس  
وصفر وزجاج ورخام ليرواها... فيعبدها الله نحو عبادتهم (٧) من م و م ومد،  
وفي الأصل: صفعوا (٨) بين سطري م: كما حكاه غير واحد منهم أبو العباد .

ولما ذكر القصور وزينتها، ذكر آلات الأكل لأنها أول ما تطلب  
بعد الاستقرار في السكن<sup>١</sup> فقال: ﴿وجفان﴾ أى صحاف<sup>٢</sup> قصاع<sup>٣</sup> يؤكل  
فيها ﴿كالجواب﴾ جمع جاية، وهى الحوض الكبير الذى يجي إليه  
الماء، أى يجمع<sup>٤</sup> قيل: كان يجلس على الجفة الواحدة ألف رجل .  
ولما ذكر الصحاف على وجه يعجب منه ويستعظم، ذكر<sup>٥</sup> ما يطبخ  
فيه طعامها فقال: ﴿وقدور رُسيت<sup>٦</sup>﴾ أى ثابتات ثباتا عظيما بأن  
لا ينزع عن أثافها لأنها لكبرها كالجالال . ولما ذكر المساكن وما  
تبعها، أتبعها الأمر بالعمل إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم ومن تبعه<sup>٧</sup>  
لا يلهمهم<sup>٨</sup> ذلك عن العبادة فقال: ﴿اعملوا﴾ أى وقلنا لهم: تمتعوا  
١٠ و اعملوا، و دل على مزيد قربهم بحذف أداة النداء و على شرفهم بالتعبير  
/ بالآل فقال: ﴿ال داود﴾ أى كل ما يقرب إلى الله ﴿شكرا﴾ أى  
لأجل الشكر له سبحانه . وهو تعظيمه فى مقابلة نعمه ليزيدكم من فضله  
[أو النصب على الحال أى شاكرين، أو على تقدير: اشكروا شكرا،  
لأن "اعملوا" فيه معنى "اشكروا" من حيث أن العمل للنعم شكر له،  
١٥ و يجوز أن تنصب باعملوا مفعولا بهم و معناه أنا سحرنا لكم الجن يعملون  
لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا - على طريق المشاكلة -<sup>٩</sup>] ﴿وقليل﴾  
(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: السكن (٢) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: قطاع (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بجم (٤) من ظ و م  
و مد، وفى الأصل: فذكر (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ما (٦) فى  
م و مد: تابعه (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ: لا يلهمهم (٨) زيد ما بين  
الحايزين من م .



أى قلنا ذلك والحال أنه قليل . ولما لم يقتض الحال العظمة لأنها<sup>١</sup>  
 بالمبالغة في الشكر أتي<sup>٢</sup>، اسقط مظهرها<sup>٣</sup> فقال: (من عبادى الشكوره)  
 أى المتوفر الدواعى بظاهره و باطنه من قلبه و لسانه و بدنه على الشكر  
 بأن يصرف جميع ما أنعم الله عليه فيما يرضيه، و عبر بصيغة فاعول إشارة  
 إلى أن من يقع منه<sup>٤</sup> مطلق الشكر<sup>٥</sup> كثير، و أقل ذلك حال الاضطراب . ه  
 ولما كان ربما استبعد مستبعد موت من هو على هذه الصفة من  
 ضخامة الملك بنفوذ الأمر وسعة الحال وكثرة الجنود، أشار إلى سهوله  
 بقرب زمنه وسرعة إيقاعه على وجه دال على بطلان تعظيمهم للجن  
 بالإخبار بالمفنيات بعد تنبيههم على مثل ذلك باستخدامه لهم بقوله:  
 ﴿فلما﴾ بالفاء، ولذلك عاد إلى مظهر الجلال فقال: ﴿قضينا﴾ و حقق ١٠  
 صفة القدرة بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليه﴾ أى سليمان عليه السلام  
 ﴿الموت ما دلهم﴾ أى جنوده<sup>٦</sup> و كل من فى ملكه من الجن و الإنس  
 و غيرهم من كل قريب و بعيد ﴿على موته﴾ لانا جعلنا له من سعة  
 العلم و وفور الهيبة و نفوذ الأمر ما تمكن به من إخفاء موته عنهم  
 ﴿الادابة الارض﴾ غفها بهذه الإضافة التى من معناها انه لا دابة ١٥  
 للأرض غيرها لما أفادته من العلم و لأنها لكونها تأكل من كل شئ

(١) العبارة من هنا إلى «مظهرها فقال» ساقطة من مد (٢) من ظ و م، وفى  
 الأصل: لأنه (٣-٢) من ظ و م، وفى الأصل: اسقطها (٤) من ظ و م،  
 وفى الأصل و م: يديه (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: له (٦) العبارة  
 من «بأن يصرف» إلى هنا متكررة فى ظ (٧) فى ظ: جنودهم .

من أجزاء الأرض من الخشب والحجر والتراب والياب وغير ذلك  
أحق الدواب بهذا الاسم، ويزيد ذلك حسناً أن مصدر فعلها أرض  
بالفتح والإسكان فيصير من قبيل 'النورية ليشهد التشوف إلى تفسيرها،  
ثم بين أنها الأرضة بقوله مستأنفاً في جواب من كأنه قال: أى دابة  
هـ هى وبما ذلت: (تاكل منسأته) أى عصاه التى مات وهو متكئ  
عليها قائماً فى بيت من زجاج، وليس له باب، صنعت له الجن لما  
أعلمه الله بأن أجله قد حضر، وكان قد بقى فى المسجد بقية ليخفى موته  
على الجن الذين كانوا يعملون فى البيت المقدس حتى يتم؛ قال فى  
القاموس فى باب الهمز: نساء: زجره وساقه وأخره ودفعه عن  
١٠ الحوض، والمنسأة كمكنة ومرتبة، ويترك الهمز فيهما: العصا - لأن  
الدابة تنسأ بها أى تساق، والبدل فيها لازم، حكاه سيويو - انتهى .  
فالمنى أن الجن كانوا يزجرون ويسافون بها، وقرأها المديان وأبو عمرو  
بالإبدال، وابن عامر من رواية ابن ذكوان والداجونى عن هشام

---

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: قبل (٢-٢) من ظ و م ومد، وفى  
الأصل: متكئاً (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: لا (٤) من ظ و م  
ومد. وفى الأصل: عن (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: تم (٦) من  
ظ و م ومد، وفى الأصل: النمر (٧) من ظ و م ومد والقاموس، وفى  
الأصل: النمر (٨) من مد والقاموس، وفى الأصل: ظ و م: فيها (٩) راجع  
نثر المرجان ٤٦٠/٥ (١٠) زيد فى الأصل: بالإسكان، ولم تكن الزيادة فى ظ  
وم ومد فحذفها .

باسكان الهمزة، والباقون بهمزة مفتوحة ( فلما خر ) أى سقط على الأرض بعد أن قصمت الأرضة عصاه ( تيفت الجن ) أى علمت علما ينافي لا يقدرين معه على تدبير و تدليس، و انفضح أمرهم و ظهر ظهورا تاما ( ان ) أى أنهم ( لو كانوا ) أى الجن ( يعلمون الغيب ) أى علمه ( ما لبثوا ) أى أقاموا حولا مجرما ( فى العذاب المهين ) ٥ من ذلك العمل الذى كانوا مسخرين فيه، و المراد إبطال ما كانوا يدعونه من علم الغيب / على وجه الصفة، لأن المعنى أن دعواهم ذلك إما كذب أو جهل، فأحسن الأحوال لهم أن يكون جهلا منهم، و قد تبين لهم الآن جهلهم بيانا لا يقدرُونَ على إنكاره، و يجوز أن تكون وأن، تعليلية، و يكون التقدير: تبين حال الجن فيما يظن بهم من أنهم ١٠ يعلمون الغيب، لأنهم - إلى آخره، و سبب علمهم مدة كونه ميتا قبل ذلك أنهم وضعوا الأرضة على موضع<sup>٢</sup> من العصى فأكلت منها يوما وليلة، و حسبوا على ذلك النحو فوجدوا المدة سنة، و فى هذا توبيخ للعرب بأنهم يصدقون من ثبت بهذا الأمر أنهم لا يعلمون الغيب فى الحرافات اللاتى ناتيهم بها الكهان و غيرهم بما يفتنهم و الحال أنهم يشاهدون ١٥ منه كذبا كثيرا، فكانوا بذلك مسايرين لمن يخبر<sup>٣</sup> من الادميين عن بعض المغيبات بظن يظنه أو منام يراه أو غير ذلك، فيكون كما قال - هذا مع

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مهمزة - كذا (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الذين (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بما صنع - كذا . (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يخبرهم .

إعراضهم عن يخبرهم بالآخرة شفقة عليهم ونصيحة لهم، وما أخبرهم بشيء قط إلا ظهر صدقه قبل ادعائه للنوبة وبعده، وأظهر لهم من المعجزات ما بهر العقول. وقد تقرر أن كل شيء ثبت لمن قبل نبينا صلى الله عليه وسلم من الأنبياء من الخوارق ثبت له مثله أو أعظم منه إما له نفسه أو لأحد من أمته، وهذا الذي ذكره سليمان عليه السلام من حفظه بعد موته سنة لا يميل قد ثبت مثله لشخص من هذه الأمة من غير شيء يعتمد عليه. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في رسالته في باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا: وقال أبو عمران الأصبخري: رأيت أبا تراب في البادية قائما [ ميتا - \* ] لا يمسكه شيء - انتهى .

١٠ وثبت مثل ذلك لشخص في بلاد شروان من بلاد فارس بالقرب من شماخي، اسم ذلك الولي محمد، ولقبه دمدمي، مات من نحو أربعائة سنة في المائة الخامسة من الهجرة. وهو قاعد في مكان من مقامه الذي كان يتعبد فيه على هيئة المتشهد وعليه قيص وعلى رأسه قبع كهية قباغ<sup>١</sup> الأعاجم البسطامية، أخبرني من شاهده<sup>٢</sup> عن<sup>٣</sup> كذلك لا أنهم من طلبة العلم العجم، وهو أمر مشهور متواتر في بلادهم غنى عن مشاهدة شخص

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل «و» (٢) في ظ: ذكره (٣) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لخدناها (٤) في ظ: أبو عمرو. (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) من م، وفي الأصل و ظ: قبع، وفي مد: اقباع (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل: شاهد ذلك (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: من.

معين، قال: زرتة غير مرة وله هبة تمنع المعتقد<sup>١</sup> من الدنو منه دنوا يرى به<sup>٢</sup> وجهه كما أشار تعالى إلى مثل ذلك بقوله تعالى<sup>٣</sup> "لو أيت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا" قال: وكان معاني بعض المرات شخص من طلبة العلم من أهل كيلان غير معتقد يقول: إنما هذا نوع شعبة يخيل به على عقول الرعاع، قال: فتقدم إليه بحمارة ولمس صدره ونظر في وجهه، فأصيب في الحال فلم يرجع إلا محمولا، فأقام<sup>٤</sup> في المدرسة التي كان يشتغل بها في مدينة شماخي مدة، وأخبرنا [ أن - ١ ] الشيخ دمدمي قال له لما لمسه: لولا أنك من أهل العلم هلكت، وأنه شيخ خفيف اللحية، قال: وقد ثبت إلى الله تعالى وأصرت من المعتدين لما هو عليه أنه حق، ولا أكذب بشيء من كرامات الأولياء، قال الحاكبي: وقد دفن ثلاث ١٠ مرات إحداها<sup>٥</sup> بأمر تمرلنك فيصبح جالسا على ما هو عليه الآن - والله الموفق للصواب<sup>٨</sup>.

// ولما دل سبحانه بقوله "أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم" الآيات، على قدرته على ما يريد من السماء والأرض لمعاملة<sup>٩</sup> من يريد بمن فيها بما يشاء من فضل على من شكر، وعدل فيمن كفر، ودل ١٥

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: المعتقة (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: منه (٣) آية ١٨ من سورة الكهف (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يتخيل (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فافاض (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: أحدها (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بمعاملة.

على ذلك عما قصه من أخبار بعض أولى الشكر، وختم بموت نبيه سليمان  
ابن داود الشاكر بن الشاكر عليها السلام، وما كان فيه من الآية الدالة  
على أنه لا يعلم الغيب غيره لينتج ذلك أنه لا يقدر على كل ما يريد غيره،  
وكان موت الأنبياء المتقدمين موجبا لاختلال<sup>١</sup> من بعدهم لقوات آياتهم  
بفواتهم بخلاف آية القرآن، فإنها باقية على مر الدهور والإزمان،  
للكل إنس وملك وجان، ينادى مناديا<sup>٢</sup> على رؤس الأشهاد: هل  
من مبار<sup>٣</sup> أو مضاد<sup>٤</sup>؟ فلذلك حفظت هذه الأمة، وضاع<sup>٥</sup> غيرها في  
أودية مدلهمة، أتبعه دليلا آخر شهوديا على آية "ان نشأ نخسف بهم  
الأرض" في قوم كان تمام صلاحهم بسليمان عليه الصلاة والسلام،  
فاختل بعده أمرهم، وصار من عجائب الكون ذكرهم، حين ضاع  
شكرهم، فكان من ترجمة اتباع قصتهم لما قبلها أن آل داود عليه السلام  
شكروا، فسخر لهم من الجبال والطيور والمعادن وغيرها ما لم يكن غيرهم  
يطمع فيه، وهم أضاعوا الشكر فأعصى عليهم وأضاع منهم ما لم يكونوا  
يخافون فواته من مياهم وأشجارهم وغيرها، فقال تعالى مشيرا بتأكيده<sup>٦</sup>  
١٥ إلى تعظيم ما كانوا فيه، وأنه في غايته الدلالة على القدرة، وسائر  
صفات الكمال، وأن عمل قريش عمل من ينكر<sup>٧</sup> ما تدل عليه قصتهم

---

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لاختلاف (٢) من ظ و م و مد، وفي  
الأصل: منادى (٣) من مد، وفي الأصل: ظ و م: مبارز (٤) من ظ و م  
و مد، وفي الأصل: معاند (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ضاع.  
(٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بتأكيدها (٧) من ظ و م و مد،  
وفي الأصل: يشكر.

نظم الدرر ( الجزء الثاني و العشرون ) ج - ١٥

من ذلك: ﴿ لقد كان لسبا ﴾ أى القبيلة المشهورة التى كانت تسجد للشمس، فهداهم الله تعالى على يد سليمان عليه السلام، و حكمة تسكين قبل همزتها<sup>١</sup> الإشارة<sup>٢</sup> إلى ما كانوا فيه من الخفض و الدعة و رفاة العيش المثمرة للراحة و الطمأنينة و الهدوء و السكينة، و لعل قراءة الجمهور لها بالصرف تشير إلى مثل ذلك، و قراءة أبى عمرو و البزى عن ابن كثير<sup>٣</sup> بالنع تشير إلى رجوعهم بما صاروا إليه من سوء الحال إلى غالب أحوال<sup>٤</sup> تلك البلاد فى الإفقار و قلة النبت و العطش<sup>٥</sup> ﴿ فى مسكنهم ﴾ أى<sup>٦</sup> التى هى فى غاية الكثرة، و وحد حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم<sup>٧</sup> إشارة [ إلى أنها -<sup>٨</sup> ] لشدة اتصال المنافع و المرافق كالمسكن الواحد، و كسر الكسائى الكاف إشارة [ إلى أنها فى غاية الملاءمة لهم<sup>٩</sup> و اللين، و فتحه الآخران إشارة -<sup>١٠</sup> ] إلى ما فيها<sup>١١</sup> من الروح و الراحة، و كانت بأرض مارب من بلاد اليمن، قال حمزة الكرماني: قال ابن عباس رضى الله عنهما: على ثلاث فراسخ من صنعاء، و كانت أخصب البلاد و أطيبها و أكثرها ثمارا حتى كانت المرأة تضع على رأسها المكمل<sup>١٢</sup> و تطوف فى ما بين الأشجار فيمطلق المكمل من غير أن تمس شيئا يدها،<sup>١٣</sup>

(١) راجع نثر المرجان ٤٦٢/٥ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إشارة .

(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحوال (٤-٤) فى م و مد: العطش

و قلة النبت (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من مد، و فى

الأصل و ظ و م: فيها (٨) فى ظ و م و مد: مكتلا (٩) ذكره الأندلسى فى

البحر المحيط ٧/ ٢٧٠ عن ابن عباس و غيره .

وكانت مياههم تخرج من جبل فبنوا فيه سدا، وجعلوا له ثلاثة أبواب فكانوا يسرحون الماء إلى كرومهم من الباب الأعلى والأوسط والأسفل، قال<sup>١</sup> / الرازي: كانت المرأة تخرج ومعها مغزها وعلى رأسها مكتلها فتمتن مغزها، فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها [من -<sup>٢</sup>] الثمار، وقال أبو حيان في النهر<sup>٣</sup>: ولما ملكت بلقيس اقتل قومها على ماء وادبهم فتركت ملكها، وسكنت قصرها<sup>٤</sup> وراودوها<sup>٥</sup> على أن ترجع فأبت فقالوا: لترجمن أو لقتلك، فقالت لهم: لا عقول لكم، ولا تطيعوني، فقالوا: نطيعك، فرجعت إلى وادبهم، وكانوا إذا مطروا أتاهم السيل<sup>٦</sup> من مسيرة ثلاثة<sup>٧</sup> أيام، فأمرت به فسد ما بين الجبلين بمساة<sup>٨</sup> بالصخر والقار، وحبت الماء من وراء السد، وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة فيها اثنا<sup>٩</sup> عشر مخرجا على عدة أنهارهم، وكان الماء يخرج لهم بالسوية<sup>١٠</sup>، وقال المسعودي في مقدمات مروج الذهب قبل السيرة النبوية يسير في الكلام على الكهان<sup>١١</sup>: كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها، وأعذبها وأغداها. وأكثرها جنانا،

(١) في ظ: و قال، ومن هنا انقطعت صفحة واحدة من الأصل فلأناها من ظ (٢) زيد من م ومد (٣) راجع هامش البحر المحیط ٧/ ٢٦٨ (٤) من م ومد والنهر، وفي ظ: نصرتها - كذا (٥) من م ومد والنهر، وفي ظ: رودوها (٦) من م ومد والنهر، وفي ظ: السير (٧) في النهر: ثلاث - خطأ. (٨) في النهر: بمساة (٩) من م ومد والنهر، وفي ظ وم: اتى (١٠) البارة من هنا إلى «بين العاد» ص ٧٧ من ٧ ساقطة من م (١١) راجع ١/ ٣٤١. ٤٧٦ (١١٩) وكانت



وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحال في العرض  
مثل ذلك، يسير الراكب من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها، لا تواجهه  
الشمس ولا يفارقها الظل، لاستتار الأرض بالأشجار واستيلاتها عليها  
وإحاطتها بها، فكان أهلها في أطيب عيش وأرفع وأهنأ حال وأرغد،  
في نهاية الخصب وطيب الهواء وصفاء الفضاء وتدفق الماء، وقوة الشوكه  
 واجتماع الكلمة، ثم ذكر خبراً طويلاً في أخبارهم، وخراب ما كان  
من آثارهم، وتعرفهم في البلاد، وشتاتهم بين العباد (آية ج) أى علامة  
ظاهرة على قدرتنا على ما نريد، ثم فسر الآية بقوله: (جنتن) مجاورتان  
للطريق (عن يمين وشماله)، أى بساتين متصلة وحدائق مشبكة،  
ورياض<sup>١</sup> محتبكة، حتى كان الكل من كل جانب جنة واحدة<sup>٢</sup> لشدة  
اتصال<sup>٣</sup> بعضه ببعض عن يمين كل سالك وشماله في أى مكان سلك  
من بلادهم ليس فيها موضع معطل، وقال البغوى: عن يمين واديه  
وشماله، قد أحاط الجنتان بذلك الوادى. وأشار إلى كرم تلك  
الجان وسعة [ما -<sup>٤</sup>] بها من الخير بقوله: (كلوا) أى لا تحتاج بلادهم  
إلى غير أن يقال لهم: كلوا (من رزق ربكم) أى المحسن إليكم الذى  
أخرج لكم منها كل ما تشتهون (واشكروا له) أى خصوه<sup>٥</sup> بالشكر  
بالعمل بما أنعم به في كل ما يرضيه ليدم لكم النعمة، ثم استأنف تعظيم  


---

(١) من م ومد، وفي ظ: بسر (٢) من م ومد، وفي ظ: بارض (٣) من م  
ومد، وفي ظ: واحد من كل - كذا (٤) من م ومد، وفي ظ: اتصاها.  
(٥) في معالم التنزيل - راجع هامش الباب ٥ / ٢٣٦ (٦) زيد من م ومد.  
(٧) من م ومد، وفي ظ: خصوا.

ذلك بقوله: ﴿بلدة طيبة﴾ أى كريمة التربة<sup>١</sup> حسنة الهواء سليمة من  
المهام والمضار، لا يحتاج ساكنها إلى ما يتعبه فيعوقه عن الشكر، قال  
ابن زيد<sup>٢</sup>: لا يوجد فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب ولا حية،  
ولا تقمل ثيابهم، ولا تعيا دوابهم. وأشار إلى أنه لا يقدر أحد على  
ه أن يقدره حق قدره بقوله: ﴿و رب غفوره﴾ أى لذنب من شكره  
و تقصيره بمحو عين ما قصر فيه وأثره، فلا يعاقب عليه ولا يعاتب،  
ولولا [ذلك - <sup>٣</sup>] ما أنعم عليكم بما أنتم فيه ولا هلككم بذنوبكم،  
وأخبرني بعض أهل اليمن أنها اليوم مفازة قرب صنعاء اليمن - قال:  
وفي بعضها غيب يعمل منه زيب كبار جدا في مقدار در - تلى بلاد  
١٠ الشام، وهو في غاية الصفاء كأنه قطع المصطكا وليس له  
نوى أصلا .

ولما تسبب عن هذا الإنعام بطرم الموجب لإعراضهم عن الشكر،  
دل على ذلك بقوله: ﴿فاعرضوا﴾ ولما تسبب عن إعراضهم مقتهم،  
بينه بقوله: ﴿فارسلنا﴾ ودل على أنه إرسال عذاب بعد مظهر العظمة  
د بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهم سيل العرم﴾ أى سيح المطر الغالب  
نؤذى الشديد الكثير الحاد الفعل المتناهي في الأذى الذى لا يردده<sup>٤</sup> شيء  
ولا تمنعه حيلة بسد ولا غيره من العرامة، وهى الشدة والقوة، فأفسد  
عليهم جميع ما ينتفعون به، قال أبو حيان<sup>٥</sup>: سلط الله عليهم الجرذ<sup>٦</sup>

(١) من م ومد، وفي ظ: التربة (٢) ذكر قوله في البحر المحيط ٧/ ٢٧٠.

(٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد، وفي ظ: لا يرد (٥) في البحر المحيط

٧/ ٢٧٠ (٦) من م ومد والبحر، وفي ظ: الجراد .

٢٨٨ /

فأرا أعمى توالد فيه ، و يسمى الخلد ، فخرقه شيئا بعد شيء ، فأرسل الله  
 سيلاً في ذلك الوادى ، فجعل ذلك السد / فروى أنه كان من العظم  
 وكثرة الماء بحيث ملأ ما بين الجبلين ، وحل الجنان وكثيراً من  
 الناس ممن لم يمكنه الفرار . ولما غرق من غرق منهم ونجا من نجا ،  
 تفرقوا وتمزقوا حتى ضربت العرب المثل بهم فقالوا : تفرقوا أيدي سبا  
 [ و أيادي سبا -<sup>١</sup> ] ، والأيوس والخزرج منهم ، وكان ذلك في الفترة  
 التي بين عيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ( وبدلنهم بجنتهم ) أى  
 جعلنا لهم بدلها ( جنتين ) هما في غاية ما يكون من مضادة جنتهم ،  
 ولذلك فسرهما بقوله إعلاما بأن إطلاق الجنتين عليها مشاكلة لفظية  
 لتهكم بهم : ( ذوانى اكل ) أى نمر ( خط ) وقراءة الجماعة بتون ١٠  
 " اكل " أقعد فى التهمك من قراءة أى عمرو ويعقوب بالإضافة .

ولما كان الخط مشتركا بين البهائم والإنسان فى الأكل والتجنب ،  
 والله أعلم بما أراد منه ، لأنه ضرب من الإراك ، له نمر يؤكل . وكل  
 شجرة مرة ذات شوك ، والحامض أو المر من كل شيء ، وكل نبت

- (١) من م ومد والبحر ، وفى ظ : فحل (٢) من م ومد والبحر ، وفى ظ :  
 السيل (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : كثر ، وفى البحر : كثربه .  
 (٤) من ظ وم ومد والبحر ، وفى الأصل : يملا (٥) فى البحر : الحفات .  
 (٦) من ظ وم ومد والبحر ، وفى الأصل : كثير (٧) من ظ وم ومد ،  
 وفى الأصل : تفرقوا (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) من م ومد ، وفى  
 الأصل و ظ : بدلها (١٠) راجع نثرالرجان ٤ / ٤٦١ (١١) من ظ وم ومد ،  
 وفى الأصل : شكوك .

أخذ<sup>١</sup> طعاماً من مرارة حتى لا يؤكل و [ لا - ' ] يمكن أكله، و ثمر يقال له "فسوة الضبيع"<sup>٢</sup> على صورة الخشخاش ينفرك ولا يتفتح به، و الحبل القليل من كل شجر، ذكر ما يخص البهائم التي بها قوام الإنسان فقال: ( وائل ) أى [ و - ' ] ذواتى أنل، و هو شجر لا ثمر له، نوع من الطرفاء، ثم ذكر ما يخص الإنسان فقال: ( وشيء من سدر ) أى نبق ( قليل ) و هذا يدل على أن غير السدر و [ هو - ' ] ما لا منفعة فيه<sup>٣</sup> أو منفعته مشوبة بكدر أكثر من السدر؛ و قال أبو حيان<sup>٤</sup>: إن الفراء فسر هذا السدر بالسمر، قال: و قال الأزهري: السدر سدران: سدر لا يتفتح به ولا يصلح<sup>٥</sup> ورقه للغسل<sup>٦</sup>، و له ثمرة غفصة لا تؤكل، و هذا<sup>٧</sup> الذى يسمى الضال و سدر ينبت على الماء و ثمره النبق و ورقه الغسل<sup>٨</sup> يشبه العناب<sup>٩</sup>. و قد سبق الوعد فى البقرة<sup>١٠</sup> ببيان مطلب<sup>١١</sup> ما يفيد دخول الجار مع مادة "بدل" فان الحال يفرق فيها بين الإبدال و التبديل و الاستبدال و التبديل و غير ذلك، و هى كثيرة الدور مشبهة الأمر، و قد حققها شيخنا محقق زمانه قاضى الشافعية بالديار المصرية

- (١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احد (٢) زيد من ظ و م و مد.  
 (٣-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يسوءه الطبع - كذا (٤) سقط من ظ (٥) فى النهر - راجع هامش البحر المحيط ٧ / ٢٦٨ و ٢٦٩ (٦) من ظ و م و مد و النهر، و فى الأصل: لا يحصل (٧) من ظ و م و مد و النهر، و فى الأصل: المغسول (٨) فى النهر: هو (٩) فى النهر: شجر العناب.  
 (١٠) عند آية "اتسبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير" (١١) سقط من ظ و م و مد.

شمس الدين<sup>١</sup> محمد بن علي القاياني<sup>٢</sup> رحمه الله قال فيما علقته عنه و ذكر  
أكثره في شرحه لخطبة المنهاج للنووي رحمه الله: اعلم أن هذه المادة  
- أعني<sup>٣</sup> الباء و الدال و اللام - مع هذا الترتيب قد يذكر معها [المقابلان  
فقط و قد يذكر معها -<sup>٤</sup>] غيرهما، و قد لا يكون كذلك، فإن اقتصر  
عليهما فقد يذكران مع التبديل و الاستبدال مصحوبا أحدهما بالباء كما ه  
في قوله تعالى "استبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير" و في قوله  
تعالى "و من يتبدل الكفر بالإيمان" الآية<sup>٥</sup>، فتكون الباء داخلة على  
المعروك و يتعدى الفعل بنفسه للقابل المتخذ، و قد يذكران مع التبديل  
و الإبدال و أحدهما مقرون بالباء، فالباء داخلة على الحاصل، و يتعدى  
الفعل بنفسه إلى المعروك، قل الأزهري عن ثعلب: بدلت الخاتم بالحلقة - ١٠  
إذا أذنته و سويته حلقة، و بدلت الحلقة بالخاتم - إذا أذنتها و جعلتها  
خاتما، و أبدلت الخاتم بالحلقة - إذا نحت<sup>٦</sup> هذا و جعلت هذه مكانه،  
و حكى المروى<sup>٧</sup> / في الغريبين<sup>٨</sup> عن ابن عرفة يعني<sup>٩</sup> نقطويه أنه قال:  
٢٨٩ / التبديل: تغيير الشيء عن حاله، و الإبدال: جعل الشيء مكان آخر.  
و تحقيقه أن معنى التبديل التغيير و إن لم يؤت يبدل كما ذكر في الصحاح ١٥

(١) زيد في الأصل: بن، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها (٢) راجع  
لترجمته و مصادرها معجم اللواتين ١١ / ٦١ (٣) من ظ و م و مد، و في  
الأصل: أن (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع آية ٦١ من سورة البقرة.  
(٦) راجع آية ١٠٨ من سورة البقرة (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ (٨) هو  
أبو عبيد (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: انغريب (١٠) سقط من ظ.

وكما هو مقتضى كلام ابن عرفة، فحيث ذكر المتقابلات وقيل:  
 "بدلت هذا بذاك"، رجع حاصل ذلك أنك أخذت ذاك، وأعطيت  
 هذا، فإذا قيل: بدل الشيء بغيره، فعناه غير الشيء بغيره، أى ترك  
 الأول وأخذ الثاني، فكانت الباء داخله على الماخوذ "لا المنحى"، ومعنى  
 ٥ إبدال الشيء بغيره يرجع إلى تنحية الشيء وجعل غيره مكانه، فكانت الباء  
 داخله على المتخذ مكان المنحى، وللتبديل ولو مع الاقتصار على المتقابلين  
 استعمال آخر، يتعدى إلى المفعولين بنفسه كقوله تعالى "أوئك يبدل الله  
 سيئاتهم حسنتاً" "فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكوة" الآية  
 بمعنى "يجعل الحسنات بدل السيئات ويعطيها" بدل ما كان لها خيراً،  
 ١٠ وقد لا يذكر المذهب كما فى قوله تعالى "بدلنهم جلوداً غيرهما"  
 ومعنى التبديل" والاستبدال أخذ الشيء مكان غيره، فإذا قلت: استبدلت  
 هذا بذاك"، أو تبدلت هذا بذاك، رجع حاصل ذلك أنك أخذت  
 هذا وتركك ذاك، وإن لم يقتصر عليهما بل ذكر معهما غيرهما وأحدهما  
 مصحوب بالجار وذكر التبديل كما فى قوله تعالى "و بدلنهم بجنتيهم جنتين"

(١) من مد، وفى الأصل و ظ و م : قد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل  
 و م : بذلك (٣-٢) من ظ و م و م و مد، وفى الأصل : بما التحى (٤) من مد،  
 وفى الأصل و ظ و م : نتيجة (٥) راجع آية ٧٠ من سورة الفرقان (٦) سقط  
 من م و مد (٧) ٨١ من سورة الكهف (٨) من ظ و م و م و مد، وفى  
 الأصل : يعنى (٩) من ظ و م و م و مد، وفى الأصل : يعطى لهما (١٠) راجع  
 آية ٥٦ من سورة النساء (١١) من ظ و م و م و مد، وفى الأصل : التبديل .  
 (١٢) من ظ و م و م و مد، وفى الأصل : بذلك .

تعدى الفعل بنفسه إلى المفعولين يعنى إلى المفعول ذلك لاجله و إلى  
 المأخوذ بنفسه، و إلى المذهب المبذل منه بالباء كما فى و بدله بخوفه  
 أمناه و معناه: أزال خوفه إلى الأمن، و قد يتعدى إلى المذهب  
 - و الحالة هذه - بمن كما فى و بدله من خوفه أمناه، و للتبديل أيضا  
 استعمال آخر يتعدى إلى مفعول واحد مثل: بدلت الشيء أى غيرته، ٥  
 قال تعالى " فن بدله بعد ما سمعه " على أن ههنا ما يجب التنبه له  
 و هو أن 'الشيء' يكون: مأخوذا بالقياس و الإضافة إلى شيء، متروكا  
 بالقياس و الإضافة إلى آخر، كما إذا أعطى شخص شخصا شيئا و أخذ  
 بدله منه، فالشيء الأول مأخوذ للشخص الثانى و متروك للأول، و المقابل  
 بالعكس. فيصح أن يعبر بالتبديل و التبديل، و يعتبر فى كل منهما ما يناسبه، ١٠  
 و لإشكال المقام قصدنا بعض الإطناب - انتهى - و الله أعلم .

ولما أخبر عن هذا المحق و التقدير بعد ما كانوا فيه من ذلك  
 الملك الكبير، هول أمره مقدما للفعل دلالة على أنه بما يهم غاية  
 الاهتمام بتعرفه فقال: ( ذلك ) أى الجزاء العظيم العالى الرتبة فى أمر  
 المسخ ( جزئهم ) بما لنا من العظمة ( بما كفروا ) أى غطوا ١٥

- (١) راجع آية ١٨١ من سورة البقرة (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فان.  
 (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: التنبيه (٤-٤) من م و مد، وفى  
 الأصل و ظ: يكون الشيء (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: أحدا.  
 (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: بالتبديل (٧-٧) ليس ما بين الرقين فى  
 ظ و م و مد (٨) زيد فى ظ: به.

## الدليل الواضح .

و لما كان من العادة المستقرة عند ذوى الهمم العوال ، العريقين  
 في مقارعة الأبطال ، المبالغة في جزاء<sup>١</sup> من أساء بعد الإحسان ، و قابل  
 الإنعام بالكفران ، لما أثر في القلوب من الحريق مرة بعد مرة . و كرة  
 في أثر كرة ، أجرى الأمر سبطاه على هذا العرف . فقال مشيراً إلى ذلك  
 بصيغة المفاعلة عاذًا لغير جزائهم بالنسبة إليه عدما ، تهديدا يهدع القلوب  
 ويردع النفوس ، و يدع<sup>٢</sup> الاعتناق خاضعة و الرؤس : ( و هل يُجْزَى )  
 أى هذا الجزاء الذى هو على وجه العقاب<sup>٣</sup> من مجاز ما<sup>٤</sup> على سبيل المبالغة  
 / ( الا الكفور ) أى المبالغ في الكفر ، و قراءة حمزة و الكسائى و حفص  
 ٢٩٠ / ١٠ عن عاصم \* " يجازى " بالنون على أسلوب ما قبله من العظمة و نصب  
 " الكفور " و قال القراء : المؤمن يجزى و لا يجازى - كأنه يشير إلى  
 أن عقاب المسيء لأجل عمله فهو مفاعلة ، و أما ثواب المطيع فهو فضل<sup>٥</sup>  
 من الله لا لأجل عمله ، فإن عمله نعمة من الله ، و ذلك لا ينافى المضاعفة ،  
 قال القشيري : [ كذلك -<sup>٦</sup> ] من الناس من يكون في رغبة<sup>٧</sup> من الحال

- (١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجزاء (٢) فى ظ : يضع (٣) من ظ  
 و م و مد ، و فى الأصل : العتاب (٤-٤) تقدم ما بين الرقین فى ظ و مد على  
 « هذا الجزاء » (٥) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٦٥ (٦) قوله هذا ذكره البغوى فى  
 معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ٢٣٧ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :  
 لاجله (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعل (٩) زيد من ظ و م و مد -  
 (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : زهد .



و اتصال من التوفيق و طيب من القلب و مساعدة من الوقت فيرتكب  
زلة أو يسيء أدبا أو يتبع شهوة ، و لا يعرف قدر ما هو فيه فيغير عليه  
الحال ، فلا وقت و لا حال ، و لا طرب و لا وصال ، يظلم عليه النهار ،  
و كانت لياليه مضينة<sup>١</sup> ببدائع الأنوار .

و لما أتم الخبر عن الجنان التي بها القوام نعمة و نعمة ، أتبعه مواضع ه  
السكان فقال : ( و جعلنا ) أي بما لنا من العظمة ، و نبه بنزع الجار  
على عمارة جميع تلك الأراضي<sup>٢</sup> بالبناء و الارتفاع فقال : ( بينهم ) أي  
بين قرى أهل سبا ( و بين القرى ) أي مدنا كانت أو دونها ( التي بركنا )  
أي بركة اعتنينا بها اعتناء من يناظر آخر بغاية العظمة ( فيها ) أي  
بأن جعلناها محال العلم و الرزق بالأنبياء و أصفياء الأولياء و هي بلاد الشام ١٠  
( قرى ظاهرة ) أي من أرض الشام في أشراف الأرض و ما صلب  
منها و علا ، لأن البناء فيها أثبت ، و المشى بها أسهل ، و الابتهاج برؤية  
جميع الجنان و ما فيها من النضرة منها أمكن . فهي ظاهرة للعيون بين  
تلك الجنان ، كأنها الكواكب الحسان<sup>٣</sup> ، مع تقاربها بحيث يرى بعضها  
من بعض و كثرة المال<sup>٤</sup> بها و المفاخر و النفع<sup>٥</sup> و المعونة<sup>٦</sup> للارة ؛ قال ١٥  
البعوى : كانت أربعة آلاف و سبعمائة قرية متصلة من سبا

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : مظلة (٢) في ظ : الأرض (٣-٢) وقع  
ما بين الرقين في الأصل و م قبل « بأن جعلناها » و الترتيب من ظ و م مد (٤) في  
ظ : ما (٥) في ظ و م و مد : بها (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الحساب .  
(٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الماء (٨-٨) من م و مد ، وفي الأصل  
و ظ : المعونة (٩) في معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ٢٣٧ .

إلى الشام .

ولما كانت مع هذا الوصف ربما كان فيها عسر على المسافر لعدم  
المواقة في المقييل والمبيت، أزال هذا بقوله: ﴿ وقد رنا فيها السير ﴾  
أى جعلناه على مقادير هى فى غاية الرفق بالمسافر فى نزوله متى أراد من  
ليل أو نهار على ما جرت به عوائد السفر، فهى لذلك حقيقة بأن يقال  
لأهلها<sup>٥</sup> و النازلين بها على سبيل الامتتان: ﴿ سيروا ﴾ و الدليل على  
تقاربها جدا قوله: ﴿ فيها ﴾ و دل على كثرتها و طول مسافتها  
و صلاحيتها للسير<sup>١</sup> أى وقت أريد، مقدما لما هو أدل على الأمن و أعدل  
للسير فى البلاد الحارة بقوله: ﴿ ليلى ﴾ و اشار إلى كثرة الظلال  
١٠ و الرطوبة و الاعتدال الذى يمكن معه السير فى جميع النهار بقوله:  
﴿ وإياما ﴾ أى فى أى وقت شئتم،<sup>٢</sup> و دل<sup>٣</sup> على عظيم أمانها فى كل  
وقت بالنسبة إلى كل ملم<sup>٤</sup> بقوله: ﴿ آمين<sup>٥</sup> ﴾ أى من خوف و تعب،  
أو ضيعة أو عطش أو سغب .

ولما انقضى الخبر عن هذه الأوصاف التى تستدعى غاية الشكر لما  
١٥ فيها من الألفاف، دل على بطرم للنعمة بها بأنهم<sup>٦</sup> جعلوها سببا للتضرع  
و الملل بقوله: ﴿ فقالوا ﴾ على وجه الدعاء: ﴿ ربنا ﴾ أى أيها الرب  
لنا ﴿ بعد ﴾ أى أعظم البعد و شدة - على قراءة ابن كثير<sup>٧</sup> و أبى عمرو  
١ من ظ و م و مد، و فى الأصل: لانها (٢) - قط من ظ (٣ - ٣) - سقط  
ما بين الرمين من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مسلم (٥) من ظ  
و م و مد، و فى الأصل: لأنهم (٦) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٦٧ .

و هشام عن ابن عامر بتشديد "عين و إسكان الدال. و هذا بمعنى قراءة  
 الباقيين غير يعقوب / "بعد" المقتضية لمدّه و تطويله (بين اسفارنا)  
 ٢٩١ / أى قرانا الى نساخر فيها. أى ليقل الناس فيكون ما يخص كل إنسان  
 من هذه الجنان أضعاف ما يخصه الآن و بحمل الزاد و نسير على النجائب  
 و تعلق السلاح و نستجيد المراكب، و كان بعضهم كأن على الضد من  
 غرض هؤلاء فاستكثر مسافة ما بين كل قرينتين فقال كما قرأ يعقوب  
 "ربنا" بالرفع على أنه مبتدا "بعد" فعلا ماضيا على أنه خبر،  
 فازدري تلك النعمة الواردة على قانون الحكمة و اشتهى أن تكون تلك  
 القرى متواصلة (و ظلوا) حيث عدوا النعمة نقمة، و الإحسان إساءة  
 (أنفسهم) تارة باستقلال الديار، و تارة باستقلال الثمار، فسبب ذلك  
 ١٠ تبديل ما هم فيه بحال هو في الوحشة بقدر ما كانوا فيه من الأنس  
 و هو معنى (لجعلتهم) أى بما لنا من العظمة (احاديث) أى يتواصفها  
 الناس جيلا بعد جيل [لما لها] من الهول (ومزقنهم) أى تمزيقا  
 يناسب العظمة، فما كان لهم دأب إلا المطاوعة فزقوا (كل ممزق) أى  
 تمزيق كما يمزق ثوب، بحيث صاروا مثلا مضروبا إلى هذا الزمان، ١٥

- (١) من ظ و مد، و في الأصل و م: معنى (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل:  
 للـ (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: تعلق (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل:  
 قال (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: يتبدل.  
 (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: يتواضعها (٨) زيد من ظ و م و مد.  
 (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: أهل.

يقال لمن شئت أرمم : تفرقوا أيدي سبا .

ولما كان كل من أرمهم هذين في العارة والخراب أمرا باهرا دالا على أمور كثيرة، منها القدرة على الساعة التي هي مقصود السورة بالنقلة من النعيم إلى الجحيم والحشر إلى ما لا يريد الإنسان كما حشر أهل سبا إلى كثير من أقطار البلاد كما هو مشهور في قصتهم، قال منها على ذلك مستأنفا على طريق الاستنتاج، مؤكدا تنبيها على إنباع النظر فيه، لما له من الدلالة على صفات الكمال: (ان في ذلك) أي الأمر العظيم (لايت) أي دلالات بينة جدا على قدرة الله تعالى على التصرف فيما بين أيديهم وما خلفهم من انشاء و الأرض بالإيجاد والإعدام للذوات ١٠ والصفات بالخسف والمسح، فانه لا فرق بين خارق و خارق . وعلى أن بطرم تلك النعمة حتى ملوها ودعوا بازالتها دليل على أن الإنسان ما دام حيا فهو في نعمة يجب عليه شكرها كائنه ما كانت وإن كان يراها بلية، لأنه لما طبع عليه من القلق كثيرا ما يرى النعم نقما، واللذة ألما، ولذلك ختم الآية بالصبر بصيغة المبالغة .

١٥ ولما كان الصبر حبس النفس عن أغراضها الفاسدة وأهويتها المعمية، وكانت مخالفة الهوى أشد ما يكون على النفس وأشق، وكانت النعم تبطر و تطفئ، و تفسد و تلهي، فكان عطف النفوس إلى الشكر

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل، أي يدي (٢) سقط من ظ (٣) ف ظ و مد: حين (٤) من: مد، وفي الأصل و ظ و م: ملووها (٥) من: ظ و م و مد، وفي الأصل: بينة .

بعد<sup>١</sup> جاحها بطعان النعم صعبا ، و كانت قريش قد شاركت سبا فيما ذكر<sup>٢</sup> و زادت عليهم برغد العيش و سهولة إتيان الرزق بما حييهم به و بلدهم إلى العباد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام مع أمن البلد و جلالة النسب و عظيم المنصب كما أشار إليه قوله تعالى ” [و-] ضرب الله مثلا قرية كانت - ائمة مطمئة - الآية ، قال تعالى عذرا لهم مثل عقوبتهم : هـ ( لكل صابر شكوره ) أى من جميع بنى آدم ، مشيرا بصيغة المبالغة إلى ذلك كله ، و أن [ من - ]<sup>٣</sup> لم يكن فى طبعه الصبر و الشكر لا يقدر على ذلك . و أن من ليس فى طبعه الصبر فاته الشكر .

و لما كان المعنى : آيات فى أن تخالفوا إبليس فلا تصدقوا ظنه فى احتناكهم حيث / قال ” لئن أخرجن إلى يوم القيمة لا تحسن ١٠ / ٢٩٢ ذريته الا قليلا ” قال مؤكدا لإنكار كل أحد أن يكون صدق ظن إبليس فيه : ( و لقد ) أى كان فى ذلك<sup>٤</sup> آيات مانعة من اتباع الشيطان و الحال أنه قد ( صدق ) . و لما كان فى استغوائهم غالبا لهم فى إركابهم<sup>٥</sup> ما تشهد عقولهم بأنه ضلال . أشار إلى ذلك أداة الاستعلاء فقال : ( عليهم ) أى على ذرية<sup>٦</sup> آدم عليه السلام . ١٥

(١) فى ظ : بعدم (٢) فى ظ و مد : او (٣) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم آية ١١٢ من سورة النحل (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سورة ١٧ آية ٦٢ (٦) زيد فى الأصل : آية و ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحدوثها . (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : أركانهم (٨) زيد فى الأصل : بنى . ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحدوثها .

و لما كان في سياق الإثبات ' لعظمة الله و ما عنده من الخير و ما له  
من التصرف التام الداعى ذلك إلى الإقبال إليه و قصر الهمم عليه ، غير  
بقوله تعالى : ﴿ ابليس ﴾ الذى هو من البلس ' و هو ما لاخير عنده -  
و الإبلاس - و هو اليأس من كل خير - ليكون ذلك أعظم في  
التبكيت و التوبيخ ﴿ ظنه ﴾ أى فى قوله " لاحتكن ذريته الا قليلا "  
" و لاغوينهم اجمعين الا عبادك " " و لا تجد اكثرهم شكرين " فكأنه لما  
قال ذلك على سبيل الظن تقاضاه ظنه [ الصدق فصدقه - ٢ ] فى إعمال  
الحيلة حتى كان ذلك الظن - هذا على قراءة الجماعة بالتخفيف ، و أما  
على قراءة الكوفيين بالتشديد ' فالمنى أنه جعل ظنه الذى كان يمكن  
١٠ تكذيبه فيه قبل التحقق صادقا ، بحيث لا يمكن أحدا تكذيبه فيه ،  
و لذلك سبب ' سبحانه عنه ' قوله : ﴿ فاتبعوه ﴾ أى بغاية الجهد بميل  
الطبع و الاستلذاذ الموجب للنزوع و الترامى بعضهم فى الكفران و بعضهم  
فى مطلق العصيان .

و لما كان المحدث عنهم جميع الناس ، عرف به الاستثناء المعروف  
١٥ اقله ' الناجين فقال : ﴿ الا فريقا ﴾ [ أى - ٢ ] ناسا لهم القدرة على تفريق  
كلية أهل الكفر و فض جمعهم و إن كانوا بالنسبة إليهم كالشجرة البيضاء

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآيات (٢) من ظ و م و مد ، و فى  
الأصل : اللبس (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) راجع نثر المرجان ٤٩٩/٥ .  
(٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنه سبحانه (٦ - ٦) من م و مد ،  
و فى الأصل و ظ : المفرغ بقلة .

في جلد الثور الأسود ﴿من المؤمنين﴾ أى العريقين في الإيمان، فكانوا خالصين لله مخلصين في عبادته، وأما غيرهم فآلوا معه، وكان منهم المقل ومنهم المكثر بالهفوات والزلات الصغار والكبار.

ولما كان ذلك ربما أوهم أن لإبليس أمرا بنفسه، فناه بقوله:

﴿وما﴾ أى والحال أنه ما ﴿كان﴾ أصلا ﴿له عليهم﴾ أى الذين اتبعوه ولا غيرهم، وأغرق فيما هو الحق من النقي بقوله: ﴿من سلطان﴾ أى تسلط قاهر لشيء من الأشياء بوجه من الوجوه لأنه مثلهم في كونه عبدا عاجزا مقهورا، ذليلا خائفا مدحورا، قال القشيري: هو مسلط، ولو أمكنه أن يضل غيره أمكنه أن يمسك على الهداية نفسه ﴿الا﴾

أى لكن نحن سلطناه عليهم بسلطاننا وملكناه قيادهم بقهرنا<sup>٢</sup>، وعبر ١٠ عن التمييز الذى هو سبب العلم بالعلم فقال: ﴿لنعلم﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿من يؤمن﴾ أى يوجد الإيمان لله ﴿بالآخرة﴾ أى ليتعلق علينا بذلك فى عالم الشهادة فى حال تميزه تعلقا تقوم به الحجة فى مجارى عادات البشر كما كان متعلقا به فى عالم الغيب ﴿ممن هو منها﴾ أى من<sup>٥</sup> الآخرة ﴿فى شك﴾ فهو لا يتجدد له بها إيمان أصلا، لأن الشك ١٥ ظرف له يحيط به، وإنما استعار "الا" موضع "لكن" إشارة إلى

(١) زبدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «بالعلم فقال» ساقطة من مد (٤) فى م: التمييز. (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل «و» (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فى حال (٧) ليس فى الأصل فقط (٨) سقط من ظ و م و مد.

أنه مكنه تمكيننا تما صار به كمن له سلطان حقيق .

و لما كان هذا ربما أوقع في وهم نقصا في العلم 'أو في' القدرة ،  
قال مشيرا إلى أنه سبحانه يسره صلى الله عليه وسلم بتكثير هذا الفريق  
المخلص وجعل أكثره من أمته فقال : ﴿ وربك ﴾ أى المحسن / إليك  
٥ باخزاء الشيطان بنبوتك وإخسانه عن أمتك ﴿ على كل شيء ﴾ من  
المكلفين وغيرهم ﴿ حفيظ ﴾ أى حافظ أتم حفظ محيط به مدبر له  
على وجه العلو بعلمه الكامل وقدرته الشاملة . فلا يفعل الشيطان<sup>٢</sup> ولا غيره  
شيئا إلا بعلمه وإذنه .

/ ٢٩٣

و لما أثبت سبحانه "نفسه" لذاته الأقدس من الملك في السماوات  
١٥ والارض وغيرهما ما رأيت ، واستدل عليه من الأدلة التى لا يمكن  
التصويب إليها بطعن بما سمعت ، وكان المقصود الأعظم التوحيد فانه  
أصل ينبنى عليه كل خير قال : ﴿ قل ﴾ أى [ يا - ° ] أعلم الخلق  
باقامة الأدلة لهؤلاء الذين أشركوا ما لا يشك في حقارته من له أدنى  
مسكة : ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ أى أنهم آلهة كما تدعون الله لا سيما في  
١٥ وقت الشدائد ، وخذف مفعولى<sup>١</sup> "زعم" وهما ضميرهم وتألههم<sup>٢</sup> تنبيهها  
على استهجان ذلك واستبشاعه ، وليس المذكور في الآية مفعولا ولا قائما

(١-١) فى ظ و مد « و » (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : السلطان .  
(٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : ما (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :  
مفعول (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تألههم .



مقام المفعول لفساد المعنى ؛ و بين حقارتهم بقوله : ﴿ من دون الله ﴾  
أنى الذى حاز جميع العظمة لشيء مما أثبت سبحانه لنفسه فليفعلوا شيئا مثله  
أو يطلوا شيئا مما فعله سبحانه .

و لما كان جوابهم فى ذلك السكوت عجزا و حيرة ، تولى سبحانه  
الجواب عنهم ، إشارة إلى أن ذلك جواب كل من له تأمل لا وقفة فيه .  
بقوله ، معبرا عنهم بعبارة من له علم باقامتهم فى ذلك المقام ، أو لأن  
بعض من ادعيت إلهيته بمن له علم : ﴿ لا يملكون ﴾ أى الآن و لا يتجدد لهم  
شيء من ذلك أصلا . و لما كان المراد المبالغة فى الحقارة بما تعرف  
العرب قال : ﴿ مثقال ذرة ﴾ و لما أريد العموم عبر بقوله : ﴿ فى السموات ﴾  
و أكد فقال : ﴿ و لا فى الأرض ﴾ لأن السماء ما علا ، و الأرض ما  
سفل ، و السماوات فى العرش ، و الأرض فى السماء ، فاستغرق ذلك النفي عنهما  
و عن كل ما فيهما من ذات و معنى إلى العرش . و هو ذو العرش العظيم .  
و لما كان هذا ظاهرا فى نفي الملك الخالص عن شوب المشاركة ،  
نفي المشاركة أيضا بقوله مؤكدا تكديبا لهم فيما يدعونه : ﴿ و ما لهم فيها ﴾  
أى " السماوات و الأرض و لا فيما فيها ، و أعرق فى النفي فقال : ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يبلوا - كذا (٢) زيد فى الأصل : له ،  
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد ، فحذفناها (٣) من ظ أو م و مد ، و فى  
الأصل : فيها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ظاهر (٥) فى ظ : فى .

نظم الدرر (سورة سبا ٣٤ : ٢٢ و ٢٣) ج - ١٥

(من شرك) [أى - ١] فى '١' خلق ولا '٢' ملك ولا ملك، وأكد  
النقى باثبات الجار . ولما كان مما فى السماوات والأرض نفوس هذه  
الاصنام . وقد اتنى ملكهم لشيء من أنفسهم أو ما أسكن فيها سبحانه  
من قوة أو منفعة، فاتنى أن يقدروا على إعانة غيرهم، وكان للتصريح  
هـ مزيد روعة للنفوس وهزة للقلوب وقطع للأطماع، حتى لا يكون هناك  
متشبث قوى ولا واه قال: (وما له) أى إله (منهم) وأكد  
النقى باثبات الجار فقال: (من ظهيره) أى معين على شيء مما يريد،  
فكيف يصح مع هذا العجز الكلى أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما  
يرجى ويعبدوا كما يعبد .

١٠. ولما كان قد بقى من أقسام النفع الشفاعة، وكان المقصود منها  
أثرها لا عينها، فناه بقوله: (ولا تنفع) أى فى أى وقت من الأوقات  
(الشفاعة عندة) أى بوجه من الوجوه بشيء من الأشياء (الالمن)  
ولما كانت كثافة الحجاب 'أعظم فى الهية، وكان البناء للجهول أدل على  
كثافة الحجاب '، قال فى قراءة أبى عمرو وحزمة والكسائى ' يجعل  
المصدر عمدة الكلام وإسناد الفعل إليه: (أذن له) أى وقع / منه  
١٥ / ٢٩٤

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: من .  
(٣-٢) سقط ما بين الرقین من مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ما .  
(٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الاصناف (٦) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: متشبث (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المقصود (٨) سقط  
من ظ (٩-٩) سقط ما بين الرقین من ظ (١٠) راجع نثر الرجان هـ ٤٧١ .

إذن

إذن له على لسان من شاء من جنوده بواسطة واحدة أو أكثر في أن يشفع في غيره أو في<sup>١</sup> أن يشفع [فيه -<sup>٢</sup>] غيره، وقراءة الباقيين بالبناء<sup>٣</sup> للفاعل تدل على العظمة من وجه آخر، وهو أنه لا اقيات<sup>٤</sup> عليه بوجه من أحد ما، بل لا بد<sup>٥</sup> أن ينص هو سبحانه على الإذن، وإلا فلا استطاعة عليه أصلاً .

٥

- ولما كان من المعلوم أن الموقوفين<sup>٦</sup> في محل خطر للعرض على ملك مرهوب متى نودي باسم أحد منهم فليل<sup>٧</sup> أين فلان<sup>٨</sup> يتخلع قلبه وربما أغمى عليه، فلذلك<sup>٩</sup> كان من المعلوم بما مضى أنه متى برز النداء من قبله تعالى في ذلك المقام الذي ترى فيه كل أمة جائية يغنى على الشافعين و المشفوع لهم، فلذلك حسن كل الحسن قوله تعالى: ﴿حَتَّى﴾ ١٠ وهو غاية لنحو أن يقال: فإذا أذن له وقع الصعق لجلاله و كبريائه و كماله حتى ﴿إذا فزع﴾ أى أزيل الفزع بأيسر امر و أهون سعى من أمره سبحانه - هذا في قراءة الجماعة بالبناء للجهول، و أزال هو سبحانه الفزع في قراءة ابن عامر و يعقوب<sup>١١</sup>، إشارة إلى أنه لا يخرج عن أمره شيء. ﴿عن قلوبهم﴾ أى الشافعين و المشفوع لهم، فان "فعل" ١٥

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: للبناء (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: قينات (٥) زيد في م: من (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الموقنين (٧ - ٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ان فلانا (٨) من م و مد، وفي الأصل: و لذلك، و العبرة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «على الشافعين و المشفوع لهم» (٩) راجع نثر المرجان ٥/ ٧٢ .

يأتى للإزالة كقَدِّيت عينه - إذا ' أزلت عنها القذى ( قالوا ) أى قال بعضهم لبعض : ( ما ذا قال ربكم ) ذاكِرين صفة الإحسان ليرجع إليهم رجاؤهم فتسكن لذلك قلوبهم .

و لما كان ملوك الدنيا ربما قال بعضهم قولاً ثم بدا له فرجع عنه ، أو عارضه فيه شخص من أعيان جنده فينتقض ، أخبر أن الملك الديان ليس كذلك فقال : ( قالوا الحق ) أى الثابت الذى لا يمكن أن يبدل ، بل يطابقه الواقع فلا يكون شىء بخالفه ( وهو العلى ) أى فلا رتبة إلا دون رتبته سبحانه و تعالى ، فلا يقول غير الحق من نقص علم ( الكبير ) أى الذى لا كبير غيره فيعارضه فى شىء من حكم : روى البخارى فى التفسير<sup>١</sup> عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم [ قال - ° ] : إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان " فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا - للذى قال - الحق وهو العلى الكبير " فيسمعها<sup>٢</sup> مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض هـ - [ و - ' ] وصفه سبعين بكفه فحرفها<sup>٣</sup> و بدد بين أصابعه - فيسمع

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : أى (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : راجعه (٣) راجع من صحيحه ٧٠٨ ٢ (٤) من ظ و م و مد والصحيح ، وفى الأصل : قال (٥) زيد من ظ و م و مد والصحيح (٦) من ظ و م و مد والصحيح ، وفى الأصل : اجنحتها (٧) من ظ و م و مد والصحيح ، وفى الأصل : فيستمع (٨) زيدت الواو من الصحيح (٩) من م و مد واصحيح ، وفى الأصل و ظ : نخرتها .

الكلمة و يلقبها إلى من تحتها، ثم يلقبها الآخر إلى من تحتها حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما<sup>١</sup> أدركه الشهاب قبل أن يلقبها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة<sup>٢</sup> فيقال: أليس [ قد - ٢ ] قال لنا يوم<sup>٣</sup> كذا و كذا كذا و كذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء . و قال في التوحيد: و قال مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنهما: وإذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات<sup>٤</sup> فإذا فزع عن قلوبهم<sup>٥</sup> و سكن الصوت عرفوا<sup>٦</sup> أنه الحق و نادوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق، [ و روى هذا الحديث العيسى في جزئه عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه . قال: كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يسمعون فيه الوحي، و فيه: فلا ينزل على سماء إلا صفقوا، و في ١٠ آخره: ثم يقال: يكون العام كذا و يكون العام كذا، فتسمع الجن ذلك فتخبر به الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه و سلم دحروا، فقالك العرب: هلك من في السماء، فذكر ذبح العرب لأموالهم من الإبل و غيرها، حتى نهتهم ثقيف، و استدلووا بثبات معلم النجوم، ثم أمر إبليس جنده باحضار التراب و شمه حتى عرف ١٥ أن الحدث من مكة - ٧ ] .

ولما سلب<sup>٨</sup> عن شركاتهم أن يملكوا شيئا من الأكوان،

(١) من ظ و م و مد و الصحيح، و في الأصل: و ربما (٢) من ظ و م و مد و الصحيح، و في الأصل: كذب (٣) زيد من ظ و م و مد و الصحيح . (٤) من ظ و م و مد و الصحيح، و في الأصل: يوم (٥) زيد في صحيح البخاري ١١١٤/٢: شيئا (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: عرف (٧) زيد ما بين الحائزين من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و في الأصل و م: سلب.

و اثبت<sup>١</sup> جميع الملك له وحده، أمره صلى الله عليه وسلم بأن يقرهم بما يلزم منه ذلك فقال : ﴿ قل من يرزقكم ﴾ ولما كان كل شيء من الرزق متوقفا على السكونين ، و كان في معرض الامتحان و التوبيخ جمع لثلاث / ٢٩٥  
 | يدعى أن لشيء من العالم العلوى مدبرا غيره سبحانه فقال :  
 ه ﴿ من السموت ﴾ وقال : ﴿ والارض ﴾ بالافراد لانهم لا يعلمون غيرها .  
 و لما كان من المعلوم أنهم مقرّون بأن ذلك لله وحده كما تقدم التصريح به غير مرة ،<sup>٢</sup> و كان<sup>٣</sup> من المحقق أن إقرارهم بذلك ملزم لهم<sup>٤</sup> الإخلاص في العبادة عند كل من له أدنى مسكة من عقله ، أشار إلى ذلك  
 ١٠ [ بالإشارة - <sup>٥</sup> ] بأمره صلى الله عليه وسلم بالإجابة إلى أنهم كالمسكرين لهذا ، لأن إقرارهم به لم ينفعهم فقال : ﴿ قل الله لا ﴾ أى [ الملك الأعلى - <sup>٦</sup> ] وحده ، وأمره [ بعد إقامة - <sup>٧</sup> ] هذا الدليل [ البين - <sup>٨</sup> ] بأن يتبعه<sup>٩</sup> ما هو أشد عليهم من وقع البلب بطريق لا أنصف منه ، و لا يستطيع أحد أن يصب إليه نوع طعن بأن يقول مؤكدا تنبيها  
 ١٥ على وجوب إنعام النظر في تمييز الحق من المبطل بالانخلاع من الهوى ، فان الأمر في غاية الخطر : ﴿ و أنا ﴾ أى أهل التوحيد في العبادة لمن تفرد بالرزق<sup>١٠</sup> ﴿ او اياكم ﴾ أى<sup>١١</sup> أهل الإشراك به من لا يملك شيئا

(١) في ظ : اتبع (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فكان (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : له (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يتبع (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : في الرزق (٨) سقط من ظ و م و مد .

من الأشياء و «او» على بابها لا بمعنى الواو، أى إن أحد فريقنا<sup>١</sup> على إحدى الحالتين مبهم<sup>٢</sup> غير معينة فهو على خطر عظيم لكونه فى شك من أمره غير مقطوع له بالهدى، فانظروا بعقولكم فى تعيينه هل هو الذى عرف [ الحق - ٢ ] لأهله أو<sup>٣</sup> الذى بذل الحق لغير أهله، قال ابن الجوزى: وهذا كما تقول للرجل تكذبه: والله إن أحدنا لكاذب، ه أنت تعينه تكذيبا غير مكشوف<sup>٤</sup> و يقول الرجل: والله لقد قدم فلان، فيقول له من يعلم كذبه: قل إن شاء الله. فيكذبه بأحسن من تصريح التكذيب، يعنى ولا سيما بعد إقامة الدليل على المراد ثم مثل المهتمين بمن هو على متن جواد يوجهه حيث شاء من الجواد بقوله: (لعل<sup>٥</sup> هدى) أى فى متابعة ما ينبغى أن يعمل مستعجلين عليه ناظرين ١٠ لكل ما يمكن أن يعرض فيه عما قد يجر إلى ضلال فتكبه<sup>٦</sup> (أو فى ضلل) [ أى - ٢ ] عن الحق فى الاعتقاد المناسب فيه منغمسين فيه وهو محيط بالمبتلى به لا يتمكن معه من وجه صواب: (مبين ه) أى واضح فى نفسه داع لكل أحد إلى معرفة أنه ضلال إلا من كان منغمسا فيه مظروفا له، فانه لا يحس بنفسه و ما بينه وبين أن يستبصر ١٥ إلا أن يخرج منه وقتا ما فيعلم أنه كان فى حاله ذلك فاعلا ما لا يفعله

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: و ما - كذا (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: مهمة (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخذفناها (ه) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مكشوف (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فتشكبه.

من له نوع من العقل ، ففي هذا حث على النظر الذي كانوا يابونه بقوله  
 "قلوبنا في اكثة" ونحوه في<sup>١</sup> الأدلة التي يتميز بها الحق من الباطل  
 على أحسن وجه بأنصف دعاء وألطف نداء حيث<sup>٢</sup> شرك الداعي نفسه  
 معهم فيما دعاهم إلى النظر فيه ، فالمعنى أنه يتعين على كل منا - إذا كان  
 ٥ على إحدى<sup>٣</sup> الطريقين مبهمه - أن ينظر في أمره<sup>٤</sup> ليسلم فان الأمر في  
 غاية الوضوح مع<sup>٥</sup> أن الضال في نهاية الخطر ، ولقد كان الفضلاء من  
 الصحابة رضي الله تعالى عنهم وذوو<sup>٦</sup> الاحلام والنهي منهم يقولون  
 ذلك بعد<sup>٧</sup> الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وناهيك بهما  
 جلالاتهما ، ونباهة وذكاه وكالا ، قالوا : والله لقد كنا نعجب غاية  
 ١٠ العجب ممن يدخل في الإسلام واليوم [ نحن -<sup>٨</sup> ] نعجب غاية العجب  
 ممن يتوقف عنه<sup>٩</sup> .

ولما كانوا بين أمرين : إما أن يسكتوا فيعلم كل سامع أن الحجة  
 لزمتهم ، وإما أن يقولوا بوقاحة ومكابرة : أنتم في الضلال ونحن على  
 الهدى ، وكان الضال<sup>١٠</sup> لا يزال يقطع ما ينبغي وصله بوصل ما يجب قطعه ،

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : من (٢) من ظ و م و مد ، وفي  
 الأصل : حتى (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : أحد (٤) من ظ و م  
 و مد ، وفي الأصل : نفسه (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد ، وفي الأصل  
 و ظ : ذو (٧) زيد في الأصل : هذا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد  
 فحذفناها (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فيه -  
 (١٠) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الضلال .



٢٩٦ /

أمره أن يحبيهم على هذا / التقدير بما [ هو - ] أبلغ في الإنصاف من  
 الأول بقوله : ﴿ قل لا تستلون ﴾ أى من<sup>١</sup> سائل ما ﴿ عما أجرنا ﴾  
 أى قطعنا فيه ما ينبغي أن يوصل مما<sup>٢</sup> أوجبه لنا الضلال ﴿ ولا نستل ﴾  
 أى أصلا في وقت من الاوقات [ من سائل ما - ]<sup>٣</sup> ﴿ عما تعملون ﴾  
 أى مما ينتموه على العلم الذى أورثكموه الهدى أى فتركونا والناس ه  
 غيركم كما أنا نحن تاركوكم، فن وضع له شيء من الطريقين سلكه .  
 ولما كانوا إما أن يحبوا إلى المتاركة فيحصلوا بها المقصود عن  
 قريب<sup>٤</sup>، وإما أن يقولوا : لا تترككم، وكان هذا الاحتمال أرجح، أمره  
 أن يحبيهم على تقديره بقوله : ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾ أى في قضائه  
 المرتب<sup>٥</sup> على قدره في الدنيا أو في الآخرة، قال القشيري : والشيخ ١٠  
 ينتظرون في الاجتماع زوائد ويستروحون<sup>٦</sup> إلى هذه الآية، وللإجماع  
 أمر كبير في الشريعة .

ولما كان إنصافهم<sup>٧</sup> منهم في غاية البعد عندهم، وكان ذلك في  
 نفسه في غاية العظمة، أشار إليه بأداة البعد فقال : ﴿ ثم يفتح ﴾ أى  
 يحكم ﴿ بيننا ﴾ حكما يسهل به الطريق ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت الذى ١٥

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد في الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ  
 و م ومد لحذفناها (٣) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : بما (هـ) زيد من ظ  
 ومد (هـ) في ظ و م ومد : قليل (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : على .  
 (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : المترتب (٨) من ظ و م ومد ، وفي  
 الأصل : يستريحون (٩) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : اتصافهم .

لا يقدر أحد منا ولا منكم على التخلّف عنه ، و هو العدل أو الفضل من غير ظلم ولا ميل . ولما كان التقدير : فهو الجامع التقدير ، عطف عليه قوله : ﴿ و هو الفتح ﴾ أى البليغ الفتح لما انغلق ، فلم يقدر احد على فتحه ﴿ العليم ﴾ أى البالغ "علم بكل دقيق و جليل بما يمكن فيه الحكومات ، ه فهو التقدير على فصل جميع الخصومات .

ولما كانوا قد أنكروا البعث على ذلك الوجه الذى تقدم ، و دل على قدرته عليه بما نصب من الأدلة التى شاهدها من أفعاله بالبصر أو البصيرة لإيجاد وإعدام ، وأقام الحجة<sup>١</sup> على صحة الدعوة و بطلان ما هم عليه ، ثم تهددهم بالفصل يوم الجمع ، و ختم بصفة العلم المحيط المستلزم للقدرة الشاملة ، وكانت القدرة لا تكون شاملة إلا عند الوحدانية ، أمره بما يوجب لهم القطع بوحدانيته و شمول قدرته بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المشركين .

ولما كانت آلهتهم تسهل رؤيتها ، و كان كل ما هو كذلك سافل المقدار عن هذه الرتبة ، و كانت آلهتهم بالخصوص أدنى الأشياء عن ذلك ١٥ بكونها من أخس الجمادات ، نه على ذلك و على أنها نكرة لا تعرف بقلب و لاتدل عليها فطرة زيادة فى تبيكتهم بقوله : ﴿ ارونى الذين ﴾ و لما لزم مما ثبت له سبحانه من صفات الكمال [ العلو - ٢ ] الذى لا يدايه

(١) زيد فى الاصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٢) ، فى ظ و م ومد : الحجج (٣) زيد من ظ و م ومد .

أحد بوجه قال : ﴿ الحَقْم به ﴾ و لما كان الإلحاق ' يقتضى و لا بد ' فصور الملحق عن الملحق به ، أشار إلى فرط جهلهم بتسويتهم به بقوله : ﴿ شركاء ﴾ ثم نبه بعد إبطال قياسهم على أنهم في غاية الجلالة والجلود فهم كالأنعام بما قرعهم به من الزجر ' في قوله ' مؤكدا تكذيبا لهم في دعوى الشرك : ﴿ كلاً ﴾ أى ' ارتدعوا و انزعجوا ' فليس والله الأمر كما ذكرتم و لا قريب منه ﴿ بل هو ﴾ أى المعبود بالحق الذى لا يستحق أن يسمى هو<sup>٢</sup> غيره ﴿ الله ﴾ أى الذى اختص بالحمد فى الأولى و الآخرة ﴿ العزيز ﴾ أى الذى لا مثل له ، و كل شيء محتاج إليه<sup>٣</sup> ، و هو غالب على كل شيء غلبة لا يحد<sup>٤</sup> معها ذلك الشيء وجه مدافعة<sup>٥</sup> و لا انقلاب ، و لا وصول لشيء إليه إلا / باذنه ﴿ الحكيم ﴾ أى المحكم لكل ما يفعله فلا ١٠ / ٢٩٧ يستطيع احد<sup>٦</sup> نقض شيء [ منه -<sup>٦</sup> ] فكيف يكون له شريك و أنتم ترون [ له -<sup>٧</sup> ] من هاتين الصفتين المنافتين لذلك و تعلون عجز من أشركتموه به عن أن يساويكم مع ما تعلون من عجزكم . و لما ختم بوصف الحكمة فتم برهان القدرة التى<sup>٨</sup> كان أوجب اعتقادهم لعدم البعث ما يقتضى نقضا فيها ، و لزم عن ذلك التوحيد ١٥ و بطل [ الشرك -<sup>٩</sup> ] ، لم يبق إلا إثبات الرسالة التى أوجب<sup>٩</sup> ردبدهم

---

(١ - ١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا بد يقتضى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : به (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : له (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا يجب (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الذى (٩) سقط من ظ

أخباره<sup>١</sup> صلى الله عليه وسلم بين الكذب والجنون الطمر فيها ، فلم  
 أن التقدير : أرسل إليكم رسوله بعزته مؤيداً له بأعجاز هذا القرآن بحكمته  
 دليلاً على صدقه وكأله في جلته وتأمله أبدائع نعمته ومعالي رحمته ،  
 وكان في ذلك دليل الصدق في الرسالة ؛ فسق به قوله معلياً لشانه بالخطاب  
 ه في مظهر العظمة ، إشارة إلى أنه ينبغي أن يتدبر جلايب الصبر على  
 جميع المكروه الصادرة من أنواع الخلق في أداء الرسالة بقوله عاطفاً على  
 « ولقد اتينا داود منا فضلاً ، مؤكداً تكذيباً لمن يدعى الخصوص :  
 ( وما أرسلناك ) أي بعظمتنا ( إلا كآفة ) أي إرسالاً عاماً شاملاً  
 لكل ما شمله إيجادنا ، تكفهم عما لهم أن ينتشروا إليه من متابعة  
 ١٠ الأهوية ، وتمنعهم عن أن يخرج عنها منهم أحد ، فالتاء في " كآفة " للبالغة .  
 و عبارة ابن الجوزي : أي \* عامة لجميع الخلائق ( للناس ) أي كل  
 من فيه قابلية لأن ينوس<sup>٢</sup> من الجن والإنس وغيرهم من جميع ما سوى الله  
 وإن آذوك بكل أذى<sup>٣</sup> من النسبة<sup>٤</sup> إلى الافتراء أو الجنون أو غيرهما .  
 فحال الإرسال محصور في العموم للغرض الذي ذكر من التدبر لحل  
 ١٥ المشاق ، لا في الناس ، فانه لو أريد ذلك لقدموا قليل : إلا للناس كافة<sup>٥</sup> ،

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : أخباره (٢) في ظ : عطف (٣) من ظ  
 و م و مد ، وفي الأصل : لهم (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م  
 و مد ، وفي الأصل : إن (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يونس .  
 (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بالنسبة (٨) من ظ و م و مد ، وفي  
 الأصل « و » .

وقد مضى في أوائل الأنعام عن السبكي ما ينفع هنا، والمعنى أن داود عليه السلام فضل بطاعة الجبال له والطير والحديد، وسليمان عليه السلام بما ذكر له، فضيلتك أنت بالإرسال إلى كل من<sup>١</sup> يمكن نوسه، فالخصى سبحت في كفك، والجبال أمرت بالسير معك ذهاباً وفضة، والحرمة شكت إليك أخذ فراخها أو<sup>٢</sup> يعضها، والضرب شهد لك، والجل<sup>٣</sup> شكا إليك وسجد لك، والأشجار أطاعتك، والأحجار سلمت عليك<sup>٤</sup> واتمرت بأمرك<sup>٥</sup> إلى غير ذلك من كل من<sup>٦</sup> ينوس بالفعل أو القابلية - والله أعلم، وأما الجن فالحلم مشهور، وأما الملائكة فالدلائل على الإرسال إليهم في غاية الظهور، [وفي دلائل النبوة في باب التحدث بالنعمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية دليل على فضل النبي صلى الله عليه وسلم على الأنبياء بعموم الرسالة للانس والجن -<sup>٧</sup>].

ولما كانت البشارة هي الخبر الأول الصدق السار، وكان في ذكرها رد قولهم في الكذب والجنون، قال: (بشيراً ونذيراً) أي لمن أهل للبشارة<sup>٨</sup> أو النذارة. ولما كان هذا الإرسال مقروناً بدليله من الإتيان بالمعجز في نفسه من جهة البلاغة في نظمه وبالمعانى المحكمة<sup>٩</sup> في البشارة والنذارة وغير ذلك، قلب عليهم قولهم الذي لا دليل عليه

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : ما (٢) في ظ «و» (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل : أو (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل : بك (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل : ما (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل : البشارة.

ولا شبهة تصوب إليه في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله الذي [هو - ']  
أوضح من الشمس دليلا ، وأقوم كل قيل قولا : ﴿ولكن﴾ ولما  
كان الناس الأولين كل من فيه قابلية النوس وهم جميع الخلائق وأكثرهم  
[غير - '] عاص . أظهر مريدا الثقلين من الجن والإنس فقال :  
﴿أكثر الناس لا يعلمون﴾ أي ليس لهم قابلية العلم فاعلموا أنك رسول الله  
فضلا عن أن إرسالك عام ، بل هم كالأنعام ، فهم لذلك لا يتأملون  
فيقولون : «افترى أم به جنة» ونحو هذا من غير تدبر لما في هذا الكتاب  
من الحكمة والصواب مع الإعجاز ، في حالي الإطباب والإيجاز ، والإضمار  
والإبرز ، فيحملهم جهلهم على المخالفة والإعراض<sup>١</sup> .

١٠ ولما سلب<sup>٢</sup> عنهم العلم ، أتبعه دليله ، فقال معبرا بصيغة المضارعة  
الدال على ملازمة التكرير للاعلام بأنه على سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد<sup>٣</sup> :  
﴿ويقولون﴾ أي ما أرسلناك إلا [على - '] هذا الحال [و الحال - ']  
أن المنذرين يقولون جهلا منهم بواقعة ما يوعدونه غير مفكرين في وجه  
الخلاص منه والتفصي عنه في كل حين استهزاء<sup>٤</sup> منهم : ﴿متى هذا الوعد﴾  
ه أي بالبشارة والندارة في يوم الجمع وغيره فسموه وعدا زيادة في  
الاستهزاء<sup>٥</sup> . ولما كان قول الجماعة أجدر بالقبول ، وأبعد عن الرد من

(١) رد من ظ و م ومد (٢) - قط من ظ و م ومد (٣) من ظ و م

ومد ه في الأصل : سبب (٤) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : استرشاد .

(٥) از - ظ مد (٦-٦) سقط ما بين الرمين من ظ .

قول الواحد، أشار إلى زيادة جهلهم بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى ' أيها النبي و أتباعه اكونا أنتم 'عريقون فيه' ﴿صدقين﴾ [أى - ٢] متمكنين في الصدق .

و لما تبين من سؤالهم أنه لم يكن للاسترشاد و إن هم بالغوا به في التكذيب و الاستهزاء بعد الإبلاغ في إقامة الأدلة، أمره بأن يجيبهم بما ه يصلح للعائد من صاعد التهديد بقوله : ﴿ قل لكم ﴾ [أى - ٢] أيها الجامدون الأجلاف الذين لا يجوزون الممكنات، و لا يتدبرون ما' أوضحها من الدلالات، مع ضعفهم عن الدفاع، و المغالبة و الامتناع ﴿ميعاد يوم﴾ أى لا تحتمل \* العقول وصف عظمه لما يأتى فيه من العقاب سواء كان يوم<sup>١</sup> الموت أو البعث . و لما كان تعلق النفوس بالمهلة عظيما، قال : ١٠ ﴿ لا تستأخرون ﴾ أى لا يوجد تأخركم و لا يمكن أن يطلب لحديث الطلب و تعذر الهرب<sup>٢</sup> ﴿ عنه ساعة ﴾ لأن الآتى به عظيم القدرة محيط العلم، و لذلك قال : ﴿ و لا تستقدمون ﴾ أى لا يوجد تقدمكم لحظة فادونها و لا تتمكنون من طلب ذلك .

و لما دل سبحانه بملازماتهم للاستهزاء بهذا الإنذار على أنهم غير ١٥

(١) زيد في الأصل : يا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٢-٢) من ظ و م و مد، و في الأصل : فيه عريقون (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م، و في الأصل : من، و الكلمة ساقطة من مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : لا تحمل (٦) من ظ و م و مد . و في الأصل : بعد (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل : المهرب .

منفكين عن مذاهب الكفار ، ذكر تصريحهم بذلك و حالهم في بعض  
الاورقات المنطبقة عليها الآية السالفة في قوله . ﴿ وقال الذين كفروا ﴾  
حيث عبر بالوصول و صلته في موضع الضمير ، و اكتفى بالماضى هنا  
لصراحته في المقصود و كفايته في الحكم بالكفر ، فقالوا مؤكدين قطعاً  
٥ . للاطماع عن دعائهم : ﴿ لن تؤمن ﴾ ١ أى تصدق أبداً ٢ ، و صرحوا  
بالمنزّل عليه صلى الله عليه و سلم بالإشارة فقالوا : ﴿ بهذا القرآن ﴾ أى  
وإن جمع جميع ٣ الحكم و المقاصد المضمنة ٤ لبقية الكتب  
﴿ ولا بالذى بين يديه ﴾ أى قبله من الكتب : التوراة و الإنجيل و غيرهما .  
بل نحن قانعون بما أدبنا به آباؤنا ، و ذلك أن بعض أهل الكتاب  
١٠ . أخبروهم أن صفة هذا النبي عندهم في كتبهم ، فاعضبهم ذلك فقالوه\* :  
﴿ ولو ﴾ أى و الحال أنك ﴿ ترى ﴾ أى يوجد منك رؤية لحالهم  
﴿ إذ ﴾ هم - هكذا كان الأصل ، ولكن أظهر الوصف تعميماً و تطبيقاً  
للحكم به فقال : ﴿ الظليون ﴾ أى الذين يضعون الأشياء في غير محالها  
فيصدقون آباءهم لإحسان يسير مكدر بغير دليل ، و لا يصدقون ربهم  
١٥ الذى لا نعمة عندهم و لا عند آبائهم إلا منه ، و قد أقام لهم أدلة العقل  
بما ضرب لهم من الأمثال في الآفاق و في أنفسهم ، و النقل بهذا القرآن

(١-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بدا .  
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : المتضمنة (٥) من ظ  
و مد ، و في الأصل و م : فقالوا (٦) سقط من ظ و م .



٢٩٩ /

المدلول على صدقه بعد إظهار المعجزات / المحسوسات [ بعجزهم عنه ،  
فكانهم سمعوه من الله المنعم الحق ( موقوفون ) أى بعد البعث بما يوقفهم  
من قدرته بأيدي جنوده أو بغيرها - ١ ] بأيسر أمر منه سبحانه قهرا لهم  
و كرها منهم : ( عند ربهم صلح ) أى الذى أحسن إليهم فطال إحسانه  
فكفروا كلما أحسن به إليهم ( يرجع بعضهم ) أى على وجه الخصام ٥  
عداوة ، [ و - ٢ ] كان سيها مواددتهم فى الدنيا بطاعة بعضهم لبعض فى  
معاصى الله ، قال القشيري : و من عمل بالمعاصى أخرج الله عليه كل من هو  
أطوع له ، ولكنهم لا يعلمون ذلك ، ولو علموا لا اعتبروا ، ولو اعتبروا اتابوا  
و تواقفوا ، ولكن يقضى الله أمرا كان مفعولا ( إلى بعض القول ٢ )  
أى ' باللامومة و المباكة ' و المخاصمة ، لرأيت ' أمرا فظيما منكرا هائلا شنيعا ١٠  
مقلقا و جيعا ' يسرك منظره ، و يعجبك منهم أثره و مخبره ، من ذلهم  
و تحاورهم و تخاذلهم حيث لا ينفعهم شيء من ذلك .

و لما كان هذا مجملا ، فسر به قوله على سبيل الاستئناف :  
( يقول الذين استضعفوا ) أى وقع استضعافهم عن هو فوقهم فى الدنيا  
و هم الاتباع فى تلك الحالة ٢ على سبيل اللوم و التأنيب ( للذين استكبروا ) ١٥  
أى أوجدوا الكبر و طلبوه بما وجدوا من أسبابه التى أدت إلى استضعافهم

( ١ ) زيد مبا بين الحاجزين من ظ و م و مد ( ٢ ) زيد من مد ( ٣ ) ليس فى  
الأصل فقط ( ٤ - ٤ ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : باللامومة و المباكة .  
( ٥ ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : أرايت ( ٦ ) من ظ و م و مد ، وفى  
الأصل : و جمعا ( ٧ ) فى ظ و م و مد : الحال .

للاولين و هم الرؤس المتبوعون : ﴿ لولا اتم ﴾ اى بما وجد من استباعتكم لنا على الكفر وغيره من أموركم ﴿ لكننا مؤمنين ٥ ﴾ اى عريقين فى الإيمان لانه لم يكن عندنا كبر من أنفسنا يحملنا على العناد للرسل .

و لما لم يتضمن كلامهم سوى قضية واحدة ، ذكر الجواب عنها ٥ بقوله تعالى : ﴿ قال الذين استكبروا ﴾ على طريق الاستنفاف ﴿ للذين استضعفوا ﴾ ردا عليهم و إنكارا لقولهم أنهم هم الذين صدوهم : ﴿ انحن ﴾ خاصة ﴿ صددناكم ﴾ اى منعناكم و صرفناكم ﴿ عن الهدى ﴾ و لما كانوا لا يؤاخذون باهمال دليل العقل قبل إتيان الرسل ، أشاروا إلى ذلك بقولهم : ﴿ بعد اذ جاءكم ﴾ اى على السنة الرسل .

١٠ و لما كان المعنى : إنا لم نفعل ذلك ، حسن أن يقال : إنهم هم الذين ضلوا بأنفسهم لا باضلالهم ، فقالوا : ﴿ بل كنتم ﴾ اى جبة و خلقا ﴿ مجرمين ٥ ﴾ اى عريقين فى قطع ما ينبغي وصله بعد إتيان الهدى مختارين لذلك كما كنتم قبله أتباعا لنا ما ردتكم و لاردنا ، و لما تضمن قولهم امرين : ادعاء عرافتهم فى الإجماع ، و إنكار كونهم سببا فيه ،

١٥ أشار إلى ردهم للثانى بالعاطف على غير معطوف عليه إعلاما بأن التقدير :

قال الذين استضعفوا : كذبتم فيما ادعيتهم من عرافتنا فى الإجماع :

﴿ و قال الذين استضعفوا ﴾ عظما على هذا المقدر ﴿ للذين استكبروا ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قصة (٢) من ظ و م و مد ، و فى

الأصل : يوحدون (٣) سقط من ظ ا هـ ، من ظ و م و مد ، و فى

الأصل : يقال .

ردا لإنكارهم صدم: ﴿بل﴾ الصاد لنا ﴿مكر الليل والنهار﴾ أى الواقع  
 فيها من مكرهم 'بنا، أو' استعير إسناد المكر إليها لطول السلامة فيها،  
 وذلك للتوسع في الظرف في إجراءاته مجرى المفعول به ﴿اذ تاملونا﴾  
 على الاستمرار ﴿ان تكفر بالله﴾ أى الملك الأعظم بالاستمرار على  
 ما كنا عليه قبل<sup>٢</sup> إتيان الرسل ﴿ونجعل له اندادا﴾ أى أمثالا نعدمه  
 من دونه ﴿واسروا﴾ أى يرجعون و الحال أن الفريقين أسروا  
 ﴿الندامة لما﴾ أى حين ﴿راوا العذاب﴾ لأنهم بينما هم في تلك المقابلة  
 وهم يظنون أنها تغنى عنهم شيئا وإذا بهم قد بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون  
 فأبهتهم فلم يقدرُوا لقوات المقاصد و خسران النفوس أن ينسبوا بكلمة،  
 ولأجل أن العذب عم الشريف منهم و الوضع . قال تعالى: ١٠  
 / ﴿وجعلنا الأغلال﴾ أى الجوامع التى تغل اليد إلى العنق  
 ﴿فى اعتاق الذين كفروا﴾ فأظهر موضع الإضممار تصريحاً بالمقصود  
 و تنبيهاً على الوصف الذى أوجب لهم ذلك .

ولما كانت أعمالهم لقبجها ينبغى البراءة منها، فكانت بملازمتهم<sup>٣</sup>  
 لها كأنها قد فهرتهم على ملازمتها و تقلدها طوق الحامة [ فهم يعاندون ١٥  
 الحق من غير التفات إلى دليل - ٧ ] ، قال منبها على ذلك جواباً لمن كأنه

(١ - ١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لنا و (٢) من ظ و م و مد، وفى  
 الأصل: للاتباع (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: من (٤) ليس فى  
 الأصل فقط (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ و م و مد، وفى  
 الأصل: بملازمتهم - كذا (٧) زيد من ظ و مد .

قال : لم خصت أعناقهم وأيديهم 'بهذا العذاب' ١ : (مل يحزون )  
 أى بهذه الأغلال (الا ما كانوا ) أى كوناهم عريقون فيه (يعملون ه )  
 أى على سبيل التجديد والاستمرار مما يدعون أنهم بنوه على العلم ،  
 وذلك الجزاء - والله أعلم - هو ما يوجب قهرهم وإذلالهم وإخزائهم ٢  
 ه وإنكاهم وإيلاهم كما كانوا يفعلون مع المؤمنين و يتمنون لهم .

ولما كان في هذا تسليية أخروية ، أتبعه التسليية الدنيوية ، فقال  
 عطفاً على ما تقديره : وما أرسلنا غيرك إلا إرسالا خاصا لآمته ، عطفاً  
 على " وما أرسلناك إلا كافة " وساقه مؤكداً لأن مضمونه - لكونه  
 في غاية الغرابة - مما لا يكاد يصدق : ( وما أرسلنا ) أى بعظمتنا -  
 ١٠ ولما كان المقصود التعميم ، لأنه لم يتقدم قول قريش ليخص التسليية بمن  
 قبلهم ، أسقط القبلية بخلاف ما في سورة الزخرف فقال : ( في قرية )  
 وأكد النفي بقوله : ( من نذير ) أى ينذرهم وخامة ما أمامهم من  
 عواقب أفعالهم ، ودل بأفراده عن البشارة أن غالب الأمم الماضية من  
 أهل النذارة لتظهر مزية هذه الأمة ، ولعله عبر به إشارة إلى الناصحين  
 ١٥ للشرائع التي قبلهم دون المجددين من أنبياء بنى إسرائيل فان بعضهم

( ١ - ١ ) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : العذاب قال ر ، ظ و م  
 و مد ، وفي الأصل : حيث ( ٢ ) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : أحزانهم .  
 ( ٤ ) سقط من ظ ( ٥ ) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : عاطفاً ( ٦ ) في الأصل  
 فقط : أرسلناك ( ٧ ) في الأصل فقط : من ( ٨ ) زيد بعده في الأصل : ان ، ولم  
 تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .

لم يكذب ﴿ إلا قال مرفوعاً لا ﴾ أى العطاء الذين لا شغل لهم إلا التمتع  
بالباقى حتى أكسبهم البغى والطغيان: ﴿ انا بما أرسلتم به ﴾ أى أيها  
المنذرون ﴿ كفرونه ﴾ أى وإذا قال المنعمون ذلك تبعهم المستضعفون  
فاذا وقفوا عندنا تقولوا بما تقدم ثم لم ينفعهم ذلك ﴿ وقالوا ﴾  
مفاخرين<sup>١</sup> ودالين على أنهم فائزون [ كا - ٣ ] قال لك هؤلاء كأنهم  
تواصوا به: ﴿ نحن أكثر ﴾ .

ولما كانت الاموال فى الاغلب سبباً لكثرة الاولاد بالاستكثار  
من النساء الحرار<sup>٢</sup> والإماء، قدمها فقال: ﴿ اموالاً واولاداً ﴾ أى  
فى هذه الدنيا، ولو لم يرض منا ما نحن عليه ما رزقنا ذلك ﴿ وما نحن ﴾  
أى الآن ﴿ بمعذنين ﴾ أى بباب عذابنا، وإنما تعرض لنا أحوال خفيفة ١٠  
من مرض وشدائد هى أخف من أحوالكم، و حالنا الآن دليل على  
حالنا فيما يستقبل من الزمان كأننا ما كان، فان الحال نموذج المال،  
و الأول دليل الآخر، فان كان ثم آخره كما تقولون فنحن أسعد منكم  
فيها كما نحن أسعد منكم الآن، ولم تنفعهم قصة سبا فى ذلك فانهم لو  
تأملوها لكفتهم، و أثارت [ أبصار - ١ ] بصائرهم. وصححت أمراض قلوبهم ١٥  
وشفتهم، فانهم كانوا أحسن الناس حالاً، فصادوا أقبحهم<sup>٣</sup> مآلاً .

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: اكبهم (٢) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: مغاضين (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى  
الأصل: الحرار (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى  
الأصل: حالوا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

ولما كانت لشبهتهم هذه شعبتان متعلق إحداهما بالذات والآخرى بالثمرات، بدأ بالأولى لأنها أهم، فقال مؤكداً تكذيباً لمن يظن أن سعيه يفيد في الرزق شيئاً لو لا السعي ما كان: ﴿ قل ﴾ يا أكرم الخلق على الله ! مؤكداً لأجل إنكارهم لأن يوسع في الدنيا على من لا يرضى ه فعله: ﴿ إن ربى ﴾ أى المحسن إلى بالإنعام بالسعادة الباقية ﴿ ييسط الرزق ﴾ أى يحمده في كل وقت أراد به بالأموال والأولاد وغيرها ﴿ لمن يشاء ويقدر ﴾ أى يضيق على من يشاء منكم ومنا / ومن غيرنا / ٣٠١ من سائر الأمم المخالفين لنا ولكم في الأصول [ مع - ٧ ] أنه لا يمكن أن يكون جميع<sup>٨</sup> الموسع عليهم على ما هو حق عنده<sup>٩</sup> ومرضى له، ١٠ لاختلافهم في الأصول و تكفير بعضهم لبعض، فإن الله معذب بعضهم لأحالة، فبطلت شبهتهم، وثبت أنه يفعل ما يشاء ابتلاء و امتحاناً، فلا يدل البسط على الرضى ولا القبض على السخط - على ما عرف من سنته في هذه الدار ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ أى الذين لم يرتفعوا<sup>١١</sup> عن حد النوس والاضطراب ﴿ لا يعلمون ﴾ أى ليس [ لهم - ٧ ]

(١) في م ومد : كان (٢-٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل : متعلق أحدهما .  
(٣) زيد في الأصل : تنبيهاً ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها .  
(٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : ان (٥) سقط من ظ (٦) من م ومد،  
وفي الأصل وظ : مع (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) من ظ وم ومد،  
وفي الأصل : جمع (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل : عندهم (١٠) من ظ وم ومد . وفي الأصل : لم يرتفعوا .

علم ليتدبروا به ما ذكرنا من الأمر فيعلموا أنه ليس كل موسع عليه في دنياه سعيدا في عقباه .

ولما هدم ما بالذات، أتبعه ما بالثمرات، فقال مؤكدا تكذيبا لدعواهم: ﴿ و مَا أَمْوَالُكُمْ ﴾ أى أيها الخلق الذين أتم من جملتهم وإن كثرت، وكرر النافي تصريحاً بإبطال كل على<sup>٢</sup> حiale فقال: ﴿ و لَا أَوْلَادُكُمْ ﴾ ٥ كذلك، وأثبت الجار تأكيداً للنفي فقال واصفا الجمع المكسر بما هو حقه من التأنيث: ﴿ بَالِي ﴾ أى بالأموال و الأولاد التى ﴿ تقربكم عندنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة بتصرفاتكم فيها بما يكسب المعالي ﴿ زلفى ﴾ أى درجة عليه و قرينة مكينة، قال البغوى: قال الأخفش: هى اسم مصدر كأنه قال: تقريبا، ثم استثنى من ضمير الجمع الذى هو قائم مقام ١٠ أحد، فكأنه قيل: لا تقرب أحدا<sup>٣</sup> ﴿ الا من ﴾ أو يكون المعنى على حذف مضاف، أى<sup>٤</sup> إلا أموال و أولاد<sup>٥</sup> من ﴿ امن ﴾ أى منكم ﴿ و عمل ﴾ تصديقا لإيمانه على ذلك الأساس ﴿ صالحا ﴾ أى فى ماله بانفاقه فى سبيل الله و فى ولده بتعليمه الخير .

ولما من على المصلحين من المؤمنين فى أموالهم و أولادهم بأن ١٥ جعلها<sup>٦</sup> سببا لمزيد قربهم، دل على ذلك بالقاء فى قوله: ﴿ فَاُولَئِكَ ﴾

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ذكر (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الذى (٣) سقط من ظ (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٢٤٠/٥ .  
(٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: وهو، وفى المعالم: قربى (٦) من م و مد، وفى الأصل وظ: أحد (٧-٧) من مد، وفى الأصل وظ و م: الأموال و الأولاد (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يجعلها .

أى العالو الرتبة ﴿ لهم ١ جزاء الضعف ﴾ أى بأن ٢ يأخذوا جزاءهم مضاعفا فى نفسه من عشرة أمثال إلى ما لا نهاية له ، و مضاعفا بالنسبة إلى جزاء من تقدمهم من الأمم ، و الضعف ٣ : الزيادة ﴿ بما عملوا ﴾ فان اعمالهم ثابتة محفوظة بأساس الإيمان ﴿ وهم فى الغرقت ﴾ أى العلالى ٥ المبنية فوق البيوت فى الجنان ٤ ، زيادة على ذلك ﴿ آمنوه ﴾ أى ثابت أمنهم دائما ، لاخوف عليهم من شىء من الأشياء أصلا ، و أما غيرهم و هم المرادون بما بعده فأموالهم و أولادهم و بال عليهم .

و لما كان فى سياق الترغيب فى الإيمان بعد الإخبار بأنه بشير و نذير ، قال معبرا بالمضارع " بيانا لحال " من يعبده ماله ٦ و ولده من ١٠ الله ٦ : ﴿ و الذين يسمعون ﴾ أى يحددون السعى من غير توبة بأموالهم و أولادهم ﴿ فى آيتنا ﴾ على ما لها من عظمة الانتساب إلينا ﴿ مغجزين ﴾ أى طالبين تعجزها أى تعجز الآتين بها عن إنفاذ مراداتهم بها ٧ بما يلقونه من الشبه فيضلون غيرهم بما أوسعنا عليهم و أعزناهم به من الأموال و الأولاد . .

١٥ و لما كان سبحانه قد بت الحكم بشقاوتهم ، و أنفذ القضاء بخسارتهم ، أسقط فاه السبب إعراضا ٨ عن أعمالهم ٩ و قال ٩ : ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : أن (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البيت (٤) فى ظ و م و مد : الجنات (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بيان الحال (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إعراضهم (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .



البغضاء ﴿ في العذاب ﴾ أي المزيل للنعوة ﴿ محضرون ﴾ أي يحضرون فيه الموكلون بهم من جندنا على أهون وجه وأسهل وهم داخرون ، قال القشيري : إن هؤلاء هم الذين لا يحترمون الأولياء ولا يراعون حق الله في السر . فهم في عذاب الاعتراض على أولياء الله وعذاب الوقوع بشوم ذلك في ارتكاب محارم الله ثم / في عذاب السقوط من عين الله . ٥ / ٣٠٢

ولما أبطل شهرتهم بشعبيتها بالنسبة إلى الأشخاص المختلفة ، قرب ذلك بدليل واحد في شخص واحد فقال : ﴿ قل ﴾ يا أشرف الخلق لهؤلاء الجاهلة الذين يظنون أن الرزق بحسب حسن السعي وقبحه ' أو حسن ' حال الشخص عند الله وقبحها : ﴿ ان ربي ﴾ [ أي - ٢ ] المحسن إلى بهذا البيان المعجز ﴿ ييسر الرزق ﴾ أي متى شاء ﴿ لمن يشاء من عباده ﴾ ١٠ أي على سبيل التجدد المستمر من أي طائفة كان ﴿ ويقدر له ﴾ أي يضيق عليه نفسه في حالتين متعاقبتين ، وهو بصفة واحدة على عمل واحد ، فلو أن الإكرام والإنعام يوجب الدوام لما تغيرت حاله من السعة إلى الضيق ، ولو أن في يده تقع نفسه لما اختلف حاله .

ولما بين هذا البسط أن فعله بالاختيار بعد أن بين بالأول كذبهم ١٥ في أنه سبب للسلامة من النار . دل على أنه الفاعل لا غيره بقوله : ﴿ وما أنفقتم من شيء ﴾ أي أنتم وأخصامكم وغيرهم ﴿ فهو يخلفه ﴾

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بسو (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : واحسن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فلولاً .

أى لا غيره بدليل أن المنفق قد يجتهد كل الاجتهاد في الإخلاف فلا  
 ينفق، فدل ذلك على أنه المختص بالإخلاف، ولأن هذا هو المعنى  
 لا أنه ضمن الإخلاف لكل ما ينفق على أى وجه كان، قال مجاهد كما  
 نقله الرازى في اللوامع: إذا كان في يد أحدكم شيء فليقتصد ولا يتأول  
 ه الآية، فإن الرزق مقسوم، وما عال من اقتصد - كما رواه الطبراني  
 عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا، والمعنى أنه قد دل الإخلاف  
 على جميع الاشكال والاضداد على أن الأمر فيه على غير ما ظننتم من  
 الإسعاف به في وقت موجب للاكرام على الدوام، وأن ذلك إنما هو  
 لضمانه الرزق لكل أحد بحسب ما قسمه له على ما سبق به عليه وقدرته<sup>١</sup>  
 ١٠ حكمته، وتارة يكون إخلافه حسا وبالفعل، وتارة يكون معنى وبالقوة،  
 بالنظرية بتلك الحالة التي أدت إلى العدم، قال القشيري: وهو آثم من  
 السرور بالموجود، ومن ذلك الأنس بالله في الخلوة، ولا يكون ذلك  
 إلا مع التجريد<sup>٢</sup> - انتهى. والمنفق بالاقتصاد داخل إن شاء الله تعالى  
 تحت قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان: البخاري<sup>٣</sup> ومسلم<sup>٤</sup> عن  
 ١٥ أبي هريرة رضى الله عنه قال قال الله تعالى: أنفق أنفق عليك، وما روى  
 الشيخان<sup>٥</sup> وابن حبان في صحيحه أيضا وما من يوم يصبح العباد فيه  
 إلا ملكان ينزylan<sup>٦</sup> يقول أحدهما: اللهم أعط متفقا خلفا. ويقول

(١) زيدت الواو في الأصل و ظ، ولم تكن في م ومد فحذفناها (٢) من مد،  
 وفي الأصل و ظ و م: هم (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: التجديد.  
 (٤) في أبواب النفقات وغيرها (٥) في أبواب الزكاة (٦) راجع أبواب الزكاة  
 من صحيحهما (٧) زيد في الأصل: يقولان، ولم تكن الزيادة في ظ و م  
 ومد فحذفناها.

الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفاء فهو خير الموسعين' ( وهو خير الرزقين هـ )  
 أى الذين تعدونهم هذا العدد بمن يقيمهم ' هو سبحانه' لكم فتضيفون الرزق  
 إليهم ، فانهم وسائط لا يقدرّون إلا على ما قدرهم ، وأما هو سبحانه فهو  
 يوجد المعدم ، ويرزق من يطيعه و من يعصيه ، ولا يضيق ترزيقه بأحد ،  
 ولا يشغله فيه أحد عن أحد ، بل يبعث في كل يوم ليكل أحد رزقه هـ  
 فى آن واحد كما ينشر عليهم نوره بالشمس فى آن واحد من غير  
 توقف لذلك على شيء من الأشياء غير ما سبق به العلم فى الأزل .  
 ولما أبطل شبهتهم فلم بذلك أن الأمر كله له ، وأنهم فى محل  
 الخطر<sup>٢</sup> ، و كان قد بقى ' من شبههم أنهم يقولون : نحن نعبد الملائكة فهم  
 يشفعون لنا ، و كان الأنبياء عليهم السلام لا ينكرون أن الملائكة مقربون ١٠  
 أبطل ما يتعلقون به منهم ، و بين أنه لا أمر لهم و أنهم يرثون منهم ،  
 فقال عاطفا على " اذ الظالمون " : ( و يوم محشرهم\* ) أى نجتمعهم جمعا  
 بكره بعد البعث . و عم التابع و المتبوع بقوله : ( جميعا ) .

و لما كانت موافق الحشر طويّلة و زلازله مهولة قال :  
 ( ثم نقول\* للملئكة ) أى توبيخا للشركين و إقناطاً عما يرجون منهم من ١٥  
 الشفاعة . و لما كانت العبادة لا تنفع إلا إذا كان المعبود راضيا بها و كانت  
 خالصة ، قال مبكنا للشركين و موبخا ليكون هناك سؤال و جواب

- (١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ( ٢ - ٢ ) من ظ و م و مد ،  
 و فى الأصل : سبحانه هو ( م ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انظر .  
 ( ٤ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ( هـ ) و قراءة حفص بإلقاء التحناتية .

فيكون التقريع أشد و الخجل به أعظم، و الحرف و الهوان آثم و أزم،  
و يكون اقتصاص ذلك عظة للسامعين<sup>١</sup>، و زجرا للجاعلين، و تنبيها  
للغافلين. على طريق "أأنت قلت للناس اتخذوني و أسمى الهين من دون  
الله"<sup>٢</sup>، الآيات : ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أى الضالون ؛ و أشار إلى أنه لا ينفع من  
العبادة إلا ما كان خالصا فقال : ﴿إِيَّاكُمْ﴾ أى خاصة ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَهُ﴾  
بأفعالهم الاختيارية و القسرية ليعلم أنهم "عبيد لكم" يستحقون عبادتهم،  
و<sup>٣</sup> فى التعبير بما يدل على الاختصاص تنبيه لقريش على أنه لا يعتد من  
العبادة إلا بالخالص ﴿قَالُوا﴾ أى الملائكة متبرئين منهم مفتحين بالتهذيب  
تخصما بين يدي البراءة خوفا<sup>٤</sup> من حلول السطوة<sup>٥</sup> . ﴿سَجُنْكَ﴾ أى  
١٠ تَزْمُكَ تزيها يلحق بجلالك عن أن يستحق [أحد - ٦] غيرك أن يعبد .  
و لما كانوا كارهين جدا لعبادتهم ، و كانت فائدة العبادة الوصلة<sup>٦</sup>  
بين العابد و المعبود قالوا : ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ أى معبودنا الذى لا وصلة  
بيننا و بين أحد إلا بامرءه ﴿مِنْ دُونِهِمْ جَ﴾ [أى من أقرب منزلة لك  
من منازلهم منا . فأنت أقرب شئ إلينا فى كل معانى الولاية من العلم  
١٥ و القدرة و غيرها ، فكيف ترك الأقرب الأقوى و تتولى الأبعد  
العاجز - ٨ ] . ليس بيننا و بينهم من<sup>٧</sup> ولاية . بل عداوة . و كذا كل

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السائين (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين  
من ظ و م و مد (٣ - ٣) فى ظ : عبيدكم (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما  
بين الرقين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل  
و ظ : الموصلة (٨) زيد من ظ و م (٩) سقط من ظ و م و مد .

من تقرب إلى شخص بمعية الله يقسى الله قلبه عليه و يغضه فيه فيجافه<sup>١</sup>  
و يعاديه .

ولما كان<sup>٢</sup> من يعمل لأحد عملاً لم يأمر به ولم يرصه إنما عمل<sup>٣</sup>  
في الحقيقة للذي دعاه إلى ذلك العمل قالوا : ( بل كانوا ) بأنفسهم  
الاختيارية الموجبة للشرك ( يعبدون الجن ج ) أى إبليس وذريته الذين ه  
زينوا لهم عبادتنا من غير رضا [ بذلك - ' ] ، وكانوا يدخلون في  
أجواف الأضنام و يخاطبونهم و يستجيرون بهم في الأماكن الخفية ،  
ومن هذا \* تمس عبد الديار و عبد الدرهم \* و عبد القطيفة ؛ ثم استأنفوا  
قولهم : ( أكثرهم ) أى الإنس ( بهم ) أى الجن ( مؤمنون ه ) أى  
راحمون في الإشراك [ لا - ' ] يقصدون بعبادتهم غيرهم ، و قليل منهم ١٠  
من يقصد بعبادته<sup>٤</sup> بتزيين الجن [ غيرهم - ' ] وهو غير راض بها ،  
فهى في الحقيقة لمن زينها لهم من الجن ، وهم مع ذلك يصدقون ما يرد  
عليهم من إخبارات الجن على السنة الكهان و غيرهم مع ما يرون فيها  
من الكذب في كثير من الأوقات .

ولما بطلت تمسكاتهم ، و تقطعت تعلقاتهم ، تسبب عن ذلك تقريبهم ١٥  
الناشئ عنه تنديهم بقوله بلسان العظمة : ( فاليوم ) أى يوم مخاطبتهم

(١) في مد : فيجانبه (٢) زيد في الأصل ؛ كل ، و لم تكن الزيادة في ظ و م  
و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : هو (٤) زيد من ظ و م  
و مد (ه-ه) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : نفس عبد الدرهم و عبد الديار .  
(٦) في ظ : بعبادتهم (٧) زيد من م و مد .

بهذا التبكيت وهو يوم الحشر ﴿ لا يملك ﴾ [أى - ١] شيئا من الملك ﴿ بعضكم لبعض ﴾ أى من المقربين والمبعدين . ولما كان المدار على الخلاص والسياق للشفاعة ، قدم النفع فقال : ﴿ نفعا ﴾ وأكمل الأمر بقوله : ﴿ ولا ضرا ﴾ تحقيقا لقطع جميع الأسباب التى كانت ه فى دار التكليف من دار الجزاء الى المقصود فيها تمام إظهار العظمة لله وحده على آتم الوجوه .

ولما كان المعنى : فالיום نسلب الخلاق ما كنا مكانهم منه فى الدنيا من التنافع و<sup>٢</sup> التضارر . وتلاشى<sup>٢</sup> / بذلك كل شىء سواه ، أثبت لنفسه المقدس ما ينبغى . فقال عاطفا على هذا الذى قدرته : ﴿ ونقول ﴾ أى ١٠ فى ذلك الحال من غير إهمال ' ولا إهمال ' ﴿ للذين ظلموا ﴾ أى بوضع العبادة فى غير موضعها ولا سيما من ضم إلى ذلك إنكار المعاد عند إدخالنا لهم النار : ﴿ ذوقوا عذاب النار ﴾ و<sup>٣</sup> لما لم يتقدم للعذاب وصف بتريده - كما تقدم فى السجدة - ولا غيره . كان المضاف [إليه - ١] أحق بالوصف لأنه المصوب إليه بالتكذيب فقال : ﴿ التى كنتم ﴾ أى ١٥ جبلة وطبعا ﴿ بها تكذبون ه ﴾ .

ولما أخبر أنهم ابوا الإيمان<sup>٤</sup> بالقرآن ، المخبر بالغيب من أمر الرحمن

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : وقال . (٣-٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : التضار وتلاشى (٤ - ٤) سقط ما بين الرتين من ظ و م ومد (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل و ظ : بالأخبار ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها .

الذى

الذى مدت إليه العقول، وشاهدت آثاره العيون. في هذا الكلام المعجز،  
فتظافرت على ما أخبرت<sup>١</sup> به أدلة السمع والبصر والعقل، وختم بأنهم  
آمنوا بالجن غيا وعبدوهم من دون الله بما لم يدع إليه عقل ولا نقل،  
و صدقوهم من الإخبار بما إن صدقوا في شيء منه خلطوا معه أكثر  
من مائة كذبة، وسلب أعظم من ادعوا أنهم استندوا<sup>٢</sup> إليه<sup>٣</sup> النفع<sup>٤</sup>  
والضرر، وأسند تعذيبهم إلى تكذيبهم، أتبعه الإخبار بأنهم لازموا  
الإصرار على ذلك الكفر والتكذيب بما كله صدق وحكم فقال:  
(واذا تلى) أي في وقت من الأوقات من أي<sup>٥</sup> تال كان (عليهم)  
[أي خاصة لم يشركهم غيرهم ليقولوا: إنه المقصود بالتلاوة. فلا يلزمهم  
الاستماع<sup>٦</sup> -] (أي<sup>٧</sup>تنا) حال كونها (يئنت) ما قالت شيئا إلا<sup>٨</sup> ظهرت<sup>٩</sup>  
حقيقته<sup>١٠</sup> (قالوا) [أي على الفور من غير تأمل لما حملهم على ذلك  
من حظ النفس -]

ولما كان المستكبرون يرون ما للرسالة من الظهور، وللرسول من  
القبول، وأن أتباعهم قد ظهر لهم ذلك، قالوا إليه بكلياتهم، أكدوا  
قولهم: (ما هدا) [أي -] التالى لها على ما فيه من السمات المعلم<sup>١١</sup>  
بأنه أصدق الخلق وأعلام همه وأبينهم تصيحه (الارجل) أي مع  
كونه واحدا هو مثل واحد من رجالكم، وتزيدون<sup>١٢</sup> عليه<sup>١٣</sup> أقم<sup>١٤</sup> بالكثرة،

(١) في ظ و م و مد: أخبر (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: استندوا.  
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (هـ - هـ) من م و مد، وفي الأصل:  
ظهر حقيقته، وفي ظ: ظهرت حقيقته (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من  
ظ و م و مد، وفي الأصل: أقم عليه.

و لم يسندوا الفعل إليهم نفياً للعرض<sup>١</sup> عن أنفسهم وإلهاها للخاطئين فقالوا:  
 ﴿يريد ان يصدكم﴾ أى بهذا الذى يتلوه ﴿عما كان﴾ [دائماً -<sup>٢</sup>  
 ﴿يعبد أبائكم﴾] أى لا قصد له إلا ذلك لتكونوا له أتباعاً، وأهلبوا  
 السامعين بتصوير آباؤهم بذكر "كان" والفعل المضارع ملازمين للعبادة  
 ٥ ليثبتوا على كفرهم بما لا دليل عليه ولا شبهة ولا داع سوى التقليد.

ولما كانت أدلة الكتاب واضحة، خافوا عاقبتها في قبول الاتباع  
 لها، فحزموا بأنها كذب ليقوموا بذلك، فحكى ذلك عنهم سبحانه بقوله:  
 ﴿وقالوا ما هذه﴾ أى القرآن ﴿الآنك﴾ أى كذب مصروف  
 عن وجهه ﴿مفترى﴾ أى متعمد ما فيه من الصرف.

١٠ ولما كان فيه ما لا يشك أحد في حقيقته، لبسوا عليهم بأنه خيال

يوشك أن ينكشف إيقافاً لهم إلى<sup>٣</sup> وقت ما، فقال تعالى لإخبارا عنهم:  
 ﴿وقال﴾ ولما كان الحق قد يخفى، ولم يقبده بالبيان كما فعل في  
 الآيات، أظهر موضع الإضمار بياناً للوصف الحامل لهم على ذلك القول  
 وهو التدليس، فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أى سبوا ما دلت عليه

١٥ العقول من حقيقة القرآن ﴿للحق﴾ أى الذى لا أثبت منه باعتبار كمال  
 الحقيقة فيه ﴿لما جاءهم﴾ أى من غير أن يملأوا النظر ولا تدبر؛ ليقال

إن الداعى لهم إلى ما قالوا نوع شبهة عرضت لهم، بل أظهروا بالمسارعة  
 إلى الطمن أنه مما لا يتوقف فيه، وأكدوا لما تقدم من خوفهم على اتباعهم

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: للعرض (٢) زيد من ظ و م و مد.

(٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: أى (٤) من ظ و م و مد، وفي

الأصل: تبديل (٥) في ظ: فيقال.



٢٠٥ /

ليخلوهم<sup>١</sup> فقالوا: (إن) أى ما (هذا) أى الثابت / الذى لا يكون  
 شئ أثبت منه (الاسم) أى خيال لاحقيقة له (مبين) أى ظاهر  
 العوار جدا، فهو ينادى على نفسه بذلك، فلا تغفروا بما فيه مما يميل  
 النفوس ويؤثر في القلوب، ولقد انصدت لعمري بهذا التليس - مع  
 أن [ في - ٢ ] نسبتهم له إلى السحر الاعتراف بالعجز - بشر كثير برمة ه  
 من الدهر حتى هدى الله بعضهم، وتمادى بالآخرين<sup>٢</sup> الأمر حتى ماتوا  
 على ضلالهم، مع أنه كان ينبغي لكل من رأى مبادرتهم وتحرقهم  
 أن يعرف أنهم متغضون، لم يحملهم على ذلك إلا الحظوظ النفسانية،  
 والعلق الشهوانية، قال الطفيل بن عمرو الدوسي ذو النور<sup>٣</sup> رضى الله  
 عنه<sup>٤</sup>: لقد أكثروا على<sup>٥</sup> في أمره حتى خشوت<sup>٦</sup> في أذن الكرسف<sup>٧</sup> ١٠

خوفا من أن يخلص إلى شئ من كلامه فيفتقني، ثم أراد الله في الخير  
 فقلت: وائل كل أمي<sup>٨</sup> إني والله ليب عاقل شاعر، ولي معرفه بتمييز<sup>٩</sup> غث  
 الكلام من سمينه، فما لي لا أسمع منه، فإن كان حقا تبعته، وإن كان

- (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ليخلوهم (٢) من ظ و م و مد، وفي  
 الأصل: هذا (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ:  
 بالآخر من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عامر -  
 خطا (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: ذوالنون - خطا (٨) راجع لغيره  
 هذا طبقات ابن سعد ٤ / ١ / ١٧٥ (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عليه.  
 (١٠) من ظ و م و مد، وفي الأصل: خشوت (١١) من م و مد، وفي  
 الأصل و ظ: أى (١٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بتمييز.

باطلا كنت منه على بصيرة - أو كما قال، قال: فقصدت النبي صلى الله عليه وسلم ققلت: اعرض علي ما جئت به، فلما عرضه علي أبي هو وأمي ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فإني توقفت في أن أسلمت، ثم سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له: [ أن يعطيه - ° ] آية تعينه على قومه، فلما أشرف على حاضر قومه كان له نور في وجهه، فخشي أن يظنوا أنها مثله، فدعا بتحويله، فتحول في طرف سوطه، فأعانه الله على قومه [ فأسلموا - ° ] .

ولما بارزوا بهذا القول من غير إثارة [ من - ° ] علم ولا خبر [ من - ° ] سمع، بين ذلك معجبا من شأنهم، موضحاً لعنادهم، بقوله ۱۰ مؤكداً إشارة إلى أن ما يجترئون عليه من الأقوال التي لا سند لها إلا التقليد لا يكون إلا عن كتاب أو رسول: ( وما ) أي قالوا ذلك والحال أنا ما ( اتينهم ) أي هؤلاء العرب أصلاً لأنه لم ينزل عليهم قط قبل القرآن كتاب، وعبر بمظهر العظمة إشارة إلى أن هذا مقام خطر وموطن وعرجاء لأنه أصل الدين، فلا يقنع فيه إلا بأمر عظيم، ۱۰ وأكد هذا المعنى بقوله: ( من كتب ) بصيغة الجمع مع تأكيد النبي بالجاء [ قبل كتابك الجامع - ° ] ( يدرسونها ) أي يحددون

(۱) سقط من ظ (۲) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اعترض (۳) من م و مد، وفي الأصل و ظ ا فلما ( ۴ - ۴ ) في ظ و م و مد: له الله ( ۵ ) زيد من ظ و م و مد ( ۶ ) من ظ و م و مد، وفي الأصل: خاصة ( ۷ ) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لانهم ( ۸ ) من ظ و م و مد، وفي الأصل: إلا أنه ( ۹ ) زيد من ظ و مد .

دراستها في كل حين، فهي متظاهرة الدلالة باجتماعها على معنى واحد متواترة عندم لا شبهة في أمرها ليكون ذلك سببا للطعن<sup>١</sup> في القرآن إذا خالف تلك الكتب (وما أرسلنا) أى إرسالاً لا شبهة فيه [لمناسبتة لما لنا من العظمة -<sup>٢</sup>] (اليهم) [أى خاصة، بمعنى أن ذلك الرسول مأمور بهم بأعيانهم، فهم مقصودون بالذات، لا أنهم داخلون في عموم، ه أو مقصودون من باب الأمر بالمعروف في جميع الزمان الذى -<sup>٣</sup>] (قلك) أى [من قبل رسالتك الجامعة لكل رسالة ليخرج إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فانهما كانا في بعض الزمان الماضى، أو أن المراد -<sup>٤</sup>] في الفترة بعد عيسى عليه السلام كما تقدم في السجدة نقله عن ابن عباس ومقاتل، ويجوز أن يراد بعد إسماعيل عليه السلام لأن ١٠ عيسى عليه السلام - وإن أرسل إلى العرب رسلة - لم يكن مرسلًا [إلا -<sup>٥</sup>] إلى قومه، وإرساله إلى غيرهم إنما هو من باب الأمر بالمعروف، وشعيب عليه السلام إنما كانت رسالته إلى طائفة أو اثنتين منهم و [قد يقال -<sup>٦</sup>] : الذى يدل عليه استغراق جميع الزمان الماضى بالتجريد عن الحافض أن المراد إنما هو نفي الإرسال بهذا الباطل الذى ادعوه لامطلق الإرسال، ١٥ وأكد النفي بقوله: (من نذيرته) أى ليكون عندم قول منه يغبر<sup>٧</sup> في وجه القرآن، فيكون حاملاً لهم على الطعن.

ولما نفي موجب الطعن، ذكر المانع الموجب للاذعان<sup>٨</sup> فقال:

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لظن (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، وفي الأصل: يغير، وفي ظ: يعبر (٥) في ظ: وجه (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: للاذعان.

(و كذب) أى فعلوا ما فعلوا والحال أنه قد كذب (الذين من قبلهم لا)  
 أى من قوم نوح و من بعدهم بادروا إلى ما بادروا / إليه هؤلاء، لأن  
 التكذيب كان فى طباعهم لما عندهم من الجلالة والكبر (وما بلغوا)  
 أى هؤلاء (معشار ما اتينهم) أى عشرًا صغيرًا مما آتينا أولئك من  
 القوة فى الآبدان والأموال والمكنة [فى كل شئ - ١] من العقول  
 وطول الأعمار والخلو من الشواغل (فكذبوا) [أى - ٢] بسبب  
 ما طبعوا عليه من العناد، [وافرد الضمير كما هو حقّه ونصا على أن  
 النون فيها مضى للعظمة لا للجمع دفعا لتعنت متعنت فقال - ٣]:  
 (رسلهم) .

١٣٠٦

١٠. ولما كان اجترأؤهم على الرسل سبب إهلاكهم على أوجه عجبية،  
 صارت مثلا مضروبا باقيا ذكره إلى يوم القيامة ولم يغن عنهم فى دفع  
 النقم ما بسط لهم من النعم، كان موضع أن يقال لرائيه أو لسامعه:  
 (فكيف كان تكذيبهم) [أى فيما كان له من الشدة التى هى كالجبل - ٣]  
 أى إنكارى على المكذبين لرسلهم، ليكون السؤال تنبيها لهذا المسئول  
 ١٥. وداعيا له إلى الإذعان خوفا من أن يحل به ما حل بهم إن فعل  
 مثل فعلهم [سواء كان الإنكار فى أدنى الوجوه كما أوقعناه سببا من  
 تعطيل الأسباب، أو أعلاها كما أنزلناه بقوم نوح عليه السلام ومن شاكلهم  
 (١) من م و مد، وفي الأصل: بادروا، والعبارة من «بادروا» إلى هنا  
 ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) ليس فى  
 الأصل فقط (٥) ف م و مد، سامعه .

وصب العذاب والاستصال الوحي بالمصاب على ما أشارت إليه قراءتا  
حذف الياء وإثباتها - [١] .

ولما أبطل شبههم<sup>١</sup> كلها، ولين من عريكتهم بالتنبيه على التحذير،  
فصاروا جديرين بقبول الوعظ، [وكان مما رموه به - وحاشاه - الجنون  
وتعمد الكذب - [١]، أمره بالإقبال عليهم به<sup>٢</sup> مخففا له لئلا ينفروا من ه  
طوله فقال: ﴿ قل ﴾ و أكدده زيادة في استجلائهم إلى الإقبال عليه  
فقال: ﴿ انما اعظكم بواحدة ﴾ أي فاسمعوا ولا تنفروا خوفا من أن  
أملككم؛ ثم استأنف قوله بيانا لها: ﴿ ان تقوموا ﴾ أي توجهوا نفوسكم  
إلى تعرف الحق، وعبر بالقيام إشارة إلى الاجتهاد ﴿ لله ﴾ أي الذي  
لا أعظم منه على وجه الإخلاص واستحضار ما له من العظمة بما له ١٠  
لديكم من الإحسان: [لا لإرادة المغالبة - [١] حال كونكم ﴿ مشى ﴾ أي  
اثنين اثنين، [وقدمه إشارة إلى أن أغلب الناس ناقص العقل - [١]  
﴿ وفراى ﴾ أي واحدا واحدا، من وثق بنفسه في رصانة عقله  
وأصالة رأيه قام وحده ليكون أصفى لسه، وأعون على خلوص فكره،  
ومن خاف عليها ضم إليه آخر لذكره إن نسي. ويقومه إن زاغ . ١٥  
ولما كان هذا القسم أكثر وجودا في الناس قدمه<sup>٣</sup> ولم يذكر غيرها  
من الأقسام، إشارة إلى أنهم إذا كانوا على هاتين الحالتين كان أجدر لهم

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: شبهتهم (٣) سقط  
من ظ (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: خوفكم (٥ - ه) من ظ و م  
و مد، وفي الأصل: لديكم له (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

بأن يعرفوا الحق من غير شائبة حظ مما يكون في الجمع الكثير<sup>١</sup> من  
الجدال و اللفظ المانع من تهذيب الرأي و تنقيف<sup>٢</sup> الفكر و تنقية المعاني<sup>٣</sup>.  
ولما كان ما طلب منهم هذا لأجله عظيما جديرا بأن يهتم له هذا  
الاهتمام، أشار إليه بأداة التراخي فقال: ﴿ثم تفكروا﴾ أي تجتهدوا  
٥ بعد الثاني و طول التروي في الفكر فيما و ستم به صاحبكم من أمر الجنون .  
ولما كان بعده صلى الله عليه وسلم من هذا أمرا لا يمارى فيه، أستاذف  
قوله [ معينا بالتعبير بالصاحب - ٢ ] مؤكدا تكديبا لهم و تنبيها<sup>٤</sup> على  
ظهور مضمون هذا النفي: ﴿ما بصاحبكم﴾ أي الذي دعاكم إلى الله و قد  
بالتوهمه صغيرا و يافعا وشابا و كهلا، و أعرق في النفي بقوله: ﴿من جنة<sup>٥</sup>﴾  
١٠ و خصها لأنها مما يمكن طروءه، و لم يعرج على الكذب لأنه مما لا يمكن  
فيمن عاش بين أناس عمرا طويلا و دهرا دهيما يصبحهم ليلا و نهارا<sup>٦</sup>.  
صباحا و مساء سرا و علنا في السراء و الضراء، و هو أعلام همه  
١٥ أو أوقافهم مروءة، و أزكاهم خلائق و أظهرهم شمائل، و أبعدهم عن الأدناس  
ساحة<sup>٧</sup> في مطلق الكذب، فكيف بما يخالف أهواءهم فكيف بما ينسب  
١٥ إلى الله فكيف<sup>٨</sup> و كلامه<sup>٩</sup> الذي ينسب فيه إلى الكذب معجز بما فيه

- (١) في ظ: الكبير (٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ: تنقيف (٣) زيد من  
ظ و م و مد (٤) زيد في الأصل: لهم، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.  
(٥) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٦) العبارة  
من هنا إلى «ساحة» ساقطة من ظ (٧) من م و مد، وفي الأصل: ساعة.  
(٨ - ٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بكلامه.

من الحكم و الأحكام، و البلاغة و المعاني التي أعيت الأفهام .

ولما ثبت بهذا إعلاما و إفهاما براءته<sup>١</sup> بما قذفوه به كله، حصر

أمره / في التبيحة من الهلاك، فقال منها على أن هذا الذي أتاهم به

لا يدعيه إلا أحد رجلين: إما مجنون أو صادق هو أكمل الرجال، و قد

اتفق الأول ثبت الثاني: ( أن ) أي ما ( هو ) [ أي المحدث عنه هـ

بينه - ] ( الا نذير لكم ) أي خاصا إنذاره و قصده الخلاص بكم،

[ و هول أمر العذاب بتصوره صورة من له آلة بطش محيطه بمن تقصده

فقال - ]: ( بين يدي ) [ أي - ] قبل حلول ( عذاب شديد )<sup>٢</sup> قاهر

لا خلاص منه، إن لم ترجعوا إليه حل بكم سريعا، روى [ البخاري - ]<sup>٣</sup>

عن ابن عباس رضي الله عنهما<sup>٤</sup> قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات ١٠

يوم فقال: يا صباحاه! فاجتمعت إليه قريش فقالوا: ما لك، فقال: أرايتم<sup>٥</sup>

لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى،

فقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبأ لك، ألهذا

جمعنا؟ فأنزل الله عز و جل " تبأ يدا أبي لهب و تبأ "

ولما اتفق عنه بهذا ما خيلوا<sup>٦</sup> به، بقى إمكان أن يكون لغرض ١٥

أمر دينوي فنفاه [ بأمره - ] بقوله: ( قل ) أي للكفرة: ( ما )

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: براءة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد

من ظ و م و مد (٤) زيد في ظ: أي (٥) راجع من صحيحه ٧٠٨ / ٢ (٦) من

ظ و م و مد، وفي الأصل: أرايتكم (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل:

خيلاه .

أى مهما ﴿سالتكم من اجر﴾ أى على دعائى لكم ﴿فهو لكم﴾ لا أريد منه شيئا، وهو كناية عن أنى لا أسألكم على دعائى لكم إلى الله أجرا أصلا<sup>١</sup> بوجه من الوجوه، فإذا ثبت أن الدعاء ليس لغرض دنيوى، وأن الداعى أرجح الناس عقلا، ثبت أن الذى حمله على تعرض نفسه لتلك الأخطار العظيمة إنما هو أمر الله الذى له الأمر كله. ولما كانوا يظنون به فى بعض ظنونهم أنه يريد أمرا دنيويا، أكد قوله: ﴿ان﴾ أى ما ﴿اجرى الا على الله ج﴾ أى الذى لا أعظم منه، فلا ينبغي لذى همه أن يبتغى شيئا إلا من عنده ﴿وهو﴾ أى والحال أنه ﴿على كل شىء شهيد﴾ أى بالغ العلم بأحواله، فهو جدير بأن يهلك ١٠ الظالم ويعلى كعب المطيع.

ولما لم يبق شىء يخدش فى أمر المبلغ، أتبعه تصحيح النقل جوابا لمن كأنه يقول: برئت ساحتك، فمن لنا بصحة مضامين ما تخبر؟ فقال مؤكدا لإنتكارهم أن يكون ما يأتى به حق [معيدا الأمر بالقول، إشارة إلى أن كل كلام صدر دليل كاف مستقل بالدلالة على ما سبق له -<sup>٢</sup>]: ١٥ ﴿قل﴾ لمن أنكر التوحيد والرسالة والحشر [معبرا بما يقتضى العناية الموجبة لنصره على كل معاند -<sup>٣</sup>]: ﴿ان ربى﴾ أى المحسن إلى بأنواع الإحسان، المبيض لوجهى عند الامتحان ﴿يقذف بالحق ع﴾ أى يرى به فى إثبات جميع ذلك وغيره بما يريد رميا وحيا جدا لأنه غنى عن

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: أى صلا (٢) زيد من ظ و مد.



'تدبر أو تزو' أو تفكر في تصحيح المعنى أو إصلاح اللوازم لأنه علام  
 الغيوب ، فيفضح من يريد إطفاء نوره فضيحة شديدة ، ويرحق باطله '   
 كما فعل فيما رستموني<sup>٢</sup> به [و-<sup>٤</sup>] في التوحيد و<sup>٥</sup> غيره [لا-<sup>٤</sup>] كما فعلتم  
 أنتم في مبادرتكم إلى نصر الشرك و إلى ما وصفتموني به و وصفتم ما جئت  
 به ، فلو لمكم على ذلك أمور شنيعة منها الكذب الصريح ، ولم<sup>٦</sup> تقدروا ه  
 أن تأتوا في أمرى و لا فى شيء من ذلك بشيء يقبله ذو عقل أصلا .  
 و لما وصفه بنهاية العلم ، أتبعه بعض آثاره فقال : ( قل جاء الحق )  
 أى الأمر الثابت الذى لا يقدر شيء أن يزيله ؛ و أكد تكذيبا لهم فى  
 ظنهم أنهم يغلبون فقال : ( و ما ) أى و الحال أنه ما ( يبدئ الباطل )  
 [ أى الذى أتم عليه و غيره فى كل حال حصل فيه تقريره على مر الأيام ١٠  
 ( و ما يعبد ) -<sup>١</sup> ] بل<sup>٢</sup> هو كالجناد لا حركة به أصلا ، لأنه مهما نطق  
 به صاحبه فى أمره بعد هذا البيان اقتضح ، فإن لم ترجعوا عنه طوعا  
 رجعت و أتم صفة كرها ، و الحاصل أن هذا كناية عن هلاكه<sup>٣</sup> بما يهز<sup>٤</sup>  
 ( ١ - ١ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نذير أو ترور = كذا ( ٢ ) من ظ  
 و م و مد ، و فى الأصل : الباطل ( ٣ ) من م و مد ، و فى الأصل و ظ :  
 رهنى ( ٤ ) زيد من ظ و م و مد ( ٥ ) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن  
 الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها ( ٦ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا .  
 ( ٧ ) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد لحذفها ( ٨ - ٨ ) من  
 ظ و م و مد ، و فى الأصل : إيما بهذا .

النفس و يرفض الفكر بتمثيله بمن انقطعت حركته ، و ذهبت قوته ، حتى لا يرجى بوجه .

ولما لم يبق بعد هذا إلا أن يقولوا عنادا : أنت ضال ، ليس بك جنون ولا كذب ، ولكنك قد عرض لك ما أضلك عن المحجة ، قال :  
 ٣٠٨ / ١٥ ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المعاندين <sup>٢</sup> على سبيل الاستعطاف <sup>١</sup> بما فى قولك من الإنصاف و تعليم الأدب : ﴿ ان ضلكت ﴾ أى عن الطريق على سبيل الفرض ﴿ فأنما اضل ﴾ و لما كان الله تعالى قد جعل العقل عقلا يمنع من الخطأ وينهى عن الهوى ، و كان الغلط لا يأتى إلا من شواغل النفس بشهواتها و حظوظها ، فكان التقدير : بما فى نفسى من الشواغل ١٠ العاقبة للعقل ، قال مشيرا إلى ذلك : ﴿ على نفسى ج ﴾ أى لأن الضلال إذا استعل على شئ ظهر أمره فتيقن عواره فيلزم عاره ، و يصير صاحبه بحيث لا يدرى شيئا ينفع ولا يبعد . و لذلك يصير يفزع إلى السفه و المشاعة كما وقع فى مذاهبكم كلها ، لأن الله تعالى جعل العقول الصحيحة معيارا على ذلك . فهما ذكرت طرق [ الحق - ] و حررت ظهر ١٥ أمر الباطل و افترض . [ و لما كانت النفس متقادة بل متراعية نحو الباطل ، عير فى الضلال بالمجرد ، و فى الهدى بالاعتمال إشارة إلى أنه لا بد

( ١ - ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أنت هناك م . ن ظ و م و مد ،  
 و فى الأصل : المعاندين ( ٣ ) فى ظ : الاعطاف ( ٤ ) زيد فى الأصل : لا ،  
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفنا ( ٥ ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :  
 عادة ( ٦ ) زيد من ظ و م و مد .

فيه من هاد و علاج ، و عبر بأداة الشك استعمالا الانصاف فقال - ١ :  
 ( و ان اهديت فيما ) أى فاهدتني انما هو بما ( يوحى الى ربي )  
 أى المحسن إلى لا بغيره ؛ فلا يمكن فيه ضلال لأنه لاحظ فيه للنفس أصلا ،  
 فلا يقدر أحد على شيء من طعن في شيء منه ، و هدى لنفسى . فالآية  
 ظاهرها النزول منه و باطنها إرشادهم إلى تسديد النظر و تقويمه و تهذيب  
 الفكر و تثقيفه ، و هى من الاحتباك : حذف أولا كون الضلال من  
 نفسه بما دل [ عليه - ٢ ] ثانيا من أن الهدى من الوحي ، [ و ثانيا - ٣ ]  
 كون الهدى له بما دل عليه من كون الضلال عليه ، ثم علل الضلال  
 و الهدى بقوله : ( انه ) أى ربي ( سميع قريب ) أى لا يغيب عنه  
 شيء من حال من يكذب عليه ، فهو جدير بأن يفضحه كما فضحك في ١٠  
 جميع ما تدعونه و لا يبعد عليه شيء ليجتاح في إدراكه إلى تأخير لقطع  
 مسافة أو نحوها ، بل هو مدرك لكل ما أراد كلما أراد ، والآية إرشاد  
 من الله تعالى إلى أنه و إن كان خلق للآدمى عقلا لا يضل و لا يزغ ،  
 لكنه حفه بقواطع من الشهوات و الحظوظ و الكسل و الفتور فلا يكاد  
 يسلم منها إلا من عصمه الله ، فلما كان كذلك أنزل سبحانه كتابه ١٥  
 العقل الخالص ، و أرسل رسلا جردم من تلك القواطع ، فجعل اخلاقهم

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : فيما (٣) من ظ  
 و م و مد ، وفى الأصل : نهى (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :  
 تشقيقه (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، وفى الأصل : الهدى (٧) العبارة  
 من « من نفسه » إلى هنا ساقطة من ظ (٨) ليس فى ظ و م و مد .

شرائعهم، فعلى كل أحد أن يبيع رسله المتخلفين بكتبته متبها [عقله  
منابذا -<sup>١</sup>] رآيه كما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم، ليكون<sup>٢</sup> مؤمنا  
بالغيب حق الإيمان فيدخل في قوله تعالى في سورة فاطر "انما تنلو  
الذين يخشون ربهم بالغيب"<sup>٣</sup> ولا يكون متناوشا<sup>٤</sup> بعد كشف الغطاء من  
مكان بعيد .

ولما أبطل شبههم<sup>٥</sup> وختم من صفاته بما يقتضى البطش بمن  
خالقه، قال عاطفا على<sup>٦</sup> "ولو ترى اذ الظلمون:" (ولو ترى) أى  
تكون منك رؤية (اذ فزعوا) أى يفزعون بأخذنا في الدنيا والآخرة،  
ولكنه عبر بالماضي وكذا في الأفعال الآتية بعد هذا لأن ما الله فاعله  
١٠ في المستقبل بمنزلة ما قد كان و وجد لتحقيقه (فلا) أى فتسبب عن  
ذلك الفرع أنه لا (فوت) أى لهم منا لأنهم في قبضتنا، لوأبت امرا  
مهولا وشأننا عظيما، وحق أمرهم بالبناء للفعول فقال: (واخذوا)  
أى عند الفرع من كل من تأمره بأخذهم سواء كان قبل الموت أو بعده .  
ولما كان القرب يسهل [أخذ-<sup>١</sup>] ما يراد أخذه قال: (من مكان قريب<sup>٢</sup>)  
١٥ أى أخذا لا شئ أسهل منه فان الأخذ سبحانه قادر وليس بينه وبين  
شئ مسافة، بل هو أقرب إليه من نفسه (وقالوا) أى عند الأخذ  
ومعاينة الثواب والعقاب: (أما به ج) أى الذى أريد منا الإيمان به  
(١) زيد من ظ و م ومد (٢) فه ظ: فيكون (٣) آية ١٨، (٤) من ظ و م  
ومد، وفي الأصل: مساوسا (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل: شبهتهم .  
(٦) سقط من ظ .

٣٠٩ /

وأيّناه، و الأقرب أن يكون [القرآن -<sup>١</sup>] الذي قالوا إنه إلفك مفترى  
 (وأتى) أى وكيف و من أين (لهم التناوش) أى تناول / الإيمان  
 أو شيء من ثمراته، وكأنه عبر به لأنه يطلق على الرجوع، فكان المعنى  
 أن ذلك بعد عليهم من جهة أنه لا يمكن إلا برجعهم إلى الدنيا التى هى  
 دار العمل، و"أتى لهم ذلك؟" وهو تمثيل<sup>٢</sup> لحلمهم - فى طلبهم أن ينفعهم ه  
 إيمانهم فى ذلك الوقت كما تقع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا - بحال من يريد  
 أن يتناول شيئاً من علوه كما يتناوله الآخر من قدر ذراع تناولاً سهلاً.  
 لا نصب فيه، و مده أبو عمرو و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم  
 لهمزم إياه قليل: إن الهمز على الواو المضمومة كما همزت فى وجوه و وقت<sup>٣</sup>  
 فيكون لفظه موافقاً لمعناه، و الصحيح أنه ليس من هذا<sup>٤</sup>، لأن شرط ١٠  
 همز الواو المضمومة ضمة لازمة أن لا يكون مدغماً فيها إذا كانت وسطاً  
 كالنعود<sup>٥</sup>، و أن لا يصح فى الفعل نحو تناول و تعاون، و قد حكى عن  
 أبى عمرو أن معناه بالهمز التناول من بعد، من قولهم: نأش - بالهمز - إذا  
 أبطأ و تأخر، و النيش حركة فى إبطاء، و النأش أيضاً: الاخذ، فيكون  
 الهمز أصلياً، و قرأه الباقون بالواو مثل التناول لفظاً و معنى، فقراءة الواو ١٥  
 المحضة تشير إلى أنهم يريدون تناولاً سهلاً مع<sup>٦</sup> بعد المتناول فى المكان،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: او (٣) من  
 ظ و م و مد، وفى الأصل: تمثيلهم (٤) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٩٧ (٥) من  
 م و مد، وفى الأصل و ظ: وقت (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، وفى  
 الأصل و م: كالنعود.

وقراءة الهمز إلى أن إرادتهم تأخرت وأبطأت حتى فات وقتها ،  
فجمعت إلى بعد المكان بعد الزمان .

ولما كان البعيد لا يمكن<sup>١</sup> الإنسان تناوله مع بعده قال :

(من مكان بعيد <sup>يلج</sup>) فانه بعد كشف الغطاء<sup>٢</sup> عند مجيء البأس لا ينفع

الإيمان (وقد) [أى - ٢] كيف لهم ذلك والحال أنهم قد (كفروا به)

أى بالذى طلب منهم أن يؤمنوا به أملا وجزاء (من قبل ج) أى فى

دار العمل (و) الحال أنهم حين كفرهم (يقذفون) فى أمر ما دعوا إليه

بما يرمون به<sup>٣</sup> من الكلام رميا سريعا جدا من غير تمهل ولا تدبر

(بالغيب) [أى - ٢] من مرجحات الظنون ، وهى الشبهة التى تقدم

١٠ إبطالها فى هذه السورة وغيرها من استبعادهم البعث وغيره بما أخبر

الله به .

ولما كان الشئ لا يمكن أن يصيب ما يقذفه وهو غائب عنه

ولا سيما مع البعد قال معلما ببعدهم عن علم ما يقولون مع بعده جدا

من حال من تكلموا فيه سواء كان القرآن أو النبى صلى الله عليه وسلم

١٥ أو الحشر والجنة والنار : (من مكان بعيد ه) وذلك على الضد من

قذف علام الغيوب فانه من مكان قريب فهو معلوم لازم للحق .

ولما أشار إلى بعد الإيمان منهم عند إرادتهم تناوله عند فوات

أمره وعلوه عنهم عند طعنهم فيه فى دار العمل ، ترجم حالتهم فى

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : من (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ

وم ومد (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : او .

ذلك

ذلك على وجه يعم ثمرات الإيمان من دخول الجنان و رضى الرحمان بقوله: ﴿ و حيل ﴾ معبرا بصيغة المجهول مشيرا إلى أن حصول الحيولة بأسهل ما يكون و<sup>٢</sup> لأن المنكى [ لهم -<sup>٢</sup> ] نفس الحيولة لا كونها من شخص معين: ﴿ بينهم و بين ما يشتهون ﴾ أى يميلون إليه ميلا عظيما من تأثير طبعهم و قبول إيمانهم عند [ رؤية -<sup>١</sup> ]، البأس و من حصول هـ شىء من ثمراته لهم من حسن الثواب [ كما يرى الإنسان منهم - و هو فى غمرات النار - مقعده فى الجنة، الذى كان يكون له لو آمن و لا يقدر على الوصول إليه بوجه، و إن خيل إليه الوصول فقصده ففتح منه كان أنكى -<sup>١</sup> ] ﴿ كما فعل ﴾ [ أى -<sup>٢</sup> ] بأيسر وجه ﴿ باشياعهم ﴾ أى الذين كفروا مثلهم ﴿ من قبل ﴾ أى قبل [ زمانهم -<sup>٢</sup> ] فان حالهم [ كان -<sup>٢</sup> ] ١٠ كالحلم فى الكفران و الإيمان، و السعادة و الحسرة، و لم يختل أمرنا فى أمة من الأمم، بل كان كلما كذبت أمة رسولها أخذناها، فاذا أذقاهم بأسنا أذعنوا و خضعوا، فلم نقبل منهم ذلك، و لانفعهم شيئا لا بالكف عن إهلاكهم و لا بادراكهم لشيء من الخير بعد إهلاكهم ” ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اذقى السمع و هو شهيد“ . ثم علل عدم ١٥ الوصول إلى قصد<sup>٦</sup> / فى كل من الحالتين بقوله مؤكدا الإنكارهم أن يكون عندهم شىء من شك فى شىء<sup>٧</sup> من أمرهم: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى

- (١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الحيولة (٢) سقطت الواو من ظ.  
 (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من م و مد.  
 (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: قصدهم (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: شك.

في دار القبول كونا هو كالجيلة لهم ( في شك ) أى من جميع ما  
يخبرهم به رسلنا عنا من الجزاء أو غير ذلك ( مريب ع ) أى موقع  
[ في - ٢ ] الريبة، فهو بليغ في بابه كما يقال: عجب عجيب، أو هو واقع  
في الريب كما يقال: شعر شاعر، أى - ذو شعر، فكيف يقبلون أو ينفذ  
٥ طعنهم أو تحصل لهم ثمرة طيبة وهم على غير بصيرة في شيء من أمرهم  
بل كانوا يشكون في قدرتنا وعظمتنا، فاللائق بالحكمة أن نبين لهم  
العظمة بالعذاب [ لهم - ٢ ] والثواب لأحبابنا الذين عادوهم فينا فتبين  
أنهم يؤمنون [ به - ٢ ] عند ظهور الحمد أتم ظهور إما في الآخرة أو في  
مقدماتها، فظهر سر الإفصاح بقوله " وله الحمد في الآخرة " وأنه حال  
١٠ سبحانه بينهم وبين ما يريدون، فتبين أنه مالك كل شيء فصح أن له  
الحمد في الأولى وفي كل حالة - وقد تعاقب آخرها مع أولها، والتحم  
مقطعها بموصلها - والله سبحانه وتعالى هو المستعان ' وإليه  
المرجع والمآب ' .

\* \* \* \*

(١) من م ومد، وفي الأصل و ط « و » (٢) زيد من ط وم ومد -  
(٣) من ط وم ومد، وفي الأصل: بعد ( ء - ء ) سقط ما بين الرقين من  
ط وم ومد .



## خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الخامس عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ = الخامس والعشرين من يناير سنة ١٩٨٠ م ، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده ، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندی القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهاءه خادما العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء السادس عشر باذن الله ومشيتته مستهلا بسورة الفاطر . و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو المسئول لحسن الخاتمة ، ونصلي و نسلم على من علم فوائحه الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية